هلك الفاجر

ملحمة ثورة ٢٥ يناير

د. محمد عباس



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : هلك الفاجر .. ملحمة ثورة ٢٥ يناير

المؤلف : د. محمد عباس

رقم الإيداع : ٢٠١١/٥٨٣٩

الطبعة الأولى ٢٠١١



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

الجزء الأول

هلك الفاجر



بدلا من المقدمة



هذا كتاب احترت كيف أكتب له مقدمته..

إذ أنه هو بذاته مقدمة لثورة ٢٥ يناير الخالدة..

كما أن الثورة – الآن- هي أعظم مقدمة له..

هذا كتاب يمتزج فيه دمي بدم الشهداء فكأنني أمهم وأبوهم وإخوتهم وأبناؤهم.. وكأن دموعي دموع ذويهم.

لكنه مع ذلك يصرح بل ويصرخ أن الشهداء ليسوا من انتقلوا إلى الرفيق الأعلى فقط.. فما أكثر من أرجو لهم أجر الشهداء من الملايين الغفيرة التي خرجت لا تبالي الموت.. ولكن الله- سبحانه- كتب لها الحياة.. ربما لكي تواصل الجهاد في سبيله.. ولتدافع عما بذل الشهداء حياتهم في سبيل تحققه.

إلا أنني أريد أن أحذر، أن بعض من احتسبوا شهداء لم يكونوا كذلك، بل كانوا هم قتلة الشهداء، لكن الأمر كله خضع لتعتيم الثورة المضادة المجرمة، التي أرادت التسوية بين الشهيد وقاتله، ربما: لأن قاتل الشهيد أقرب إليها من الشهيد نفسه. لأن الشهيد قوض عالمها، بينما قاتل الشهيد كان يدعم لها عالمها الذي لا تستطيع أن تعيش خارجه.

أهيب بالقراء ألا يخلطوا بين الثورة والثورة المضادة.. فالفرق بينهما كالفرق بين الإسلام الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وبين الإسلام الذي زعمه مسيلمة. لذلك فإن الثورة تنادي بتطبيق ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.. أما الثورة المضادة فتنادي بتطبيق ما أنزل على ساويرس وممدوح حمزة وعمر حمزاوي وعمار على حسن و.. و.. و..عليهم من الله ما يستحقون.

شياطين الثورة المضادة هم كل من اصطنعهم جهاز أمن الدولة الفاجر ليمثلوا دور المعارضة وليكتبوا في صحف يزعمون أنها معارضة وليظهروا في فضائيات يزعمون أنها حرة ولم يكونوا سوى عبيد وخصيان وجوار يشكلون جزءا من ديكور الطاغوت..

كلهم..

بلا استثناء..

فقط.. غيرت الكلاب نباحها..

وبدلت الخنازير جلودها..

وراحوا ينشدون ويغنون للثورة!

***

هذا الكتاب ينبض بالألم.. سواء في جزئه الأول أو الثاني..

في الجزء الأول تابعت الأحداث لا أقول ساعة بساعة ولا دقيقة بدقيقة.. بل خفقة قلب بخفقة قلب. ومنذ يوم ٢٧ يناير أخذت أصرخ بأعلى صوت مبشرا الأمة بحتمية الانتصار وبسقوط النظام وبهلاك الفاجر مهما فعل.. وكنت أدرك أن النصر قد يتأخر.. وأنني إن تأخر سأكون على رأس المطلوبين للشهادة.. وكنت مرحبا.

أما الجزء الثاني من الكتاب، وقد كتب قبل الثورة، فهو لا يختلف عن الجزء الأول، لا في حدته ولا في صراحته ولا في إيمانه بحتمية الانتصار.

***

ماذا أفعل؟..

هل أكتب مقدمة لهذا الكتاب؟

هذا لا يجوز..

فهذا الكتاب مقدمة للثورة..

وهذا الكتاب مقدمته الثورة.



هلك الفاجر



مبارك لا نجونا إن نجا (*)

(*) تم نشر هذا المقال يوم الخميس ٢٧ يناير ٢٠١١ - ثالث أيام الثورة في موقعي وموقع العرب نيوز قبيل إغلاق الشبكة العنكبوتية وقبل بداية استسلام الطاغوت وقبل التشكيل الوزاري، ويعاد نشره هنا مع بعض التنقيحات.

أعترف أنني مذهول..

عندما تصاعدت نداءات الفيس بوك انصرفت عنها ملولا موقنا أنها نوع من حلم اليقظة والاستعاضة بالخيال عن الواقع كمخدر يغنيهم عن مواجهة الحقيقة..

لما جاء يوم ٢٥ يناير لم أعتن بالمتابعة.. فلما نبهني البعض لم أصدق.. جلست مشدوها أمام التلفاز أقفز من الجزيرة العامة إلى المباشرة ومنها إلى المستقلة والحوار والرأي..

مصعوقا كنت..

ليس لحجم الاستجابة فقط..

ولا لاستمرارها بعد اليوم الأول فقط..

ولكن لأن رهانا هائلا قد سقط..

رهانهم بالقدرة على اجتثاث وعي أبنائنا وتدمير وجدانهم وهويتهم..

من أهم كتبي كتاب: «الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة».. لقد نجحت الأمة في إيقاف النزيف ومقاومته.

أعترف أنهم نجحوا جزئيا في تكوين نماذج قامت النخبة الحاكمة بتنصيبها كقيادات للحركة الفكرية والثقافية وانظروا نماذج مثل مجدي الجلاد ورفعت السعيد وجابر عصفور وسيد القمني وخليل عبد الكريم ونوال السعداوي..

ونجحوا جزئيا في توزير شخصيات شاذة-فكريا- كوزير الثقافة الذي يشكو متوجعا من ضياع جهوده لأن ما يبنيه في ألف مؤسسة للثقافة يمحوه تماما ما يقال في ٤٢٠٠٠ مسجد.

كانوا يأملون أن تقوم هذه النخبة بتربية الأجيال الجديدة كما يريدون.

لقد كان رهانهم بأن تكون الأجيال الجديدة كالسائمة.. كالقطيع تنقاد حيثما تُقاد.

قطيع بلا دين..

أو على الأقل بقشوره..

قطيع على شاكلتهم..

لكنهم لم ينجحوا..

هذا هو رهانهم الذي سقط..

أعترف:

لقد كنت واحدا ممن فقدوا الثقة في جيل الفيس بوك..

لم أكن أدينه بقدر ما كنت أدين جيلنا الذي فشل أن يربيه وأن يحميه من التغريب ومن تزييف الوعي..

الآن..

الآن..

الآن يثبت هذا الجيل المذهل ليس أنه نجح في تربية نفسه فقط..

ولا أنه نجا من التخريب والتغريب فقط..

ولا أنه فعل ما عجز جيلنا المنفوش بالكبرياء الزائف وعبادة الذات وتضخيم الأنا عن فعله فقط..

ذلك كله مهم..

لكن الأهم.. أنه وقد فعل هذا كله:

الأهم:

أنه وقد فعل هذا كله..

المهم..

أنه..

وقد..

فعل..

هذا..

كله:

أثبت أن هذه الأمة عصية على التخريب والتغريب وأن الشيطان قد يئس أن يعبد فيها ورضي بما دون ذلك..

لن يعبدوا الشيطان..

لن يعبدوا النموذج الغربي.

الأمة باقية..

الأمة باقية وستقاوم.. وسوف يأتي يوم تنهض فيه لتقاتل دفاعا عن دينها وحقها وكرامتها .. وأرضها.

البذرة باقية في أعماقهم..

البذرة باقية..

ولذلك فالأمة باقية..

وهذه هي المفاجأة المذهلة..

إن الأمر يشبه بالنسبة لأعدائنا أنهم ظنوا أنهم أبادوا جيوشنا وشتتوا أفرادنا ولم يعد لنا أي قدرة على المواجهة والمقاومة وإذا بهم يفاجئون بجيش جديد فتي يخرج إليهم من حيث لا يحتسبون. جيش لا يعرفون صفاته ولم يشكلوا طباعه ولم يجرعوه كأس الهزائم.

جيش جديد سيواجه وسيحارب وسيبتكر وسيعيش إن شاء الله..

سيواجهك يا إسرائيل.. وسيهزمك..

سيواجهك..

فأيقني بالخراب والدمار والزوال يا إسرائيل..

أيقنوا بالخراب والهزيمة أيها الطغاة المجرمون السفلة..

أيقنوا بمصير بن علي أو شاوشيسكو يا حكامنا..

أيقن بالفشل يا بابا الفاتيكان الأحمق -المتهم بالتستر على الشذوذ- وكل من خلفك..

أيقنوا بالهزيمة يا دعاة الحرب الصليبية والتبشير والتنصير..

أيقن بفشل مخططاتك وانقلابها عليك يا شنودة..

أيقنوا بالنهاية يا رابطة الشواذ الذين يحكمون ..

أيقن بالنهاية يا حسني مبارك..

أيقني بالفرج يا وفاء قسطنطين وكاميليا وعشرات الألوف في معتقلات الطاغوت بغير ذنب وبلا سبب..

أيقن بالهلاك التام يا أحمد عز.. بل يا مذمم ذلّ..أنت وكل أقرانك.

أيقن بفضح مخططاتك يا ساويرس.

أيقنوا..

أبناؤنا..

أحفادنا..

فعلوا ما عجزنا عن فعله..

وسيفعلون..

في مزابل التاريخ سيلقون بكم..

ثأر الله قادم على أيديهم..

ثأر الله قادم..

ثأر الله قادم.

والجيل الذي حسبناه عقيما كشف عن قوته..

كان عميقا لا عقيما..

أعمق من قدرتنا على سبر غوره..

وهذا وحده يقلب الموازين كلها..

يغير الحسابات كلها..

فالإسلام فاعل وباق وقادم..

ولقد كان منظر الصلاة في الشارع في تونس.. وكذلك في القاهرة عنوانا وعلما وعلامة ونبراسا ومؤشرا على المستقبل.

انتهى الطواغيت أو أوشكوا..

النهاية آتية والانهيار حتمي.

ليس الأمر متعلقا بالمظاهرات الأخيرة، ولا حتى بثورة تونس، وإنما هو متعلق في الأساس بجيل خططوا لإبادته فكريا فإذا به حي ينبض، بل ويعج بالحياة.

لقد كانت الحرب علينا تعتمد بالأساس على ضعفنا وليس على قوتهم. على هدم قوانا

وإخصاء مقاومتنا.. ومع أي قدر جاد من المقاومة فإن بنيان الطاغوت الهش سينهار.

ولقد كشفت المظاهرات أن النظام وصل إلى مرحلة اللاعودة حيث الانهيار التي لا يمكنه التخلص منه مهما فعل. إنها كالصدمة غير المرتجعة بالتعبير الطبي، حين يصل المريض إلى مرحلة يستحيل إنقاذه منها. لأن كل خطوة مهما كانت مفيدة لا تفيده: إنها سنن الله في الأرض. خاصة مع نظام جاهل باطش جبار خائن. لم يجد في النهاية إلا النصارى يستقوي بهم، فأساء إليهم، وأساء إلى نفسه أكثر، واستجلب لهم كراهية الأمة وازدرائها، وقد كان ذلك مقصورا عليه، لكنه من الناحية الأخرى لم يكن له خيار آخر. لقد فقد الجميع، عدا حثالات اليسار والليبراليين وهؤلاء لا وزن لهم ولا قيمة. لهم فقط الصوت العالي والقدرة المذهلة على الكذب وإلباس الحق ثوب الباطل. ولم يعد له إلا النصارى يستقوى بهم، وابتلع الأغبياء منهم الطعم بعد أن أغراهم ضعف الناس وعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم، باعوا بحماقة وقصر نظر أخوة في الوطن استمرت خمسة عشر قرنا في لحظة وهم عميت فيها أبصارهم بل بصائرهم فبادروا إلى التقام الطعم بجشع وطمع ونهم وخسة. وهم لا يعلمون أنهم أقرب إلينا من حكامنا. لأنهم أهل كتاب. أما النخبة المثقفة فهم يرتعون في حظائر الردة، وأن أولياء الأمر في الدرك الأسفل من النار لأنهم منافقون.

وهنا أحذر إخوتنا في تونس.. كما أحذرهم في مصر..

أحذرهم من الشيوعيين..

الشيوعيون هم الحلقة النجسة الوسيطة التي يستخدمها الأمريكيون للقضاء على الإسلاميين قبل أن يباشروا السيطرة بأنفسهم.. فاحذروهم..

احذروهم.. فقد ينهار النظام.. ويستولي الشيوعيون على الحكم فنكون قد استبدلنا سيدا بسيد وعميلا بعميل وخائن بخائن .. ونظل نحن نفس العبد.

احذروهم لأنهم يقومون بأقذر الأدوار وأخطرها.. إنهم يبدون بمظهر امرأة شريفة يتسللن إلى أوساط العفيفات لغوايتهن واستقطابهن للانضمام إلى شبكات الرقيق الأبيض.

احذروهم.. فهم الذين خدعونا بمواقفهم ضد الاستعمار وأمريكا وإسرائيل.. فإذا أزفت الآزفة إذا هم على حجر الاستعمار وأمريكا وإسرائيل في علاقة شاذة مقززة، فهم يستعينون بهم علينا ووكالات أنبائهم لا تمجد سواهم ولا تدافع عن غيرهم كما أن مؤسساتهم لا تمنح الشهرة والجوائز إلا لهم. كما أن الاستعمار الأجنبي، يقوم عن طريق وكيله وخادمه وعبده: الاستعمار الداخلي، بمنحهم صدارة المناصب، ورخصة بالارتزاق الحرام دون حساب، من الداخل والخارج، ورخصا بالحماية تصل إلى منح أكابر مجرميهم الحصانة كي يفلتوا من عواقب أي جريمة وليكافئوا على الإشراك بالله حيث لا يعاقب إلا على الإشراك بالطاغوت..

احذروهم..

إنهم نجس فاحذروهم..

***

انتهيت أيها الطاغية..إن كل ذلك ينتهي الآن..

ينتهي..

مهما فعل النظام سينهار.

قد يطول احتضاره..

لكنه سينهار..

سينهار.

يوم الخميس ٢٧ يناير صدر أمر غبي من مسئول بتوجه كوادر الحزب الوطني لصلاة الجمعة، مما يعني أنهم لا يصلونها من تلقاء أنفسهم، والأمر مكشوف، فهو تهديد مستتر أن الأمن المركزي سيكون في المساجد بملابس مدنية. كما أحذر قيادات الشرطة من حساب قادم لا ريب فيه أراه قريبا وإن ظنوه بعيدا. في تونس كان ضباط الأمن هم المجرمون الذي روعوا المجتمع وأطلقوا الرصاص عليه. لا تكونوا مثلهم فالصحف الأجنبية تصفكم بأنكم عصابة من البلطجية. . في إيران قتلوا ضباط السافاك وتركوا جثثهم طعاما للكلاب.. وفي تونس حاصروهم وقاتلوهم وألقوا القبض عليهم..

أحذركم من ذات المصير .. و أحذر من مذبحة يتسبب فيها عناد غبي مجرم فاجر.. لن يغني عنكم في الدنيا ولا في الآخرة شيئا.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

أحذركم..

هذه علامات احتضار..

هذا نظام ينهار..

سينهار..

سقطت الأقنعة. الحكم عمالة. والمنصب مكافأة على الخيانة. والتوريث إصرار عليها وخوف من كشف الأسرار وتمزق الأستار. الأمن عصابةٍ وهتك للأمن. والمسئول مجرم لا يتورع عن تشكيل العصابات لإشعال الحرائق ونهب المؤسسات ولإطلاق الرصاص على الأمة كي يتهم معارضيه بتلك الجرائم، ولكي يبرر للعالم ولنفسه البطش بها.

لماذا تندهشون لفضيحة السلطة الفلسطينية في الوثائق السرية؟!.

هل تظنون أن الوضع يختلف في مصر والسعودية عما هو في فلسطين..

ولو قيض لقناة الجزيرة أو سواها أن تكشف عن الوثائق السرية لحكامنا فهل تظنون أن الخيانة هنا أقل من هناك؟..

هل تتخيلون أنهم أقل خيانة من محمودِ عباس ومن صائب عريقات ومن محمد دحلان..

لا والله.. فهم عصابة واحدة.

لكنهم ينهارون..

لا أمل:

لو تراجع النظام سينهار..

ولو واصل الطغيان سينهار..

لو قاوم سينهار..

ولو تراجع سينهار..

لو قتل المئات سينهار..

ولو لم يقتل أحدا سينهار..

لو سلط كلاب الميديا المسعورة على الأمة لتنهشها سينهار..

ولو أمسكها عنهم سينهار..

ولو واصل إلى التوريث سينهار..

ولو أقلع عن التوريث سينهار..

ولو واصل جهاز الأمن الباطش الجبار سينهار..

ولو تحولوا إلى ملائكة سينهار..

لو انتصرت المظاهرات سينهار..

ولو نجح في كبحها سينهار..

لو كابر وعاند سينهار..

ولو خضع وذل سينهار..

بل إنني أظن أن انهياره سيكون فريدا.. فقد كان في طاغوتيته فريدا.. بل كان شيطانا مريدا..

كما أظن أن الله سيمد له في عمره حتى يطلب الموت فلا يجده..

انتهى الدرس يا غبي.. يا منافق.. يا عميل..

ربما يبقى لكم ثغرة: الخروج الآمن..

وحتى في هذه: لن يسمح لكم سيدكم.. لأن قيمتكم بالنسبة له أنكم خونة وعبيد وعملاء.. فإن لجأتم إليه فأنتم عبء عليه.. ولن يقبلكم.. تماما كما لم يقبل طاووس إيران وشين الهالكين(لا زين العابدين) بن علي ومن معهم.

ذق يا كل طاغوت..

ذق يا كل عميل..

ذق يا كل فاجر:

ذق.. إنك أنت العزيز الكريم!.

أعترف أنني مذهول..

أتساءل في ذهول:

هل يمكن أن أرى غدا وأسمع – كما سمع أهل تونس– من يصرخ فينا:

اتحررنا..

الشعب المصري حر..

الشعب المصري لم يمت..

الشعب المصري عظيم..

تحيا مصر الحرة..

المجد للشهداء..

الحرية للمصريين..

يا مصريين يا اللي عذبوكوا..

يا مصريين يا اللي قهروكوا..

يا مصريين يا اللي سرقوكوا..

الشعب المصري حر..

تحيا مصر العظيمة..

يا مصريين ما عادش خوف..

المجرم هرب..

الطاغوت هرب من الشعب المصري..المجرم هرب..

اللص هرب..

الطاغية هرب من الشعب المصري..السافل هرب..

هرب من الشعب..المجرم هرب..

المجد للشهداء..

المجد لمصر..

المجد للشهداء ..

يا مصر يا كبيرة..

يا مصر يا عظيمة..

خلاص اتحررنا..

المجرم هرب..

خلاص المجرم هرب..

مصر من غير المجرم..

المجرم اتنحى..

الشعب المصري من غير المجرم..

يحيا الشعب..

تحيا مصر حرة..

تحيا الحرية..

يحيا الشعب العظيم..

المجد للشهداء[1]..

فهل يمكن أن نسمع ذلك في مصر غدا؟

هل يمكن أن نقرأ:

القبض على أحمد عز وهو يحاول الهرب من منفذ السلوم.

اعتقال فتحي سرور.

القبض على ساويرس على حدود إسرائيل.

محاكمة مدير وضباط مباحث أمن الدولة بتهم التعذيب والخطف والقتل خارج القانون.

تحديد إقامة وزير الداخلية تمهيدا لمحاكمته!!!

هل يمكن أن يتحول الحلم إلى واقع..

(١) أعتذر عن الكتابة بالعامية، ذلك أن المحامي التونسي الذي أبكى الملايين بانفجاره العفوي عند هروب الطاغية التونسي قد قالها كذلك.

بالأمس.. كان تحرك الشعب حلما.. وهاهو ذا واقع..

يا رب..

يارب..

يـارب..

***

منذ أربعين عاما لا ينفك هذا العنوان يتراءى لي:

هلك الفاجر..

كان هذا هو الهتاف الذي أطلقه المسلمون في أربعة أركان المعمورة عندما هلك يزيد ابن معاوية -لعن الله الأول ورضي عن الثاني- والذي أظن أن أي حاكم من حكامنا أكثر منه فجورا وكفرا. فقد تورط يزيد- في أغلب الروايات- في قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ﷺ وجل آل البيت. أما حكامنا، فقد قتلوا إخوان رسول الله ﷺ ونكلوا بأتباعه، وإنني أقسم بالله أنه لو وجد رسول الله ﷺ بيننا لحاولوا قتله إلا أن يعصمه الله.

إي وربي..

أولئك قوم تجرءوا على الله فهل كان يصعب عليهم الجرأة على رسوله.

هلك الفاجر..

وأحسب حكامنا أفجر منه.

***

بارك الله فيكم يا أبناء الفيس بوك..

الآن أفخر بصلاح الدين وبقطز وبالعز بن عبد السلام.. وبكم.. وكأنكم روح واحدة توزعت على مائة ألف بطل.. مليون بطل.. بل ملايين الأبطال..

أفخر بكم كأنكم شخص واحد.. بطل واحد.. جاء ليغير مسار التاريخ ومجراه..

لم أصدق أن ما حدث يمكن أن يحدث..

أعترف أنني ارتكبت خطيئة وكبيرة..

فقد يئست منكم..

تضافرت مئات العوامل لتدفعني إلى شاطئ بحار اليأس.. لولا أن تداركتني رحمة ربي..

ربما كان ألمي الفاجع على الشهيد سيد بلال هو واحد من عشرات بل مئات مسببات ذلك اليأس..

وكان غضبي الحاد المتفجر من المجرم الطاغية .. من الحيوان الذي ذهب إلى أسرته يقول لهم:

- ادفنوا الرمة دي.

وكان ألمي هائلا وحارقا من المجرمين الذين ذهبوا إلى زوجته، من المجرمين الذين ذهبوا ليضربوا زوجته ويعتقلوها في اليوم التالي لإدلائها بحديث إلى صحيفة الوفد تفضح فيها المجرمين الذين قتلوا زوجها ثم ذهبوا إليها ليقولوا: ادفنوا الرمة دي وإلا سندفنه في مقابر الصدقة ولن تعرفوا له مكانا أبدا.

وكان ألمي فاجعا وغضبي هائلا وحزني حارقا وأنا أرى أصحابه يعجزون عن حماية زوجته بعد أن عجزوا عن حمايته..

تمنيت في - أضعف الإيمان- أن يبتكروا طريقة جديدة لفضح التنين المفترس الذي يحمي الطاغوت.. أن ينصبوا سرادقا أمام بيته للعزاء.. سرداق يستمر منصوبا لمدة عام أو عامين، يتلى فيه القرآن وتتلى الخطب، وتعرض حتى الوسائط والكتب التي تشرح تفاصيل التعذيب.

وكان غضبي من الدكتور ياسر برهامي شديدا لأنه طلب من الناس أن تصمت وألا تحاول الانتقام.. وليته صمت.. وليته أسرّ بالنصيحة.. وليته لم يُطَمْئِنْ بنصيحته تلك جبارين مجرمين يستحقون أن يروعوا[1].

يعلم الله أنني أنظر إلى كل عالم سلفي -وعلى رأسهم الدكتور ياسر برهامي- نظرة

(١) فيما بعد قرأت للدكتور ياسر برهامي تفسيرًا لموقفه جعل قلبي يذوب تعاطفًا معه . كان يخشى على أتباعه من السحق .

الطالب إلى الأستاذ ونظرة القاعد إلى المجاهد.

وأن هناك الكثير الذي أحبسه في صدري يتأجج جمرا في قلبي.

وبعض هذا الجمر يسأل أساتذتي وشيوخي من السلفيين: تركتم السياسة حتى يترككم الطاغوت تتفرغون للدعوة.. فهل ترككم؟.

ألم تدركوا أن الإسلام هو المستهدف لا أنتم..

الإسلام في كل صوره..

السلفى المجاهد والسلفي الذي عطل الجهاد وأهل السنة والجماعة والإخوان والشيعة والصوفية..

إنه لا يستثني من حربه إلا الفرق التي انحرفت انحرافا يخرجها من الإسلام كبعض فرق الشيعة وكل العلويين والدروز والبهائيين.

دينكم هو المستهدف لا أنتم.

وأن هذا الطاغوت المجرم الخائن الجبار حين يترككم.. لا يترككم لكي تمارسوا الدعوة.. وإنما لتمارسوا الدعوة محاصرين مراقبين ولتنموا قوتكم وعدد أنصاركم تحت عينيه.. وليذبحكم في الوقت المناسب. إنهم كالقصاب الذي يربي خرافه كي يذبحهم عندما يريد. إنني آسف للتشبيه. لكن هذا هو الواقع المر. وهو تشبيه لا ينال من كرامة الضحايا بقدر ما ينال من كرامة الجلاد.

لكن السؤال ينفجر كالنزيف: هل من مصلحة الدعوة أن يستمر صمتكم؟ أم أن الجلاد يحقق غاياته من إجهاضكم عند مرحلة معينة من النمو من ناحية، كما أنه بتنكيله بكم يجعلكم عبرة تخيف العامة وتنفرهم منكم ومن طريقكم من ناحية أخرى. تنفرهم من الإسلام. حتى وصل الأمر أن بعض المعتقلين للاشتباه في علاقتهم بكم، يثبتون براءتهم بأنهم لا يصلون، وبأنهم يسكرون ويزنون.

فهل كان من الحكمة أن تصمتوا؟!..

يا أساتذتي يا شيوخي يا فقهائي: هل كان الصواب أن تصمتوا؟!.

أوجه نفس السؤال للإخوان المسلمين..

سؤال آخر..

نزيف آخر..

نعم.. نزيف آخر ينبثق عنه ذات السؤال للإخوان المسلمين –رضي الله عنهم– ثم ماذا؟ وإلى متى؟! ومتى؟!

متى تتحركون؟ متى تحسمون؟!

لم أعط نفسي الحق في أن أجهر بهذا من قبل.. لكن ثمانين عاما زمن طويل جدا!.

لم أعط لنفسي الحق في الفتوى لفقهاء الثغور خاصة أنهم هم الذين يدفعون الثمن.

لكن ثمة سؤال يدمدم في صدري..

أحاول أن أكتمه خوفا وخجلا وخزيا وحنانا وإشفاقا.. هذا السؤال يتعلق بتأثير الضغط الحيواني الباطش المجرم على الإسلاميين عموما.. حين يواجهون –كأفراد عزل– بخبرة محدودة جدا خبرات جهاز باطش جبار يستمد خبرته وعقيدته من أمريكا وإسرائيل.. ومن الشيطان. وما علاقة هذا التأثير بحساباتهم للأمور وللقرارات.

عندما سمع بعض أصحابي انتقاداتي للصمت والسلبية من الإسلاميين قالوا لي بمرارة :

– لو أنك رأيتهم وهم يُعذّبون لالتمست لهم المعاذير.

ولم أقل لصاحبي شيئا..

لكنني ونفسي تتفتت تحت مطارق الغضب وتتمزق تحت سياط القهر قلت لها في ألم لا يوصف:

– إنهم معذورون بكل معنى الكلمة.. لكن هذا العذر قد يمس أهلية بعضهم لاتخاذ قرارات حاسمة. تماما كما فعل أصحاب المراجعات أو التراجعات.. بل قد يمس قدرتهم على اتخاذ القرارات الصائبة أو إصدار الفتاوى الصحيحة..

إنني لا أطعن لا سمح الله في كفاءتهم ولا علمهم ولا إخلاصهم لكنني ألتمس المعاذير لضعفهم البشري إزاء طاغوت مجرم جبار لا يرعى فيهم إلا ولا ذمة. ولا أقصد أنهم يرضخون للطاغوت، ولكنني أقصد أن ضغط الطاغوت عليهم وعجز الأمة عن حمايتهم تشوه نظرتهم للأمور كعدسات محدبة ومقعرة. وأنهم لا يخالفون ضمائرهم بقدر

ما يخطئون حساباتهم. فمن المؤكد أن رأي أي واحد منا في معظم القضايا سيختلف إذا ما صدر منه وهو في غرفة مريحة عنه إذا ما أخذ منه تحت السياط، أو تحت التهديد بها، دون أي شبهة في المداهنة أو النفاق.

إنني هنا أوجز ولا أطنب..

ألمح ولا أصرح..

بل إن مجرد الإيجاز والتلميح يؤلماني أشد الألم.

***

يشرح الدكتور مصطفى حجازي في كتابه الخطير والهام« الإنسان المهدور » المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء – المغرب- العلاقة بين الجلاد وضحيته. بين رمة الشهيد الطاهرة ورمة الضابط الجلاد النجسة. ليؤكد أن الضابط المجرم إذ يحاول سلب ضحيته إنسانيتها وحقوقها يفقد هو الآخر إنسانيته ليتحول إلى وحش. وحش لا قيمة له إلا ما يراه رؤساؤه فيه، ورأي رؤسائه فيه يعتمد على قدرته على التعذيب. على حيوانيته ووحشيته وهمجيته.

***

من المحزن والمخزي أن مصر لم تتميز على العالم إلا بإجرام رجال أمنها، حتى أن أمريكا..أمريكا نفسها.. وإسرائيل..إسرائيل نفسها تلجأ إليهم في الملمات. وياله من عار أن نعرف أنهم في جوانتنامو.. في جوانتنامو نفسها.. كانوا يهددون المعتقلين أنهم إن لم يستسلموا ويعترفوا فسوف يرسلونهم إلى مصر. ياله من عار.

بعد أحداث تونس الأخيرة عرضت الشاشات شكوى معتقل تونسي. كدت أجهش بالضحك وهو يروي ما حدث له خلال عشرة أشهر من الاعتقال والهرب. لكنني أجهشت بالبكاء عندما ذهب بعد الثورة إلى أمه.. يحمل المصحف بين يديه.. ويقرأ القرآن.. ثم راح يشكو لها.. لأمه.. يشكو لها ما فعلوه به. هل قلت لكم أنه ذهب إلى أمه. عفوا. ليس الأمر كذلك بالضبط. لقد ذهب إلى قبر أمه، كانت قد ماتت أثناء فترة اعتقاله وهربه، ولكنني رغم دموعي لم أتمالك نفسي من الدهشة من فرط بساطة ما تعرض له من

تعذيب مقارنة بما يحدث في مصر.

كنت من الذين بكوا أيضا على الضابط المغربي «أحمد المرزوقي» عندما استضافه «أحمد منصور» في برنامجه ذائع الصيت: «شاهد على العصر». بكيت وهو يصف لحظات الإفراج عنه.. ثم وهو يصف لقاءه بأمه. لكنني لاحظت أنه أهمل جانب التعذيب الجسدي، فهرعت إلى كتابه أبحث فيه عن بغيتي[1]:

لكنني ذهلت. لقد كان ورفاقه مدللون جدا بالمقارنة لما حدث للإسلاميين في مصر. إن أي شاب من شبابهم لم يعذب معشار معشار ما عذب به الشهيد العظيم سيد قطب وهو في الستين من عمره. لكن ذلك لم يكن كل شيء. فبرغم التعذيب الحيواني الوحشي المجرم المجنون أيام عبد الناصر إلا أن من عذب في عهده وفي عهد مبارك يترحم على إنسانية صفوت الروبي وحمزة البسيوني وسامبو.

يا له من عار.

الخطير في الأمر، أن النظام المجرم قد دمر قطاعا واسعا من شباب الأمة. حولهم إلى مجرمين وإن ارتدوا أردية الدولة الرسمية وحملوا شاراتها. مجرمون لا يصلحون إلا للإجرام. وانظروا إلى أقرانهم في تونس، الذين تآمروا وخططوا لتفجير ٨٠٠ سيارة محملة بالمتفجرات بين صفوف شعبهم. بين صفوف أهلهم. وانطلقوا كقطعان الوحوش يطلقون الرصاص على الناس. بلا دين ولا وازع ولا ضمير. إنهم لا يختلفون عن الكلاب البوليسية المتوحشة التي يقودونها ويدربونها. بل ربما كانت الكلاب أفضل.

***

كنت بين أمرين متناقضين كليهما يشدني.. يمزقني..

الاعتراض على صمت الناس وعدم مقاومتهم..

والتماس المعذرة للناس بسبب التنين المفترس والخنازير الوحشية التي ترتدى الملابس الرسمية..

كان الخوف الإنساني مبررا..

(١)أحمد المرزوقي- تزممارت- الزنزانة رقم ١٠ - الدار البيضاء-المغرب- منشورات طارق.

وكان العجز مبررا..

وكان الصمت مبررا..

لكنها بنفس الدرجة كانت غير مبررة..لأن المواجهة كانت هي الطريقة الوحيدة لوقف الخوف والنزيف والسلبية وانهيار الوطن..

وبين العجز عن التحريض والإدانة والعجز عن الاستسلام والتفهم والاستكانة رحت أنزف وأتألم وأئن..

وكان هذا من عوامل يأسي.

يئست حتى كتبت في المختار الإسلامي-عدد يناير – جمادي الآخرة ١٤٣٢هـ- تحت عنوان:

حسبنا الله ونعم الوكيل

كنت قد توقفت عن إدانة الحكام توقف اليائس من إصلاح حالهم.. وعدم جدوى أن أندد بخياناتهم.. فتلك وظيفتهم التي ارتضوها باختيارهم تماما كما ارتضى الشيطان باختياره أن يكفر بالله وأن يضل عباده..وإننا نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.. لكننا لا نعاتبه ولا نطلب له الهداية.. وأظن أن موقفي من حكامنا أصبح كذلك: لا عتاب.. ولا دعاء بالهداية.

لم يكن ذهولي بسبب فجور ولاة الأمر..

لكنني كنت مذهولا بسبب صمت الناس....

أين هم..

أين هم..

أين هم؟!

وانهار سد داخل نفسي.. فسال مخزون الرغبة في الحديث إلى الناس.. سالت الرغبة في الكتابة كطوفان من الماء تلقفته أرض خراب لا تحفظ ماء ولا تنبت ثمرا..

أين الناس..

وما جدوى الكتابة إذا كانت لا تصل إليهم.. وما جدواها إذا كانت تصل إليهم فلا

تؤثر فيهم.. وما جدواها إذا تأثروا فلم يتحركوا.

هل خنعوا؟..

هل التمسوا العزة في غير الإسلام فذلوا؟!..

هل صدقوا الذئب الذي اتهمهم بتكدير الماء عليه؟..

هل اقتنعوا بمن يتهمهم بالإرهاب والعنف؟!..

هل خافوا..؟..

هل ألقوا بأيديهم إلى التهلكة بالكف عن الجهاد..

أنا على العكس تماما.. أتهمهم بأنهم لم يمارسوا الحد الأدنى من الإرهاب والعنف اللذين كانا ضروريين للحفاظ على كرامتهم وحياتهم.

كنت أرقب الأمثال يضربها لنا الله..

بعد ذلك أعلنت توقفي عن الكتابة:

أتوقف انسحابا..

وأتوقف احتجاجا..

وأتوقف اشمئزازا..

أتوقف وأنسحب..

أتوقف.. ولو خيرت لاخترت أي سبيل آخر غير أن أتوقف..

أتوقف كقنبلة أفسد مفعولها صمت الناس..

أتوقف بقرار مني..

لكي يكون الأمر بيدي لا بيد عمرو..

بيدي لا بيد شنودة..

بيدي لا بيد بيشوي..

بيدي لا بيد ساويرس..

بيدي لا بيد خالد الفيصل[1].

(١) كان الأمير قد أغلق مكاتب تحفيظ القرآن في السعودية خشية أن تكون بؤرًا إرهابية !!

إن لم يكن على سبيل الحقيقة فعلى سبيل المجاز..

بعد أن هدد الأذل أنه سيطرد الأعز صرخ أحد كتاب المدونات مرة : ماذا لو هدى الله شنودة للإسلام؟.. هل كانوا سيطردونه إلى بلاد البدو؟!.. هل كان سيفقد مصريته وحقه في البلاد؟..

أما أنا فأتساءل: ماذا لو تنصر حكامنا.. هل كانوا سيفعلون بنا أكثر مما يفعلون؟!

لا أملك إلا الانسحاب شاكيا في أنين:

حسبنا الله ونعم الوكيل..

***

ولم أكن أظن أن الإجابة تأتي قبل أن يدور الشهر دورته..

وأنها حين تأتي ستأتيني من جيل لم يكن لي أي أمل فيه..

جيل كنت أنظر له بمزيج من الرثاء والازدراء..

فإذا به هو الجيل القادر على التغيير.

***

كان ذلك قبيل ثورة تونس الحبيبة

عانيته ونزفت ألمه بعد القرارات اللئيمة بإغلاق الفضائيات الإسلامية ظلما وعدوانا في تحالف نجس بين أنجاس النخبة وأنجاس الكنيسة.. وبعد إغلاق مكاتب تحفيظ القرآن في السعودية.. واستبد بي اليأس إلا من رحمة الله.. كنت قد كتبت وكتبت.. واعتقدت اعتقادا جازما أن النخبة رغم إدراكي لعمق سفالتها سوف تخفف من غلوائها وتكبح بعض شططها.. لكنني بعد أن كتبت اتخذوا القرارات المعاكسة تماما. كنت كالمريض الذي ذهب إلى الطبيب كي يعالج له كليته المريضة خشية أن ينتقل المرض إلى الكلية الأخرى السليمة. لم يكن يثق في الطبيب كثيرا لكنه في نفس الوقت لم يتخيل ما يمكن أن يفعله، ذلك أن الطبيب، الطبيب المجرم السافل اللص، قد سرق كليته السليمة، ليبيعها لمن يدفع الثمن، أو ليمنحها بلا ثمن لأعداء ذلك المريض.

فوجئت بزيادة الفساد والإجرام وحصار غزة والعلاقات الحميمة مع أمريكا

وإسرائيل والتسليم بتنصير مصر والتنكيل بالإسلام والمسلمين.

سحقني الألم..

وجاءتني رسالة من صديق عزيز من كندا يقول فيها:

السلام عليكم ورحمة الله أخي الحبيب الدكتور محمد عباس

كان في نيتي أن أكتب إليك خطابا طويلا منذ أن قلت أنك ستتوقف عن الكتابة، ولكن مرت أيام كثيرة ولم أستطع أنفذ ما نويته، لذا أكتفى هنا بهذه الكلمات القليلة التي أبث فيها أشجاني وآمالي.

قلبي يتمزق، والتمزق وصف هين لما أشعر به، وأنا أقرأ أنك ستمتنع عن الكتابة.. .. أحس بشعورك تماما.. (...) فأصرخ من قلبي الممزق: آآآآآآآآآآآآه.. يارب!

ولكن.. ..

تعلم أنني كنت من اليائسين، بل من أوائل اليائسين، من أن ينتفض المصريون، وكنت ولازلت أرجع السبب فيما نحن فيه إلى عامة الناس وليس إلى الحكام(...). ومنذ ١٩٦٥ وأنا أقول أننا في الحضيض وأنه لن تأتى السنة القادمة وإلا التغيير قد حدث.. وظللت أقول ذلك كل سنة، مع ازدياد يقيني بالتغيير القادم مع ازدياد عمق الحضيض سنة بعد أخرى!

ومع مرور السنين اقتنعت بأنه لا أمل!!!.. .. وكان القادمون من زيارات لمصر يقولون أن الحالة هناك قد بلغت الحضيض وأنه لابد وأن يحدث تغيير، فكنت أقول لهم إن الحضيض في مصر ليس له قرار!!!

ولكن.. ..

الآن فقط بدأ يتملكني شعور بأن التغيير على الأبواب!!! شعور عجيب ليس له مرجعية تحليلية أو منطقية وإنما هو شعور باطني فقط!!! !!!

أعلم أنك ستقول معي آآآآآآمين.. يارب!

لا أدرى لم كتبت لك هذا إلا أنه التواصل القلبي الواجب بين المؤمنين.

والسلام عليك وعلى آلك وعلى من اتبع الهدى.

محمد طاهر

وكأنما كشف الله الغيب لهذا الرجل الصالح والداعية الإسلامي القديم فألقى بإرهاصاته في قلبه.

وكانت ثورة تونس المذهلة قد تمكنت من فاجر تونس.. فرددت عليه:

أخي الحبيب الأستاذ محمد طاهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ها هي ذي رسالتك تحمل البشرى فيهلك فاجر ..

اللهم أهلك الفاجر الذي ننتظر.

أحس باليتم على وجه ما.. يتم في العقد السابع من العمر..

لا أجد من أبثه ألمي وشكاتي.. ويجب ألا أصرح بألمي وألا أفصح عن عجزي ويأسي حتى لا يتأثر بي الآخرون.

أدين الجميع..

وقبل الجميع أدين نفسي.

لماذا كان عليهم أن يصمتوا..

لماذا لم يطرقوا الجدران..

لماذا لم يقاوموا..

لماذا يموتون كالدجاج الأبيض..

هذا خنوع وليس صبرا واحتسابا..

هذا استسلام وليس سلاما.

هذا جنوح للذل لا للسلم.

لماذا عجزوا؟ لماذا مكثوا كل هذا الوقت ولم ينجحوا في التغيير.

يستباحون ويقتلون..

ودين الله يستباح ويسب ويزدرى..

وهم صامتون..

الإخوان والسلفيون والجهاد والأصوليون والمراجعون والمتراجعون و..و..و..

إن كانوا قد عجزوا عن التصرف كمسلمين فليتصرفوا كبشر..

ماذا كان يمكن أن يفعل الألمان لو أن البوليس قتل واحدا منهم ثم ذهب المجرم القاتل ليقول لزوجته:

- ادفنوا الرمة دي..

ماذا كان سيفعل الألمان؟.

ماذا كان سيفعل الألمان بذلك الحيوان وبجميع رؤسائه وهم أكثر منه شرا وحيوانية؟

ماذا كان سيفعل الإنجليز لو أن لديهم أحمد عز يزور الانتخابات بفجور لم ير التاريخ له مثيلا..

ماذا كان يمكن أن يفعل الفرنسيون لو حكمهم اللصوص والأفاكون والأفاقون؟

لا أتحدث عن الإسلام والإسلاميين..

أتحدث عن البشر الأسوياء في الخارج..

البشر العلمانيين الملحدين..

لماذا جعلتم من الإسلام بؤرة عجز لا مركز قوة؟

فلماذا لم تتصرفوا كما كان يمكن لهم أن يتصرفوا؟

ليس كإسلاميين ولا حتى كمسلمين..

وإنما كبشر..

مجرد بشر.

***

منذ أيام قلائل -قبيل رحيل الفاجر عن تونس-.. قبل النوم، أدركت أن الأيام القادمة سوداء.. وأن تحالف مبارك-شنودة ضد الإسلام سيفعل بمصر ما فعله أتاتورك بتركيا.. وأن الكارثة التي سببها مبارك لمصر أفدح مما يمكن لأي واحد منا أن يتخيله..

كنت قد كتبت كثيرا..

كثيرا جدا..

ورغم أنني لست من النوع الذي يحوم في سماوات أحلام اليقظة.. ولا تستخفني سذاجة أن أولي الأمر لا يعلمون وأنهم حين يعلمون سينبهرون ويستغفرون ليغيروا مواقفهم.. لكنني.. ولأسباب موضوعية وغير إسلامية في الوقت نفسه كنت مقتنعا أن ولي الأمر -إن كان لديه عقل- لابد سيطيعني. ليس نصرة للإسلام ولا للمسلمين ولا حماية لدولته وشعبه ولكن حماية لعرشه. حماية للبلد التي يحكمها من التفتت والانهيار.. وتوقيا لانفجار الناس بسبب المزيد من التضييق عليهم. وفي اللحظة التي ظننت فيها أنني ألزمت ولي الأمر الحجة، وأنني أفحمته، إذا بالغبي يتخذ القرارات المضادة تماما. كقائد جيش مجنون أو خائن يأمر بعض قواته بإطلاق النار على بعضها الآخر.

فاجأني الأمر..

فاجأتني الحماقة..

فاجأتني الخيانة..

رحت أنوح:

لقد هزم الإسلام..

هزم الإسلام..

هزم الإسلام..

هزمه تحالف مبارك وشنوده..

سيموتان ..وليواجها في الآخرة مصيرهما..

ولكن..

سوف يواجه المسلمون في مصر على يدي أتباعهما عقودا سوداء.. حقبا سوداء.. قرونا سوداء..

انتهى الإسلام في مصر إلا ما شاء الله وإلى ما شاء الله..

ربما يستخفى أبناؤنا بعد ذلك إن أرادوا أن يصلوا أو أن يصوموا..

وجدت نفسي أنفجر باكيا:

انصر الإسلام يا رب..

انصر الإسلام يا رب..

انصر الإسلام يا رب..

انصر الإسلام يا رب..

انصر الإسلام يا رب..

انصر الإسلام يا رب..

انصر الإسلام يا رب..

...

...غرقت في الدموع ثم في النوم...

بعد ساعات كنت أحلم:

ضباب غامض وظلام لا يعمي ولا يبين وضجيج وعجيج وثمة صوت غاضب يقول لي:

اقرأ سورة النور..قمت من نومي..

وقرأت..

وبكيت:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)﴾.

...

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾.

...

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ

ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

...

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

...

ثم وصلت إلى النهاية الصاعقة:

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾.

...

***

يا طاغوت ويا نخبته.. لستم معجزين في الأرض..

يا شنودة : لست معجزا في الأرض..

يا إسرائيل: لست معجزة في الأرض..

يا أمريكا : لست معجزة في الأرض.

يا مبارك: لست معجزا في الأرض.

كما أنني أنبه إخوتي في مصر وفي تونس وفي اليمن وفي كل بلد من بلاد المسلمين هي بلادي حيث الحدود لا إله إلا الله محمد رسول الله أن يصفحوا ما وسعهم الصفح إلا عن:

- التعذيب.
- تزوير الانتخابات.
- الخيانة العظمى بموالاة الأعداء والبراء من إخوتنا في الدين.
- نهب أموال المسلمين.
- كذب الإعلاميين وتزييف وعي الأمة.

- ترزية القوانين وانحراف القضاء بالأحكام الجائرة المتعمدة.

- محاولات التنصير والاستقواء بالخارج وسيطرة الأقلية وفرض الطابع النصراني على بلاد مسلمة.

- المسئولين عن تسليم وفاء قسطنطين وكاميليا وأخواتهن.

فلا عفو أبدا عن هذه الجرائم ..

***

لقد انفجرت ثورة تونس كما ينفجر النور والأمل.

والآن تنفجر ثورة مصر.

ويا لحلاوة سقوط طاغية فاجر..

ويا لسعادة أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله..

تأملت..

قلت لنفسي إذا كانت كل هذه السعادة لسقوط فاجر واحد..

فكيف تكون نشوتنا يوم القيامة.. يوم يسقط الفجار جميعا..

سبحانك..

***

الدكتور أحمد العمري

مرحبا بك في القاهرة

لكم كنت سعيدا بلقائك في القاهرة يا أحمد العمري، لكنها كانت سعادة ممتزجة بالخوف عليك.

إنني أعرف أنك بعيد عن السياسة بمعناها المباشر الذي يخيف طواغيت بلادنا، بل إن موقفك من المؤسسة الدينية الرسمية قد يكون جزء:«ويل للمصلين» فيه محببا إلى أفئدتهم دون أن يكملوا الآية، لكن طواغيتنا لا يقرؤون، ويكفي أن تكون كاتبا حتى تثير ريبتهم، فهذا هو الذنب الأكبر وما بعده تفاصيل لا تهم كثيرا، أنت تكتب فأنت إذن تفكر، وما دمت تفكر فسوف تلعن الطاغوت وتنادي بزواله.

كنت خائفا أن يعتقلوك في المطار..

كنت ضيفي وابني وحبيبي الكاتب العبقري بشكل ما..

وكنتُ «أنا مصر» بشكل آخر..

وكانت أية إساءة تلحق بك ستذبحني..

كدت أقول لك لا تأتي.. فلدينا طواغيت ملعونون يحكمون بلادنا..

لدينا قراصنة استولوا على السلطة.. يحاصرونني يا أحمد الحبيب لأنني كتبت أدافع عن بغداد والقاهرة ودمشق والرياض.. وكانت تلك جريمة كبيرة.. فلما كتبت «الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة»[1] كانت تلك جريمة أكبر.. فلما كتبت «من يبايعني على الموت»[2] دفاعا عن لا إله إلا الله محمد رسول الله كانت تلك هي أم الجرائم لأتعرض بعدها لأشد أنواع الحصار والتنكيل.

وكنت خائفا أن ينتقموا مني في شخصك..

كان مساء ٢٧ يناير قد تحدد لوصول الكاتب العراقي الكبير «الدكتور أحمد العمري» إلى مطار القاهرة، وقد رفض بحسم أن أنتظره، بل ورفض أن يحدد موعد الرحلة بالضبط حتى لا أجشم نفسي عناء انتظاره. أكد لي أنه سيتصل بي فور استقراره، لم يكن – هو ولا أنا – يدرك أن جميع أنواع الاتصالات ستقطع تلك الليلة، وأنه سيحاط بالرصاص والدم والشهداء بعد وصوله. لم أكن أعرف أي شيء عنه، ولا توجد وسيلة للاتصال به، وامتلأت بالهواجس، قلت لنفسي أن جهاز الأمن الباطش الجبار سيعتقله، وسيعذبونه عذابًا شديدًا.

لابد أن يشكوا في كاتب عراقي كبير معارض يأتي وقت الانفجار في مصر.

لن يقتنعوا أبدًا أنه جاء من أجل معرض الكتاب الدولي وكان قد تحدد له الجمعة ٢٨ يناير..

يا بني الحبيب المسكين..

(١) الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة. دكتور محمد عباس – مكتبة مدبولي – ٢٠٠١.

(٢) مقالة نشرت في صحيفة الشعب المصرية يوم ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٠.

لماذا أتيت إلى هذه البلدة الظالم أهلها .

كنت ممزقًا بين الثورة التي بدأت تتضح ملامحها وبين قلقي عليه ..

قضيت مساء الخميس والجمعة أحاول الاتصال به دون جدوى ..

تحولت الهواجس إلى يقين .. ورحت أتخيله كيف يعذب وكيف يصرخ ..

واختلطت دماؤه النازفة في خيالي بالدماء الحقيقية للشهداء .. الدماء المسفوكة على الأسفلت ..

يا بني الحبيب الرائع .. يفعلون بك الآن ما فعله إخوانهم – إخوان الشياطين – برجب في «شرق المتوسط» .. ولعلهم يفعلون نفس الشيء بمن لم يستشهدوا ..

رحت أستعيد رائعة عبد الرحمن منيف المروعة: «شرق المتوسط»..

أستعيد حديث رجب لأشيلوس.. السفينة التي حملته إلى أوروبا بعد الإفراج عنه.. أو على الأحرى بعد الإفراج عن جسده. لأن روحه لم تخرج من السجن أبدا.. من أجل هذا يحذر أشيلوس من العودة إلى شرق المتوسط الملعون:

اهتزي أشيلوس اهتزي أكثر، تحولي إلى حوت، إذا أصبحت حوتاً، انتفضي فجأة، اقلبي البشر، و عندما يطفون حواليك موتى، ممسوخي الوجوه، التقطيهم واحداً بعد الآخر ازدردي المخلوقات التائهة، و الذكريات، و لحظات السقوط، أتسمعين أشيلوس ما أقوله لك ؟ يجب أن تسمعي كل الكلمات، إذا سمعتها جيداً سيزول الندم، ستنقضي لحظة التردد، وتفعلين أشيلوس يا صديقتي يا صديقتي، أنت لم تري السجن، لو رأيته يوماً لتغير صوتك، كانوا يريدون صوتاً، مجرد صوت، يصرخون قل كلمة يا بن القحبة و اصمت، و لا أقول شيئاً و يضربون لو عرفت السجن يا أشيلوس لتعلمت كيف تصمتين لو توقف صوتك دفعة واحدة: فإن الرعب سيشلهم، سيموتون، قل أي شيء يا بن العاهرة، اشتم، أما أن تظل صامتاً مثل الجدار، فسوف تغرق في البول حتى تموت، ولا أجد شيئاً، أي شيء لأقوله، وأصمت، ألا تعرف أين ذهب نجم؟ خد، خد الزبد يتطاير حول أفواههم كما يتطاير حولك يا أشيلوس، العيون تنتفخ من الدهشة والغضب، يجب أن تتكلم يا قواد، سأعلمك كيف تقول كل شيء، لن تعيش هذه المرة،

كان جسدي يرتعش، يتمزق، يتحول إلى كلب لا يتوقف عواؤه، و الآن ماذا تقول ؟ ألا تعرف أين نجم ؟ قل لهم شيئاً يا رجب، اكذب عليهم، لا، لن أقول كلمة واحدة، أصرخ و قد احتقن وجهي و أحس عيني تخرجان، اسألوني عن نفسي يا كلاب، و أخيراً بدأت تتكلم، من أنت يا مـ« ... » حتى نسألك عن نفسك، نريد هادي، نريد نجم، أين يختبئ هادي، قل لنا يا ابن القحبة، و أصمت، لو عرفت السجن يا أشيلوس يوماً واحداً، لعرفت الصمت، لتحولت إلى صوت ينتفض في الشمس ويأكل الحشرات التي تحوم فوقه، سيأتي يوم تقفين في ميناء مهجور، مثل سجين قال كل ما عنده، ولم يكتف أحد، سيغادرك كل شيء، حتى الجرذان، و إذا هبت ريح، تميلين علي هذا الكتف، ذاك الكتف، و تغرقين، لم يتركوا لك فرصة لكي تغرقي في البحر الكبير، في أعماق المياه الخضراء، سوف يجرونك حتى تصلين إلى ميناء مهجور، وهناك يجردونك من ثيابك، من الذكريات، ويتركونك وحدك تموتين، لا تنسي ما أقوله لك يا أشيلوس، آه ما ألذ أن يموت الإنسان وهو قوي، يجب أن تعترف، إذا اعترفت لا أحد يمد يده، أما إذا لم تعترف الآن فسوف أجعلك تعترف مثل كلب، أتعرف كيف يعوي الكلب، ستعوي أكثر منه ، قلت لهم وقلبي يرتجف :

- ماذا تريدون أن أقول ؟
- ابدأ من يوم ما جئت من « ... » أمك.

مددوني على طاولة، كنت عارياً تماماً، وجهي باتجاه الأرض، ورأسي يترنح من الضربات، لا أعرف أي عدد من السجائر أطفئوها في ظهري، على رقبتي، داخل أذني وفي إليتي، كانوا يضحكون أول الأمر، و أنا أحاول الدفاع عن نفسي بساقي الطليقتين رفست مرتين أو ثلاث مرات، و لما حاولت في المرة الرابعة حزموا رجلي بقوة، و بدءوا يصرخون:

- اعترف، اعترف يا ابن الزنا.

أتذكر أني قلت لهم لا أعرف شيئاً، و لن أقول لكم يا كلاب. انهالت عليّ آلاف الضربات بالكرابيج و الأحذية. ضربوني بأحذيتهم على وجهي المتدلي، ققفز واحد منهم

فوق كتفي، و كانت يداي مربوطتين وراء ظهري. شعرت أن عظامي تتمزق و رقبتي تسقط مثل خرقة، و صرخت :

- لا أعرف لا أعرف شيئاً .

ارتفع صوت الغناء، و وضعوا عصا غليظة بين إليتي، هل كانت دماغي تنفجر في مكان ما و تترنح بسخونتها ؟ هل كانت قطرات من البول ؟ هل كانت شيئاً آخر ؟ أتتصورون أن الإنسان إذا قال شيئاً ينتهي الأمر ؟ لا، الكلمة الأولى بداية لسلسلة من الاعترافات و أي تأخر في الاعتراف، في الإجابة، يثيرهم أكثر من الصمت لا أقول لكم هذا الكلام إلا عن تجربة. جربت نفسي، و رأيت الذين جربوا لعكس. الخرزة الأولى وبعدها ينفرط كل شيء. سقطت مرات كثيرة من الضربات كنت أظل على الأرض، لكي أتعبهم و هم يرفعونني، كنت أتباطأ أثناء الوقوف لكي أدمر أعصابهم وتتوالى الضربات بالأيدي، بالأحذية، بالعصي كانوا يضربونني على وجهي، ثم مباشرة على ساقي يضربونني لكمات على بطني، فإذا شددت عضلات بطني تحسباً للضربات التي ستأتي، أسمع وشيشاً في أذني، ثم لهباً ينفجر من خصيتي:

- ألا تعترف ؟

- ماذا تريدونني أن أقول ؟

- قل كل شيء في بطنك يا ابن القحبة .

وضعوني في كيس كبير، أدخلوه في رأسي، و قبل أن يربطوه من أسفل، أدخلوا قطتين، هل يمكن للإنسان أن يتحول إلى عدو للحيوان ؟ و القطط ماذا تريد مني ؟ كانت يداي مربوطتين إلي الخلف، كنت مستلقياً على وجهي أول الأمر، و كلما ضربوا القطط بدأت تنهشني، و حاولت أن أنقلب على جانبي، أحس برجل ثقيلة فوق كتفي، عليّ، وأحس الأظافر تنغرز في كل ناحية من جسدي لما فكوا الكيس، كنت أريد أن أرى القطط، كنت أريد أن أحفظ صور أعدائي الجدد تراكضت ا لقطط المذعورة، كأنها خرجت من الجحيم كنت دامي الوجه وأحسست بالنزف من عيني اليسرى، ضحكوا كثيراً لما رأوا دمائي.

استلقي نوري على ظهره، كان يضحك من الفرح و اللذة، و بعد أن مسح عينه من آثار الدموع، قال لي :

- ما رأيك بهذه الحفلة ؟ ألا تعترف ؟

- لم أستطع أن أجيب كان جسمي يلتهب ، يتمزق من الألم ، لا أعرف هل حركت كتفي، أم أتصور ذلك، قال لي و هو يجرني ناحية الباب .

- عندي آلاف الوسائل التي تجعلك تتكلم مثل الببغاء هل تتكلم؟ أم تريد أن تجرب ؟

كنت في ذلك الوقت مستعدا لأي شيء، ليفعل نوري ما يريد، سوف أقتله بصمتي، يجب أن أعاقبه بالطريقة التي تقتله أمسك أصابعي بقوة، و دفعها بين شقي الباب، و بدأ يغلقه بهدوء لما صرخت بصق في وجهي، قال بتشفٍ:

- هل رأيت؟ هذه واحدة من ألف .

- لا تتعب نفسك يا نوري لن تظفر بكلمة.

كان يجب أن أظل صامتاً .

- و الله يا ابن الكلب، سأجعلك تتكلم في نومك.

- حاول..

هل كانت تلك أقسى الليالي ؟ أطولها ؟ جرب نوري كل الوسائل، و ضعني خلف درفة الباب المفتوحة، و ضرب الدرفة بقوة أول مرة، أحسست رأسي ينفجر، شعرت أن أضلاعي تخرج من عيني، و لم يسألني شيئاً، بدأ يغلق الباب بهدوء، وشعرت أن أضلاعي تتكسر، لم أعد أقوى على التنفس، شهقت عدة مرات من الألم و من الرغبة في أن أعب الهواء قبل أن ينتهي.

- هذه بداية، ماذا تقول؟.

لم يكن ينتظر جوابا، كان يريدني أن أمر على كل وسائل التعذيب قبل أن يسألني، قال لي:

- سأجعلك هذه الليلة أعجوبة، لا أريد منك كلمة واحدة، وسأرفض غدا، وبعد

غد استقبالك، لا أريدك أن تتكلم من الألم، أريدك أن تقول كل شيء و أنت مرتاح تماماً.
لو طلب مني أن أخلع ملابسي تلك الليلة لما فعلت، قررت دخول الرهان مع نوري حتى نهايته، و لو دفعت حياتي ثمنا لهذا الرهان.

قال لعبد:

- انزع ملابسه.

و أحضر حبلا، كانت مقاومة بائسة أقرب إلى العبث، بعد دقيقة أو دقيقتين وجدت ملابسي كومة إلي جانبي و أنفاس عبد تلهث في ظهري، وهو يشد الحبل حول يدي ماذا يستطيع هذا الخنزير أن يفعل؟ البكارة ؟ أن يدعو عشرة من حراسه و يفعلوا ما يشاءون، هذا أقصي ما يستطيع، سمعت القصة أكثر من مرة، هددني نوري أكثر من مرة، قررت أن أموت تلك الليلة، ليفعل نوري أي شيء، لم ُعد أطيق أن أظل حيا يوما واحدا، أية روح أبالسة يمكن أن تعيش في الإنسان ؟ لا أريد أن أتصور أي وصف، أية كلمة، لأقول أن نوري أمسك مثل طبيب بخصيتي، بدأ يضغط بهدوء أول الأمر، ثم شدهما بعنف إلى أسفل، أحسست بروحي تخرج من حلقي، لا يمكن لإنسان أن يحتمل هذا الألم كله، تركهما أحسست بهما ثقيلتين، متدليتين كأنهما أجزاء زائدة غريبة، و بدأ الألم يتسرب إلى أمعائي حاداً مثل سيخ النار، لا أعرف من أين أتي بذلك الدبوس الكبير، كان أكبر دبوس رأيته في حياتي أشعل عود ثقاب، أشعل سيجارة ووضع الدبوس فوقها تمنيت في تلك اللحظة أن يغرسه في قلبي، لو فعل لانتهى كل شيء، لكن إبليس المجنون العابث لا يريد أن يقتلني، من جديد رأيته يمسك خصيتي و يغرز الدبوس الأحمر، يا رب: هل تسمع وترى؟ بصقت في وجهه من الألم و التحدي، كنت أريد أن أفعل أي شيء قبل أن أموت، لقد فعل نوري كل شيء، ألا أستطيع أن أرد عليه مرة واحدة ؟ أحسست بجراحي تزغرد من الفرح لما رأيت البصقة تنحدر بهدوء من عينيه إلى خده، قريباً من الأنف، أذهلته المفاجأة، لم يستطع أن يفعل شيئاً أول الأمر، ثم لما أحس بالبصقة تقترب من فمه، مسحها بظهر يده، كان مجنوناً في تلك اللحظة، ضربني بحذائه على وجهي، ما تزال العلامة باقية حتى الآن، ضربني على بطني، ضربني بيده و قدميه، حتى تعب، كان الآخرون يتابعون دون أن يقولوا كلمة، لكن عندما جلس، هز رأسه بطريقة معينة،

تأكدت بعدها أن حياتي انتهت انقض عليّ عبْد و أبو خيري، انقضا مثل وحوش مجنونة، و كأنهما ينتظران تلك الإشارة، أتذكر أن وجهي اصطدم بالحائط، وبدأت الدماء تغسلني، و لا أتذكر بعد ذلك إلا و يداي مربوطتان بالسقف و أتدلى.

أشيلوس، يا بقرة بيضاء مقطوعة السيقان، ألا تعرفين كم مرة يموت الإنسان وكم مرة يولد ؟ التفتي إلى الشاطئ الشرقي، لتغْزُرْ دموعك في الأماكن المظلمة، وانظري إلى بقايا البشر الضحايا و الجلادين، بقايا البشر، احذري يا أشيلوس، إن عدت يوماً للشاطئ الشرقي سيجدون لكي سرداباً أصغر من القبر، و هناك يجب أن تطاوعي الجنون والوحدة، لقد جنت المخلوقات هناك القطط مجنونة لا تقترب من البشر، لا تهرهر مثل قطط المناطق الأخرى، تجفل من الخطوة، من قطعة الخبز، و نداء الحرية عندها أقوى من نداء الجوع، لقد جنت القطط تماماً، و البشر المجانين يلاحقون القطط، يقبضون عليها، يدخلونها في الأكياس مع البشر، يضربونها ويضربون البشر، تموء، تصرخ، تمزق بمخالبها كل شيء، (...) و من أجل الكلمة سافرت، ركبت البحر الصاخب في الشتاء الحزين، لعلي من مكان بعيد أستطيع أن أقول الكلمات التي حلمت بها طوال خمس سنين .

***

كنت خائفا على أحمد العمري..

وكنت خجلا منه..

وكنت أريد أن أناشده كما ناشد رجب أشيلوس أن تبتعد عن الأوطان الملعونة..

نعم.. كنت أشعر بالألم والخزي ، ذلك أن القاهرة، التي طالما أحببتها، لم تعد هي القاهرة التي عرفها التاريخ، والتي عرفتها في شبابي. ولولا انتفاضة الشباب في اليومين الماضيين لكان خزيي شاملا وعاري كاملا.

كان قلبي يوجف وأنا أتصورك يا عمري موقوفا في المطار ومعتقلا في غرفة حقيرة كما فعلوا مع جالوي.

وكان قلبي يوجف وأنا أتخيلك بعد خروجك تزورّ بعينيك بعيدا عني رحمة بي كي تداري عني صدمتك واستنكارك وتساؤلك النازف المندهش:

هل هذه هي القاهرة؟..

كنت أنوي أن أخفي عنك قصيدة شعر للشاعر حسن فتح الباب يقول في نهايتها: «يا قاهرة.. أيتها العاهرة!»..

كنت أتخيل سؤالك المذهول وأنت تخفي عنى نظرات الاحتقار والازدراء والاشمئزاز لتسرّ لنفسك محاذرا أن أسمع بعيني:

- هل هذه كعبة العرب الثقافية وقبلة المسلمين الفكرية؟.

لكن ما يمسح - يا أحمد العمري - عاري ثورة الشباب المجيدة..

الثورة التي تنبأت بها في كتبك يا أحمد العمري.

لقد قام بها الجيل الذي تنبهت إليه وتوليته بالرعاية والاهتمام في كتاباتك ومقالاتك..

***

يا أحمد العمري لا تنظر في صحافتنا ولا في فضائحياتنا فهي عورة..

في الأيام القليلة الماضية كنت مشحونا بطاقة انفعال طارئ وتوقد شعلة أمل توهجت حين ظننت أنها خبت. كنت أقفز ما بين الفضائيات التي تتمتع بحد معقول من المصداقية والاحترام كالجزيرة والمستقلة والحوار والرأي. كانت الضمائر تتوهج و تكاد من فرط الانفعال تضيء.

وبالرغم مني، كل آن وآخر كان ثمة مرور إجباري ببعض فضائياتنا حيث يوجد مذيعونا الذين يمثلون دور مذيعين حقيقيين، وليبراليونا التي اقتصرت الحرية عندهم على الشذوذ والبغاء وصداقة أمريكا والعداء للوهابية(الاسم الرمزي للإسلام). كانوا يعادون الإسلام يا أحمد العمري ولم يتطرقوا أبدا- أبناء القحبة! [1] - لجرائم الشرطة والتعذيب والتزوير. كانوا صنوا لهم، وكلاب نار مثلهم، الضباط والمذيعون والمذيعات.

كانت تلك الفضائحيات سادرة في غيها، كأنها لو أغمضت أعينها عما يجري في شوارعنا كما فعلت مع ثورة تونس ستمنع الناس من معرفتها أو التأثر بها. وكلما جرحت

(١) اللفظ عربي صحيح وقد اشتهر جدًا بعد أن 'ستعمله الشاعر العراقي الكبير مظفر النواب في قصيدته الشهيرة : «القدس عروس عروبتكم» .

عيني وقلبي بتوقف الريموت عليها لثوان كنت أحس بشعور ممض. شعور بالدنس. تعبت ذاكرتي في استدعاء شعور مماثل منذ ما يقرب من أربعين عاما. كنت في مكان ما ومررت بمكان ما فوليت هاربا وأنا أشعر أنني غرقت في بحر من الدنس... أين كان ذلك المكان ؟ ومتى؟ .. آآآه.. الآن تذكرت.. كان ذلك في أمستردام في هولندا.. كنت في رحلة علمية.. وكنت أقيم في فندق أنيق في العاصمة اسمه كراسنابولسكي. إن لم تخني الذاكرة كان القصر الملكي في مواجهته. . كان المكان أنيقا جدا، وفاتنا، كل شيء يبدو كما لو كان لوحة رائعة، لكنه لم يكن لوحة، كان حقيقيا وحيا ورائعا، في صالة المطعم الرئيسي كان ثمة شكل ساحر، كانت الصالة التي تتوسط الفندق مكشوفة، وكان ثمة سلاسل نحاسية ضخمة وشديدة اللمعان تتدلى من الطابق الخامس والأخير لتحمل إناء بالغ الضخامة من النحاس اللامع حتى كأنه يضيء تترعرع فيه شجرة معلقة ضخمة يصعد ساقها في المحيط المغلق وكلما ارتفع تبدأ الفروع التي تتجاوز في النهاية الطابق الخامس وكأنها أيد تمتد من داخل سجن الجدران المصمتة إلى الفضاء الرحيب نحو السماء تدعو وتتضرع. كان كل شيء شاعريا وجميلا . كان المكان أنيقا جدا، وخرجت منتشيا بهذا الإحساس أستكشف الشوارع القريبة، كانت الفخامة باذخة، والذوق عال جدا، وأنا أسير وأسير وأسير. قبل أن تخشوشن المفاصل كنت أهوى السير كثيرا. فجأة أحسست بمستوى الفخامة ينخفض. وأن فاترينات عرض المحلات أصبحت صغيرة جدا، كل واحدة منها تعرض موديلا واحدا فقط، تعودت على الفاترينات العريضة التي تعرض عشرات الأشكال من الملابس أو المنتجات. ضايقني عري الموديلات. تنبهت فجأة إلى أن العري كامل، دهشت، فمن المفروض أنهم يعرضون الملابس على الموديلات، لكن.. لماذا يعرضون الموديلات بلا ملابس. بدأت أشعر بالدهشة والمفاجأة وبشيء من الخجل والتقزز، وقبل أن أفهم وأغض بصري ذهلت، كانت إحدى الموديلات تغمز بعينها، وخيل إليّ أنها تنظر نحوي. في البداية ظننت أنها لعبة كعروسة الأطفال التي تفتح عينيها وتغمضها وتبكي وتغني، لكنني لاحظت أنها لا تكتفي بالغمز بل تضحك وتتحرك. فطنت إلى الحقيقة الفضيحة، لم تكن موديلات، كانوا بشرا، رجالا ونساء، كل واحد منهم

في قفص زجاجي، قفص يشبه شاشة التلفز، وبالتحديد شاشة تلفاز فضائياتنا، كان ذلك شارع البغاء في أمستردام، شعرت باشمئزاز عنيف لم يخفف منه ضحكات أصدقائي عليّ بعد ذلك وأنا أحكي لهم الحكاية مصعوقا وهم يشرحون لي أنه خلف هذه الفاترينة، وراء الستارة مباشرة، غرف قذرة صغيرة للممارسة.. ملأني اشمئزاز عنيف، استدعاه إلى الذاكرة اشمئزازي وأنا أمر بالصدفة ببعض فضائياتنا مرغما (حتى أصل إلى الجزيرة أو المستقلة أو الحوار) فأهرب منها فزعا كما هربت يوما من أوكار الدعارة تلك. تجسدوا أمامي على الشاشة، المذيعون وضيوفهم في فضائحياتنا، كانوا أشبه ما يكون بهاتيك النسوة وأولئك الرجال الذين أذهلني منظرهم في أمستردام منذ أربعين عاما في الفتارين الزجاجية. الآن أجزم، أن هاتيك النسوة وهؤلاء الرجال في أمستردام كانوا أشرف من مذيعي بعض فضائياتنا وضيوفهم، على الأقل: لم يدّع أي واحد منهم الشرف، ولم يتسربل بالفكر، ولم يخلط الدعارة بالاستنارة.

يخيل إلي أنه لو رفعت الستائر في الفضائحيات لشاهدنا فحشاء 'النخبة عيانا بيانا.

ولو رأيتهم من خلال السطور في الصحف لاشمأززت من عوراتهم البادية..

لا تنظر إلى فضائحياتنا يا أحمد العمري..

ولا إلى معظم صحفنا..

فمصر مستعمرة يا أحمد العمري.. محتلة كبغداد وربما أكثر..

ومن يكتبون ويظهرون على الشاشات فيها هم أعوان الطاغوت وخدمه.

فلا تنظر إليهم

انظر إلى الملايين من شبابنا في معرض الكتاب الذي حضرت من أجله (والذي يشاع أنهم قد يغلقوه) [(١)].

انظر إلى ذلك الشباب الفذ المعجز وهو يغير التاريخ ويقود التغيير..

واعلم: أن كل الأسماء الرنانة التي تسمع عنها مجرد خصيان عند الطاغوت لممارسة الدعارة الفكرية.

---

(١) تم بالفعل إلغاء معرض الكتاب هذا العام.

لا تسمع إلى أحد منهم.. فهم مدنسون.. وأفئدتهم هواء..

و..

أما أنتم يا رعاة معرض الكتاب: لا تدعوا الدكتور أحمد العمري في أي ندوة من ندواتكم..

لا تحتفلوا به أبدا..

تجاهلوه..

فهو إنسان شريف حر ..

وهو عبقري وموهوب..

وبهذا كله فهو لا يمتلك الحد الأدنى الذي تشترطونه في كتابكم..

وهو -تخيلوا- لا يؤيد الشذوذ ولا يعتبره حرية شخصية.. ولا يعتبر منع ختان البنات من أصول الدين.. ولا يعتبر الخروج على الحاكم كفرا وسباب الرسول ﷺ تقدما واستنارة.. وهو رغم دراسته العميقة الشاملة للفلسفات الغربية غير مبهور بها.. وبدراسته العميقة الشاملة للحضارة الإسلامية لا يخجل منها..

وهو مع أمته ضد أعدائها..

فلا تدعوه إذن أبدا..

بل لو استطعتم أخرجوه..لأنه من قوم يتطهرون.

***

ملحق أخير:

جاء أحمد العمري إلى مصر في نفس يوم إيقاف كل شبكات المحمول وتعطيل شبكة الإنترنت وإلغاء معرض الكتاب.. وكان عليّ أن أذوب من الخوف عليه وأنا أبحث عنه.. هل هو في القاهرة؟ هل هو في الإسكندرية.. ينهشني القلق..لا أدري هل اعتقلوه أم أوقفوه في المطار.. ولا أملك أي وسيلة للاتصال به.. حتى الدار التي تنشر كتبه في دمشق لا ترد..كيف يمكن أن أنقذه..

وتسلل الحزن إلى قلبي.. وئيدا ..أكيدا.. ساحقا..

هناك خمسون ألف أب وأم يعانون نفس القلق الوحشي على أبنائهم لا يعرفون مكـانهم ولا أحوالهم.. تماما كما لا أعرف أخبار ابني.. العمري.. بعضهم ما يزال يعاني ذلك القلق الوحشي منذ عشرين عاما.. وبعضهم.. فقد كل آثار ابنه لا يعرف حتى إن كان حيا..

يا إلهي..

هل يمكن أن يقتلوه؟؟

هل ينجو من أهوال الأمريكيين في بغداد كي يموت على أيدي خدمهم في القاهرة..

هل غلب شوقي إليه خوفي عليه؟..

لماذا لم أقل له؟ لماذا لم أصارحه بالحقيقة التي -ربما- لا يعرفها بعد؟ فالقـاهرة لم تعد ملاذا.. القاهرة فخ.. شراك يقع فيه من لم يعلـم بتحولهـا..الحـامي غـول.. والنجـاة سراب والأفق خراب والمدى يباب..

كيف أصل إليه؟

لابد أن أصل إليه..

لا يوجد أي وسيلة للوصول إليه.

ولكن تلك قصة أخرى.







نداء إلى الأمة في كل مكان :
ازحفوا إلى ميدان التحرير(*)

(*)صباح الخميس ٣٠ من صفر ١٤٣٢ - ٣ فبراير ٢٠١١.

جنون:

أصرخ فيك يا أمة:

هذا الرجل قد جن فلا تدعيه يجرك إلى الهاوية..

هذا الرجل مجنون فعلا..

وربما يكون من أسباب جنونه أنه قدم إلى أعداء الأمة أكثر مما يحلمون به ولذلك فهو ينتظر منهم أن يحموه..

لقد باع كل شيء لكي يحموه..

دينه وضميره وأمته ودولته..

هذا الرجل لا يتورع عن حرق الوطن والأمة..

هذا الرجل لا يتورع عن دفع البلاد إلى حرب أهلية..

هذا السفاح لا يتورع عن إبادة أمة لم يحبها يوما ولم يخلص لها يوما..

لقد كان أمامه فرصة للرحيل بقدر أقل من الإهانة..

لكنه أبى على نفسه ذلك..

أبى إلا أن يخرج منها مذءوما مدحورا..

والآن.. نحن نأبى حتى ذلك..

فهذا المجرم يجب أن يحاكم..

يجب أن يحاكم..

يجب أن يحاكم..

***

أفجر حاكم في التاريخ

سألت الأستاذ الدكتور جمال عبد الهادي:

هل يوجد في التاريخ حاكم مهما بلغ فجوره سلح جيشا من المرتزقة واللصوص ضد

شعبه؟.

فأجابني :

- كلا..

سألت نفسي:

هل يوجد حاكم آخر في التاريخ حول مؤسسات بلده إلى عصابات مجرمين؟

وأجبت نفسي:

كلا.

سألت نفسي:

هل يوجد حاكم آخر في التاريخ آخي ما بين جهاز الشرطة وبين المرتزقة.. وما بين جهاز مباحث أمن الدولة وأعتى العصابات إجراما؟

وأجبت نفسي:

كلا.

سألت نفسي: هل يوجد في التاريخ حاكم أكثر بطشا وجبروتا وإجراما وحماقة؟.

وأجبت نفسي:

كلا، أو ربما كان هناك من هو أكثر بطشا وإجراما.. مثل نابليون وهتلر وشارون.. لكن .. حتى هؤلاء.. كان إجرامهم ضد أعداء دولهم.. أما إجرام حاكمنا.. فهو ضد شعبه..

لكنني أستدرك قائلا:

ربما لا يشبهه في التاريخ إلا نيرون.

***

الجيش..

أحبك..

والله أحبك..

وتحبك الأمة..

لكنك تقع في خطأ فادح..

إننا نعرف أنه بقدر إجرام جهاز الشرطة فإن الجيش نبيل نبيل نبيل..

لكنكم لستم معصومين من الخطأ..

لقد أخطأتم قبل ذلك كثيرا..

أخطأتم حين أسلمتم قيادكم لحشاش دفع بكم إلى أبشع هزيمة في التاريخ..

قائدكم الأعلى الآن أسوأ من عبد الحكيم عامر..

أسوأ بكثير..

وقد دفعكم وورطكم في الحرب ضد أمتنا في العراق.. رحم الله اللواء محمد بلال حيا أو ميتا..

فلا تحموا الطاغوت المجرم..واحموا شعبكم..

***

ظلم

لكم ظُلمنا..

والعالم يظن أننا شعب بلا قدرة على المقاومة والاعتراض..

لا..

بل سُلّط علينا أبشع حكم في التاريخ وأكثرها قسوة وبطشا ودموية..

إنني أريد أن أقول للعالم أن ما ينكشف أمامه الآن من حماقة وإجرام وعناد ليس جديدا ولا حادثا.. كان موجودا على الدوام.. لكنه كان يدور خلف الجدران والأبواب المغلقة. وهذا وحده يكشف كم الظلم الوحشي الذي وقع علينا في مصر.. كان الطاغوت في النهار دكتور جيكل وفي الليل مستر هايد.. ولم يكتشف العالم مدي جبروته وطغيانه وإجرامه.. وحتى عندما حاولنا أن نكشف ذلك كان هناك الكثيرون لا يصدقوننا.. أو

على الأقل زعموا أنهم لا يصدقوننا..

الآن..

هذا هو العالم يرى الحقيقة فاضحة..

فادحة ذابحة فاضحة..

لقد تعرض الشعب في مصر إلى ضغط هائل وحشي مجنون طيلة عقود..

الآن جاء دوركم لتكفروا عن آثامكم..

ولا أريد أن أطيل.. لأنني أريد لهذه الرسالة العاجلة أن تأتي أكلها اليوم.. اليوم وليس غدا..

وأناشد كل من تصل إليه أن يبلغها إلى أكبر عدد ممكن بالاتصال المباشر وليس بمجرد البريد الإليكتروني..

أناشدكم:

ادعموا الشباب الطاهر في ميدان التحرير..

المذبحة التي حدثت بالأمس لا ينبغي أن تتكرر أبدا..

هذا الشباب هو أمل مصر .. فلا تتركوه يموت..

اذهبوا إليه من كل صوب..

ازحفوا إليه ولو على بطونكم..

لا تسمحوا لعصابات الأمن أن تمنعكم..

ليس لهم الحق في ذلك قانونا..

فلا تدعوهم بعد انهيارهم وخيانتهم الدنيئة يعودون سيرتهم الأولى..

ازحفوا إلى إخوانكم وأبنائكم في ميدان التحرير..

ازحفوا إليهم..

هذا الشباب الطاهر لا ينبغي أن يهزم أو ينكسر أو يتنازل..

إنه قلب مصر وضميرها وحياتها ومستقبلها ومصيرها..

فلا تتركوه..

ازحفوا إليه..

ازحفوا إليه..

ازحفوا إليه..

***

دعاء على الطاغوت:

اللهم أهلك فرعون هذه الأمة وجنوده اليوم..

اللهم أهلك طاغوت هذه الأمة وأعوانه اليوم..

اللهم أهلك أبا لهب هذه الأمة وأصحابه اليوم..

اللهم أهلك أبا جهل هذه الأمة وأهله اليوم..

اللهم أهلك فاجر هذه الأمة وخدمه وحاشيته وكتبته ومذيعيه اليوم..

اللهم أهلك سفاح هذه الأمة ومن معه اليوم

اللهم إنه آذى عبيدك فآذنه بالحرب..

اللهم اسحقه وامحقه وافضحه..

***

تزوير

حكومة الطاغوت المجرم والإدارة المحلية والمحافظون يخرجون المساكين المغيبين عنوة لكي يهتفوا للطاغوت بعد أن يمنوهم بقروش الطاغوت ويخوفوهم من عصابات أمنه..

درج –طول عمره– على التزوير وهو الآن يحاول أن يزور التأييد أمام العالم.

هذا المجرم لا يؤيده إلا خائن عميل أم مقهور مغيب.

***

دعاء لأهل ميدان التحرير:

اللهم احشر من بات يجاهد في سبيلك في ميدان التحرير الليلة مع أهل بدر..

اللهم احشرهم مع أهل بدر..

اللهم احشرهم مع أهل بدر.

هؤلاء هم جنودك يا رب فانصرهم..

هؤلاء هم جنودك يا مصر فاستنقذيهم..

أيقني بالدمار يا إسرائيل..

أيقني بالدمار..

أيقني بالدمار..

****

نداء إلى أهل مصر:

النجدة النجدة..

الغوث الغوث

نشدتكم الله: اذهبوا إلى ميدان التحرير اليوم.. الساعة.. الآن..

اذهبوا إلى إخوتكم..

الآن..

الآن..

الآن..

لعل الله يكتب لكم أجرهم..

والله لكأنهم أهل بدر..

ليحتشد في الميدان الليلة ملايين وليس مليونا واحدا..

فالنجدة النجدة والغوث الغوث..

حي على الجهاد.. حي على الجهاد.. حي على الجهاد..

نداء إلى الأحرار والشرفاء في كل مكان في العالم:

قوموا بدوركم..

ليس بمجرد الاحتجاج أمام السفارات المصرية بالخارج..

بل أحيطوا بمؤسساتهم.. بمجلس الوزراء البريطاني.. بالبيت الأبيض.. بمجالس شيوخهم.. افضحوا هذا النظام المجرم أمام العالم.. وافضحوا العالم بأن هذا النظام ليس ابنا شرعيا لمصر بل ابن سفاح له.. ابن سفاح لأمريكا وإسرائيل..وأنه هو المسئول عنه..

ازحفوا على بطونكم..

ازحفوا..

أصموا آذان العالم والطموا وجهه بفضيحته عن النظام الذي يدعمه العالم.. الحر(!!)

***

وزير الداخلية

يقول أشرف السعد، وهو صادق، أن المجرم حبيب العادلي، مجرد فتاة عذراء وبكر خجول بالمقارنة مع الوزير الجديد، وقد ذكرني أشرف السعد بجريمته المشينة في قتل اللواء محمد إمام وابنه..

النظام المجرم إذن يجهز لمذبحة لمصر كلها..

فلا تتركوه يفعل..

***

الأحزاب الشرعية!!

شرعية الإجرام والعار..

شرعية قواد..

وعندما تسمي أحزاب نفسها بأنها الأحزاب الشرعية فإن هذا لا يدل إلا على عضويتها في شبكة الدعارة الفكرية القومية.

خيانة هذه الأحزاب لباقي المعارضة وموافقتها على شق الجماعة والتفاوض المنفرد مع

الطاغوت..

وليس في هذه الأحزاب (الشرعية!) حي إلا الوفد.. أما الباقون فمجرد جثث ميتة نتنة تتحرك..

الوفد يفقد الآن كل شيء.. كل شيء..

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران].

فيا إخوتنا وأبناءنا: انسوا أن في مصر أحزاب شرعية..فلن تزيدكم إلا خبالا

***

الكنيسة

إنني فخور بالنصارى الذين شاركوا في المظاهرات كإخوة في الوطن.

وفخور بأنه رغم اختفاء عصابات الشرطة المجرمة وانهيار لأمن كله فلم تقصف كنيسة بحجر..

تنبهت إلى احتمال لتفجير كنيسة القديسين الأخير لم نعطه ما يستحق من الانتباه..

وهو أن يكون هذا الجهاز المجرم الخائن ـوطنه وشعبه هو من قام به خدمة للطاغوت الفاجر المجرم الذي لم يعد له إلا الشق الرديء من النصارى بقيادة شنودة..

نعم:

كان مبارك وشنودة هما الوحيدين الذين كسبا من الفتنة الطائفية لتدعيم نفوذهما.

***

نداء إلى السلفيين..

لا تطيعوا فتاوى شيوخكم بتوقف المظاهرات أو العفو عن الطاغوت أو المجرمين الذين عذبوكم.. وهم-أعترف- أساتذتي وشيوخي.. إلا أن رأيهم خطأ.. خطأ .. خطأ.. وأخشى ألا يكون رأي من اجتهد فأخطأ.. وإنما رأي من غسلت له عصابات الأمن

المجرمة مخه.. ولو استمروا في مثل آرائهم تلك لقضوا على الحركة السلفية في مصر.

***

إلى المفتي وشيخ الأزهر:

أخزى الله كل من لم ينصر الأمة..

أخزى الله عالما نصر الطاغوت الظالم وتجنى على الأمة الضعيفة المظلومة..

أخزى الله من لم يتق الله.

***

الكلمات لا تسعفني..

أعتذر..

الانفعال جياش وهائل .. والكلمات عاجزة..

والوقت قصير..

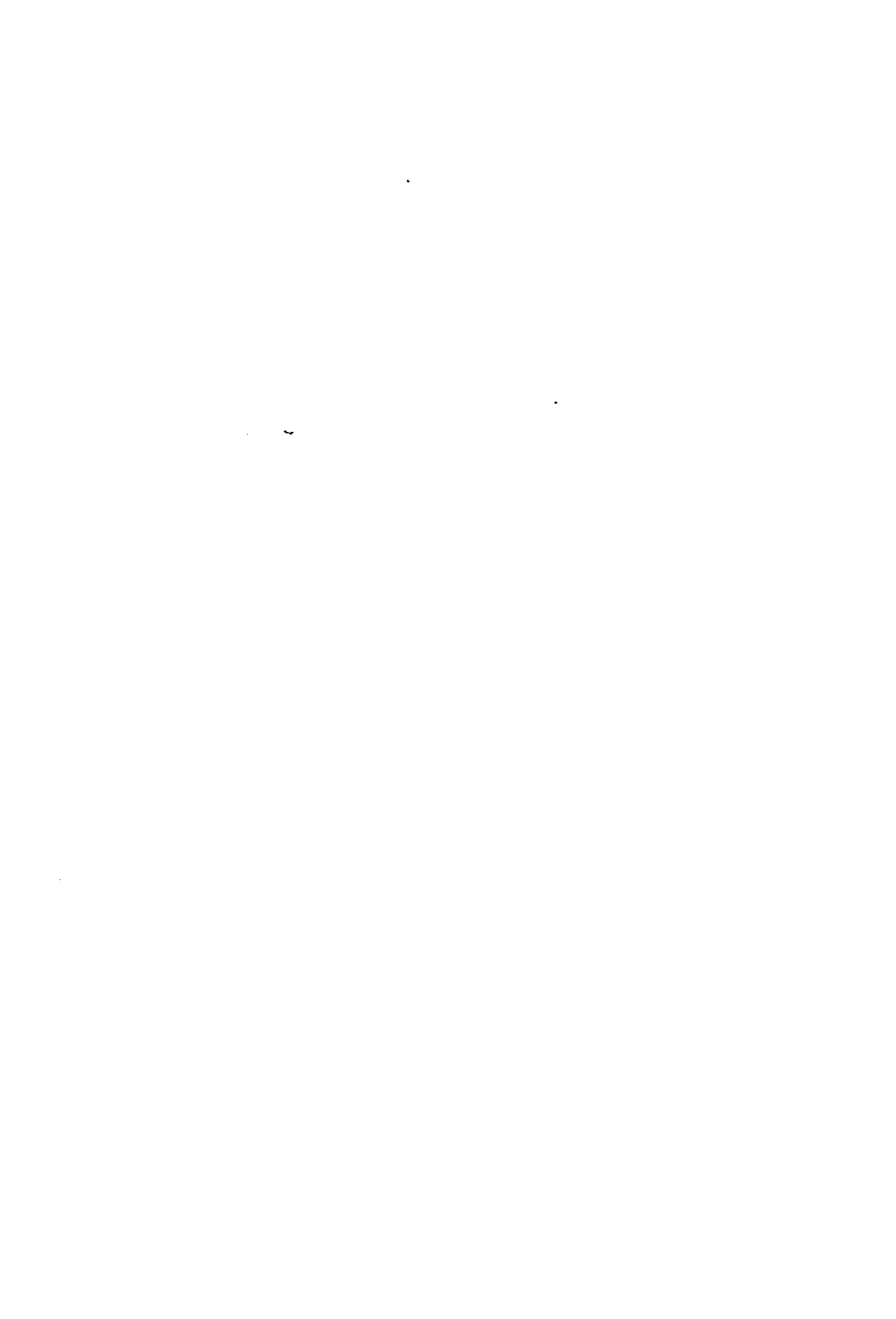
وأنا شديد التعجل لبث هذا النداء قبل انقطاع الشبكة العنكبوتية مرة أخرى..

فهبوا إلى نجدة دينكم وإخوانكم ووطنكم ..

ازحفوا إلى ميدان التحرير..

ازحفوا إلى ميدان التحرير..

ازحفوا إلى ميدان التحرير..



هلك الفاجر



أنتم كالرماة على جبل أحد :

فلا تتركوا ميدان التحرير أبدا(*)

(*) صباح السبت ٢ من ربيع أول ١٤٣٢ - ٥ فبراير ٢٠١١.

أعتذر.. ظلمتك يا شعب مصر.. دافعت عنك كثيرا فلما ظننتك متّ أدنتك.. فإذا بك تفاجئ العالم بأروع وأرقى ثورة في التاريخ رغم أنك تواجه نظاما من أحط النظم في التاريخ وأكثرها همجية ووحشية.

لكنني قبل التقريظ أعاتب..

كيف هان عليكم أن تتركوا ميدان التحرير يوم الأربعاء الماضي «٢ فبراير» مكشوفا أمام الطاغوت.. كان في الميدان عشرون ألف فقط..أكثر من نصفهم من الشيوخ والنساء والأطفال.. فوجئوا بأخس وأحط وأغبى هجوم في التاريخ.. كان عشرون ألفًا من البلطجية يهاجمون أناسا مسالمين .. كانوا مستعدين لتلقي الرصاص في صدورهم.. للاستشهاد.. لكنهم فوجئوا بالسنج والمطاوي وزجاجات المولوتوف والأحجار.. قتل عشرة وجرح ألف وخمسمائة. كان المهاجمون مزيجا من البلطجية والشرطة.. هل يوجد أي فرق؟! وهل كان المجرم«كريه الظالمي» إلا رئيس عصابة عينه في مكانه واستقبله عبر السنين رئيس عصابة أكبر منه وأكثر إجراما منه.

كافح الشباب كفاحا بطوليا.. وكنت الليل بطوله أتابع.. وكان قلبي يرتجف وأنا أستبشر بدعاء الرسول ﷺ في بدر فأنحو نحوه:

« اللهم هذا مبارك وحاشيته وعصابته قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم نصرك الذي وعدتنا اللهم احنهم (أهلكهم) الغداة»..

« اللهم هذا مبارك وحاشيته وعصابته قد أقبلوا بغبائهم وجهلهم وبطشهم وقسوتهم، فاللهم نصرك الذي وعدتنا اللهم احنهم (أهلكهم) الغداة»..

« اللهم هذا أبو جهل وأبو لهب وجنودهما قد جاؤونا بخيلهم وبغالهم وإبلهم وهم شر منها فاللهم اكفناهم بما شئت حيث شئت..»

« اللهم إن تهلك هذه العصابة يضيع الإسلام والمسلمون نصف قرن آخر وربما أكثر»..

كنت أتابع..

وكان صديقي في الميدان[1] يواليني بالأخبار بين ضرب الرصاص وقنابل الدخان وقصف الأحجار وزجاجات المولوتوف وكرات النار.

كنت أغالب دموعي وأنا أواصل الدعاء..

ليتني كنت جدعا لأنصرهم نصرا مؤزر ..

ليلتها..

عدت أدينك يا أمة..

كيف هان عليك أن تتركي ابنك الوليد رحيدا..

وكنت أدعوا للأبطال الذين صمدوا ليلتها وكانوا مستعدين للصمود حتى الشهادة أن يحشرهم الله مع أهل بدر..

***

لا أريد أن أطيل..

لأنني سأحاول أن أكتب مقالات قصيرة .. يومية أو شبه يومية..

لذلك أوجز ما أريد أن أقوله لكم في نقاط قصيرة عسى أن أعود إلى تفاصيلها في قادم الأيام:

١- يجب ألا يقل من يبيتون في الميدان عن خمسين ألفا في أي ليلة. ذلك أنكم الرماة.. وأن جبل أحدكم هو ميدان التحرير.. لو تركتموه انهزمتم.. وهذا ترتيب لا ينبغي له أن يكون عشوائيا.

٢- إياكم وغوايات المغانم أو هواجس الهزيمة..

٣- إياكم والحناجر العالية أو الانفعال الطائش .. فأعلى الأصوات سيكون في النهاية مباحث أمن دولة!

٤- إياكم وفقهاء المباحث!!

---

(١) الأستاذ عامر عبد المنعم رئيس تحرير صحيفة الشعب(السابقة والسابق!) ورئيس تحرير موقع العرب نيوز.

٥- إنني شخصيا أرى عدم الالتفاف حول الحقائق.. وأن تظل الثورة حتى رحيل الطاغية. وأنه لا يبقى -إن بقي- لتجنب الفوضى كما يزعم- لأنه هو البلطجي الأكبر الذي صنع الفوضى، ولا لتجنب خرق الدستور، لأنه هو المجرم الغاصب الذي اختطف الدستور وخرقه ويخرقه كل يوم بل يدع أي كلب من كلابه يخرقه بلا تثريب.. إنه لا يبقى من أجل الدستور أو الفوضى، وإنما من أجل أن يرتب الأمور بعده بحيث لا تكتشف جرائمه ، فإذا اكتشفت لا يعاقب عليها. إنه يريد أن يأتينا بطاغوت آخر يواصل الخيانة والقهر والجبروت والنهب والولاء للعدو والبراء من الشقيق. يفعل ذلك انتقاما من وطن يكن له الكراهية، وليمد يدا لأعداء بلاده تكون له عندهم. بل إنني لا أطالب بمجرد رحيله بل بمحاكمته وكل أفراد عصابته.. وأيضا محاكمة كل المجرمين الذين يسروا له الأمر وعلى رأسهم ضباط مباحث أمن الدولة وأيضا كتاب أمن الدولة.

٦- فضلا عن ذلك كله، أن محاولات الطاغوت المريضة للاستمرار تحمل في طياتها إصرارا على إجهاض الثورة والالتفاف حولها وتدميرها أو على الأقل حرمانها من الحصول على مكاسب، وبعد ذلك كله يتم الالتفاف حول الأمر كله للعودة بالأمور كما كانت. أمل إبليس المستحيل لكنه لا يتوقف عنه.

٧- الخطأ الذي سيقع فيه الكثيرون في التنظير هو أن يتعاملوا مع نظام حكمنا كنظام من النظم السياسية الواردة في كتب علم السياسة والاجتماع والاقتصاد والتاريخ.. كل هذا خطأ وسيجركم إلى أخطاء مروعة.. أنتم لا تتعاملون مع نظام حكم ديكتاتوري تبحثون عن كيفية التعامل معه في الكتب .. بل مع عصابة مجرمة.. كعصابة عزت حنفي على سبيل المثال.. بل إن عزت حنفي لم يكن ليتورط في دناياهم وخستهم. وهنا لابد أن نلاحظ أن الغرب نصب علينا بلطجي تحت مسمى رئيس جمهورية..وأن هذا استوظف بلطجية آخرين شكلوا دولاب الدولة، بالمعنى الحرفي لا المجازي. والتعامل مع آخر يختلف معك في الرأي لابد أن يختلف جذريا عن التعامل مع بلطجي.

٨- في نفس الوقت: إن عمر سليمان أسوأ من مبارك وأخطر فاحذروه.. وهو لا يريد التفاوض وإنما يريد اختراقكم وتفتيت صفوفكم بالاختلافات في المفاوضات.

٩- أنني أرى أن هذا هو الرأي الصواب. لكن ما يجب أن يتبع الآن يرتبط بقدرتنا على الحشد وعلى التضحية. ذلك أننا إن لم نفطن لما نريده وللثمن الذي يجب أن ندفعه فيه قد نضيع الممكن في سبيل المستحيل. ومرة أخرى أنا مع المواصلة مهما كانت التضحيات. لكن في نفس الوقت لا يجوز ولا ينبغي أن أضحي بغيري. ولا أريد أن أطنب في هذا الموضوع الآن.

١٠- إن أي واحد منا يمكن أن يعرف أين يريد أن يذهب، لكن، لا يشترط أن يقود بنفسه السيارة أو القطار أو الطائرة أو السفينة إلى وجهته، بل قد يكون هذا بالذات طريق هلاك أكيد.

١١- إنهم يحاولون تحويل الثوار إلى حناجر زاعقة معزولة ومحاصرة ومفتتة تزيدون الدخل القومي حينما يأتي السياح للفرجة عليكم والتقاط الصور معكم. والخطة المواجهة لذلك هي التصعيد لا التخاذل.

١٢- من خطوات التصعيد أن تعلنوا أن الأسبوع القادم بعد أسبوع الصمود هو أسبوع التصعيد، وفيه تكون المظاهرات المليونية دائمة في كل الأيام.. وأن تتوسع لتصل إلى ميدان رمسيس.. وإذا أمكن ميادين أخرى: داخل القاهرة. لو نجحتم في ذلك لن يرحل مبارك وحده.. بل يرحل معه سليمان وشفيق وكل كلاب الحراسة.

١٣- احذروا الشيوعيين.. احذروا الشيوعيين.. احذروا الشيوعيين.. إنهم هم الهجامون ونشالي الثورات وخبراء تصفيتها ودفعها للانحراف.. وهم النخاسون الذين سيبيعونكم لتجار الرقيق.. انظروا مثلا للدكتور يحيى الجمل الذي يطمع أن يخطو على رقابكم ليكون وزير العدل القادم وهو ربيب النظام وعدو الإسلام.. انظروا إليه وهو يخدعكم باستحالة تنحي مبارك دستوريا.. ويقول ذلك في تتل القديسين بقلوب الشياطين فإن واجهه أحد: فإن مات مبارك هل تموت البلاد: بهت..

وعلى الرغم من ذلك فإن يحيى الجمل واحد من أنظف اليساريين فانظروا كيف يكون أوسخهم.

ملحوظة١: عندما تنجح الثورة بإذن الله سيراقب المرجفون اتجاهاتها.. فإذا ما وجدوا

أن الاتجاه الإسلامي لم يعد محاصرا ولا محاربا.. ولم يعودوا يطلبون بالإيجار لمحاربته.. فلا تستبعدوا أن يأتي أناس من فصيلة جابر عصفور وفاروق حسني وصلاح عيسى وجمال الغيطاني ويوسف القعيد وعلى أبو شادي وقد أطلقوا لحاهم. بل ولا تستبعدوا أن تأتي لكم نوال السعداوي أو إقبال بركة وقد أطلقتا لحيتيهما أيضا!..

ملحوظة ٢: قيل لي أن الكثيرين من المنافقين المجرمين بدءوا ينقلبون على أعقابهم ويوجهون التحية للثورة.. ردوا عليهم تحيتهم فإنها نجسة

١٤- .. من أخطر ما يمكن أن يقال لكم أن الثورة ثورتكم ومن حقكم اقتطاف ثمارها.. فأنتم لستم مماليك ولا مصر غنيمة. حقكم لا تتخلوا عنه أبدا.. لكن إياكم والنوايا الساذجة التي تفرش الطريق إلى الهزيمة. الجئوا إلى الآخرين لالتماس النصيحة والعون والمشاركة والتخطيط.. إن ثورتكم ليست عشوائية ولا هي نبت شيطاني.. إنها ابنة نضال أجيال وشهداء وأبطال وكتاب ومفكرين وشيوخ لا أول لهم ولا آخر.. إنهم أصحابها كما أنكم أصحابها ومسئولون عنها كمثلكم تماما.

١٥- لا تهدروا جهودكم في الاختلاف.. دعوا من يختلف يختلف.. بل واستفيدوا من اختلافاتهم معكم ما دامت العصمة في أيديكم.. والعصمة في أيديكم ما دام ميدان التحرير في أيديكم.

١٦- أرجو لمن يملك الوقت منكم أن يراجع عملا أدبيا كتبته منذ نحو أربعة أعوام وقد نشر في مجلة المختار الإسلامي حينها كما أنه ما يزال موجودا على موقعي وعلى موقع العرب نيوز وعلى مواقع أخرى كثيرة.. هذا العمل بعنوان: «حفل إفطار رمضاني» حيث عشت فيه الثورة بوجداني كله فكأنما كنت أراها.. وكان مما كتبته في هذا العمل (لاحظوا: منذ أربعة أعوام) على سبيل المثال أن الشباب غيروا اسم ميدان التحرير وجعلوه : «ميدان الشهداء»!!.. كما أنني رأيت بعين الخيال ما أصبح الآن واقعا ومنه على سبيل المثال أنني حددت ثروة الرئيس الطاغوت الهارب بأنها: « سبعون مليار دولار» . نعم.. سبعون مليار!!.. كما كتبت عن انهيار الأمن وانسحابه وارتداء أفراده ثيابا مدنية واندساسهم وسط المتظاهرين وانطلاق فرق البلطجة التابعة للحاكم.

١٧- في القصة كما في الواقع: لم-لن- يهرب الطاغوت إلا عندما كسر حاجز الثوار في القاهرة رقم العشرة ملايين .

١٨- هذا الرقم ليس مبالغا فيه خاصة إذا انتقل المتظاهرون في المحافظات إلى القاهرة.. لقد عبرت المحافظات عن رأيها.. وموقع المعركة الرئيسي الآن: ميدان التحرير.. عفوا.. بل: «ميدان الشهداء»..

١٩- يا إخوتنا السلفيين.. يا أساتذتنا السلفيين.. يا شيوخنا السلفيين.. أرجوكم.. أتوسل إليكم.. هلموا هلموا هلموا..دافعوا عن مساجدكم.. دافعوا عن الدعوة.. ألم يحولوا بينكم وبين دينكم.. أليس جوهر دعوتكم –دعوتنا- أن نخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.. فهل سمح لكم دواب أمن الدولة في الإسكندرية بذلك.. إنه ليس حقكم لتتنازلوا عنه ولتتسامحوا فيه.. إنه حق دين وأمة فلا تفرطوا فيه غفر الله لكم.. وإن النبي ﷺ جيّش جيش مؤتة لقتال أقوى دولة في العالم من أجل دم مسلم واحد قتلوه غدرا.

٢٠- آخر كلمة أوجهها إلى جيشنا: إنني أرى عبد المنعم رياض ينظر إليكم باكيا.. فأنتم –ربما في المكان الصحيح.. لكن في الموقف الخطأ.

٢١- اللهم انصرهم.. اللهم انصرهم.. اللهم انصرهم.. بل: اللهم انصرنا.



هلك الفاجر



يا شباب مصر : اصبروا وصابروا

يا أهل مصر : بايعوهم على الموت

يا جيش مصر : بيانك الثاني

صادم .. وأمامك خزي التاريخ

وعاره .. أو مجده وفخاره (*)

(*) صباح الجمعة ٨ من ربيع أول ١٤٣٢ - ١١ فبراير ٢٠١١.



ليس لدي أدني شك، في أن الرئيس حسني مبارك، إذا ما تقدم لانتخابات حرة ونزيهة فسوف يفوز بـ٧٠٪ على الأقل من الأصوات.

وليس لدي أيضا أي شك، في أن نائب الرئيس عمر سليمان، إذا ما تقدم لانتخابات حرة ونزيهة فسوف يفوز بـ: ٨٠٪ على الأقل من الأصوات.

لا تندهش أيها القارئ.. فأنا بحمد الله لم أتغير ولم أتبدل..

كما أنني لا ألقي القول على عواهنه..

لكن ما قصدته هو أن الأصوات التي ستختارهم هي أصوات اليهود في إسرائيل.. ليحكما مصر لا إسرائيل.. وليس سواهم في العالم من يؤيد حسني وعمر عليهما من الله ما يستحقا. ولاحظوا: أنني لم أقل ١٠٠٪ بسبب العرب في إسرائيل.. فليس ثمة عربي.. مسلم أو مسيحي يمكن أن ينتخبهما.

لو كان الأمر بيدي لحاكمتهما بالإضافة إلى آلاف الجرائم التي ينبغي أن يحاكما عليها بتهمة الغباء السياسي..

أمر مبارك معلوم منذ زمان طويل .. منذ أن سماه الناس:«لافاج كيري».. أما أمر عمر سليمان فقد حقق إنجازا لا أظن أن سياسيا في العالم حققه أبدا.. لقد نجح في أسبوع واحد أن يحشد الأمة ضده ليتفوق على ما أنجزه مبارك في أكثر من ثلاثين عاما من الغضب والرفض بل والازدراء.. ولقد تحولت كلماته في خلال أسبوع واحد إلى نكتة يتفكه بها الناس. والسخرية والاستهزاء أشد سوءا للسياسي حتى من القتل..

ليس ثمة مجال لعرض جرائمهما.. فهي لا تعد ولا تحصى.. وما خفي منها كان أعظم.. وأظن أن :« ما خفي هذا» هو من أهم أسباب تشبثهما بالسلطة حرصا على تدبير أمر إخفاء هذه الجرائم.

لكنني أناشد الأمة أن تنضم إلى قوافل الشهداء.. ثمة مجموعة على: الفيس بوك تناهز الآن مائة ألف مشروع شهيد..

فلتكن عشرة ملايين مشروع شهيد.

لسنا أقل من شعوب روت بذرة حريتها بدماء عشرات آلاف الشهداء..

وأنبهك يا أمة إلى درس طالما أغمضنا أعيننا عنه: أن ثمن الردة أعلى بكثير من ثمن الاستشهاد.

يا أمة:

إنكم لا تحاربون الطواغيت الخائنة فقط.. بل تحاربون أيضا إسرائيل ومخططاتها وموسادها وأجهزتها وإعلامها..

أما الجيش فإنني أناشده:

يا جيش مصر: أمامك خزي التاريخ وعاره..أو مجده وفخاره..

اتق الله..

انصر الله..

لا تنصر إسرائيل ووكلاء إسرائيل وولاتهم علينا..

نعم..

ليسوا سوى ولاة لإسرائيل فرضتهم علينا..

يا جيش مصر..

لقد جربت ما يحيق بك عندما تطيع المخلوق في معصية الخالق..

جربت عار الهزيمة في ٦٧..

فلا تخذل الأمة التي تعاطفت معك بل وغفرت لك هزيمتك آنذاك وفهمت أن قياداتك الخائنة المجرمة كانت السبب..

وجربت عار إطاعة الطاغوت في حفر الباطن..

وتجرعت الأمة الذل صامتة على خطيئتك واعتبرت موقف اللواء محمد بلال تكفيرا عن خطيئتك..

يا جيش مصر..

ربما يظن البعض أن أسوأ قوادك عبر التاريخ هم عبد الحكيم عامر وشمس بدران..

وأنا أقول لك:

إن حسني مبارك وعمر سليمان أسوأ بكثير..

يا أيها الجيش:

هل تخذل اليوم دينك وأمتك وأهلك..

وهذه الدبابة التي رأيت الشباب ينامون بين عجلاتها في مشهد حنان أمومي ليس له مثيل.. فهل تلتهم هذه الأم أبناءها؟

يا جيش مصر: سوف يورطك المجرمون اليوم في مذبحة .. سوف يخدعونك..كما خدعوك بالبغال والجمال والخيل.. لم يصطحبوا حميرا.. فقد كان الحمير هم المخططون. ولقد انتقصت هذه المهزلة من هيبتك أيها الجيش. فقد تمت تحت عينيك وفي وجودك. وكان في هذا إهانة لك أي إهانة. ولقد أغمضت الأمة عينيها حبا لك وحرصا عليك وغفرانا لهفوة. اليوم سيورطونك في الدم. سوف يطلقون الدواب والوحوش المكونة من الأمن وأربابه.. وسوف تجرى الدماء أنهارا وسوف تكون أيها الجيش مسئولا عنها ولو لم يسفكها رصاصك.

يا أيها الجيش: لقد حصرت الأمة أملها فيك بعد أن خانت الشرطة أمانتها فانهارت وهانت..

فماذا تنتظر اليوم:

أن تقتل أهلك..

أو أن يقتلك أهلك..

وفي الحالين تهلك..







وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى(*)

(*) نشرت في المختار الإسلامي عدد ربيع أول ١٤٣٢.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران].

في العدد الأخير من مجلة المختار الإسلامي كنت قد أعلنت للقارئ أنني لن أكتب مرة أخرى فما جدوى الكتابة إذا كان الناس لا يستجيبون ولا يتحركون..

كنت قد كتبت كثيرا.. كثيرا جدا..

استيأست..

في الشهر الذي عزمت على التوقف عن الكتابة هبت رياح الثورة.

لقد تحركت الأمة..

بل وبالذات بدأ التحرك بالشباب الذي لم أثق فيه أبدا..

شباب الفيس بوك والتويتر

أعترف أنني ذهلت..

لقد نجح الطاغوت في تكوين نماذج ساقطة نصبها كقيادات للحركة السياسية والفكرية والثقافية ونجح في توزير شخصيات شاذة-فكريا- كذلك الوضيع الذي يشكو متوجعا من ضياع جهوده لأن ما يبنيه في ألف مؤسسة للثقافة يمحوه تماما ما يقال في ٤٢٠٠٠ مسجد. مؤسسات ثقافته كانت مواخير تخرج قوادين لا قوادا .. ولصوصا وشواذا وملاحدة وليس شبابا أسوياء. إنهم الوجه الآخر لبلطجية ميدان التحرير. بل لخيله وبغاله وحميره.

هل تتخيلون أن يعين مستشار سكير تكاد الخمر تنسكب من عينيه رئسا لهيئة كبرى؟

هل تتخيلون أن مصائب فتحي سرور-الأستاذ الجامعي الكبير- تقل عن مصائب أحمد عز..

هل تنتظرون من عضو نجح بالتزوير أو رشا المسئول الكبير بالملايين كي يتمتع بالحصانة إلا أن يخون ويحاول استبقاء النظام الميت المتعفن بالبلطجية.

هل كنتم تنتظرون خيرا من مسئول شاذ في الثقافة أو داعر في الإعلام؟

لكم ظلمنا الآخرون وظُلمنا أنفسنا بأكثر من معنى..

كان العالم وكان بعضنا يظن أننا شعب بلا قدرة على المقاومة والاعتراض..

لا..

بل سُلّط علينا أبشع حكم في التاريخ وأكثرها قسوة وبطشا ودموية..

إنني أريد أن أقول للعالم أن ما ينكشف أمامه الآن من حماقة وإجرام وعناد ليس جديدا ولا حادثا.. كان موجودا على الدوام.. لكنه كان يدور خلف الجدران والأبواب المغلقة. وهذا وحده يكشف كم الظلم الوحشي الذي وقع علينا في مصر.. كان الطاغوت في النهار دكتور جيكل وفي الليل مستر هايد.. ولم يكتشف العالم مدى جبروته وطغيانه وإجرامه.. وحتى عندما حاولنا أن نكشف ذلك كان هناك الكثيرون لا يصدقوننا.. أو على الأقل زعموا أنهم لا يصدقوننا..

الآن..

هذا هو العالم يرى الحقيقة فاضحة..

فادحة ذابحة فاضحة..

لقد تعرض الشعب في مصر إلى ضغط هائل وحشي مجنون طيلة عقود.. ضغط أصبح الآن رمزه ودليله وعلامته المذبحة التي حدثت يوم وليلة الأربعاء ٢ فبراير.. فاللهم احشر من بات يجاهد في سبيلك في ميدان التحرير تلك الليلة مع أهل بدر..

***

ليس ثمة وقت ولا مجال للحديث عن الفرح.. لأن الفرح ليس خاليا من العظة والتدبر والتأمل والخشية ممن يضل الظالمين.. ولأن ثمة شوائب ومزالق.. وثمة مخاطر لسرقة الثورة ممن يزعمون أنهم من نسيج شباب الثورة لكن الحقيقة أنهم هم الوجه الآخر لبلطجية النظام السابق.. ولأن ثمة مهام عاجلة وخطيرة علينا أن نقوم بها. ولأن المجال لا يتسع في هذا العدد من المجلة لكتابة ألف صفحة بل عشرة آلاف صفحة(!!) لذلك كله فإننا نتناول رؤوس الموضوعات على أن نعود إليها فيها بعد.. لكننا قبل ذلك نوجه عتابا إلى إخوتنا السلفيين وهم-أعترف- أساتذتي وشيوخي.. إلا أن رأيهم وموقفهم في

الأحداث الماضية خطأ.. خطأ .. خطأ.. وأخشى ألا يكون رأي من اجتهد فأخطأ.. وإنما رأي من غسلت له عصابات الأمن المجرمة مخه.. ولو استمروا في مثل آرائهم تلك لقضوا على الحركة السلفية في مصر.

أما البعض ممن كانت أخطاؤهم فادحة جدا فإنني أدعو لهم بالمغفرة والهداية وعلى رأسهم الشيخ محمود المصري والشيخ على الجفري وأيضا-رغم سابق التقدير الكبير له- الشيخ محمد حسان.

***

وثمة عتاب آخر أوجهه إلى المفتي وشيخ الأزهر وإلى بعض كبار شيوخنا:

لقد وصل الابتلاء ببعضكم أن تصرف كما لو كان يملك صكوك الغفران ليقول أن من مات حتى ١٠ فبراير فهو شهيد أما من مات بعدها فهو غير شهيد.. ولم يكن المقياس عند الشيخ طاعة الله بل طاعة الطاغوت في معصية الله..

أخزى الله كل من لم ينصر الأمة..

أخزى الله عالما نصر الطاغوت الظالم وتجنى على الأمة المظلومة..

أخزى الله من لم يتق الله.

***

وثمة مزيج من الشكر الجليّ والعتاب الخفيّ أوجهها للجيش .

وأنا ضنين بالحديث عن الجيش .. لأنني أحبه .

لكنني سأورد هنا رسالة من ابن من أبنائي في ميدان التحرير يوضح فيها موقفه .. وهو موقف سواء وافقناه أم لم نوافقه فهو خلاصة روح ووجدان شاب يتفجر بالطهارة والثقافة والثورة ثم أنه شاعر مجيد .

هي إذن شهادة من الميدان يكتبها الدكتور على فريد .. وسوف أوردها بنصها :

شهدتُ بنفسي حادثتين حددتا موقفي من الجيش المصري ..

الأولى : في شارع طلعت حرب ظهر الأربعاء الدامي .

والثانية : في شارع القصر العيني مساء الأربعاء الدامي أيضًا .

أما الأولى : فربما لا يعرف الكثيرون أن المواجهات العنيفة التي وقعت بيننا وبين بلطجية الحزب الوطني وبعض فلول الشرطة والأمن المركزي يوم الأربعاء الدامي ، أو يوم (موقعة الجمل) بدأت في شارع طلعت حرب ، ولم تبدأ في شارع المتحف المصري وميدان عبد المنعم رياض .

وقد بدأت المواجهات ظهر ذلك اليوم حين هاجمنا (كلاميًا أولاً) جمعٌ من الشباب الذين لا يبدو عليهم أنه بلطجية بحال من الأحوال .. فملابسهم أنظف وأنق من المعتاد ، ولهجتهم لا يمكن أن تكون لهجة بلطجية أبدًا .. وما يحملونه في أيديهم وجيوبهم من كاميرات وأجهزة يصوروننا بها بقصد الإرهاب النفسي ، لا يمكن أن تتوفر للبلطجية الذي هاجمونا بعد ذلك ، كما أن مناقشاتهم معنا – والتي مهدوا بها لهجومهم علينا – تشبه إلى حد كبير مناقشات شباب لجنة السياسات التي أفسدت البلاد والعباد .. وقد اكتشفنا بعد ذلك أن بعضهم كانوا ضباط شرطة بلباسٍ مدني .

كنا لا نزيد على خمسين شابًا في البداية .. نقف بعرض شارع طلعت حرب عند التقاطع الذي يحتل ناصيته النادي الدبلوماسي .. ولم نكن نتوقع أنهم سيهاجمون بكل شراسة وحقد بعد أن نفذ مخزونهم الكلامي من السباب والشتائم وقلة الأدب .

كنا أمامهم مباشرة .. متماسكين بالأيدي حتى لا يدخل منهم أحدٌ إلى الميدان .. وكان آخر ما رأيته من أساليبهم القذرة قبل الهجوم ، هو استعانتهم ببعض النساء سيئات السمعة في سبِّنا وشتمنا .. بل وتعدى الأمر إلى حد أن اعتدت إحداهن على شاب منا بالضرب .. وكان الشاب آية في التماسك وضبط النفس ، فلم يحرك ساكنًا.. إلا أن خطأه الوحيد الذي ارتكبه هو أنه قال لها : (ربنا يسامحك) .. وكنا قد اتفقنا على الوقوف أمامهم صامتين تمامًا ، مكتفين بمنعهم فقط من دخول الميدان .. حتى لا يتطور الكلام إلى نقاش حاد ، يؤدي إلى استفزازنا أو استفزازهم .

سحبنا أخانا الذي قال لتلك المرأة (ربنا يسامحك) إلى الوراء .

وفجأة .. انقلبت الدنيا رأسًا على عقب .. وجدنا أخًا لنا يصرخ طالبًا النجدة من

النيران التي اشتعلت فيه بفعل زجاجات المولوتوف التي انهالت علينا (لا ندري من أين) .. ومع زجاجات المولوتوف حجارة مسننة كأنها شفرات خناجر .. وبفعل الغريزة الإنسانية البحتة ركضنا إلى أخينا هذا لننقذه من النيران .. فتفرقت صفوفنا .. وكأنهم كانوا ينتظرون هذا التفرق .. فهجموا بعنف أشد لم نكن نحسب حسابه .. ولم يكن في أيدينا غير أيدينا .. لا حجارة، ولا عصيّ، ولا متاريس (فكرة المتاريس جاءت بعد ذلك) .

تراجعنا حتى وصلنا إلى مدخل الميدان من جهة طلعت حرب .. والذي كانت ترابط فيه دبابة تابعة للجيش وحولها عددٌ من الجنود والضباط .

كان الأمر أشرس مما كنا نتخيل .. بل لم نكن نتخيل أبدًا أننا سنحمل في ثلاث دقائق أكثر من عشرين شابًا منا أصيب بالحجارة والمولوتوف إصابات مباشرة في الرأس والوجه .. حاولنا أن نحتمي بالدبابة ريثما نبحث عن حجارة أو عصي لندافع بها عن أنفسنا .. وركض أصحابنا من داخل الميدان باتجاهنا لينجدونا حين سمعوا كلمة (الله أكبر) .. ولكنهم ركضوا نحونا وليس في أيديهم غير أيديهم أيضًا .. إذ لم يكن أحدٌ يتوقع أن يحدث هجومٌ مسلح .. أو يحدث هجومٌ على الإطلاق .. خاصة بعد خطاب مبارك الذي استدر فيه عطف الشعب، وذكَّرَهُ فيه (بتاريخه المشرف) في الحرب والسلام!! وكان ما يحدث يوم الأربعاء هو الوجه الحقيقي لكل الشعارات والإنجازات الفارغة التي صدعوا بها رؤوسنا طيلة ثلاثين سنة .

وهنا برز الموقف الرائع للجيش (ليس للجيش كمؤسسة وكيان سيادي، بل للجيش كأفراد من هذا الشعب) .

سمعت طلقات الرصاص المتتابعة في الهواء من فوق الدبابة باتجاه البلطجية .. ورأيتهم يتفرقون ويتراجعون .. وكنا قد انشغلنا بجرحانا وزملائنا الذين اشتعلت فيهم النيران .. وهجم أصحابنا القادمون من الميدان على البلطجية .. فتراجعوا أكثر حتى وصلوا إلى ناصية النادي الدبلوماسي مرة أخرى .. وتقاطر العشرات من الميدان حاملين متاريس (الصفيح) والأبواب الخشبية والحجارة؛ ليضعوها عند تقاطع الشارع ويصدوا بها الهجوم .

واستمرت المعركة قرابة الساعتين ، (وفيها من التفاصيل ما ليس مجاله الآن) .. حتى انسحب البلطجية تمامًا .. (أو هكذا ظننا) .. إلى أن عرفنا بعد نصف ساعة أنهم انتقلوا لشارع المتحف المصري ، حيث ميدان عبد المنعم رياض .. وحيث اتساع المكان الذي يسمح لهم بالمناورة والتسلل .. لتستمر هذه المعركة (معركة الجمل) من ظهر الأربعاء .. حتى صباح الخميس .. دون توقف .

حدثوني بعد ذلك أن الضابط المرابط مع الدبابة في شارع طلعت حرب هو الذي أطلق رصاصات سلاحه في الهواء باتجاه البلطجية ؛ لينقذ الشباب العُزَّل من النيران والحجارة والسلاح الأبيض.. كما حدثني بعضهم أن هذا الضابط – وهو برتبة نقيب – طلب من قائده إذنًا بإطلاق النار ، فرفض القائد إعطاءه الإذن (لأنه ماكو أوامر!! كعادة الجيوش العربية) .. فأخرج النقيب مسدسه الشخصي ووضعه في فمه مهددًا بإطلاق النار على نفسه إن منعه القائد من تفريق البلطجية ..(وأنا لا أدري مدى صحة هذه الواقعة تحديدًا.. فأنا لم أشهدها بعيني ، ولم يكن أحدٌ في حالة تسمح له برؤية الأحداث بتفاصيلها) بيد أن بعض من كان حول الضابط أكدوا لي هذه الواقعة حين تساءلت عن سبب محاولة الشباب حمل هذا الضابط على أكتافهم .. بينما هو يرفض باكيًا من جلال الموقف .

كانت هذه الحادثة هي الحادثة الأولى التي حددت نصف موقفي من الجيش .. بالإضافة إلى الحادثة الشهيرة التي خلع فيها الرائد خالد شومان بدلته العسكرية ، وانضم للشباب في ميدان التحرير.

أما الحادثة الثانية : فهي على العكس من الأولى تمامًا.. وقد حدثت أمامي أيضًا مساء الأربعاء الدامي ، في مدخل شارع القصر العيني من جهة الميدان .. وحددت النصف الآخر من موقفي تجاه الجيش .

وكنت قد عدتُ مع مجموعة من أصحابي إلى داخل الميدان طلبًا للراحة من مواجهات المتحف المصري ، بعد أن أمدنا الشيخ صفوت حجازي (حفظه الله ورفع درجاته في الدنيا والآخرة) بأكثر من خمسمائة شاب ، كان هو في مقدمتهم ، ليخفوا العبء عنا هناك .

سمعت ضجة من قبل شارع القصر العيني .. فهرعت إليها لأكتشف أن بعض الشباب الغاضب كان يتحدث إلى عقيد الجيش ، ويطلب من أن يتدخل بالقوة لحماية الشباب في شارع المتحف المصري من الرصاص الذي بدأ ينهال عليهم ، بعد أن وصلوا إلى تمثال عبد المنعم رياض .

كانت إجابة السيد العقيد .. واضحة .. وصريحة .. ومباشرة.. وحادة.. ومقرفة إلى أبعد حد .. قال : (اللي عايزني أحميه ييجي ورايا هنا .. ورا الدبابة دي .. واللي عايز يعمل راجل يروح يحمي نفسه) .

كدتُ أتقيأ قرفًا من كلام السيد العقيد .

والغريب جدًا .. أن إجابته جاءت برد فعلٍ عكسي لما كان يتوقعه .. فجميع الشباب هتفوا قائلين : (طيب.. خليك هنا اتفرج علينا واحنا بنموت .. وشوف الرجالة هيعملوا إيه)..

ثم عدنا جميعًا إلى ميدان عبد المنعم رياض ، في الهزيع الأخير من الليل ، حين يتنزل رب العزة إلى السماء الدنيا ، قائلاً : هل من سائل فأعطيه؟؟ هل من مستغفر فأغفر له .

وكان أن سأله الشباب الشهادة .. فاختار منهم – جل وعلا – ما يزيد على العشرين شهيدًا .. صعدوا كلهم إلى ربهم أمام تمثال بطل من أبطال مصر ، هو عبد المنعم رياض ، الذي أظن أنه لو كان حيًا لما سمح لنفسه أن يلبس البدلة العسكرية التي يلبسها هذا العقيد .. أو لما سمح لهذا العقيد أن يلبس ذات البدلة العسكرية التي يلبسها هو .

الآن ..

المتمعن في هاتين الحادثتين يدرك بجلاء ووضوح أنه كلما ارتفعت الرتب في الجيش كلما خف التعاطف مع الثورة .. فالحادثة الأولى كان بطلها نقيب .. والحادثة الثانية صاحبها عقيد .

ورغم أن هذه ليست القاعدة .. ولا نستطيع أن نتهم جميع الرتب العالية في الجيش بعدم التعاطف أو حتى محاولة الالتفاف على الثورة .. إلا أن الجميع في بر مصر يعرف أن

الكثير من هذه الرتب العالية في الجيش (ولا أقول الكل) كان ولاؤها لنظام مبارك معروفًا ومشهورًا.. وأنها ساعدت في تثبيت حكمه الديكتاتوري .. بل واستفادت منه استفادات كثيرة ، ليس هذا أوان الحديث عنها .. والجميع يعرف أيضًا أن المؤسسة العسكرية سمحت لمبارك كحاكم عسكري أن يُحاكم المدنيين أمام محاكمها العسكرية ، في مخالفة واضحة لكل القوانين والأعراف الدولية .

وإذا اعتذرنا للمؤسسة العسكرية آنذاك بأنها كانت مغلوبة على أمرها ، وأن التعقيدات السياسية الداخلية والإقليمية والعالمية التي كان يتخذها مبارك ذريعة للتنكيل بمن يرفع رأسه من الشعب المصري (وهو عذر أقبح من ذنب) .. أقول : إذا اعتذرنا للمؤسسة العسكرية بهذا العذر آنذاك .. فإن هذا العذر لا يمكن أن نعتذر به لها الآن .. لأن النظام المباركي سقط .. أو (هكذا يجب أن يكون) .. والتعقيدات السياسية الداخلية سقطت أيضًا .. وبسقوطها سقطت التعقيدات الإقليمية والعالمية .. رغم أنهم ما زالوا يخوفوننا بها .. فلا إسرائيل ولا أمريكا ولا الغرب الأوروبي (صاحب المصالح في بقاء هذه الديكتاتوريات) قادر الآن أن يفعل فعلاً يكون له أثر جذري في القضاء على هذه الموجة الثورية التي شملت غالب العالم العربي .. وهم لو فعلوا ذلك .. فلن يكون الرد من الشعوب العربية أقل حدة مما يعانونه الآن في العراق وأفغانستان والصومال .. بل والشيشان أيضًا .. ولن يفعلوا شيئًا أكثر من أن يزيدوا طينهم بلة .. ووحلهم طينًا .. وقد أثبت الشعب الليبي – على سبيل المثال – أن القوة العسكرية للجيوش لا تُجدي نفعًا إذا ثار الشعب .. وأنها فقط ربما تحصد مائة نفس طاهرة في مقابل عشرة أنفس تحصدها قوة الشرطة أو الأمن الداخلي .. إلا أن الغلبة في النهاية للشعب .. ولن يستطيع أفراد الجيش الاستمرار في حصد أرواح إخوانهم .. وقد رأينا الرتب الصغيرة (التي تناط بها عمليات المواجهة الميدانية) تُلقي السلاح وتنضم للثوار .

إننا نسمع الآن كلمات تافهة من أناس تعفنوا في كراسيهم الفاسدة طيلة ثلاثين سنة ، تُطالبنا أن نعطي الجيش فرصة للعمل ، وألا نضغط عليه ، وألا نستفزه ؛ لأنه ليس في يده عصا سحرية ، ولأنه ورث تركة ضخمة من الفساد ؛ ولأنه يعمل عملاً لم يُخلق له ..

ولأنه .. ولأنه .. ولأنه .

وهذا كلام غريب يصب في مصلحة أعداء الثورة .. بل إن هذا الكلام هو أكبر عدو للثورة والجيش معًا .

هذا الكلام يراد به ضرب الجيش بالشباب وضرب الشباب بالجيش .. وكان الشباب لا همَّ لهم إلا أن يتظاهروا .. وليس وراءهم من عمل إلا أن يستفزوا الجيش ويحرجوه .. وكأن الجيش نفذ كل مطالب الشباب التي طالبوا بها بهدوء وحكمة وروية تنافي طبائع الشباب عامة .. والواقع غير ذلك .

والواقع يقول : إن الشباب الذين قاموا بالثورة كانوا وما زالوا يحترمون الجيش أشد الاحترام ، وأنهم تحاشوا الصدام به ما أمكنهم .. بل إن بعض الاحتكاكات الطفيفة التي حدثت بين الشباب والجيش ، حدثت بسبب أن الجيش نفسه أراد التقدم لمواقع معينة داخل ميدان التحرير في بعض أيام الثورة ؛ ليسيطر عليها .. وقد رأيت بعيني رأسي الشباب ينامون أمام الدبابات حتى لا تتقدم .. وكَوَّنُوا أكثر من عشرين صفًا من اللحم البشري ، ممددين أمامها ؛ ليمنعوها بأجسادهم من الدخول .. وكانوا يتزاحمون على النوم في الصف الأول أمام الدبابة مباشرة .. حتى أن شابًا مصريًا صعيديًا يلبس جلبابًا ، حاول أن يأخذ مكان صاحبه في الصف الأول ، فلما رفض صاحبه أن يعطيه مكانه ، لم يجد هذا الشاب بدًا من التمدد داخل جنزير الدبابة نفسها .

لقد ناموا أمام الدبابات فقط .. ولم يرموها بالحجارة ، ولم يعتدوا على جنودها ، ولم يشتبكوا معهم .. ولو كان هذا التحرك من الشرطة أو من الأمن المركزي ، لكان الرد من الشباب غير هذا تمامًا .

لقد رضي الشباب من الجيش أن يكون محايدًا سلبيًا بعد أن تأكد لهم أن الاعتماد على الجيش لن يأتي بنتيجة مُرضية .. ورغم ما في الحياد السلبي من ألم يعتصر القلوب .. إلا أن الشباب اتخذوا العذر للجيش وتفهموا موقفه (الغير مفهوم) .. أو المفهوم (ولكننا لا نريد الآن أن ندخل في دهاليزه) .

فلما رأى الشباب أن الجيش يريد التقدم للميدان لاحتلال بعض جوانبه ، كان لابد من

منعه .. ولم يريدوا أن يمنعوه بالقوة حتى لا يتحول الجيش في أذهان الناس إلى قوة (شرطة) .. فناموا أمام دباباته .. وفي أيديهم الورود .. وكأنهم يقولون له : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ ﴾ .

على الجيش المصري – الذي نحترمه ونفخر به جميعًا – أن يعلم أن للثورات شرعية تُسقط ما عداها .. وأن الأمر ليس أمر شخص يعيش الآن معززًا مكرمًا في شرم الشيخ (ولا أدري لماذا) بعد أن أسقطه الشعب الذي عانى من ويلاته طيلة ثلاثين سنة .. بل الأمر أم نظام كامل لابد أن يزول بزوال رأسه .

إن الملايين من الشعب المصري الآن أصبحوا شبه متأكدين من أن الجيش يتعامل مع الأحداث بأسلوب (الحمار والبردعة) .. فيقدم للمحاكمات بعض رجال الأعمال اللصوص من الصف الثاني والثالث ، ممن لم يكن غالبية الشعب المصري يعرفهم أو يسمع عنهم ، ليكونوا كبش فداء من ناحية ، وتخديرًا للشعب من ناحية أخرى .. وحتى وزراء ورجال أعمال الصف الأول ، كحبيب العادلي ، وجرانة ، وأحمد عز ، وسليمان ، لم يقدمهم للمحاكمة إلا حين شعر أن الرأي العام المصري لن يسمح بالتغاضي عن محاكمتهم ؛ لأن رائحتهم كانت أنتن من أن تُحتمل .. ثم هو لم يقدمهم للمحاكمة بسبب ما ارتكبوه من كوارث سياسية وسفك للدماء (حبيب العادلي تحديدًا) بل كانت تهمتهم التي يحاكمون بها هي الفساد المالي والتربح من وراء المناصب !!

بينما أمثال صفوت الشريف ، وفتحي سرور ، وعمر سليمان .. لا يكاد أحدٌ يسمع عنهم شيئًا .

ونحن لا نريد من الجيش أن ينصب المشانق في الميادين العامة لهؤلاء الذي أفسدوا مصر وتسببوا في تخلفها وتجفيف منابع الخير فيها .. ولكننا لا نحب من الجيش الذي نحترمه ونقدره ، أن يتعامل مع مطالب الشباب (بل ومطالب عامة الشعب) بأسلوب الإلهاء بالشيكولاته والبنبوني .. كما قال أحمد شفيق ذات استهبال .

الوقت ليس في صالح أحد .. والشباب يغلي غضبًا وحنقًا .. وهم ما يزالون يضبطون أنفسهم (على غير ما هو معتاد في طبائع الشباب عامة) .. ومصر كلها أصبحت أشبه

بمقهى عام (للمكلمة والتنظيرات) لا همَّ للناس فيها غير إبداء الآراء ، واستقبال الآراء المضادة (وربما هذا هو المخطط الذي يراد تنفيذه الآن لإلهاء الناس وإشغالهم بسفاسف الأمور) .

أما إذا لم يكتف الجيش بكونه ضامنًا .. وأراد أن يمسك بخيوط اللعبة كلها في يديه .. فإن بلدًا مثل مصر فيها من التعقيدات ما فيها ، لن يستطيع الجيش وحده أن يتحمل مسؤولية حلها جميعًا.. وستتشتت جهود الجيش في أكثر من اتجاه .. ثم لن تظهر هذه الجهود للناس على وجهها الحقيقي .. ولن يكسب الجيش إلا إساءة الظن به .. بالإضافة إلى ما يحاوله أذناب النظام السابق من الوقيعة بين الجيش والشباب من خلال إطلاق الإشاعات التي تنفر الشباب من الجيش ، وتحرض الجيش على الشباب .

ومن وضع نفسه موضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن .



هلك الفاجر



قبل الانفجار : يا أيها الجيش ..
احقن الدماء واعزل أحمد شفيق

أعتقد أن الوقت ليس في صالح الجميع، وأننا إن لم تتداركنا رحمة الله مقبلون على انفجار إذا-لا قدر الله حدث- لن يبقى ولن يذر. سوف ننزلق إلى معركة طحن عظام ليس فيها فائز، إن الجيش لم يختر الوضع الذي وجد نفسه فيه، ولا هو بادر من تلقاء نفسه إليه، إنه وضع فُرض عليه، بل إن المتوقع، أن تكون القيادات العليا متعاطفة مع مبارك، وأن تكون القيادات المتوسطة وصغار الضباط متعاطفة مع الأمة. وهنا نقطة لابد من التركيز عليها، وهي أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة، بعقله الجمعي، الذي لا يساوي مجموع عقول أفراده(!) قد فضل -في لحظة حاسمة- مصلحة الوطن على مصلحة فرد. حتى وإن كان هذا الفرد هو قائدهم الأعلى. ولكن المتوقع بعد هذا التصرف النبيل، أن يبدأ شيطان التفاصيل في التسلل، مزينا الغواية، مستعظما التضحية، مغلبا المصالح المباشرة. عندما تتدخل عقول الأفراد، مضيعة تناسق العقل الجمعي. فاتحة الطريق أمام الغوايات والهوى والمطامع، التي يخجل الفرد عادة من الكشف عنها أمام المجموع، وذلك لسببين، أولهما أن الكشف عنها مخجل، وثانيهما أن الكشف عنها يمكن أن يفجر صراعات مع من يتنافسون معه عليها أو ينكرون حقه فيها.

لقد كان المجلس الأعلى للقوات المسلحة جدارا صلبا اكتسب ثقة الأمة الفورية، ليس بسابقة عمله بقدر ما هي بسبب كارثية البديل. وهذا هو الذي يدفع الأمة لإغماض أعينها عن بعض النذر (كالسماح للبغال والخيل والحمير مثال على ذلك) وهو الموقف الذي دفع ضابطا شريفا نبيلا- أعنى أنه ضابط جيش لا شرطة- لمحاولة الانتحار.

لابد أن نعترف الآن أن الكثيرين يشعرون بعدم ارتياح لموقف الجيش، وتتزايد الشكوك يوما بعد يوم، في أنه يضع الثوار -بالتعبير العسكري- في أرض قتل، وليس أمامهم إلا القتل في الميدان أو القتل في المعتقلات، وهذا الوضع نذير سوء لجميع الأطراف. لقد فتح الشباب والثوار ثغرة، وبغض النظر عن الحق والعدل والخير والصواب، فإن القرار في الجيش كان في الجانب الآخر، جانب الرئيس مبارك، وأنه قد يفكر، أو يفكر بعض أفراده، في كيفية استيعاب هذه الثغرة، بمزيج من الاستيعاب والخداع الاستراتيجي حتى يمكن الإعداد لتصفيتها بأقل قدر من الخسائر.

كما أن الجيش باختياراته المخططة يمكن أن يعطى الأطراف الأخرى مظهر العجز والشلل مما يمكن الجيش من اتخاذ قرارات قد تبدو الآن مستحيلة. وفي ذاكرتنا ما فعله ضباط يوليو بفتنة تطهير الأحزاب، التي أسفرت عن سحق كل الأحزاب.

الكثيرون يشعرون أن الجيش يسوف في تنفيذ قرارات جوهرية ليس لديه عذر في تأجيلها، بل ويشعرون بتعاطف خفي -وأستعمل لفظ التعاطف تأدبا- من الجيش للرئيس المخلوع، وأنه يترك لأنصاره الفرصة متعمدا كي يرمموا صفوفهم ويرسخوا مواقعهم، حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى تشكيل حزب- بديل عن الحزب الوطني- باسم ٢٥ يناير! وهذا يعني تزوير الانتخابات حتى يأتي جمال مبارك! ليس برسمه واسمه ولكن بمضمونه.

في صدر الثوار هواجس كثيرة، فهم يدركون على سبيل المثال أن أتباع مبارك يملكون قوة غير هينة، وأنه يمكنهم الالتفاف والعودة، إن مليونين من الجيش والشرطة يحملون الوفاء لمبارك ونظامه وظيفيا، كما أنه يوجد ميون آخر من الحزب الوطني ما بين متورط وطامع، إضافة إلى مليون آخر تم إفسادهم كليا، يوجد أيضا أوكار الشيطان حيث مباحث أمن الدولة الغامضة والرهيبة وهناك يتم الآن تدبير مؤامرات تهدف إلى تعطيل المرافق العامة، وشل الإنتاج وصولا إلى مرحلة النقص الفادح في السلع، وتحقيق انهيار جديد في الأمن ونشر الفوضى بما يمهد للانقلاب على مكتسبات الثورة. مباحث أمن الدولة التي لم تعرف الدولة منها خيرا أبدا. لقد أساءت إلى جهاز الشرطة كله، ودمغته بالخيانة العظمى التي قد تكون الكثير من قطاعاته بريئة منها. توجد أيضا فلول النظام السابق، ورجال أعمال النظام البائد ينظمون إضرابات ويستأجرون بلطجية استمرارا لدورهم في ترويع المواطنين، وإظهار الجيش بمظهر غير القادر.

كل هذه القوى إضافة إلى رؤساء تحرير الصحف وقيادات الإعلام الذي يهتم بهم رئيس الوزراء أحمد شفيق، إنما هم في الواقع الوجه الآخر للبغال والحمير والإبل، هم بذواتهم، بأقنعة أخرى. كل هؤلاء تحشدهم السلطة التي ما زالت بالكامل سلطة مبارك يحاصرون الثوار ويضيقون عليهم الخناق ويضعونهم في أرض قتل تمهيدا لتصفية الثورة

والقضاء عليهم: إما تأييد نظام مبارك، واستمراره ولو بأشخاص آخرين، وإما النيابة والقضاء والسجن والخراب والفضيحة. وإن وقوف الجيش على الحياد بين المجرمين والأبرياء هو عين الانحياز.

وأخشى ما أخشاه، أن يدفع الشك الجمهور من ناحية، وأن تدفع وسوسات شياطين الإنس في الحزب الوطني الجيش من ناحية أخرى، إلى نقطة انفجار يعقبها صدام تضيع فيه البلاد. ولابد أن ننتبه، أن كل أحزاب المعارضة في مصر -تقريبا: ما عدا المعطل منها كحزب العمل- هي أفرع للحزب الوطني، وأن مصلحتها في استعادته وسيطرته. ذلك أن الحزب الوطني يعطيها الفتات، أما الثوار فلن يعطوها شيئا.

الأمر خطير..

وبالأسلوب العسكري، فإننا نحتاج إلى وقفة تعبوية، وتقدير موقف، وهو كما يصفه العسكريون: عملية ذهنية يتم فيها تقييم موقف الأطراف جميعا غير مغفلين أي عامل من العوامل التي يمكن أن تؤثر في الأحداث ، كي نقيم ما فاتنا ، وما علينا أن ندركه، وذلك لكي نتجنب انفجارا غير محسوب العواقب الكارثية التي ستحيق بالجيش والشعب والدولة والأمة.

لقد حقق الجيش لنفسه عند نزوله إلى الشوارع في جمعة الغضب مجددا بقدرته الفائقة على التعامل مع وضع استثنائي شديد الصعوبة بكفاءة ومرونة رغم أنه لم يكن في موقعه الطبيعي: الحدود أو الثكنات، بل يوجد في وسط الناس، كما أنه لا يقوم بدوره الطبيعي: حماية الوطن من أعدائه، ليقوم بالحفاظ على الأمن الداخلي، كما أنه كان مضطرا للتعامل بأسلوب غير أسلوبه، فقد تمرس على التعامل بالأسلوب العسكري، وهو ليس مؤهلا للتعامل مع مدنيين عامة، ومع مدنيين في حالة ثورة عارمة، بعد أن واجهوا خيانة من أبشع الخيانات في التاريخ، خيانة الأمن والشرطة ومباحث أمن الدولة، الذين تصرفوا كأبشع العصابات الإجرامية في التاريخ. اشتعلت مشاعر الحب بين الشعب وجيشه، وقد رأيت مشهدا لن أنساه أبدا، كان الشباب، الذين توجسوا الخطر بعد الخيانة الإجرامية للشرطة، يخافون أن تتحرك الدبابات لتضيق عليهم، فاتخذوا وضعا لا أظن أن التاريخ

يحتوي على شبيه له. لقد استلقى الشباب على عجلات الدبابة بين الجنازير الضخمة. ولو أن الدبابة تحركت خطوة واحدة لفرمت لحمهم وهرست عظامهم، كانوا واثقين أن الدبابات لن تتحرك، بدا المشهد غريبا مهيبا مفعما بالحنان والشجن. بدا الشباب وكأنهم أجنة، وبدت الدبابة الضخمة كأنها أمهم، وبدت العجلات الضخمة والجنازير الرهيبة كأنه رحم أم يحتويهم في حنان، وأنه لا يمكن أن يؤذيهم أبدا. ولذلك كانت الصدمة الهائلة لصمت الجيش يوم الأربعاء الدامي، يوم المولوتوف والبغال والحمير.

يعرف الجمهور عن الجريمة السلبية ما يكفيهم لإصدار حكم إدانة أخلاقي. إنهم يعرفون مثلا أن امتناع الأم عن إرضاع طفلها أو إحجام مدرب السباحة عن إنقاذ غريق هي جرائم قتل كاملة. ويعرفون مثلا أن الجرائم السلبية هي الجرائم الواقعة بطريق الامتناع، ويتألف ركنها المادي من إحجام الجاني عن إتيان فعل إيجابي مفروض عليه إتيانه، ويعرفون أن جوهر الجريمة السلبية، وجود واجب يفرضه القانون، بإنزال العقاب على مجرد الامتناع عن القيام بفعل معين، فإذا تحقق الامتناع أو الإحجام عن القيام قامت الجريمة السلبية لأن القانون الجنائي قواعده آمره، وعندما يأمر بإتيان عمل يكون الامتناع عن إتيانه جريمة سلبية. إن القوانين لا تحدد شكل لسلوك الذي تقع به الجريمة ولا طبيعته وإنما تُعاقِب على كل سلوك ينشأ عنه موت فإن الحقيقة تؤكد أن القتل يحدث إما بفعل إيجابي أو يحدث كامتناع الأم عمداً عن إرضاع طفلها أو إحجام معلم السباحة عن إنقاذ تلميذه كما ذكرنا للتو..

الجمهور الذي يعرف كل ذلك، ينظر بشك عميق لا يمنعه من التحول إلى يقين إلا علاقة الحب الجياشة التي يحملها الشعب لجيشه والتي تمنعه من تحويل الشك العميق إلى اتهام صريح.

ويرى الجمهور أن اللواء أحمد شفيق بكل اختياراته ولقاءاته إنما يكرس لحصار الثوار، ولتجهيز فرق أخرى من البغال والحمير بأقنعة أخرى، أقنعة وزراء أو كتاب أو إعلاميين أو بقايا شرطة طائشة وحزب خائن ومباحث أمن دولة يجب أن تحاكم بتهمة الخيانة العظمى.

إن الذين أضيروا من الثورة كثيرون، أولهم بالطبع الحزب الوطني الخائن ورجاله، ورجال الأعمال، ولصوص المال العام وسماسرته، وكل أحزاب المعارضة بلا استثناء التي تلاشت قيمة معظمها تماما، ولا يبقى إلا حزب الوفد كحزب حقيقي، لكنه هبط فجأة من المرتبة الثانية –التي قد تنافس على الأولى- إلى دوري المظاليم الذين لا أمل لهم في رؤية النور.

الذين أضيروا كتائب النفاق وفرق الكلاب المسعورة في الصحافة والإعلام.

الذين أضيروا الشيوعيون والعلمانيون والليبراليون والمنافقون والبهائيون والملحدون.

الذين أضيروا أقباط المهجر الذين استمرؤوا ابتزاز نظام خائن وجد فيهم أقلية خائنة يرتكز عليها

الذين أضيروا البابا شنودة الذي استثمر أسهمه في بنك أفلس.. بنك حسنى مبارك.

الذين أضيروا أمريكا وإسرائيل ومحمود عباس..

***

كل من أضير سيحاول غواية الجيش أو دفعه إلى الفشل، لأن كل الذين أضيروا سيذهبون كالزبد جفاء إذا ما قام حكم الشورى النظيف الحر الذي لا تزوير فيه ولا قلب للحقائق. لذلك فإن من مصلحتهم تجنب أي تحول للحكم إلى حكم الشورى الصحيح(أو الديمقراطي لمن تشمئز قلوبهم). وأولئك سيحاولون دفع الجيش إما لاستنساخ حكم مبارك أو للاستيلاء على السلطة كما فعل ضباط انقلاب يوليو.

كل فرق الكلاب والبغال والحمير والخيل والإبل مضافا إليها فرق الخنازير ستقاوم الحرية والديمقراطية والنظافة وستحاول إعادة نظام عميل يستخدمها وتكون لها فيه قيمة. نظام حكم يعتمد على أقليات خائنة لا حق لها في مواجهة أغلبية ينزع حقها منها.

ومن الناحية الأخرى فإن الجيش إن لم يتدرع بنبله سيكون أيسر عليه أن يتعامل مع عملاء يرضون بالفتات بدلا من أن يتعامل أغلبية صاحبة حق في تولي الحكم تجعل الجيش يتفرغ لحماية الدولة بعيدا عن التدخل في السياسة.

إن الجيش هنا يتعرض لضغوط استثنائية في ظل تغطية إعلامية من أنصار مبارك، بل إن الهيئات القائمة بالتحقيق والضبط هي أجهزة مبارك.

أخشى أن أقول أن الصدام وشيك..

وهو صدام على الجيش أن يتجنبه وإلا وقع فيها وقعت فيه الشرطة.

***

إنني أظن أن لحظة الانفجار ستكون بإعادة تكليف أحمد شفيق رئيسا للوزراء..

قد يعود الناس إلى التواجد في الشوارع بالملايين..

وسيتكرر العناد الذي حدث بين الشعب وبين مبارك..

هذا وضع لا بد أن نتجنبه..

لماذا العناد؟

لماذا الإصرار على أحمد شفيق؟

هل يظفر بارتياح ١٠٪ أو حتى ٥٪ من الناس لو طرح للاستفتاء؟

هل هو استمرار للسياسات القديمة بإذلال الناس وفرض ما يكرهونه عليهم كي لا يجرؤوا على التخيل أنهم أصحاب بلد أو متخذو قرار؟.

لماذا؟

لماذا؟

لماذا؟

لماذا الإصرار على الوجوه القديمة.. وبعضها الوجه الآخر المقنع لبغال ميدان التحرير..

إن الكثيرين يراقبون الآن في قلق شديد بطء أداء الجيش ويقارنونه ببطء مبارك وعناده..

ويتوجسون شرا..

إن كرامة الجيش لا يجب أن تخدش..

ولكن ماذا سيحدث إن اتخذ الجيش قرارا باستمرار أحمد شفيق ثم بدأت المظاهرات المليونية مصرة على إقالته..

ماذا سيفعل الجيش عندئذ؟ هل يعاند؟ هي الكارثة إذن.. هل يستسلم وينكسر؟ لا نرضى له ذلك.

أرجوك يا جيش..

تذكر كيف وكم أحبك الناس.. وكم تقبلوا عذرك بعد الهزيمة الساحقة عام ٦٧.. وهو ما لن يحدث أبدا مع ضباط الشرطة وجنودها..

لأنه كان يعرف أنك مؤسس على التضحية والنبل. بينما حول النظام المجرم منهج الشرطة إلى منهج عصابات.. حتى أن النظام يجب أن يحاسب فيها يحاسب، على أنه تسلم أبناءنا زهورا ناضرة وقلوبا غضة مفعمة بالأمل ليدنسهم ويحولهم إلى مجرمين ينكلون بشعبهم ثم إلى خونة يطلقون عليه البلطجية والرصاص.

أرجوك يا جيش..

باسم الشعب والأمة والدولة والتاريخ..

باسم سمعتنا في العالم التي بلغت عنان السماء.. والتي نرجو منك أن ترفعها أكثر لا أن تتركها تمرغ في الوحل مرة أخرى عندما يصطدم الجيش بالشعب..

يا أيها الجيش..

احقن الدماء..

لا تناور في التغيير..

لا تضع الثورة في أرض قتل..

غير فعلا..

غير النظام كله.. تغييرا كاملا شاملا حقيقيا وليس مجرد إيهام بالتغيير لمنع التغيير!.

إياكم وعناد مبارك.. وإياكم وغباء نظامه..

حافظ على نبلك وهيبتك وكرامة الأمة ودماءها..

احقن الدماء..

احقن الدماء ..ابدأ.. واعزل أحمد شفيق.



هلك الفاجر



نعم ... أو القارعة(*)

أيهما أخطر على الثورة مبارك أم يحيى الجمل؟

(*) نشر هذا المقال يوم ١٠ مارس ٢٠١١ قبل الاستفتاء الشهير .

سوف أحطم قوانين البلاغة، ولن أحترم فنون المقال القاضية بحسن الختام بعد براعة الاستهلال ..

سوف أبدأ على الفور .. دون مقدمات .. فالوقت قليل والعمل كثير والحمل ثقيل والطريق وعر والمهمة صعبة والمخاطر هائلة والهلاك قريب والنجاة عصية ..

سوف أبدأ على الفور لأن تسونامي الأمريكي .. تسونامي مباحث أمن الدولة .. تسونامي الحاشية والأذناب –إلا قلة صادقة مقتنعة فعلا بها تقول– اندفع ليجرّف وعي الأمة ويخترق ذكاءها ويوجهها إلى عكس الاتجاه الصحيح ..ويحرضها على طريق الندامة لا طريق السلامة عندما ينصحها أن تقول في استفتاء السبت القادم (١٩ مارس): لا.

يشعلون النار في كل أرجاء الوطن في نفس الوقت وتلك قوة لا تتاح إلا لعملاء أمريكا ولمباحث أمن الدولة.

يشعلون النار

نفس النار التي اشتعلت في المباريات بين مصر والجزائر .. ..

لم يبق إلا أن يخرج كلب من الكلاب ينبح ليصف شباب الثورة بما وصف به أبناء الشهداء في الجزائر ..

السافل المنحط الخسيس الذي لم يحاكم بعد والذي وصف أبناء الشهداء بأنهم أولاد زنا .. ابن الـ ...

ولم يبق إلا أن يخرج ذئب من الذئاب يعوي مطالبا بإعلان الحرب على شباب الثورة وقصفهم بالطائرات ..

لكنهم استعاضوا عن ذلك بقصفهم بالمقالات الخاطئة المضللة .. وبالهجوم الفضائي الكاسح عبر الثورة المضادة .. وعبر أناس لم يكونوا من شباب الثورة أبدا .. أناس هم في الواقع بلطجية المثقفين .. أو كما سميتهم قبل ذلك:«مثقفو أمن الدولة». أناس يستعملون الورق والكلمات والكاميرات والشاشات بدلا من البغال والحمير والإبل ولكن النتيجة لا تختلف. والعقلية واحدة.

سوف أخرج من حديثي كل إنسان صادق مع نفسه مهما كان رأيه ..

إنها أتكلم عن المرجفين الذين يعلمون أنهم يكذبون والذين نظروا بعين الشيطان إلى شباب الثورة فقالوا لأنفسهم:

- ما أسهل خداعهم وحشدهم وإلهاب مشاعرهم ليحققوا لنا ما نريد ..
- ثم أسروا لأنفسهم:
- ما أسهل خداعهم.

هؤلاء هم من أقصدهم وأتكلم عنهم.

لقد نجحوا في استدراج الأمة كلها إلى الدخول في تفاصيل لم يكن لها أن تطرح بهذه الصورة أبدا .. ولم يقصد الشياطين بطرحهم إلا إثارة الفرقة بين الناس وتفتيتهم ..

الدعوة للحوار وللنقاش لم تكن الهدف من تسونامي .. دعنا الآن من الوصول إلى الحقيقة فهو أمر لم يكن في بالهم أبدا بل كان هدفهم هو العكس .. طمس الحقيقة. كان هدفهم تفتيت الأمة. إنهم يعلمون أن الأمة عندما تتحد ستزدريهم وتقصيهم .. ولذلك فإن فرصتهم الوحيدة في تفتيت الأمة.

لقد كان ما بدا عليهم من حقد مسعور وأعراض خسيسة بشعا ومخيفا.

تجمع التحالف الشيطاني للثورة المضادة وعلى رأسهم من تضرروا من ثورة ٢٥ يناير، ولكنهم الآن يدعون أنهم يتحدثون باسمها بل أنهم هم الذين قاموا بها. في هذا التحالف سنجد جهاز مباحث أمن الدولة وكل رجال الأعمال الذين راهنوا على التوريث، وقيادات الحزب الوطني، وأعضاء المجالس المحلية، وقادة أجهزة الأمن، قادة الإعلام الرسمي، وكل من كان يمثل دور المعارض تجميلا للنظام، وأتباع شنودة وأقباط المهجر والبلطجية. هؤلاء هم جسد الثورة المضادة التي يقودها الآن تنظيم سري أمريكي يجمع أشتاتا متناقضة من الوفد والتجمع والناصريين والتجمع والشياطين والزبالين!

هؤلاء من أبدأ على الفور لأقول لهم وعنهم إن كل من يرفض الاستفتاء على تعديلات الدستور ومعه كل من يطالب بالبدء بالانتخابات الرئاسية لا يخرج عن واحد من خمسة:

أولا: جاهل قد يعذر بجهله وندعو له الله أن يغفر له بجهله أو بحسن ظنه أو بما

حسبه اجتهادا وهو خطيئة.

ثانيا: مضَلَّلٌ كان فريسة لمن هو أذكى منه.

ثالثا: مضلِّلٌ يخدع الناس وهو يعلم أنه يخدعهم وتحت هذا البند تتجمع طوائف عديدة من الليبراليين والعلمانيين والقوميين والعدميين والسكارى والشواذ.

رابعا: خائن من الثورة المضادة.

خامسا: قلة قليلة تعتقد صواب ما تقول في صدق مع النفس وهؤلاء لا تثريب عليهم وإن كنا ندعو لهم بالهداية والمغفرة.

***

ليس هناك أصناف أخرى ..

وليس هناك أهداف أخرى .. فمن يرفض الاستفتاء أو من يدعو للتصويت بـ «لا» إنما يرفض الثورة ويسعى إلى هزيمتها .. إما صراحة وإما مرضا في القلب ..

الأمر أخطر من أن نزينه بالكلام .. وأن نخفف من بشاعة المناظر بالتلفيق والتزوير تماما كمن كانوا يخفون مقالب القمامة في موكب الفرعون بالأقمشة المزركشة ..

لكن حظائر القمامة أصبحت هذه المرة حظائر مثقفين- كما سماها وزيرهم السابق - يتقمم فيها أدعياء الحرية والديمقراطية وهم لا يقبلون الحرية والديمقراطية أبدا ويحاولون الفرار منهما فرارهم من الموت ..

الأمر أمران لا أمرا واحدا لكن أولهما هو المدخل لثانيهما ..

الأول بقبول التعديلات ١٩ مارس من عدمه ..

تأييد التعديلات يعنى الخروج من عنق الزجاجة والبدء في تحقيق مكتسبات الثورة.

ورفض التعديلات يعنى العودة إلى مرحلة مجهولة يمكن أن يضخ لنا الشيطان وعملاؤه وعبيده مبارك آخر ..

ستظل يدي على قلبي حتى الموافقة على التعديلات ..

المتلمظون كثيرون .. والذئاب كثيرة ووحوش الفلاة تنتظر ونحن أشبه بطائر يوشك

على الطيران فإن طار نجا وإن سقط تلقفته الوحوش ومزقته شر ممزق.

يا قوم ..

يا أمة ..

لسنا في حالة طبيعية ولا نحن في الريفييرا أو في الساحل الشمالي أو في ذوات النجوم الخمس ننظر ثم نسكر ثم ندفع الـ Minimum charge ..

ونحن ندافع عن الشعب الفقير ..

يا قوم .. يا أمة ..

هل نستمع لهم لنعد دستورا جديدا ونناشد الجيش لكي يمكث حتى يجهزوا أنفسهم..؟

تلك حماقة وغباء أشبه بفريق طبي يجلس مسترخيا ليعد تقريرا طبيا وافيا لا ينافسه منافس .. ويضع خطة لعلاجه تضارع أكبر المعاهد العالمية .. ولقد حرصوا على أن تتسم دراستهم بالكمال مهما استغرقت من وقت .. ولكنهم للأسف نسوا المريض الذي مات قبل أن تنتهي مداولاتهم حوله ..

مات المريض ..

يا قوم ..

عقرنا الذئب .. فمن واجبنا أن نخشى من كل الكلاب.

هل وضعنا الآن مريح ومطمئن؟ أسأل مثقفي الحظيرة هل وضعنا الآن مريح وآمن حتى نطلب من الجيش أن يمده .. الجيش يقول لنا ستة شهور ثم أسلمكم زمام أنفسكم فتصرخون قائلين: نرجوك اجعلها عامين ..

أوجه الكلام لكل واحد منكم يا قراء ..

أنت في السجن وقد فُتحت لك ثغرة ومدوا لك سلما من الحبال ..

هل ترفض الخروج لأنك مصر على أن يكون السلم من الرخام ..

اهرب من المباءة حيث الخطر أقل وحيث الراحة أوفر وفرص القرارات الهادئة

المدروسة طويل المدى أكثر ..

اهرب ..

حفروا لك ممرا آمنا وسط حقل الألغام الذي كان يوشك أن تدمرك ..

هل ترفض مصرا على أن يفرشوا لك الممر الآمن بسجادة حمراء .. تبقى وسط حقل ألغام قد ينفجر فيك في أي وقت ..

اهرب ..اهرب قبل ألا تستطيع الهرب ..

اهرب ..

فما أكثر الذئاب التي تريد أن تعقرك والكلاب التي تنبح عليك والأفاعي التي تريد أن تلدغك والضباع التي تريد أن تنهشك ووحوش الفلاة التي في حياتك موتها وفي موتك حياتها ..

اهرب من المكان ..

ابتعد .. فهو غير آمن والظرف غير مستقر ومن يعضدك اليوم قد ينقلب عليك غدا..

***

استر عورتك أيها العاري .. قد جاءوك بملابس قليلة جدا رخيصة جدا لكنها تستر عورتك .. فأي لؤم أن ينصحك البعض ألا ترتديها؟! .. أي لؤم أن يقفوا ليقول لك أحدهم:

- هل تخرج دون رباط عنق؟

- ويقول الآخر:

- لكن إيطاليا تصنع ملابس داخلية أنعم ..!!

- ويقول الثالث متأففا:

- إياك أن تخرج قبل أن تأتيك الملابس الكاملة من أرقى بيوت الأزياء العالمية.

- أنت كمن يصعد الجبل بسيارة .. أي تردد سوف يجعل السيارة تنقلب وتسقط في الهاوية.

أيها الجائع الذي يكاد يموت من الجوع .. العطشان الذي تشقق حلقه من العطش .. ها هم قد جاءوك بكسرة خبز وجرعة ماء – والأحرى أنك أتيت بها لنفسك– ..

فأي سفيه يصرخ فيك:

لا تأكل .. انتظر حتى يأتيك الطعام من «مكسيم» والمياه المعدنية من فيشي!!

أي سفيه ..

أي سفيه ..

أي سفيه ..

أيها التائه في الصحراء يقولون لك أبشر قد وجدنا لك طريقا وإن كان وعرا فينصحك البعض:

انتظر حتى يرصفوه.

أو كمن بلا مأوى يقولون له: تعال إلى هذا الكوخ فيأبى البعض موجهين له النصح: انتظر حتى نبني لك قصرا.

***

سوف ألزمكم الحجة وأوافق على كل ما تريدون .. لكن بشرط واحد ..

هو أن تضمنوا ألا تتغير الأحوال ..

فإذا لم تضمنوها فأنتم تريدون إذن من الناس أن يصبحوا مثل جحا الذي دفن المال تحت السحابة ومثل بطل فيلم: «طار فوق عش المجانين» الذي لم يفهم أنه عندما يدخل الإنسان تجربة فإنه لا يخرج منها كما دخلها وإنما يغير ويتغير .. لذلك تكون نتائج النهايات في أحوال كثيرة غير ما أرهصت به البدايات.

***

الأمر خطير وقد حشدت الثورة المضادة حشودها لتخوض معركة تراها هي معركتها الأخيرة .. ذلك أن الاحتكام لصندوق الانتحاب يعني الحكم عليها بالإعدام ..

إنهم لا يطالبون كما يزعمون بديمقراطية أكثر أو بدستور أكمل .. إنهم يدّعون ذلك ..

ويعلمون أنهم يكذبون وأننا نعلم أنهم يكذبون .. كما أنهم يطلبون مطالب مستحيلة .. لا بأمل تحقيقها .. ولكن من أجل نشر الفوضى.

إنهم باختصار شديد ضد الديمقراطية على طول الخط كما وصفهم المستشار طارق البشري .. وهم يريدون نظاما آخر كنظام مبارك تماما يكونون هم فيه عبيده وأغواته ووزراءه وحاشيته وخصيانه.

إنهم يثيرون معركة كبرى من أجل ستة مواد في دستور مؤقت لن يستمر العمل به سوى ستة عشر أسبوعا ..

إن كان هذا الصراع الملحمي من أجل ستة مواد فكيف كان يكون الصراع لو كان من أجل مواد الدستور كلها ..

وكم يستمر ..

عامان أو أكثر ..

دعونا نكن أكثر صراحة ..

الجيش في مكان القلب منا .. لكنه أبدا ليس مكان العقل ولا محل التفكير ..

هل أمنتم ألا يفتن الله أحد ضباط الجيش؟

أو أن ينتقل إلى جوار الله أحد قياداته فيحل محله مفتون؟

أو أن ينجح انقلاب مدني أو عسكري ؟

أو أن تنجح الثورة المضادة المدعمة بكلاب الداخل وخنازير الخارج ؟

أو أن تفرض القوى الخارجية وضعا لا نتوقعه ؟

أو أن يحدث انهيار اقتصادي يجعل مواصلة الطريق نحو الديمقراطية مستحيلا ؟

أو أن تزيد معدلات الفوضى ؟

أو أن يعاقبكم الله بسفهائكم الذين يرفضون الاستفتاء؟! ..

المطلوب فوضى يستطيعون النجاة فيها من كارثة مواجهة صندوق الانتخاب ..

***

يا شبابنا ..

الأرض التي نحن فيها الآن أرض قتل .. فاهربوا منها بأقصى سرعة ..

المكان الذي نحن الآن فيه خطر .. فاهربوا ..

اهربوا بأقصى سرعة ..

استعملوا سلم الحبال حتى لو خدش أيديكم وأجسادكم ..

فإن لم تفعلوا فلا تلومُنَّ إلا أنفسكم ..

***

نريد أن نخرج من عنق الزجاجة كي نبدأ النجاح الحقيقي .. لنختار مجالس حقيقية لشعب حقيقي ثم رئيسا حقيقيا لا جلادا ولا لصا ولا وحشا ولا مصاص دماء ..

وفي السبيل لهذا- عندما يوفقنا الله ويحظى الاستفتاء على التعديلات بالموافقة هو أن نختار ما بين الانتخابات البرلمانية والرئاسية ..

وهو اختيار قد يكون متاحا لسوانا ..أما نحن فليس لدينا اختيار ...

الأمر باختصار شديد يتلخص بين اختيارين لا ثالث لهما:

أولهما أن نأتي برئيس للجمهورية على هوى الشعب ..

والثاني أن نصطنع شعبا على هوى رئيس الجمهورية.

نعم .. هذا هو الأمر بلا نقصان ولا زيادة

إن الأمر لا يتعلق بجدل فقهي أكاديمي .. بل بتجربة معاشة وتداعياتها الكارثية وبمجموعة عليها من الله ما تستحقه تريد إعادة إنتاج «مبارك» آخر بشرط أن يكونوا هم حاشيته وأدواته ..

المخلصون حقا- مهما كانت انتماءاتهم - يعرفون أن ما نعانيه منذ ستين عاما كان بسبب طغيان رئيس الجمهورية الذي زور الإرادة الشعبية لذلك فهم يريدون رئيسا يصنعه الشعب.

في النظام الرئاسي تعطى السلطة للرئيس ويتمكن من التأثير في البرلمان. أما في النظام

البرلماني فيكون مجلس الشعب هو مركز السلطة أما الرئيس فيكون ضعيفا. في الظروف العادية قد يكون النظام الرئاسي أو المختلط أنسب لبعض المجتمعات التي بلغ فيها المجتمع المدني درجة عالية من القوة والتماسك تمكنه من ردع الرئيس القوي إذا تجاوز(نيكسون ..مثلا) .. لكنه في حالتنا- غير الطبيعية -خيانة وجريمة ...

المضلَّلون والمضلِّلون والخونة يريدون رئيسا للجمهورية أولا .. لأنهم يعلمون أنهم لا وجود لهم على الإطلاق بين الناس ولا ثقل لهم في صندوق الانتخابات .. إن أي انتخابات حرة ستقصيهم وتلقي بهم في الأغلب الأعم إلى مزابل التاريخ .. لذلك فهم يريدون بكل ما يستطيعون .. كمسألة حياة وموت .. ووجود وعدم .. أن يصنعوا الرئيس أولا ثم يدفعوه لكي يكون حزبا يكونون هم حاشيته وبقوة الرئيس وحزبه وبسيطرتهم على أجهزة الإعلام يستطيعون توجيه الناس وتضليلهم بل ويستطيعون إعادة الكرة لتزوير الانتخابات ماديا أو معنويا.

نعم .. إن رصيدهم في الشارع يقارب الصفر .. لكنهم يسيطرون على الإعلام .. لعن الله من منحهم السيطرة عليه .. ولذلك .. فهم يريدون التحرك في مجال قوتهم .. سينتخبون رئيسا عبر الإلحاح على اسمه في الفضائيات .. سوف يأتي وهو مدين بالفضل لهم .. .. وساعتها .. لن تكون مواجهة صندوق الانتخاب كارثة .. سيعود مأمونا :. كما كان خلال ستين عاما مضت .. وساعتها يهنأ الذين يرفضون الاستفتاء أو الذين سيصوتون بـ «لا» أو يطالبون بانتخاب رئيس الجمهورية قبل انتخاب البرلمان ..

****

لكم كان المستشار طارق البشري صادقا ونزيها وأمينا وهو يطرح التعديلات وتفسيراتها ..

ولكم كان الأستاذ صبحي صالح واضحا وقاطعا وهو يفضح أولئك الذين في قلوبهم مرض فيقول أننا إذا بدأنا بانتخاب الرئيس تكون قد خلعنا الديكتاتور ونصبنا الإله! .. لأنه سيكون رئيسا بلا دستور وبلا مجالس منتخبة وبلا قانون وبلا مؤسسات وبلا أحزاب وبلا مجالس رقابية. ورئيس هكذا سيكون إلها يفصل البلد على هواه ..

وهذا بالضبط ما يريده العلمانيون والليبراليون والشيوعيون والماركسيون والعدميون والشواذ (والواو هنا ليست حرف عطف فقط .. بل يمكن في أحوال كثيرة حذفها).

***

لأول مرة نكون قاطعين هكذا حاسمين هكذا ..

فما يحدث ليس اختلاف رأي ..

إنه ما بين الخيانة وبين الخطأ الذي لا يقل في تداعياته عن الخيانة.

انظروا إليهم .. أولئك الهمج الهامج الذين يهاجمون بمنتهى القسوة والعنف الاستفتاء القادم والبدء بالانتخابات البرلمانية ثم الرئاسية.

دعنا من الصواب والخطأ ..

دعنا من الحق والباطل ..

دعنا من الحلال والحرام [1].

ما نريده فقط: قدرا قليلا من العقل .. من احترام عقول الناس.

ولو أن قائلا منهم قال أنه لا يثق في الشعب ولا يؤمن باختياراته وأنه ضد الديموقراطية أصلا فلن نصادر على ما يقول .. سوف نستوعبه ونناقشه وندحضه ونرد عليه. لكنه جبان لا يؤمن بالديمقراطية ولا يثق باختيارات الأمة ثم يزعم أن موقفه هو من أجل الديمقراطية واختيارات الأمة.

لقد انفجرت كل أعشاش الدبابير الخائفة من النار .. النار التي تطهر والتي تخرج الخبث من الحديد وتفصد من الجسد القيح والصديد .. وانزعجت خفافيش الظلام من النور الذي يكشف ويعري ويفضح .. فهذه وتلك تدرك أنها عند أي انتخابات حقيقية لن يكون لها أي قيمة .. هاجت هذه العناصر جميعا لتمنع الانتخاب .. ولتحاول إعادة

---

(١) وعلى الرغم من ذلك سوف يهاجمنا مثقفو الدولة بمنتهى العنف بعد ذلك . سيزعمون – كاذبين – أننا خدعنا الناس بالحلال والحرام . ولقد راجعت المقالة مرة أخرى لأكتشف خلوها تمامًا من التكفير كما زعموا . ما يثير الاشمئزاز أنهم هم الذين بدءوا بالدعوة للتصويت على الاستفتاء بـ(لا).. بدءوها من الكنيسة ..!!

صياغة طاغوت كمبارك. وليتهم يعترفون بأن هذا الانفجار ضد الاستفتاء على الدستور وضد الانتخابات البرلمانية كان من أجل أنفسهم. من أجل معرفتهم بأن الشعب لن يعطيهم صوته في أي انتخابات حرة. لكنهم لا يعترفون بذلك بل يزعمون عكسه.

تخيلوا أن يخرج زبالون أمام ماسبيرو .. وسكارى في التحرير .. ليتكلموا عن المادة الخامسة والثانية من الدستور .. والمادة ١٧٩ و١٨٣ و.. و.. و..

سكارى وزبالون و«عربيجة» هم الذين يقولون ذلك ..

وهم لا يختلفون عن فرق البغال والحمير التي هاجمت الثوار ..

كما أن من أرسلوا هؤلاء هم الوجه الآخر لمن أرسلوا أولئك.

***

لقد أعد مواد التعديل المطروحة للاستفتاء أساطين في الفقه الدستوري والقانون لا يستطيع عاقل أن يشكك في مكانتهم وعلمهم. لكن يخرج علينا أناس لا ينافسهم في ملكاتهم الفكرية إلا توفيق عكاشة ليتكلموا بازدراء شديد عن جهل طارق البشري .. المستشار الجليل طارق البشري .. العلامة المحايد الموضوعي الزاهد حقا طارق البشري .. يصمه بالجهل جاهل. ويكذب وهو يعلم أنه يكذب كي يدلس على الناس، فيوهمهم بأن المستشار الجليل ارتكب جريمة كبرى، وأنه خدعهم. إنهم يقومون بالدور الذي يقوم به أي نصاب، حينما يوهمك ويغريك، فيأخذ مجوهراتك الحقيقية ويعطيك مجوهرات مزيفة.

***

باختصار شديد فإن أمامنا احتمالين: إما الإسراع بنقل السلطة من المجلس العسكري أو التباطؤ. إما أن يستغرق الأمر ستة شهور وإما أن يمتد لعامين.

إن خبرتنا القريبة المروعة المرعبة هي أن ضباط الجيش عام ٥٢ كانوا زاهدين جدا في الحكم لكنهم بعد تفاصيل كثيرة استولوا على الحكم. أعترف بأن الوضع مختلف، وبأن الضباط الحاليين أنقى وأنظف. لكنهم بشر. ألا يخاف دعاة التأجيل من أن تتغير الظروف

فيرفض العسكريون ترك الحكم؟ .. أو أن تعم الفوضى فلا يصبح أمام العسكريين إلا الاستمرار؟ ..

الحقيقة أن مجموعة الليبراليين والماركسيين والقوميين والعدميين والعملاء تفضل حكم العسكريين عن حكم شخص يختاره الشعب بمحض حريته ..

المحزن والغريب هو انضمام حزب الوفد إلى المجموعة التي ترفض الاحتكام إلى صندوق الانتخاب وإلى البرلمان ..

الوفد .. الذي عاش أزهى عصوره في البرلمان يخشى البرلمان .. ويقول لا للاستفتاء ولا للنظام البرلماني .. ويريد مبارك آخر أو فاروق آخر بشرط أن يكلفه بالحكومة! ..

كان هذا التصرف من الوفد محزنا وغريبا ..

من الحزب الناصري كان الفعل محزنا لكنه لم يكن غريبا ..

أما حزب التجمع فإن اتخاذ نفس الموقف منه لم يكن لا محزنا ولا غريبا .. بل إننا لن نندهش إذا انتخب واحدا كهنري كورييل أو حتى نتنياهو لحكم مصر!

وليس ذلك غريبا على مصر .. فبعض حلفاء التجمع قد طالبوا بذلك فعلا.

وهم كبعض خونة الأقباط يفضلون حكم نتنياهو إن كان صندوق الانتخاب سيأتيهم بإسلامي ..

والأمر هنا لا يتعلق بمسيحي أو مسلم .. ءإنما بخائن أيا كان ما يزعم أنه ينتمي إليه.

***

إنهم يلجئون الآن إلى كل الطرق لمنع الاستفتاء ثم انتخابات البرلمان ..

لا يهمهم أن يحترق الوطن ما لم يكونوا حاشية الطاغوت فيه.

ومن أجل هذا فجروا – وسيفجرون المزيد – الفتنة الطائفية.

ساويرس .. تلميذ شنودة .. الطاغوت المماثل لمبارك .. أحد من يحرك الإعلام ويصنع الأخبار المتحيزة بأمواله .. ساويرس الذي تتركز اهتماماته – تماما كإسرائيل – بالاتصالات في العالم العربي .. وهو – وهم – لا يتورعون عن فعل أي شيء لمنع اللجوء

المباشر إلى صندوق الانتخاب ..

ولقد كتبت إلى صحفه التي يمولها وكتبت لها في فتنة كنيسة إطفيح أسألهم لماذا لم يذكروا كلام جورج إسحاق لقناة الجزيرة أن المسألة مبالغ فيها جدا وأن الكنيسة لم تمس وأن ما هدم بعضه هو دار مناسبات. ولقد قال نفس الكلام الدكتور عمار على حسن، لكن الصحف والفضائيات التي يمولها ساويرس تجاهلت هذا. ولم يكن ذلك غريبا. ما كان غريبا أن تتجاهل المحور ودريم والتلفاز الرسمي ذلك وأن تصب كلها في نهر الشيطان الذي يحاول أن يدفع الشعب المصري للاعتذار عن إسلامه. هل هو مجرد العداء للإسلام؟ هل هو القصور الذاتي بعد نظام فاجر؟ هل للمال دخل في ذلك؟.

لقد أصابني الفزع وأنا أراقب المتظاهرين أمام ماسبيرو. كان تركيز التلفاز المصري على ألفين منهم أو أقل آلاف أضعاف تركيزه على ستة ملايين ثائر .. نفس المنطق والمنهج المعادي للإسلام والذي يريد أن يعطي مصر وجها نصرانيا .. ومن ذلك بناء الكنائس أو التحويل غير الشرعي من منزل لكنيسة وهو أمر لا يجرؤ أي مسلم على فعله .. لقد كانت علاقة متظاهري ماسبيرو بالمسيحية كعلاقة حملة البغال والحمير بالإسلام. مجموعة جاهلة مسكينة مستأجرة وضعوا على ألسنتها كلاما لا يتناسب مع تواضع مظهرها .. تخيلوا عربجيا يفند التعديلات ببراعة أفّاق من أقباط المهجر! لقد توقعت في النهاية أن يقدم لنا العربجي دراسة مقارنة بين القانون البابلي والروماني ثم يستشهد بـ «سوفوكليس» ويتحدث عن «الماجنا كارتا» ويسمّع قوانين الأمم المتحدة التي يحفظها عن ظهر قلب.

كانوا النائحة التي استأجرها أقباط المهجر ..

نائحة مستأجرة .. لكن المال جعل نواحها أعلى من النائحة الحرة!

ولم يكن ذلك وحده هو الذي أزعجني. كان ما أزعجني، وما يزعجني هو عملية الشحن التي تعرض لها هؤلاء المساكين في الكنيسة. لقد ضللهم كهنتهم وأقنعوهم بأنهم أصحاب البلاد وأن المسلمين غزاة. لذلك كان الغضب يكاد يدفعهم للانفجار.

لقد تورط الكهنة في قدر من الأكاذيب لا يكاد يصدق .. ولعلهم آمنون أن مقاليد الإعلام كلها في أيديهم فلن يجدوا من يكذبهم. ولقد كان من آيات ذلك ما تخرص به

كبيرهم عن عدد النصارى .. وعن المسرحيات التي تمثل في الكنائس وعن زكريا بطرس .. أما أشد الأكاذيب غرابة فقد كان ما قاله القمص عبد المسيح بسيط الأستاذ بكلية اللاهوت، الذي نشرت له جريدة «روز اليوسف» تصريحا أدلى به لزميلتنا ميرا ممدوح قال فيه: «كاميليا زاخر» ليست بالدير، وإنما بإحدى دور الإقامة بالقاهرة، وحضرت المظاهرات أمام مبنى ماسبيرو، ولا صحة لما يشاع عن إسلامها، وهناك من يحاولون إجهاض مطالب الثورة والمكتسبات التي حققتها بالنسبة لملف المواطنة.

ويعلق حسنين كروم بخفة ظله المعهودة في القدس العربي قائلا:

وهذا الكلام شديد الغرابة، لأن واقعة كهذه لو كانت حدثت لكانت الخبر الأول لوكالات الأنباء والصحف، ولأظهرتها الكنيسة وركزت عليها، أولا لإثبات أنها غير محتجزة أو معتقلة في أحد الأديرة، وثانيا لعمق إيمانها بالمسيحية.

والغريب أيضا أن يعترف بأنها في إحدى دور الإقامة، طبعا التابعة للكنيسة، دون أن يوضح سببا لذلك .. ويسخر كروم قائلا:.

وكنت قد شاهدت بين المتظاهرين من أشقائنا الأقباط أمام التلفزيون واحدة منقبة فهل يا ترى، يا «هلترى»، تكون كاميليا حتى لا يتعرف عليها أحد؟

ولماذا لم تظهر أيضا وفاء قسطنطين في المظاهرة ما دام قد تم السماح لكاميليا بالخروج من دار الإقامة حتى يتم حسم هذا الموضوع نهائيا.

وبصراحة هذا موقف غير مفهوم من الكنيسة، بل للأسف يعتبر عنادا وتشبها بعناد الرئيس السابق، على أساس أنهما كانا حليفين.

***

مظاهرات النصارى عند ماسبيرو وشغبهم الإجرامي في منشية ناصر والمقطم لم يكن فتنة طائفية ولا علاقة لها بكنيسة إطفيح بـ خطة موضوعة لبث الفوضى والترويع وصولا لمنع الاستفتاء على أمل تغيير ما اتفق عليه عسى أن يستمر الجيش في الحكم أو يأتوا برئيس على هواهم يقصي الإسلاميين كما أقصاهم نظام مبارك.

ولقد كتب عماد الدين حسين، وهو يعبر عن شكوكه في تحركات بعض الأقباط:

«ما هو ليس مفهوما بالمرة، هو موقف كثير من الإخوة الأقباط، سواء المعتصمين أمام مبنى التلفزيون في ماسبيرو، أو أولئك الذين يغلقون المحور عند ميدان لبنان حينا، أو طريق الأوتوستراد عند المقطم ومنشية ناصر أحيانا، لا أدري، هل يدرك هؤلاء ومن يحركونهم أنهم قد يدخلون التاريخ من أسوأ أبوابه، وقد يتذكرهم الناس بأنهم الذين حاولوا إفشال الثورة لمصلحة القوى المضادة المنتمية للعهد البائد».

ثم يواصل عماد قائلا:

«ويدرك عقلاء الأقباط أن قادة كنيستهم قد تاجروا بالقضية القبطية، ورهنوا كل مطالبهم العادلة عند النظام البائد، وكانوا ألعوبة وأداة في يد الأجهزة الأمنية (...) وعلى كل قبطي أن يدرك أن رهانه على أجهزة الأمن يشبه عشم إبليس في الجنة. يا أيها الأقباط، مبارك رحل، والحزب الوطني احترق، وأمن الدولة سقط، وليس أمامكم إلا التعاون مع الثورة والمشاركة في إنجاحها، أو فلتتحملوا مواجهة التاريخ».

***

في نفس المسار والسياق يندفع الحشاشون والسكارى فيتهمون السلفيين بالتمويل من الخليج الذي أشعل الثورة.

إنهم فروع من مباحث أمن الدولة ..

نفس الإجرام والوحشية والخسة والكذب ..

بل إنني أصر على القول أنه ما لم يكن هناك مثقف أمن دولة لما كان جهاز أمن الدولة قد توحش هكذا ..

أحدهم كتب يقول:: 'انتبهوا أيها السادة لأن بترول الخليج يستخدم أحيانا كوقود لإشعال باقي الأوطان، والذي يرى ما يفعله بعض السلفيين الآن بالوطن من محاولة تخريب الثورة يتحسر على أيام الإخوان، وعلى أيام مسلسل الجماعة الذي هو أرحم بكثير من مسلسل الحرائق، فهل ما يحدث له علاقة بتأييد إحدى دول الخليج لمبارك'.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

هذا هو أبو جهل في طبعته الأخيرة المحدثة يعمل مثقف أمن دولة .. وسوف يأتي بعده أبي لهب كي يجعل من كلامه مرجعا يحتج به بعد ذلك.

إنه يستشهد بمسلسل الجماعة .. يستشهد به بعد أن تتالت الاعترافات النجسة أن مباحث أمن الدولة هي التي أمرت بإنتاجه ..

أما وحيد حامد الذي طالما ارتدى قناع البطل .. الشريف .. النزيه .. النابغة .. العبقري .. الموهوب .. فقد سقط بكل أقنعته مع الجهاز الذي كان يوظفه: مباحث أمن الدولة.

ألم أقل لكم: أنهم مثقفو أمن دولة؟!

قدرة مذهلة على الكذب تجمع الليبراليين بالعلمانيين بالعدميين ولكن العجيب أن ينضم إليهم بعض الكهنة.

***

ولقد كانت دهشتي عظيمة من أولئك الذين لا يكفون عن الحديث عن الدولة المدنية .. وعندما قال الإسلاميون أن الدولة التي يدعون إليها دولة مدنية لها مرجعية إسلامية أصروا على تكذيبهم بل وعلى الاعتراف عليهم بالباطل أنهم أقروا واعترفوا بأنهم يريدون تأسيس دولة دينية. أصروا على موقفهم هذا ..

ولم ينبح منهم نابح عندما قال شنودة أن مرجعه الوحيد هو الإنجيل وأنه سيحارب لتطبيقه (ولم يكن الإنجيل مرجعه بل كان تفسيره هو له والذي يختلف معه فيه الكثيرون من النصارى).

***

لقد بكيت انفعالا وتأثرا وحنانا من الموقف الرائع المذهل لبعض المسيحيين إبان الثورة وهو موقف رواه لي أحد تلاميذي من الثوار ..

كان المسلمون قد اصطفوا للصلاة .. وكان المسيحيون يحمون ظهورهم .. وجاءت سيارات الإرهاب المركزي تقذف بالماء على الثوار وهو يسجدون .. وهنا حدث موقف لا ينبغي على التاريخ أن يغفل عنه أبدا .. موقف يؤكد أننا في رباط إلى يوم القيامة .. وأن

النصارى في ذمتنا وقلوبنا إلى يوم القيامة .. لقد اندفع النصارى الذين كانوا يحمون ظهور المسلمين ليسجدوا معهم ولتغرقهم المياه معهم ..

موقف من التوحد المذهل ..

والمؤاخاة المذهلة ..

ياالله ..

يا أحبائي وإخوتي وأبنائي ..

...

ولكن نهاية الحكاية تحوي بعض الكدر ..

لقد كان هؤلاء النصارى من الإنجيليين ..

أما معظم أتباع شنودة - إلا من رحم الله - فقد كانوا في الجانب الآخر .. جانب مباحث أمن الدولة ومثقفي أمن الدولة .. جانب الثورة المضادة .. جانب الطاغوت.

***

عفوا ..

لكنني قلت لكم من البداية أنني سوف أحطم قوانين البلاغة، ولن أحترم فنون المقال القاضية بحسن الختام بعد براعة الاستهلال .. وبنفس المنهج سوف أواصل على الفور بما قد يثير استياء القارئ ..

***

أعترف أن كراهيتي لنظام الحكم السابق لا تفوقها إلا كراهيتي للشيطان .. ولو تركت القلم لانزلاقاته وهواه لقلت أنني أبغضهم أكثر من الشيطان ..

حتى هنا لم أصدم القارئ ..

أما ما أصدم القارئ به فهو أنني لست سعيدا بالتنكيل بهم ولا بالشماتة فيهم.

على العكس .. أنا حزين. وحزين جدا ..

إنني عنيف كأقصى ما يكون العنف ضد الطاغوت طالما في يده سلطة. فإن تجرد من سلطته

لم يعد له في قلبي إلا بقايا كراهية أكبحها وبعض ازدراء وكثير من الرثاء ..

لشد ما ولطالما كتبت – على سبيل المثال – عن مبارك قبل أن يسقط .. فلما سقط انتهت الخصومة بيني وبينه .. حتى أنني قلت لنفسي: لو كنت محاميا لقبلت وكالته للدفاع عنه .. لا لكي يهرب من القانون بل لكي أنصره ظالما برده عن ظلمه .. ولكي أتوسل إليه أن يتوب توبة نصوحا بشروط التوبة النصوح.

لقد أبغضته أكثر مما أبغضت أي شخص آخر .. لكنني أرفض إهانته أو الشماتة فيه .. وكذلك أضلاع حكمه المدنسون ..

***

لكن هذا الإشفاق والازدراء لا يسري على مباحث أمن الشيطان .. لأن أفعالهم الشيطانية ما تزال مستمرة .. حتى بعد إلغاء جهازهم .. وحتى هم أبغضهم كمنهج مستمر .. كشر متأصل ودنس لا يمكن تطهيره إلا باقتلاعه من جذوره .. بإعدامه ..

أقصد إعدام المنهج .. أما الأفراد فبيننا وبينهم القانون .. القانون الذي يجب أن يطبق بكل حسم وحزم وصرامة .. بعيدا عن دائرة عادل عبد السلام!!

وعندما يخضعون للقانون سوف أرثي لهم .. كيف تخلوا عن بشريتهم ليصبحوا وحوشا وحيوانات مفترسة.

كيف تبلغ حماقة الإنسان أن يخير فيختار أن يكون كلبا شرسا لا بشرا ..

كيف؟!

إنني ضد الطواغيت ماداموا طواغيت .. فإذا كفوا عن أن يكونوا طواغيت ليصبحوا من المبتلين كففت عنهم.

وليس معنى هذا أنني أطالب بأي نوع من الرحمة بهم أو العفو عنهم .. لا .. بل ينبغي أن يكونوا عبرة .. لا نكاية فيهم .. ولا تلذذا بتعذيبهم .. وإنما ردعا لمن يأتي بعدهم.

ما أحرص عليه ألا تهان كرامتهم ..

إن الكرامة الإنسانية لا ينبغي أن تهان أبدا .. مهما كان السبب .. هي منحة الله لنا .. وليس من حق أحد أن يهينها .. بل إنني أصل .. إلى أن من يهين هذه الكرامة إنما يرتكب

كبيرة من الكبائر .. لقد خلق الله الإنسان وكرمه .. ولقد عامل المصطفى خصوم الإسلام كما لم يعامل قائد منتصر خصومه.

ذلك أن حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية لا تقبل الإلغاء أو التبديل أو التعطيل.

إن مجرد السباب منهي عنه .. كما أن الغيبة كبيرة من الكبائر فكيف بما يفوقها آلاف المرات .. كيف بالقهر والكذب والتزوير والتعذيب والترويع ..

إن السخرية أيضا محرمة .. فكيف بالتلفيق والتحقير والتشهير ..

لقد كرم الله الإنسان وليس من حق أحد إهانته. لقد أعطاه الله حقوقه وليس من حق أحد أن يسلبها منه. وهي حقوق شاملة لكل أنواع الحقوق، سواء الحقوق السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية .. كما أن هذه الحقوق عامة لكل الأفراد الخاضعين للنظام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة أو العقيدة.

***

ليس من حقنا إذن أن نهين مبارك أو العادلي أو حتى أحمد عز ..

ربما لا أنكر هدم الطواغيت الباقية حتى يتحولوا من طواغيت إلى مبتلين.

فلنحاكمهم ..

ولنصل إلى أقصى حدود الدقة والحسم والحزم والصرامة ..

وليصدر الحكم بسجنهم أو بإعدامهم شنقا أو حتى بقطع رقابهم .. لكن دون إهانة ..

لقد كان البعض سعيدا ومنتشيا وهو يتحدث عن إهانة رموز الفساد المسجونين .. عن قص شعرهم وتعفيرهم بالبودرة الواقية من القمل والبق بل وعن التحرش الجنسي ببعضهم ..

وكنت حزينا ..

هل يتغير العدو ويبقى المنهج كما كان؟

انظروا إلى ما فعله سيد الخلق ﷺ بالمشركين الذين فعلوا به وبصحبه الكرام رضوان

الله عليهم الأفاعيل عندما مكنه الله منهم ..

هذا هو الفارق بين منهج الإسلام ومنهج الكفر ..

أين بصمة الإسلام علينا ؟ وأين أخلاقه فينا ؟ أم أننا استبدلنا أوثانا بأوثان أخرى؟

سوف نسب مبارك كما سببنا السادات وعبد الناصر ومحمد نجيب وفاروق وأحمد فؤاد ..

نفس السباب .. وكأننا في حلبات المصارعة الرومانية أو أروقة محاكم التفتيش حيث الهمجية والوحشية والقسوة والتلذذ بعذاب البشر.

الإسلام غير هذا ..

الإسلام غير هذا ..

الإسلام غير هذا ..

***

ولا يحسبن القارئ أن هذا شعور طارئ أصابني عندما تقدم بي العمر ووهن العظم واشتعل الرأس شيبا ..

فمنذ ثلاثين عاما كنت أخوض معركة فساد كبرى .. وكانت معظم الصحف تهاجمني وعلى رأسها صحف سمير رجب .. ويوم إلقاء القبض على الطرف الآخر أرسل إليّ سمير رجب يقول أنه سيفرد لي في عدد اليوم التالي صفحتين كاملتين أقول فيهما ما أشاء .. ونظرت إلى الصحافي الذي كان يتوقع أن أطير من الفرح في إشفاق وأنا أقول له:

- يا مسكين .. أنا من مدرسة سيدنا علي رضي الله عنه .. ما دام خصمي قد سقط فإن خصومته تسقط على الفور .. وأكف عنه .. بل وأدعو الله أن يخفف عنه ويرحمه .. إنني ضد الفساد ولست ضد الفاسد نفسه .. بلا إنني لا أكف عن الدعاء له بأن يهديه الله ويرحمه ويتجاوز عن سيئاته.

نفس الإحساس أحسست به عندما انتشرت شائعة عن موت مبارك، أنا نفسي توقعت أن يستبد بي الفرح .. لكنني فوجئت بمدى حزني لأنه مات قبل أن يتوب.

***

الوجه الآخر لهذه المشاعر هو المحاكمة العادلة الحازمة مهما كانت نتائجها .. حتى لو

قضـت المحكمـة العادلـة – التـي لا تملي عليها مباحـث أمـن الدولـة الأحكـام – بـرجمهم فسوف نرجمهم دون ندم مترحمين عليهم في الوقت نفسه ترحم الرسول ﷺ على الغامدية.

***

نحن إذن ضـد التحقير والإهانـة ومع تطبيـق شرع الله والمحافظـة على كرامـة كـل نفـس وشعارنا:

- أليست نفسا؟!.

وفي الوقت نفسه .. ودون أي تناقض .. فإن علينا أن نواجه الطواغيت الخفية. علينا أن نواجهها بغلظة .. أن نكشف عوراتها ووسائلها في التضليل .. تلك الطواغيت التي تتسربل بمسوح القديسين ولكنها تفعل أفعال الشياطين ..

ولقد كنت مستعدا تماما لتقبل أخطائهم لو كانت نتيجة اجتهاد يؤجرون عليه أجرا لا أجرين ..

لكنهم يكذبون .. ولا يكفون عن الكذب أبدا .. بمنتهى الاحتقار للناس .. بمنتهى الكيد والخسة والخديعة .. إن أخطاءهم ضد الأمة مزدوجة .. مرة لأنها أخطاء ورزايا .. ومرة أخرى لأنهم يحاولون إقناع الأمة أن خداعهم لها إنما هو تضحية لأجلها ..

***

إننا نواجه طاغوتا انتهى خطره يستحق منا الرثاء .. وطاغوتا خفيا ابتدأ خطره يستحق أن نكشفه ونرفع عنه الغطاء ..

والحقيقة أن الأمر أخطر من أن أتركه دون بيان ..

فالطاغوت الأول يمثله ويقوده حسني مبارك ..

والطاغوت الثاني يمثله ويقوده يحيى الجمل ..

وهو ليس فردا .. إنما قائد كتيبة مهمتها الرئيسية محاربة الإسلاميين وعدم تعيينهم في أي منصب قيادي ..

إنه ملكي أكثر من الملك ..

مسيحي أكثر من شنودة ..

وهو يطالب بإلغاء المادة الثانية من الدستور .. بينما شنودة حذر أتباعه من المطالبة بإلغائها ..

إنه هو الذي اختار خليفة فاروق حسني .. وهو على شاكلتهما .

أبعد المثقفة الحقيقية – رغم الاختلاف – سكينة فؤاد وأتي بأبي غازي وله من اسمه نصيب ...

يحيى الجمل جاء بخطة معادية للإسلام .. ولأن الأمة مسلمة فهو ضد الأمة .. ولأنه ضد الأمة فهو ضد صندوق الانتخاب .. ولأنه ضد صندوق الانتخاب فهو يحاول البدء بالانتخابات الرئاسية. إنه يريد صناعة مبارك آخر، أيا كان اسمه، ينشئ حزبا وطنيا آخر أيا كان اسمه، سيلتف حول الرئيس كل من هم ضد الأمة، كل من يعلمون أن صندوق الانتخاب سيقصيهم. سيكونون حاشيته. سيمتلكون الصحافة والإذاعة والتلفاز ليشوهوا وعي الأمة وليزيفوا أصواتها بالتزوير المادي والمعنوي. إنهم كالطاغوت المجرم يرون الأمة قاصرة. ويرونها غير مؤهلة لاختيار مباشر لمن يحكمها فيريدون أن يتم ذلك من خلالهم.

إن يحيى الجمل هو استمرار لحملة اليسار الباطش الديكتاتوري المتحول من أحضان روسيا إلى أحضان أمريكا وإسرائيل .. تلك الحملة الموشاة بالكذب الأنيق والتي تواجه الإسلام منذ ستين عاما .. ومهما ادعت هذه الحملة فهي تصب في النهاية في مصلحة أمريكا وإسرائيل ..

مشكلة يحيى الجمل أن ملامحه بريئة جدا وتدعو للثقة لا للشك .. للتصديق لا للتكذيب ..

إنه يذكرني بضابط أمن الدولة المجرم قاتل كمال السنانيري عليه رحمة الله .. ولقد روى لي أحد أصدقائي كيف كان هذا الضابط يعذبه. كان صديقي يقيد راقدا وهم يمارسون عليه أقسى صنوف العذاب من حرق وصعق وجلد. وكان الطاغوت المجرم يجلس إلى جواره يقرأ الصحف ويشرب النسكافيه ويطفئ سجائره في جسده .. وكل آن وآخر يقرأ له خبرا طريفا عن ممثلة أو فيلم وهو يقول له: ألا ترى كيف أسليك بنفسي .. أرجو عندما

تخـرج ألا تشـهر بنـا كأصـحابك .. هـا أنـت تـرى كـم يـداعبك الشـباب ويهتمـون بـك ويدللونك. لكن .. على أي حال لا بأس .. لأنك لن تخرج أبدا!.

وفي إحدى المرات ظلوا يلوون ساقه ويضغطون عليها والخبير الأمني الشـهير- الـذي لا تكـف الفضـائيات عـن استضـافته - يهازحـه وهـو يصرخ حتـى انـكسرت السـاق .. والمجرم يقول له: هكذا أنتم أيها المعتقلون ..إما أن تكذبوا وإما أن تبالغوا .. هاهي ساقك سليمة .. ومد المجرم يديه يحرك بها العظام المكسورة والضـحية يصرخ والجلاد يقـول لـه: ألم أقل لك إنها سليمة؟

كان التناقض يذبح صديقي .. تماما كما يذبحنى أداء يحيى الجمل.

لكن الذنب ليس ذنب يحيى الجمل .. وإنما ذنب من أتى به ..

وثمة سؤال يوجعني أوجهه لمن أحبهم وأحترمهم ..

للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ..

لماذا تستعينون بأعدائكم .. ؟!

لماذا تصرون على استبقاء الطابور الخامس في مؤخرات صفوفكم ..؟

لماذا لم تقيلوا المحافظين والمجالس المحلية ورؤساء الجامعات ..؟

لماذا لم تحلوا الحزب الوثني؟ ..

لماذا أمّنتم القلب وتركتم حشود الأعداء تحتل كل ما حول القلب فلا تكف عن قصفه وبلبلته وتوجيه الصواريخ والسهام إليه ..

لماذا تركتم – وما زلتم تتركون – البغال والحمير تواجه الثوار وتحاول سرقة ثورتهم.

لماذا لم تكونوا أكثر حزما مع النصارى المعتدين وبلطجيتهم .. لقد استمرءوا أن الأمن كان في صفهم دائما أيام الطاغوت فلماذا يستمر قهر المسلمين؟

لماذا تتركون خطوط الثورة المضادة مفتوحة تنال منكم طول الوقت؟

لماذا؟

لماذا أتيتم بلجنة عظيمة لتعديل بعض مواد الدستور ثم تركتم الإعلام بهيكله القديم

الخائن يمزقها ككلاب مسعورة دون أن يتاح لها حق الرد المتكافئ؟ لأن الميزان معوج. ميزان المحسوبية والنفاق والإجرام .. ميزان خيري وتامر!!

لماذا ..

لماذا ..

لماذا ..

لقد قال هيكل عن وجود مبارك في شرم لشيخ أنه بؤرة للثورة المضادة ..

أما أنا فأقول إن البؤرة هي يحيى الجمل ..

فلماذا أتيتم بيحيى الجمل ؟؟ [1].

لقد طلبتم من الثوار أن يثقوا فيكم ..

وهو طلب لم يطلبه الصديق ولا الفاروق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .. بل طلبوا منهم أن يقوموا الاعوجاج ولو بالسيف

فهل أكون مخطئا إذا ضننت عليكم بالثقة المطلقة ..

وهل أكون مخطئا رغم حبي لكم وثقتي المشروطة فيكم إن لعبت بي الهواجس؟.

***

حاشية ١

هذا رابط مقال بالغ الأهمية كتبه مسيحي يرد به على المعوقين فكريا من المسلمين والمسيحيين.

بالمناسبة.. هذا الكاتب العظيم حذر شنودة كثيرا قبل ذلك من تسييس الكنيسة أولا ومن التحالف مع الطاغوت ثانيا..

هذا الكاتب أفضل من معظم كتاب النخبة .. بل وأكثر فهما من بعض شيوخنا

رابط المقال:

http://www.almesryoon.com/news.aspx?id=51736

(١) فيما بعد : سيناشدني القراء أن أكتب مقالاً بعنوان : أيهما أخطر : عصام شرف أم يحيى الجمل !!

حاشية ٢

مع كل حبي واحترامي للجيش:

أناقشك في التكتيك!:

كيف حميت القلب ثم تركت قواعد الثورة المضادة تقصفك وتقصفها من كل الأنحاء..

لماذا؟

لماذا؟

لا أفهم.

***

حاشية ٣

يا أخي الحبيب الدكتور وجدي غنيم..

أعتذر لك..

اختلفت معك في أمر عمرو خالد..

وأحسبك كنت على صواب.

***

حاشية ٤

ثمة وضع محزن.. ورغم أنني كنت أتوقعه إلا أنه فاجأني..

بلطجية الثقافة..

بلطجية المثقفين..

ضيق الأفق والغباء والانتهازية والقدرة المذهلة على الوقاحة والسوقية باعتبارهما بديلا عن المنطق وقوة الحجة.

ما هو محزن أكثر.. أن الكثيرين جدا يزعمون أنهم من شباب الثورة..

وأنا أشك تماما في ذلك..

فليسوا سوى مجموعة من العدميين يرسفون في أغلال مذهلة من الغباء والجهل والتعالي..

حسبنا الله ونعم الوكيل.

و: استر يا رب!

***

حاشية ٥

عمرو موسى .. عمرو خالد.. البرادعي.. أيمن نور..

يا للحصاد الهزيل..

لا أحد منهم يصلح..

***

حاشية ٦

أتمنى وأظن أن يفوز من يقولون نعم في الاستفتاء بنسبة ٧٠٪..[1]

لكنني مذهول من حجم الثورة المضادة وقدرتها على تزييف الوعي..

مذهول من قدرة الجماهير على الانخداع..

مذهول من تصدر شنودة للثورة المضادة: ليس كزعيم ديني بل كسياسي منحرف.

حاشية ٧

ساويرس:

كم مليارا أنفقت؟

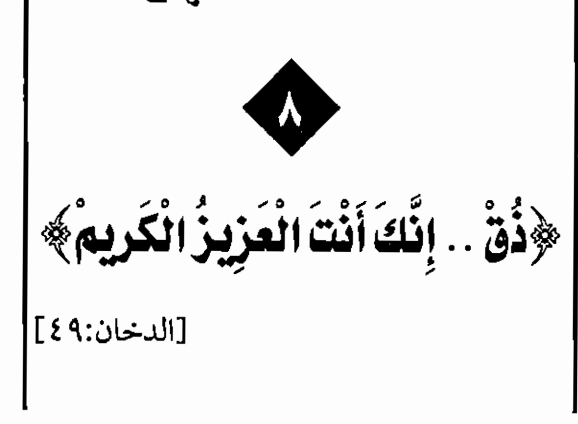
وكم مليونا اشتريت؟!

وأي فساد أفسدت؟!

(١) نشر هذا المقال على موقعي وعلى موقع العرب نيوز وفي مجلة المختار الإسلامي يوم ١٠ مارس ٢٠١١، قبل الاستفتاء بتسعة أيام. كان إعلام ساويرس يؤكد أن من سيقولون لا سيتجاوزون التسعين في المائة. وكان الإعلام الحكومي يؤكد ذلك. لكنني توقعت وكتبت أن من سيقولون «نعم» سيكونون ٧٠٪. وتجاوز الواقع ما توقعته لتكون النتيجة أكثر من ٧٧٪.

هلاك الفاجر





﴿ذُقْ .. إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾

[الدخان:٤٩]



سبحانك .. لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين.

سبحانك

سبحانك يا مَالِكَ المُلْكِ يا من تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ.

سبحانك..

هؤلاء هم الذين أقسموا من قبل ما لهم من زوال..

سبحانك..

يسكن مساكنهم سواهم.. ويذهب كل ما جمعوه قبض الريح هباء منثورا..

سبحانك..

ما زالوا بعد في الدنيا لكنهم غمسوا في عذاب الدنيا غمسة أنستهم كل متعهم الحرام.

سبحانك..

جل وعلا شانك..

ما قدروك حق قدرك..

ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من انتقامك..

غفلوا عن أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجابٌ ..

سبحانك..

انظر إلى من يتبرأ اسمه منه خائفا مرعوبا بلا حول ولا قوة فأتمتم مرعوبا :

سبحانك .. لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين.

انظر..

أرأيت كيف جعل الله تدميرك في تدبيرك..

أرأيت كيف أخذه..

لقد مكرت.. أفرأيت مكره؟!..

وإن كان مكرك لتزول منه الجبال ..

أفرأيت ما فعل بك..

ظللت عمرك تشيد الحصن الذي يمنعك وأهلك ويحقظ الملك لك ولأحفادك.. وخيل لك الشيطان أن هذا الحصن هو أن تمنع تكون أي زعامة للمعارضة يمكن أن تقودها.. وقطعت الرؤوس وفتحت السجون وعمّت المعتقلات وخرّبت الوطن..

ولقد فعلت ذلك كله في العلن وما فعلته في الخفاء كان أعظم..

ولقد تعاونت مع أمريكا وإسرائيل لإهلاك بيضة الإسلام والمسلمين.. يا خائن..

قتلت أو سجنت أو شوهت كل زعامة محتملة..

فلما جاءت القارعة رحت يا أحمق تبحث عن زعامة للمعارضة حتى تستطيع التفاوض معها والتأثير عليها.

لم تجد..

يا مسكين لم تجد..

يا أحمق لم تجد..

وكان مستحيلا أن تفاوض عشرة ملايين..

أرأيت كيف استدرجك؟!..

أرأيت كيف نبذك؟

أرأيت كيف تنبذ في شرم اليوم وفي المستشفى العسكري غدا وفي طرة بعد غد؟

أرأيت؟

الآن..

الآن تنطقها..

ما أظنك نطقتها منذ عقود.. منذ عهود..: «ربنا كبير»

آآآآلآآآآآآآآن:

الآن عندما ألبسك لباس الخوف تقولها فلم لم تقلها رافلا في ثياب النعمة..

الآن .. تحت الفزع وتحت الجزع وتحت الروع تقولها..

أخائف......؟!!!

أمهطع أنت ؟ أمقنع رأسك لا يرتد إليك طرفك وفؤادك هواء؟

يا طاغوت ما أجهلك.. أغرك أنه أمهلك فحسبت أنه أهملك..

أردع قلبي فأحذره من الإشفاق على الطاغية السجين.. أصرخ فيه؟

- الشماتة إثم والإشفاق إثم.. وحال المؤمن حقا يجب أن يكون بعيدا عن هذا وذاك.. يجب أن يكون مرعوبا من أخذة العزيز الجبار المقتدر للظالمين..

أجل.. يجب أن نتجنب الشماتة والرغبة في الانتقام.. وأن نتذكر دائما.. أن الحساب الحق والانتقام الحق ليس هنا.. وإنما في الآخرة.. أما في الدنيا فعلينا ألا نؤمن بمقولات الفجار من أن الغايات تبرر الوسائل.. لا.. نحن: لا.. وسائلنا يجب أن تكون مخلصة وصادقة وشريفة.. ولا يليق بنا نحن المسلمين أن نفعل بهم ما فعلوه بنا.. لقد كنا ضدهم طالما كانوا في الحكم.. فلما انسحب السلطان من تحت أقدامهم انتهت عداوتنا لأشخاصهم ويجب أن نوفر لهم بشريعة الإسلام المعجزة كل الضمانات التي يوفرها الإسلام للمتهم ومنها أن القاضي لا يحكم بعلمه ومنها أن القاضي: سيدنا علي بن أبي طالب رفض شكوى رفعها إليه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب-رضي الله عنهما- لعدم توفر الضمانات الشكلية في الشكوى بل وهدده بأن يقيم حد القذف عليه إن لم يسحب شكواه.

نحن لسنا مثلهم.. لا نفعل أفعالهم.. لا نعذب تعذيبهم.. لا نزور تزويرهم.. نحن شرفاء.. ونحن مؤمنون.. وليس المؤمنون كالمجرمين.. وليس المسلمون الأبرار كالمجرمين الفجار. . ليس المؤمنون الأطهار كالكفار..

نحن نختلف..

علينا أن نتذكر كيف تعامل سيد الخلق مع من أساءوا إليه..

وعلينا أن ننفذ أوامره وضوابطه في محاكمة المجرمين..

إننا ضد شماتة الغوغاء الهمجي وكأننا في غابة..

هم يفعلون ذلك لأنهم ليسوا مسلمين..

فإذا أورثنا الله منازلهم علينا ألا نفعل ما فعلوا وإلا بؤنا بها باؤوا.

ليس علينا أن نفعل بهم ما فعلوه بنا..

علينا أن نعتبر..

وأن نستغفر..

لأننا رغم إيماننا ننسى أحيانا أن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون.. وننسى أنه سبحانه وتعالى لا يعجل بعجلة أحدنا.

فلنعتبر..

ألتفت إلى الظالمين وعلى رأسهم مبارك فأجدني أصرخ فيه بكلمات مغسولة بدموع الخشية من الله:

ذق إنك أنت العزيز الكريم..

أتذكر مقالة كتبتها بنفس العنوان منذ حوالي خمسة عشر عاما.. كانت لكل طاغوت.. ولو نشرتها الآن كلها لظن القارئ أنني ما كتبتها إلا لمبارك كي أصرخ فيه:

ذق إنك أنت العزيز الكريم..

قل لي – أيها الطاغوت– من معك الآن ؟

الله أم الناس أم الشيطان؟

بل أنت نفسك كم من ضلوعك والخطوب تفيض قد وقفت معك.

الآن وحيدا أنت.

غريبا أنت.

بعيدا عن الأضواء أنت.

يتحدثون عنك ولا تتحدث.

يتهمونك بها ليس فيك فلا تستطيع الرد.

نفس ما فعلته في خصوم.

فسبحان الله ..

لكنك كنت قد نَسيت فكذلك اليوم تُنسي..

يالها من وحشة موحشة تلك التي يستوحشها من لم يجعل أكبر همه أن يأتنس بالله، وأن يرعي حقوق الله كأنه يراه، فإنه إن لم يكن يراه فهو يراه، من غفل، من سمح لما يملأ عينيه بأن يدخل قلبه، أو لما مس يديه أن يملك لبه.

يا لها من وحشة.

قل لي فيم تفكر الآن؟.

لمن تشكو همك ؟.

هل تقدر أن تفصح؟.

الآن تقول أن الله كبير..

الآن تلتمس العون وتلجأ للدعاء؟!

الآن أنّــى تجد العزاء؟!..

لكن:

أين تذهب الدماء التي تحملها في عنقك وصرخات المظلومين لن يزيلها شيء مهما فعلت، حتى التوبة، ذلك أن الله تباركت أسماؤه وتعالت يغفر لك بالتوبة -إن شاء- تقصيرك في حقوقه أو خطايا قلبك ونفسك وروحك، لكنه تكريما لعباده وعبيده لا يغفر لك ما فعلته بضحاياك حتى يغفروا، فهل تظن أنك يا محمد حسني مبارك (ويا لرعب أن يتبرأ اسمك منك يوم القيامة) تظفر بمغفرة كل هؤلاء الآلاف الذين أهدرت دماءهم وهتكت أسرارهم وأعراضهم، وروعتهم، وحبستهم، ثم حبستهم بعد أن أفرج القضاء عنهم، ومن لم تجده اتخذ رجالك -بل شياطينك- من أهله رهائن.

سوف يرعبك دائما – يا من يتبرأ منه اسم محمد– تذكر أن من لم يَرحم لن يُرحم.

سوف يرعبك أن تذكر إن كنت تعلم أو تعلم إن كنت تجهل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ .

أنت..

أنت يا من يتبرأ منه اسمه منعت مساجد الله وسعيت في خرابها وقتلت فيها المصلين وقصفتها بالآر بي جي..

أنت أيها المعرض عن آيات الله..

أيها المقر أخيرا جدا أن « ربنا كبير».. كيف تسمع الآن :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ .

يا ظالم أمته ونفسه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾.

يا من حكم بغير ما أنزل الله ولم يحكم بما أنزل الله..

يامن برئت من المؤمنين وواليت اليهود والصليبيين : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .

أشك أنك ستتخلى رغم القوارع عن غرورك وعنادك..

أشك أن تمتلك من البصيرة ما تراجع به نفسك.. يا أعمى.

أشك أن تسأل نفسك كيف خدعك الشيطان وغرتك الأماني.

لم تكن بالطبع تدرك عمق القاع الذي ستصل إليه، والذي برغمه لن تصل إلى اكتساب رضا من دفعك إليه، لقد استبدلت -يا من يتبرأ منه اسم محمد- السوط بالصوت والسيف بالسوط فكنت الباغي، وعلي الباغي تدور الدائرة.

أشك أن تسأل نفسك لم فعلت ما فعلت وكيف فعلت.

كنت كلما سمعتك تتلو آية من القرآن في احتفال ديني أسأل نفسي:

- ألا يخفق قلب هذا الطاغوت من وقع آيةٍ مما كتبوه له ليتلوه دون فهم أو تدبر.

أشك أن تذكر الله قبل أن يغزوك الروع و لخوف والفزع فيصيبك الرعب من كل همسة، والفزع من كل حركة، ويتهدم الجبروت القديم فإذا بك إنسان ضعيف ربما يهتف : يا رب.

ساعتها، ساعتها فقط يستيقظ الضمير، ويدعو الإنسان ربه.

آنها

آآآآآآنها.. تذكره.. فتذكر..

تذكر مصارع ضحاياك، وأنت تذوق ملح الدمعة تضنيك مرارته وتحرقك حرارته، تذكر. تذكر دموع أم علي ابنها، ودموع أب علي وحيده، ودموع أبناء علي آبائهم وأمهاتهم.. ودموع أمة على دينها وشعوبها.

تذكر أيها الطاغوت..

تذكر..

تذكر صراخ ضحاياك وهم يُجلدون.. وهم يجأرون.. وهم يستغيثون فلا يغاثون.. بل يسخر جلادوك يا طاغوت منهم من ربهم..

تذكر وأنت تستغيث فلا تغاث وتدعو فلا يستجاب لك.

تذكر جرأتك على الله وحلمه عليك..

تذكر دموع ضحاياك، سائل نفسك ولو للحظة هل كانت دموعهم دموع خزي وعار مثل دموعك الآن أم دموع محاولة للصمود في البداية، ثم محاولة إخفاء للألم، ثم ضعف ثم استنجاد ثم توسل ثم رجاء لمن لا ترجي منه رحمة.

كان ضحاياك الذين أدخلتهم السجون يدخلونها بهامات مرفوعة وأوزار يحسبونها بإذن الله موضوعة وابتسامة استعلاء المسلم على شفاههم وعلامة النصر يرسمونها بأيديهم.. كانوا هم كذلك فكيف فعلت أنت وبنيك وصاحبتك التي تؤويك ومن في الأرض جميعا لا يملك أن ينجيك أو حتى يواسيك.

تذكّر ضحاياك..

تذكر المحاكم الاستثنائية..

تذكر أن من أعدموا في عهدك لأسباب سياسية يفوق من أعدم في مصر منذ عهد الفراعنة حتى الآن

فاستعرض في حدائق الشيطان غرسك.

تذكر ضحاياك وقتلاك ومن عذبتهم..

وتذكر الرهائن وفيهم العجائز الذين جاوزوا السبعين وفيهم الأطفال.

تذكر يا جبار الأرض ما يفعل بك جبار السماوات والأرض..

تخيل ما حدث لرجل وهم يهددونه باغتصاب زوجه، ولشيخ يهددونه بقتل ابنه، ولابن كان يخشى على أبويه من النسيم فإذا بشيطان مريد من جلاديك يسبهما سبابا قبيحا يهون عليهما الموت دونه لكنهما يضطران للصمت خوفا علي ابنهما .

تذكر يا طاغوت يا جبار يا قاسي يا عنيد يا متكبر.

اهنأ بوحشتك فلن تكون وحيدا ولعلك تأتنس بذكريات صراخ آلاف المعذبين، ولعل أرواح من استشهدوا على أيدي رجالك تحوم حولك فاهنأ.

سوف تمر السنون ويعلم الله ماتأتينا به، لكن، إن انقسمت مصر إلى دولتين أو ثلاث، إن انشطرت أو خربت أو أفلست أو احتلت، أو نشبت فيها حرب أهلية كما يخطط أعداء الدين والوطن فتذكر أنك كنت السبب والمخلب.

إذا انهار العالم العربي والإسلامي فتذكر أنك يا ولي أعدائنا أنت السبب..

إذا حكمت إسرائيل بلدنا فتذكر أنك أنت السبب.

إياك أن تعزي نفسك ساعتها بأنك لم تكن تعلم، إياك فقد حذرناك فلم تحذر ونصحناك فلم تنتصح فتأكد، تيقن، ثق، من أن ملايين القلوب تتضرع إلى الله أن لا يغفر لك، وأن يجازيك بشقاء الدارين، لأنك قد وليت من أمر المسلمين أمرا فشققت عليهم، وأن الصالحين سيخشون أن تتوب فيقبل الله توبتك، تماما مثلما فعلوا مع الحجاج.

أقسم بالله العلي العظيم غير حانث أننا كنا نتواصى بالدعاء في ليلة القدر عليك وعلى كل ظالم ألا تعود علينا ليلة قدر أخرى و أنتم معنا، أن يفصل الله بيننا وبينكم، كنا نتواصى بالدعاء عليك وعلى آلك وعلى حاشيتك وأصحابك وضباطك وكتابك. لقد طغى يا رب .. فاللهم لا تجعل له بعد على عبدك المؤمنين سبيلا، اللهم اجعله آية واجعله عبرة واغفر لنا يا رب ما علمت بنا من ضعف جعلنا نعجز عن عقابه فعاقبه أنت بمثل ما عاقَبنا به تشف صدور قوم مؤمنين، اللهم أذقه من الكئوس التي أذاق منها عبادك واكشف في الدنيا أمره و أعلن سره واهتك ستره، اللهم لقد وُلِّي علينا فشق علينا فاشقق

يا رب عليه. اللهم لقد كان يعرف بالتعذيب والتزوير والكذب لكنه صمت عن الحق يا رب بعد أن باعه بثمن بخس، بل إنه أمر بالباطل وكره الحق.. فاللهم لا تمتعه بما باع الحق به، وأَجْرِه -يا مسبب الأسباب بلا سبب- علي لسانه بالرغم منه كي يكون لمن يأتون بعده عبرة وآية. اللهم لقد قلنا لهم كل ما وفقتنا لقوله ماطلبنا به جزاء ولا شكورا وما أردنا سوى وجهك، وأنت تعلم يا علام الغيوب أننا ما واجهناهم بالحق كي ننزع عنهم سلطانا ولا لكي ننازعهم فيه وإنما أردناهم أن يقيموا الحق فأبوا فأكبَّهم يا رب على وجوههم وانزع منهم يا رب سلطانا لم يعطوه حقه.

يا طاغوت:

لقد كان أوغادك – يا من سيتبرأ منه اسمه – يسخرون من دعائنا

الآن..

الآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآن.. هل أدركت قيمة الدعاء؟

في كتاب: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي يتحدث عن نكبة البرامكة قال جعفر البرمكي لأبيه وهم في القيود والحبس: يا أبت بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس؟ قال فقال له أبوه : يا بنى دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها .

هل تخاف على أولادك؟

فماذا عن عشرات الآلاف بل مئات الآلاف الذين دمرتهم ودمرت آباءهم وأمهاتهم وأسرهم؟

هل تنكر يا طاغوت.. يا مجرم.. أن فرقة كلاب من أخس فرق كلاب أمنك كانت مهمتها غواية أبناء وبنات الإسلاميين كي يكونوا سبة لآبائهم ودليلا على فساد منهجهم.. لم يكن منهجهم يا مجرم بل منهج الله وشريعته؟

هرمنا يا طاغوت حتى استيأسنا فإذا بنصر الله طوفان يكتسحك وآلك وحاشيتك كما يكتسح الطوفان القاذورات ويطهر الأرض منها.

كنت واثقا أن أمرك سينتهي بطريقة الطوفان الذي يكتسح التفاصيل جميعا.

وكنت أعزي نفسي عن ألم التفاصيل اليومية بهذا.. كنت أقول أن هذا كله يأتي أجزاء لكنه سينتهي بالجملة..

وأنا الآن واثق أن إسرائيل ستنتهي بهذه الطريقة.. طريقة الطوفان.. وأنها ستنهار وتتفكك كأن لم تكن في أيام أو أسابيع قليلة.

هل تدعو أن ينجيك الله؟.

هل تكتشف الآن أن «ربنا كبير»؟.

هل تكتشف أنت ذلك في نفس الوقت الذي نكتشف نحن فيه أن جيوب الكفن قد اتسعت لعشرات المليارات؟

لكن هذه كانت أقل جرائمك .. فبأي جرائمك أذكرك؟ بل أذكر نفسي.. لأنني بحق الله الواحد القهار أستعين بالتذكر كي لا يحنو قلبي عليك.. أيها العجوز البائس المتهدم الذي يطلب الموت فلا يجده.

قل لي : هل تشعر بالخوف الآن؟

قيل... أنك كنت ترتعد..

كم ارتعد الناس قبل ذلك منك ومن كلابك ومن كهرباء كلابك..

والآن.. هل جاء دورك لتخاف؟

هل أدركت أن من خاف الله أخاف منه كل شيء ومن لم يخفه أخافه من كل شيء؟!.

أرأيت كم أن أخذ ربك أليم شديد؟..

أعترف:

إنني طالما دعوت عليك ألا تموت قبل أن أراك تحاكم- وهذا مكتوب ومنشور-.

أعترف أنني كنت أتوق إلى أن أتذوق حلاوة طعم إثم الشماتة فيك.. لكنه إثم لم أستطع الاستمتاع به.. لأن كارثتك ومأساتك تتعدى شخصك ليصبح جلال العبرة والاعتبار والخوف من الله هو المهيمن.

بأي جرائمك أذكرك يا من يتبرأ اسمه منه يا أكثر من أساء إلى الإسلام والمسلمين

والعرب منذ عبد الله بن سبأ وكمال أتاتورك.

كلاهما كان يزعم أنه مسلم.

بأي جرائمك أذكرك؟..

بعمولات السلاح؟ بتدمير اقتصاد الوطن؟ بهدم الأحزاب والنقابات؟ بدفن النفايات؟ بالتزوير والتعذيب؟ بما فعلته بالقضاء؟ بترويعك للشرفاء؟ باصطفائك للصوص والخونة؟ بأكل أموال اليتامى في المعاشات؟ بنهب الأموال الحلال والمحافظة على الحرام. بتقليصك عدد الجيش ومضاعفة عدد الشرطة تماما كما تقول بروتوكولات حكماء صهيون. الشرطة التي لم تحم عرشك يا طاغوت؟. هل أذكرك بما فعلته في العراقيين؟ بآلاف العراقيين.. بمئات آلاف العراقيين.. بل بملايين العراقيين.. هل أذكرك بما فعلته في الفلسطينيين؟ وأنت تترك إسرائيل تشعل النار حولهم من كل مكان فليجؤون إليك يستغيثون بك فلا تغيث بل يهددهم كلب من كلابك أنه سيكسر أقدامهم.. يا كلب جهنم!!.

هل أذكرك بما فعلته في الأفغان؟

بأي جرائمك أذكرك؟

بحبك أن تُحمد بما لم تفعل؟ أم بادعائك البطولة حين كنت خائبا؟ أنت لم تكن بطل الحرب الجوية عام ٧٣.. وعندما جد الجد عجزت عن حماية حائط الصواريخ بسلاح الطيران فتمكن اليهود من تدميره جله .. ولا نتحدث عن عجزك في الثغرة وعجزك عن حماية الجبهة بعد تدمير حائط الصواريخ.

بأي جرائمك أذكرك؟

بعملية نزح الثروة والقيم والمبادئ والحرية والشرف؟ بنشر الفساد نشرا منهجيا متعمدا حتى لقد أصبح الفساد ليس سلوك أفراد تحاربه الدولة وتتربص به، بل سلوك دولة يحاربه أفراد فتتربص الدولة بهم . تغلغل الفساد حتى إلى جهات كانت مهمتها محاربة الفساد، ولم يعد نبتا شيطانيا بل شجرة زقوم هائلة تتشابك جذورها مع جذور السلطة وتتساقط ثمارها عليها.

بأي جرائمك أذكرك؟

بإشاعة الفاحشة والكفر بين المؤمنين..

هل أذكرك بـ: وليمة لأعشاب البحر؟.

هل أذكرك بمحاربتك الإسلام وأنت خطأ..

أم بتعضيدك لشنودة وهو خطأ؟.

يا أهم سبب للفتنة الطائفية بل للفتن جميعا في بلادنا .

هل أذكرك بأنهم سموك ذات يوم مستر سنت؟!.. وكانوا يقصدون أنك تختلس سنتا من كل دولار يدخل أو يخرج من مصر.. كان هذا في بداية حكمك وأظن أن النسبة زادت بعد ذلك.

هل أذكرك بتخريب الصناعة وتدمير الزراعة والقضاء على الشفافية الذي لا تتم تجارة أو نمو بدونها.

هل أذكرك بأبنائك وحاشيتك وأعوانك وهم جرائمك الحية؟

هل أذكرك بمجالس الخسة والكذب والجريمة التي ابتدعتها كي تكون مجالس شعب وشورى ومحليات؟.

هل أذكرك بتدميرك الأمن القومي العربي والإسلامي بل والمصري حين أصبح الإسلام إرهابا والاستسلام سلاما وفلسطين عدوة وإسرائيل صديقة؟.

هل أذكرك بأنك قتلت الصدق والشرف والشهامة والشجاعة ونشرت ما هو نقيضها؟.

هل أذكرك أيها الطاغوت المجرم بنداءاتي لك أن تسمعني و أنا أتوسل إليك أنه قد لا يكون بينك وبين الجنة إلا أن تسمعني فتتوب فتدخل الجنة وأننا سنحشر معك يوم القيامة إلى الله حفاة عراة غرلا . ويصك النداء آذاننا، يسمعه القريب كما يسمعه البعيد :

أنا الملك أنا الديان..

حين يقبض الله الأرض ويطوى السماوات بيمينه ثم يقول :

«أنا الملك أين ملوك الأرض، أين الجبارون أين المتكبرون»؟

فهل فكرت أيها الطاغوت بم تجيب ساعتها.

ألم يجعل سمعا وبصرا ومالا وولدا، وسخر لك الدنيا، فبم تجيب ؟

لقد استرعاك الله علينا ومن استرعاه الله أمة محمد فمات وهو غاش لها حرّم الله عليه الجنة .

هل أذكرك بأنك كنت منفذا ممتازا لبروتوكولات حكماء صهيون؟

هل أذكرك يامن رفع راية إعلان الحرب على الإرهاب أنك كنت أكبر إرهابي في بلادنا؟.

يا من يتبرأ منه اسمه.. يامن تفوق على أبي جهل وأبي لهب .. يا من ارتديت رداء الإسلام لتسهم في تشكيك الأمة بصلاح دينها لممارسة حياتها وحكم أمورها، وتلك والله والله فرية عظمى وإفك أكبر فبأي جرائمك أذكرك؟.

بأي جرائمك أذكرك؟

بأي جرائمك أذكرك؟

أيها الطاغوت المجرم؟

ألم تسأل نفسك قط أين الملوك والحكام قبلك وقد بعدوا ونسى ذكرهم وصاروا كلا شئ، لقد بقيت عليهم التبعات وانقطعت عنهم الشهوات، مضوا والبنيان بنيانهم يملكه غيرهم ؟

أيها الطاغوت المجرم..

لست سعيدا بما يحدث لك..

ورغم أنني أعرف الله وقدرته إلا أنني أُخذت بما حدث لك أيها الطاغوت أيها الجبار فإن كانت هذه قدرة الله عليك فكيف تكون قدرته عليّ.. وما أنا وأنت إزاء قدرته بأكثر من العدم.

ملأني الرعب من قدرته عليّ وأنا أرى قدرته عليك..

منعني الخوف من أن أفرح بالقصاص منك..

لكن..

لا قصاص قبل محاكمة عادلة وضع الإسلام ضوابطها..

محاكمة ينفذ فيها شرع الله لأنه شرع الله.. ليس لأننا نريد الانتقام منك.. قصاص دون إهانة لكرامتك أيها الطاغوت الذي عاش يسحق كرامتنا..

أردع قلبي كي لا يرثي لك وقد غادرتك قوتك وانهارت صحبتك ولم يبق منك سوي عجوز بائس يرتجف..

ولا أستطيع أن أطمئنك أو أن أواسيك..

لأن العكس هو ما أستطيع أن أقوله لك: فليس عذاب الدنيا بشيء إزاء عذاب الآخرة.

أيها الطاغوت :أنا عاجز عن الشماتة فيك..

كنت أتمنى ارتكاب هذا الإثم.. لكنني عجزت عن ارتكابه..

ومن بين دموع الاعتبار والخشية والرعب لا أملك إلا أن أقول لك:

ذق..

ذق إنك أنت العزيز الكريم.

ذق..

ذق.. إنك أنت العزيز الكريم



هلك الفاجر



الجيش.. والاستفتاء.. والمحللون
.. وهيكل.. وأرامل أمن الدولة

أمران..

يومان..

انكساران..

هزيمتان..

أولاهما هي الحزن الأكبر في حياة الأمة..

وثانيتهما هي الفرحة الكبرى في حياة الأمة!!..

أما الأمر الأول.. اليوم الأول.. الانكسار الأول.. فهو هزيمة جيشنا الحبيب الغالي في يونيو ٦٧ تحت وطأة عدم كفاءة قيادته وحماقة رئاسته وغطرسة سياسته ودهاء فيلسوفه ومنظره الأول-هيكل- الذي انقلب دهاؤه ليصير وبالا علينا، حيث اجتاح طوفان الألم الأمة وابتلعت الدوامة الهائلة نفوسنا الكسيرة المذهولة الحزينة المصعوقة ليصبح ذلك الألم- ألم الهزيمة- أكبر ألم شخصي في حياة كل من عاشه منا. كانت الهزيمة هزيمة كل شخص. وفي نفس الوقت كان كل شخص كأنه هو وحده الذي يحمل كل عار الهزيمة وذلها وألمها. ألم ما زلت أحس بلهيب حريقه في قلبي ومرارته في حلقي ودموعه في عيني وأنا أستعيده الآن وأكتب عنه.

أما الأمر الثاني.. اليوم الثاني.. الانكسار الثاني.. الهزيمة الثانية.. فقد كانت فرحتنا العارمة الكبرى.. وتحولت هي الأخرى إلى طوفان من السعادة الغامرة والنشوة العارمة حتى أصبحت أسعد يوم في حياة كل من عاشه.. كان ذلك يوم انهيار الشرطة المكلفة بكبح المظاهرات ومباحث أمن الدولة أمام الشعب.

كان الأول صوت ضمير الأمة ووجيب قلبها ومحط أملها وبؤرة ألمها فاستحق حبها واحترامها وفرحتها بانتصاره..

وكانت الثانية سوط الطاغوت على ظهر الأمة وجمر النار في قلبها فاستحق بغضها وازدراءها واحتفالها بتمزقه وانكساره.

الجيش شرفنا وعزتنا وكبرياؤنا وسويداء قلوبنا وفلذة أكبادنا (ولكن ذلك لا يعني

أي حصانة له من انتقادنا).

أما الشرطة السياسية -خاصة- فقد كنت انتهاك شرفنا وذلنا وامتهاننا وأعدى أعدائنا حتى نشأ مصطلح جديد في علم السياسة اسمه الاحتلال الداخلي.. وهو أمر وأقسى وأخطر من الاحتلال الخارجي. وستظل صرخة أحمد من العريش تدمي قلبي وهو يقارن بين بطش وإجرام وقسوة أمن الدولة مقارنة بجهاز الأمن الإسرائيلي. لن تذهب من أذني أبدا نار صرخته: لولا الولاء والبراء لفضلنا إسرائيل (ولكن ذلك لا يعني استمرار مشاعرنا ضد من لم يدن منه رجال الشرطة بعد محاكمة عادلة).

أقول الشرطة السياسية لكنني لا أبرئ الباقين. مع احتجاجات أمناء الشرطة قال صديق في مرارة:

- معهم حق إذ يتمردون ويعترضون.. إذ كيف يعيشون بعد الآن.. أعرف بعضهم.. كان دخله يزيد عن عشرة آلاف جنيه شهريا من الإتاوات والبلطجة.. فكيف يتواءمون مع واقع جديد يحرمهم من ذلك.

نتكلم عن الشرطة غير السياسية..

فقط نضيف أن هؤلاء كانوا ملائكة أطهارا وزاهدين أخيارا بالنسبة للشرطة السياسية!.

وكما قلنا أن حبنا وتقديرنا للجيش لا يمنحه حصانة من الانتقاد.. فإن كراهيتنا واحتقارنا للدور الشرير الذي قامت به الشرطة عامة وشقها السياسي خاصة لا يمنعنا من تقدير كبير لمن يقوم بالعمل الحقيقي للشرطة. بالمفهوم الذي لا يبيح لأي شخص أن يقول أنه كان عبد المأمور لينزلق بعدها إلى ممارسات تعافها العصابات ويترفع عنها المجرمون.

***

يقتلني الرعب ويذهلني الفزع ويروعني الهول كلما تخيلت أن المؤامرات التي تدبرها الثورة المضادة بقيادة أمن الدولة قد تؤدي إلى فشل الجيش في مهمته. فالأمر ليس سهلا حتى لو خلا الطريق من العوائق والعقبات. فكيف يكون إذا لغمه ذلك الجهاز الإرهابي

الخائن المجرم بالشراك والألغام والمتفجرات.

يقتلني الرعب..

أخشى أن أقول للقارئ المنهك مثلي أن الفجر قد لاحت تباشيره لكن النهار لم يجئ بعد..

إنني واثق أن الأمة إذا ما سارت في الطريق القويم ستتعافى بأسرع مما نظن جميعا.. لكن هذا لا ينبغي أن ينسينا أن التخريب الذي أصاب المجتمع أشد مما نظن جميعا. أو على الأقل فليس من رأى كمن سمع.. وليس من تخيل كمن باشر وعاين واكتشف. على أن أقسى وأشد درجات التخريب هي ما سحقت الإنسان نفسه. هي التي حولت المفكر إلى دجال.. والمثقف إلى عبد انتهازي يلعق حذاء سيده والطبيب إلى سمسار والقاضي إلى عادل عبد السلام والرئيس إلى رئيس عصابة والوزير إلى لص وضابط الشرطة إلى رجل عصابة وأمين الشرطة إلى بلطجي.

يظل الجيش هو القوة المتماسكة الوحيدة.. هو العمود الفقري.. وهو الدعامة الباقية لبناء بدونها ينهار كله. لذلك فإن خشيتنا عليه هي حرص على الأمة والدولة والحاضر والمستقبل. أما من يهاجمونه فهم أعداء الأمة والدولة والحاضر والمستقبل. ونستطيع أن نحصرهم في عدة فئات تتسم بعدم وضوح الحدود بينها:

١- الفئة الأولى: وتتركز في الجهاز المجرم: جهاز أمن الدولة، لا أقول فلوله، لأنني أظن أن هذا الجهاز المجرم ما يزال متماسكا وقادرا على تغيير اسمه ومظهره دون حقيقته وجوهره. وأنه يكمن كالسرطان كي يعاود الانتشار بعد حين.

٢- الفئة الثانية: بقايا العصابة الحاكمة.. ولا أقول الحزب الوطني.. بل أقول عصابة على أعلى مستوى من الإجرام والخيانة.

٣- فئة أولئك الذين دفعهم الأستاذ نظير جيد إلى مكان كنا نود ألا يكونوا فيه. ويضاف إليهم تلك النخبة الخائنة المنحرفة من أقباط المهجر مع قيادات داخلية تتمرغ في ملايين الفساد دون أن تطالها يد القانون.

٤- فئة النخبة المثقفة: وهي لا نخبة ولا مثقفة، بل هي فئة مصطنعة بالكامل

اصطنعتها مباحث أمن الدولة وعصابة الحزب الحاكم. وهي تذكرنا بإقطاع أوروبا في القرون الوسطى، حين كان للأمير الذي يملك الأرض ومن عليها يملك حق الليلة الأولى.. ويعني بها حق فض بكارة كل زوجة وقضاء الليلة الأولى معها. لقد قامت مباحث أمن الدولة بدور الإقطاعي.. وكانت جل النخبة المثقفة هي العروس.. مع اختلاف واحد فيما أظن وأحسب.. هو أن عروس الإقطاع كانت تبكي وتنتحب من أجل شرفها المثلوم.. بينما عرائس المثقفين كانوا يندفعون إلى الليلة الأولى في مباحث أمن الدولة في نشوة عارمة وهم يشعرون أن مستقبلهم الحقيقي بدأ. كان شرفهم مجرد بضاعة وكان بيعه صفقة وكان هدفهم دائما الحصول على أعلى ثمن في هذه الصفقة.. مقابل الشرف. كان اعتراف مباحث أمن الدولة بكاتب هو شهادة ميلاده وشهادة تخرجه وشهادة خبرته وشهادة سيره وسلوكه(لم أقل حسن سيره وسلوكه). كانت هي مسوغ التعيين الوحيد المطلوب.. فغيرها يمكن أن يصطنع أو يزور أو يدبر..

ولنستدعي هنا شهادة كاتب يساري اسمه أسامة عرابي في كتابه «فئران البراميل» ويقول الكاتب في مقدمته :

« في مصرنا المحروسة باللصوص والأفاكين الآن، نمطان لا ثلث لهما من الكتاب والصحفيين : أحدهما لا بد يعمل مع أجهزة الأمن التي تنهض بمهمة تعيينهم ودفعهم دفعا في سلم الصعود والترقي، بعد أن أمحت تماما الحدود الفاصلة بين عمل المخبر الصحفي والمخبر السري. والنمط الثاني يستمد نفوذه وقوته من علاقاته المشبوهة بقوى كونية مهيمنة على مقدرات البلاد والعباد وهي - بلا ريب - أمريكا ومن ورائها إسرائيل. أما من ارتضى لنفسه الاختيار الصعب، وهو أن يعيش شريفا عفيفا، صاحب مبدأ وموقف، فمكانه الأوحد الانزواء في غياهب النسيان، أو الملاحقة والمطاردة في لقمة عيشه، والمقامرة بمستقبل أبنائه.»

انتهى الاستشهاد.. ولو شئتم لأضفتم مئات الاستشهادات على رأسها شهادة الشيخ محمد حسان وشهادة أحمد بهجت-دريم- واللذان أقرا بأنه لم تكن تتم كبيرة ولا صغيرة في مجال الفكر والإعلام دون تخطيط وتدبير واصطناع أو على الأقل موافقة مباحث أمن الدولة.

كانت الدولة مسرحا وكانت مباحث أمن الدولة المخرج والمنتج والممول والقائمة بالمونتاج والتوزيع.

لم ينج منها أحد إلا أقل القليلين ممن رحم الله ووقى.

الكاتب الشريف من النخبة ليس هو -إذن- من نجا من أن تسمه أمن الدولة بميسمها.. بل هو من استطاع أن يحافظ على جزء من استقلاله فلم يتحول بالكامل إلى عميل مباشر مأجور لا يكتب إلا ما يؤمر به.

وليسمح لي القارئ أن أروي له طرفة توضح ما أريد أن أقول: إذ يذكر أن سائحا ذهب إلى تل أبيب.. وبدأ يتجول في المدينة في المساء.. وكلما مر بشارع تجمع حوله القوادون يعرضون عليه فتيات الهوى من كل الأعمار والألوان والجنسيات. ودهش السائح فسأل أحد القوادين:

- ألا توجد في هذه البلاد امرأة شريفة؟

وأجابه القواد على الفور:

- يوجد يا سيدي بالطبع.. لكنك ستدفع فيها ثمنا أعلى بكثير!.

انتهت الطرفة..

لكننا نقول أنه يوجد في النخبة المثقفة بعض الكتاب الشرفاء.. وثمنهم أعلى بكثير!!

أتحدث عن النخبة المثقفة التي تحتل -بكل معاني الاحتلال والاستيلاء والاغتصاب والخطف والابتزاز والغصب والفرض والإجبار- واجهة الثقافة في بلادنا من فضائيات وصحافة..

أما آلاف المثقفين المهمشين فإنهم هم الشرفاء حقا.

ولقد تحدثت في مقالات سابقة عن العبقرية الشيطانية لجهاز أمن الدولة في انتقاء أحط حثالات المجتمع وأدناها لكي يبوئها المناصب الثقافية الكبرى بل وجوائز الدولة التقديرية.. وأولئك ليسوا مثقفين أصلا.. دعنا من تواضع وظائفهم فإن ذلك لا يشين أبدا. المشكلة ليست في ذلك. المشكلة أنك حين تأتي بجندي وتعينه جنرالا فهو يدرك أنه

جنرال عند من عينه فقط. أما عند باقي الناس فهو مجرد جندي بسيط. لذلك فإن ولاءه كله يكون لمن عينه. وليس للناس أو الأمة. إنه يدرك أن ولي نعمته لو تخلى عنه فإنه يعود جنديا كما كان ولا يأبه له أحد. أتساءل على سبيل المثال عن شخصين كمجرد نموذج أو مثل: أتساءل عن عبد الله كمال وسيد القمني.. هل كان يمكن أن يكون لهما أي مكان خارج مقاهي الصعاليك لولا دعم الجهاز الشيطاني لهما؟.

النخبة إذن ليست نخبة .. والمثقفون إذن ليسوا مثقفين.. بل إن معظمهم يتسم بقدر هائل من الجهل والسطحية.. وليس الجهل والسطحية فقط.. بل القدرة الهائلة على الكذب وارتكاب كل الجرائم دون أي تأنيب للضمير. لا يوجد في الأصل ضمير. وهم يعلمون أنهم صنيعة الجهاز الشيطاني.. لذلك لا يخرجون عن خطه أو خطته أبدا. إن مثقف أمن الدولة أكثر خطورة بكثير من ضابط أمن الدولة.

***

تنقسم النخبة المثقفة إلى طوائف منها:

١ - العلمانيون وقليل جدا منهم من يمكن اعتباره علمانيا فلسفيا أو فكريا. وأغلبهم ينتمي للفئة الثالثة.

٢- الليبراليون: وأقل القليل منهم من هم كذلك. وأغلبهم يصدق عليهم أكثر وصف المتحللين.

٣- الفوضويون الحداثيون وما بعد الحداثيون والصعاليك : وهم قلة قائدة تحمل المعنى الفلسفي للحداثة وما بعد الحداثة: وهي فلسفات مدمرة وشيطانية تماما ولا تحمل من اسمها أي معنى بل إن الاسم خادع جدا. وهي فئة أسقطت كل قيود الدين والعقل- وضع ألف خط تحت العقل- وهي تفوق البرجماتية في عفنها بمراحل كثيرة.

هذه الفئات عالية الصوت جدا.. وقد قدر المحامي الشهير عصام سلطان- وهو على خلاف شديد مع معظم التيارات الإسلامية. وعلى علاقة حميمة باليساريين- عددهم بما لا يتجاوز مائتي فرد لكنهم لا يكفون عن التواجد المستمر في الفضائيات فتحسبهم كثير وهم قليل. أما الكاتب المتميز العميق محمد إبراهيم مبروك - وهو من أعمق الباحثين

وأوسعهم اجتهادا .. أقول ذلك رغم ظلمه الشديد لتيار الإخوان المسلمين- إلا أنه يقدر عدد النخبة المنحرفة التي يسمونها مثقفة بما لا يتجاوز عشرة آلاف شخص.. بقضها وقضيضها.. بقياداتها وأفرادها وصعاليكها.

هذه النخبة هي التي تدير الآن معركة الثورة المضادة.. لقد اختفى الجهاز المجرم الباطش الجبار ليدير – من خلف ستار- المعركة بتحريك عرائسه، واختفت عصابة الحزب وراء أقنعة تنكرية.. وتصدت النخبة للثورة وهي تزعم أنها تقودها بينما هي تهدمها تماما.

وفي هذا الصدد توجد ملاحظتان هامتان وخطيرتان.. وأكرر كلمة خطيرتان مائة مرة.. ففيهما توجد ثغرات كثيرة للشيطان حتى عند المتقين.. كما أنهما قد يحملان تفسيرات لبعض ما يلتبس علينا وحلولا محتملة لألغاز لا نعرف لها حلا:

الملاحظة الأولى : لماذا ارتضت القيادة العليا متمثلة في المجلس الأعلى ورئاسة الوزراء أن تعيش وسط وكر الثعابين والحيات والأفاعي؟ ألا يدركون خطورتها على الثورة وعليهم؟ هل نظرهم أبعد منا؟ هل قرروا تركها لكشفها أملا في تجفيف منابع قوتهم بمنع المدد الشيطاني عنهم كي يسقطوا الواحد بعد الآخر كثمار عفنة؟ أم أن الأمر على النقيض: سذاجة المثاليات أو غرور القوة الذي قد يخيل للواحد منا أنه قادر على المواجهة وعلى الانتصار فلا ينتبه إلا بعد أن تلدغه الحية الرقطاء فيسرى السم في عروقه.. لماذا؟ بل ألف لماذا؟!.. لماذا جاءوا بواحد كيحيى الجمل كي يبث سموم الثورة المضادة في كل مجال يباشره. لماذا تبدو الضوضاء والشغب التي يثيرها هؤلاء الغوغاء والصعاليك مؤثرة على مراكز اتخاذ القرار. ألم تفطن الأجهزة الأمنية الحقيقية- وليست مباحث أمن الشيطان- إلى الروابط العضوية التي تربط هؤلاء بالخارج.. بالتحديد أمريكا وإسرائيل بالأصالة وأوروبا بالإنابة؟.. هل تم تعقب مصادر تمويلهم. ألم تخش مصادر اتخاذ القرار أن هذه الفئات ليس لديها مانع من تدمير الوطن كله في سبيل الاحتفاظ بمصالحها. وأنها لن تمانع من مذابح يموت فيها مئات الآلاف كي لا تكون الكلمة الأولى للشعب في صندوق الانتخابات. من تلك العصابة المجرمة ذلك الداعر الخسيس الذي ينشر الفاحشة بين

المؤمنين الذي صرخ في عصام سلطان «لابد أن نظبط البلد أولا» وهو يعني حرمان الشعب من حكم نفسه ومنع الإسلام ونشر الفاحشة. وليس ذلك غريبا عليه فهو التلميذ النجيب لأستاذه المخرج الأشهر مورد الفتيات لأبناء الحكام.

يقول عزمي بشارة : أخشى أن مسار الثورة في مصر ينحرف ليصير مثلما حدث في الجزائر، النظام خرج من الباب و التف ليدخل من الشباك .

النظام القديم هم هذه الفئة المنحرفة التي تزعم أنها نخبة ومثقفة.. ولا هي نخبة ولا هي مثقفة.. هم مجرد عملاء وخونة وتعساء وصعاليك. دعكم من انحرافهم السياسي.. ابحثوا عن ملفاتهم في نيابة الأموال العامة ومباحث الآداب!.

الملاحظة الثانية: وهي لا تقل خطورة عن الأولى: هو أن الثورة المضادة.. وإن بدت تهاجم الجيش هجوما سافلا ظالما منحطا بذيئا.. إلا أن أملها كله ينحصر فيه.. إذ أن ما يرعب هذه النخبة الضائعة الخائنة أن تؤول الأمور إلى شعب لم ينجحوا أبدا في التواصل معه ولا في الحصول على إعجابه أو حتى احترامه. فلو آل الأمر إلى الشعب حقيقة وامتلك ناصيته بيده لانتقل جل هؤلاء من مقاعد النخبة إلى أقذر سلال قمامة التاريخ. الأمل الوحيد لهؤلاء أن يستمر الحكم العسكري بشكل مقنّع. فالحكم العسكري هو الذي يحميهم من الهزيمة الساحقة في صناديق الانتخاب. لذلك فهم يريدونه بشرط أن يكونوا هم الواجهة والقناع. أن يكونوا هم المرأة الشريفة ذات السعر الأغلى.

يقول الكاتب القبطي الرائع د. رفيق حبيب:

«والحقيقة أننا بصدد بعض النخب التي تصور الدولة المدنية تصورا يجعلها دولة الحكم بالوصاية على الناس، أي دولة دينية ثيوقراطية، دينها العلمانية، وتريد هذه النخب من الجيش أن يحمي مشروعها. وتلك مفارقة، فبعد ثورة شعبية رائعة، يريد البعض بناء ديكتاتورية جديدة، تحت عناوين مضللة، مثل عنوان الدولة المدنية، الذي يراد به عكس ما يفهم من معناه، فكيف تكون الدولة مدنية، ويفرض فيها الوصية على الشعب، ويحمي الجيش هذه الوصاية المفروضة على الناس؟» راجع المقال في الرابط التالي:

http://www.almesryoon.com/news.aspx?id=54928

***

أظن أن نصيحة جاءت من الشيطان تنصح الثورة المضادة بعدم التهور والتورط بمواجهة الثورة والمجلس الأعلى للقوات المسلحة وعصام شرف:

- لا تحاربوهم ولا تجادلوهم كثيرا.. فقط عليكم أن تتيحوا الحرية للنخبة العفنة الطافية على مجرى نهر الثقافة والسياسة الآسن.. تلك النماذج العفنة التي يربيها الشياطين منذ أكثر من ستين عاما..أطلقوا العنان لتلك النخبة العفنة وهي ستتكفل بتمييع كل شيء وبتضييع كل شيء.. لقد انهزمت الشرطة بكل جحافلها وبطشها وقسوتها في يوم أو بعض يوم.. أما هؤلاء المثقفون فهم صامدون منذ ستين عاما..وسيظلون صامدين طالما يواجهون بالفكر وبالجدال.. لن تخرسهم حجة.. ولن يهزمهم منطق.. لن يهزمهم إلا بوليس الآداب ونيابة الأموال العامة ثم التحري الدقيق عن علاقاتهم بالأجانب..

هذه النخبة السافلة ترفض الديمقراطية التي تتشدق بها..

إنها تطلب ديمقراطية تأتي بها.. فإن أتت بسواها فهم أول أعدائها

***

لقد خطر ببالي بعد ما سقت من أدلة على ضابط أمن الدولة ومثقف أمن الدولة وحق الليلة الأولى للإقطاعي أن مثقف أمن الدولة الآن كأرملة مات زوجها ..

قلت لنفسي -جادا- أنهم ظلوا طوال العقود الماضية يمثلون ديكور المعارضة الذي صنعه النظام وحدد مواصفاته. كانوا هم من أهم أعمدة النظام. والآن بعد الثورة.. يقفزون كالجرذان.. كلما سددت ثغرة اندفعوا من حفرة أخرى وامحت الفواصل بين شاشات الفضائيات وصفحات الصحف التي يطلعون عليها وبين حفر المجاري التي يقفزون منها. يتدفعون ليزعموا أنهم هم الذين قاموا بالثورة.. (هل رأيتم من قبل في التاريخ كله ثائرا يتقاضى ١١ مليون جنيه مرتبا سنويا من النظام الذي ثار عليه.. وما خفي كان أعظم) .. نعم ظلوا يمثلون ديكور المعارضة والآن يندفعون ليزعموا أنهم هم الثوار.

قلت لنفسي- ساخرا- أن القياس من مصادر الفقه.. وأن المسألة وإن كانت غير

فقهية إلا أنه يمكن القياس عليها.. فكيف تحول أرامل أمن الدولة في يوم وليلة إلى أمهات للثورة.. ألا يوجد موعد للحمل وللجنين ولُلولادة..

ثم كيف انتقلوا فجأة من أرامل أمن دولة إلى أمهات للثورة دون قضاء فترة العدة.

ألم يكن عليهم أن ينتظروا ثلاثة قروء حتى ينقلوا ولاءهم من هذا لذاك.. عشقهم من هذا لذاك.. انبطاحهم أمام هذا لانبطاحهم أمام ذاك؟

لقد انتقلوا فجأة من تمثيل دور المعارضة لنظام مبارك إلى محاولة تمثيل دور المعارضة للجيش..

فماذا إذن عن الحمل المستكن في أحشائهم من النظام السابق؟.

إنهم يزايدون على الجميع حتى لتحسب أنهم هم الذين قاموا بالثورة.

لا أيتها الطفيليات العفنة التي اقتاتت على فضلات وفتات الطاغوت حتى أوشك على التلاشي فاندفعت بحرصها العارم على الحياة الدنيئة تبحث عن طاغوت جديد تتطفل عليه.

وفي مزايدتهم تلك .. وفي نفس السياق تصنعوا أنهم يهاجمون الجيش.. تماما كما كانوا يمثلون دور المعارضة للطاغوت بينما كانوا من أهم أركانه.

إلا أن الأمر لم يكن بهذه البساطة.. كانوا يريدون إرغام الجيش على السير في الطريق الذي يرسمونه له.. وإلا أطلقوا عليه ألسنتهم القاذفة المسعورة.. إما أن تفعل ما نريد أو نشعل النار حولك من كل مكان.

إنهم يتصنعون ويزعمون أنهم لا يريدون السياسة الحالية للجيش. وأنهم يريدون أن يستمر عامين بشرط عدم اللجوء إلى صندوق الانتخاب قبل أن «يظبطوا البلد»!!.

وهم لا يريدون ذلك حقا.. بل إنهم يريدون أن يلغي الجيش الديمقراطية الحقيقية وحكم الشعب.. وأن يقدم لهم مجرما آخر كمبارك وأن يكونوا هم الحاشية الجديدة وأن يكون الأمر مجرد استبدال لص بلص على أن يستمروا هم في حاشية اللص الجديد.

قلت لنفسي-ساخرا- أنهم يقومون بدور لمحللين.

ولا أقصد بلفظ المحللين هنا الاسم المشتق من الفعل: حلل يحلل تحليلا فهو محلل

وهي محللة وهم محللون وهن محللات وحلل الشيء أي جزأه وفك معانيه ومغازيه وجعله بسيطا . لا أقصد هذا المعنى للتحليل. بل أقصد المعنى الآخر. المعنى القذر النجس لكلمة المحلل. معنى الديوث. الديوث الذي يقوم بارتكاب الفاحشة بقناع الشهامة والبراءة وتقصي الحلال بينما هو يزني ويسوغ للزنا!. قلت لنفسي أنهم يدركون أن الأمة طلقت نظام الطاغوت الجبار طلاقا بائنا لا تجوز بعده لطاغوت آخر إلا إذا أسلمت زمامها لآخر يذوق عسيلتها.. فئة المحللين تريد أن تقوم بهذا الدور الآن. دور المحلل الذي يسوغ انتقال السلطة بعد مبارك إلى طاغوت آخر.

إن ثقتنا في الجيش والمجلس الأعلى هائلة- ولكنها ليست مطلقة-.. ولكن ذلك لا يطمئننا.. إذ ما يدرينا.. أن هؤلاء المحللين.. بما يملكون من دعم أجنبي وخطط أمريكية إسرائيلية يرتبون لشخص خائن- كما رتبت من قبل كثيرا ونجحت غالبا- في تحديد من هو الرئيس القادم.

هذا هو حلم النخبة المثقفة التي تقود من أجله الثورة المضادة الآن.

ليس مجرد العداء للإسلام ما يحركهم.. وإنما العداء للأمة كلها.. وهو ما تبدى منهم بعد أن خذلتهم الأمة في الاستفتاء فانكشف ما كانت تخفي صدورهم من غل وحقد واحتقار لأمة تحتقرهم.. والاستكبار على أمة تحتقرهم.

ولكم كان محزنا أن رئيس الحزب الوطني الجديد- قبل أن تلغيه المحكمة- شارك في محاولات الغواية تلك عندما طالب بأن يكون الرئيس القادم عسكريا.

لم يختلف الأمر إذن عما نتوقع..

سوف يقود الحزب الوطني الجديد الثورة المضادة تحت توجيه كامل من أمن الدولة تحت غطاء كامل من الموساد والسي آي إيه.. سوف تتركز المحاولات في إقناع الجيش أن يحكم.. هم يعلمون أن المجلس الأعلى أعقل وأحكم.. لكنهم- وهذا خطير- يقدمون الغواية لمن ينقلب من داخل الجيش على المجلس العسكري ذاته.

هذه الغاية هي المطلب الحقيقي للثورة المضادة التي تهاجم الجيش وتشهر به.

ليس أنها ضد الإسلام فقط.. ولا لأنها ضد الإخوان المسلمين أو السلفيين. بل لأنها

ضد صندوق انتخاب يفضحها ويخزيها ويكشف حجمها الهزيل.

لن تتورع الثورة المضادة بكل أحابيل الشيطان على إثارة كل أنواع الفوضى والتخريب حتى ترغم الجيش أن يحكم.

لن تتورع عن ذلك.. ليس لمجرد أطماعها الخاصة.. بل لأن هذا بالضبط هو ما كلفوا به من رعاتهم ومموليهم من الخارج. وليت القارئ يراجع بروتوكولات حكماء صهيون ليعرف تفاصيل ما تقوم به هذه الفئة الضالة المضلة. هذه الفئة التي فضحها الاستفتاء الأخير.

***

مرة أخرى.. وأرجو ألا أضطر إلى تكرار ذلك كل مرة.. فإنني أحترم الحق الإنساني في الخطأ وأضرب عليه الأمثال بالقرآن والحديث والتراث الإسلامي والإنساني.. ولا تثريب أبدا على من يجتهد فيخطئ. وأنني لا أهاجم أبدا أحدا من هؤلاء. هجومي كله منصب على غالبيتهم العظمى الذين لا يتورعون عن أحط أنواع الكذب وأخس أنواع الخداع وصولا إلى مآربهم.

احتقاري أيضا منصب على أولئك المرتبطين بالخارج ينفذون مهمة محددة. وللأسف على رأس هؤلاء: اليساريون والليبراليون والعلمانيون.. كانوا قد ملؤوا العالم ضجيجا أنهم الأغلبية حتى جاء الاستفتاء الكاشف الفاضح المذل.

لا أهاجم أي مخلص مهما كان خطؤه..

وأواجه كل خائن كذاب مهما كان بريق الهالات المصنوعة حوله.

***

سوف أضرب لكم مثلا واحدا كي أوضح لكم خطورة هذه العصابة التي لو أفلحت أجهزة أمننا لضبطتها متلبسة بما يستوجب محاكمتها بالخيانة العظمى. نعم هي عصابة. وتنظيم سري بالغ الدقة والحسم والتنظيم والسيطرة على أعضائه. وهي متصلة بالخارج. وهي تنفذ مخططا أجنبيا. ومقابل مال ومنصب. وهي تتآمر على الأمة وعلى الدولة وعلى الجيش وتريد «تضبيط الدولة» كي تكون على مقاس أمريكا وإسرائيل.

مثل واحد: عندما انهارت مقرات أمن الدولة وأخرجت أوكارهم أثقالها من الملفات.. وكان فيها وجدوه قسم هائل للفضائح المشينة من شذوذ وانحلال وفسوق وعلاقة مفتوحة مع زوجات الأصدقاء والعكس صحيح. هنا أعمل التنظيم قبضته الحديدية فلم يُكشف عن علاقة وحيدة رغم أن من عيوب مجتمعنا ولعه بالفضائح. ولاعلاقة واحدة انكشفت. ولا فضيحة واحدة انفجرت. فهل تعلمون لماذا؟

لأن هذه الفضائح كانت مقصورة على هذه النخبة..

.. هذه هي النخبة المتحكمة في الإعلام!!.

***

لقد كانت نتيجة الاستفتاء كارثة سحقت المحللين وكشفت أمرهم أمام الداخل والخارج.. لقد فقدوا أمام الخارج الذي يجزل لبعضهم العطاء كعملاء قادرين على حماية مصالحه وتنفيذ أغراضه. كما فقدوا قيمتهم بعد افتضاح وزنهم الحقيقي بعد الاستفتاء. إن نسبتهم ليست ٢٢٪ كما قالت نتائج الاستفتاء بل هي ١١٪ فقط. ذلك أن الـ١١٪ الباقية تخص إخوتنا النصارى خاصة أتباع الأستاذ نظير جيد والأنبا ساويرس. لأنه إذا كان عدد الأقباط في مصر يقل عن خمسة ملايين -تبعا لكل التقديرات العالمية- فإن كتلتهم التصويتية تكون في حدود مليونين. المليونان الآخران لا يمثلون كتلة النخبة أو الثورة المضادة. بل يمثلون كل من استطاعت النخبة خداعهم وغسيل مخهم بعد السيطرة الكاملة على كل وسائل الإعلام لأكثر من نصف قرن. جلهم أبرياء تم خداعهم. ولو امتلكت الثورة والثوار ربع أجهزة الإعلام التي تملكها الثورة المضادة لما ظفروا بهذه النتيجة أبدا.. ولظلوا في حجمهم المعلوم.. بضع مئات أو بضعة آلاف. فقط. لا غير. لا يزيدون بل ينقصون.

كان الاستفتاء الأخير كارثة فقدوا بعدها عقولهم واشتد سعارهم وسقطت أقنعتهم وتخلوا عن حيطتهم في تغطية أغراضهم.. وبدت المعركة التي يخوضونها يائسة تماما لكنهم يرفضون الاعتراف بذلك.

لقد كانوا هم الأعمدة الراسخة للفساد فلما قامت الثورة ركبوا الموجة وزعموا أنهم

أعمدة الثورة .. هؤلاء الذين وصفهم الدكتور أحمد عكاشة بقوله: الشباب ضحوا بأنفسهم في الثورة والذين لم يفعلوا شيئًا خلال ٣٠ عامًا ركبوا الموجة.

تخيلت هذه العصابة المنحرفة وهي تتكالب على مسكين سقطت منه أموال محفظته في الزحام .. فتكالبوا عليها كل منهم يدعي أنها تخصه حتى عجز صاحب المحفظة المسكين عن الحصول على حقه. هكذا تفعل هذه الفئة المنحطة بالثوار. يسرقون ثورتهم.

قلت لنفسي أنه من المؤكد أنه بعد إلغاء دور البغاء في مصر فإن العاملات في هذه الدور رفضن لوقت طويل الاعتراف بأن زمانهن انتهى.. تماما كما تفعل النخبة الآن.

إن الثورة المضادة تخوض معركتها التاريخية الأخيرة. المعركة التي بدأها المعلم يعقوب الخائن وما زالت مستمرة منذ أكثر من قرنين. المعركة بين الوطنيين والخونة. بين الأصالة والعمالة. بين التعريب والتغريب والتخريب. بين بناء الأمة وهدمه وبيعها. لقد فشلوا في القضاء على الإسلام بقوتهم كاملة: التدخل الأجنبي وأمن الدولة والأمن المركزي وعصابات الحكم.. فكيف يأملون في تحقيق انتصار بعد أن فقدوا جل قوتهم. ذلك هو المأزق الذي دفعهم إلى السعار الذي هم فيه الآن..

معركة أخيرة..

والانتصار فيها مستحيل..

لكنها معركة حياة أو موت..

لذلك لن يكفوا أبدا.

***

نعم.. كانت نتائج الاستفتاء الأخير كارثة عليهم.. نجح فيه من نجح ورسب من رسب واستحق الفصل النهائي آخرون..

***

الناجحون:

١- نجح الشعب المصري في جميع المواد بامتياز مع مراتب التضحية والشرف والاستشهاد.

٢- نجح المجلس الأعلى للقوات المسلحة في معظم المواد بامتياز مع مرتبة الجدية والنزاهة والاحترام، إلا أنه لم يختبر في بعض المواد لأسباب لا نعرفها.

٣- نجح الدكتور عصام شرف بامتياز مع بعض القلق لقدرته -صحيا وعصبيا وليس ذهنيا- على اجتياز الامتحانات التالية.

٤- نجح الدكتور طارق البشري بامتياز مع درجة الوقار والكبرياء النبيل. ونجح المستشار صبحي صالح مع مرتبة الذكاء الحاد لدرجة الإبهار. كما نجح أعضاء اللجنة جميعا بامتياز.

٥- نجح الدكتور صفوت حجازي نجاحا مزدوجا مذهلا في براءته وبراعته وعمقه وصدقه.

٦- نجح الإخوان المسلمون في معظم المواد بامتياز وفي الباقي بدرجة جيد جدا، لكنهم أخفقوا في مادة مواجهة وقاحة العلمانيين ودنس المحللين بما تستحق من زجر وتسفيه وتنكيل.

٧- نجح السلفيون في بعض المواد ولهم ملحق في مادة الخبرة السياسية ورسبوا في مادة الدهاء.

٨- نجح موقع العرب نيوز بامتياز في عرض وجهة النظر الرصينة الشاملة الحاسمة.

٩- نجحت صحيفة المصريون الإليكترونية بدرجة جيد جدا وعوضت بعض إخفاقاتها السابقة.

١٠- تعرض حزب العمل لنكسة نرجو أن يتجاوزها.

١١- نجح بعض النصارى بامتياز.. خاصة الذين لا يتبعون الأستاذ نظير جيد والأنبا ساويرس(...) .

١٢- نجح جل القضاة والجيش.

***

الراسبون :

١- جميع المرشحين لرئاسة الجمهورية الذين أثبتوا أنهم منفصلون عن الأغلبية الكاسحة ولا يجوز أن يرأس واحد من الأقلية ضد رغبة الأغلبية ولا أن يقود شعبا وهو يسير في الاتجاه المعاكس.

٢- عمرو موسى يرسب مرة ثانية. لقد فضحت وثائق أمن الشيطان أن أمرا وجه إليه أن يذهب إلى ميدان التحرير ليقنع شباب الثورة بالانصراف. ولقد ذهب بالفعل. لكنه عند انفجار الفضيحة دافع عن نفسه بالسلاح الذي لم يجد استعمال غيره طول عمره: بالمناورات اللفظية. فقد قال أنه وصلته معلومات أن الشباب سيتعرض لهجوم كهجوم ٢ فبراير. فأصر على النزول للميدان لأن وجوده سيمنع ذلك الهجوم. لو أنه اعتذر بضعفه الإنساني لكان أفضل له. كانت المناورة اللفظية كريهة جدا.. واسعة جدا.. كاذبة جدا. كشفت لنا.. أو لي على الأقل.. أنني لو انتخبته فسوف أنتخب رجلا لا يجيد إلا تجارة الكلام. وهي تجارة توهمنا أنها ربحت عندما كان وزيرا للخارجية. لكننا اكتشفنا خسائرها الفادحة عندما أصبح أمينا للجامعة العربية. فهل نأمل منه إلا الأسوأ؟..

٣- رسب التليفزيون المصري في جميع المواد مع وصمة الفضيحة من الدرجة الأولى ووشاح الدعار والداعرات على دعارته الفكرية والإعلامية.

٤- رسبت الصحافة كلها.

٥- عمرو خالد: راسب مع مرتبة الأسى والرثاء والدهشة مع حرمانه من مرتبة المجتهد المخطئ ومنحه وصام(كلمة منحوتة من وصمة) البحث عن ترخيص من العلمانيين.

٦- معز مسعود: راسب دون ذكر أسباب الرسوب. كذلك رسب وائل غنيم.

٧- الدكتور حسن نافعة: جاءت إجاباته من خارج المقرر و تسم بقدر مذهل من السذاجة. فشل في توقع أي شيء صحيح. منهول من البديهيات مشدوه من الواقع محلق زاده الخيال والأفكار الخاطئة . بدا في أحيان كثيرة مصرا على الفشل. مثل دون كيشوت. كنا نتمنى أن ينجح.. لكنه أبى.. مع سبق الإصرار والترصد.

٨- أسامة سرايا.. مجدي الجلاد.. عبد الله كمال.. مجرد وجودهم ولو في قوائم

الراسبين إهانة للقائمة كلها.

٩- يحيى الجمل: بكى كثيرا على أحمد شفيق.. والأولى -رحمة به- أن يذهب معه. لم يكتف بالرسوب وإنما يقود الثورة المضادة. حتى بعد أن أمر شنودة أتباعه بعدم إثارة موضوع المادة الثانية فإنه مايزال يثيرها. هل يتعمد إثارة الفوضى وإشعال النار ووضع العقبات أمام الجيش؟ هل يقدم قربانا لسيد له لا نراه؟ هل يسدد دينا قديما؟.. أو يقدم عربونا لوضع قادم؟!.

١٠- معظم الصحافيين والكتاب من النخبة الطافحة على سطح المجتمع كما يطفو السمك الفاسد على سطح الماء ينطبق عليهم قول صاحب قناة دريم: أحمد بهجت الذي اعترف بأنه لا يوجد صحافي ولا برنامج ولا معد ويمكن أن نضيف إليهم ولا كاتب كان يمكن استمراره دون موافقة إيجابية أو سلبية من أمن الدولة (صحيفة الشعب دليل على ذلك.. والتي أغلقت لأنها أبت أن تحصل على ترخيص بكتابة لا تختلف عن الدعارة). ما نواجهه إذن ليس فكرا.. وإنما صراعا بين اللصوص.. احترقت مباحث أمن الدولة واختفى وجودها الظاهر فكان على مثقفي أمن الدولة استلام الراية المدنسة.

١١- عمرو حمزاوي.. علاء الأسواني.. وائل قنديل: حرمان بسبب الغباء السياسي..

١٢- عمرو حمزاوي مرة أخرى.. شن حملة كاسحة على المساجد دون أن يدرك أنه كمن ينظر إلى أعلى ويبصق. سوف تعود البصقة إليه!. ولكن ذاكرته الضعيفة جدا جعلته في اليوم التالي يكتب مقالا جياشا بعاطفة ملتهبة متحدثا عن لقاء سياسي عقد في الكنيسة!.

١٣- محمد حسنين هيكل: ضبط متلبسا- كالمتوقع-بالغش والتزوير.. ففي سبيل ثأره وثأر صاحبه الذي غوى من الإسلام زعم كذبا أن المادة الثانية للدستور هي المصدر الوحيد (وأغفل الكلمة الحقيقية وهي الرئيسي وليس الوحيد) وذلك كي يبرر مطالبته بتعديلها أو بإلغائها. ترى هل يقدم قربانا هو الآخر؟ . هيكل.. المغرم بالبلاغة.. والذي قطع بالفعل فيها شوطا بعيدا.. لكن في الفترة الأخيرة جفت ينابيعه.. أصبحت تشبيهاته فجة جدا ومسطحة جدا.. في تشبيه أخير له لشباب الثورة قال أنهم كرائد فضاء وصل إلى

القمر فلما سألوهم ماذا تريدون ؟ أجابوا: نريد كيلو كباب. هذ التشبيه جدير بعادل إمام.. بل هو بالضبط ما ورد في فيلمه الإرهاب والكباب.. يا للانحدار يا هيكل.. سوف أرد عليك بتشبيه قديم لك قبل أن تجف ينابيعك.. في تشبيه مماثل قلت أن الانحدار في مصر بين عبد الناصر والسادات كان يشبه السقوط من قمة سيمفونية لبيتهوفن إلى رقصة على (واحدة ونص!).. يا هيكل: أنت الذي ترقص الآن على (واحدة ونص)! ربما لأنها معركتك الأخيرة التي تعلم علم اليقين أن الانتصار فيها مستحيل وأن أقصى آمالك هو أن تؤجل الهزيمة الكاملة الشاملة لمشروعك الفكري الذي ظللت عمرك كله تروج له خمسة أعوام تزيد قليلا أو تنقص قليلا. كنت تتحدث طوال الفترة الماضية عن بحر السياسة الذي جف في مصر .. الآن نكتشف أن البحر الذي جف هو بحرك يا هيكل! في حديثه أيضا قال هيكل عن المجتمع المصري أنه مجتمع ربعه أو خمسه مسيحي! ولم أعد أهتم بدرجة الدقة أو الصدق في أحاديث هيكل.. لقد اكتشفت -بل أصبحت أستمتع- عندما أقرأ أو أستمع له بأشد درجات الكذب أناقة وتماسكا.. لكن المشكلة أن ذاكرته ضعفت.. فبناء على إحصائيته الحالية وباعتبار تعداد السكان حوالي ٨٥ مليونا فإن تعداد النصارى يتراوح بين ١٧ مليونا و٢٢ مليونا.. ! لا بأس يا لورد هيكل!.. لا بأس.. رغم إحصائيات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وتقديرات الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أن عددهم لا يتجاوز أربعة ملايين فلا بأس.. ورغم يقيني أنك يا لورد هيكل .. يامن تملك من وثائق الدولة أكثر مما تملك الدولة نفسها.. وأنك تستطيع.. وأنك تعلم علم اليقين العدد تماما.. حتى أنني أظن أنك لو أردت لقلت أن تعدادهم أربعة ملايين ومائة وسبعة وستون وخمسمائة وأربعة وثلاثون نصرانيا.. لكن دعنا من ذلك كله.. لقد قلت منذ عام واحد فقط أن تعداد النصارى في مصر هو بين عشرة ملايين وخمسة عشر مليونا.. ثم استدركت بسرعة مضيفا كلمة عجيبة هي : (على الأقل).. ويومها علقت على حديثك بدهشة.. وذكرتك بدرس بدائي في علم الإحصاء لا بد أنك تعرفه.. فإنك تستطيع أن تقول على الأقل لو ذكرت رقما واحدا أنه يمثل الحد الأدنى.. أما إذا ذكرت متوسطا أو مدًى فإنك لا تستطيع أن تقول بعده: على الأقل!.. ثم أن الفارق بين الرقمين مضحك.. إنه يساوي عدد سكان الخليج العربي كله! لكن دعنا من هذا أيضا.. لأن حديث هيكل

لو صدق يعني كارثة هائلة.. لقد كان إحصاؤه منذ عام أن عدد النصارى من ١٠-١٥ مليون (على الأقل) .. أما إحصاؤه هذا العام فهو أن عددهم من ١٧ - ٢٢ مليونا.. وهذا يعني أن عدد النصارى قد زاد سبعة ملايين في خلال عام واحد.. أي أن عددهم يزيد بمعدل الثلث سنويا -بل أكثر من الثلث- .. أي أنهم يتضاعفون كل ثلاثة أعوام.. فإن كانوا هذا العام -طبقا لتقديرات الكاتب الكبير الشهير- ٢٢ مليونا فسوف يكونون عام ٢٠١٤ أربعة وأربعين مليونا.. وفي عام ٢٠١٧ ثمانية وثمانون مليونا وفي عام ٢٠٢٣ ، ٣٢٨ مليونا وفي عام ٢٠٢٩ ، ٦٥٦ مليونا وفي عام ٢٠٣٥ أكثر من مليار وثلاثمائة مليون!! يا إلهي.. هل يعي هيكل ما يقول؟ أو هل أعي أنا ما يقول أسطورة الكذب الأنيق وفنان تلوين الباطل بألوان الحق والحق بألوان الباطل؟ .. هل هو كما هو.. ألا يحتمل أن يكون قد تحول إلى إرهابي وأنه يتآمر على النصارى فمثل هذه الأرقام لو صحت لاستلزمت أن تقوم الأمم المتحدة بعمليات إخصاء وتعقيم شاملة للنصارى!.. أو أن تفرض عليهم الحظر الجنسي بموجب الباب السابع!.. فمثل هذه القدرة على التكاثر لا تهدد المسلمين فقط.. ولا مصر فقط.. بل تهدد العالم.. وعلى من لا يصدقني أن يواصل حساب عدد النصارى بهذا المعدل للتكاثر حتى يصل إلى عام ٢١٠٠!!

المشكلة أن عددا كبيرا من النخبة يتصرف تصرف الحكام العملاء الذين يعرفون أن الطريق إلى قلب أمريكا يمر بإسرائيل. هذه النخبة تعرف أن الطريق إلى إرضاء المجتمع الصليبي الصهيوني يمر عبر نفاق النصارى وتضخيم عددهم.. فذلك هو سبيلهم للمجد والشهرة والجوائز..أو على الأقل للاستقرار. تتنافس النخبة والصحف والفضائيات في نفاق النصارى إذن.. لكن هيكل يثبت مرة أخرى أنه الكاتب الأول!! منذ قديم ألف هيكل مذهبا جديدا في الديمقراطية لم يأت بها أحد قبله ولن يأتي بها بعده أحد. ديمقراطية الموافقة! ديمقراطية أن يتخذ عبد الناصر القرار منفردا لكن الشعب يوافق عليه!! الكاتب الأول يبتكر شيئا جديدا لإعداد الدستور. الكاتب الأول الذي ظل طوال عمره يفزع من صندوق الانتخاب ويولي منه فرارا وقد امتلأ رعبا . هيكل يخشى من دستور تعده لجنة منتخبة فتبدع قريحته عجيبة من عجائبه.. إذ يطالب بـ: «لجنة توافقية» .. لكن من الذي سيعين اللجنة التوافقية وقد مات جمال عبد الناصر وشبع موتا.

هل سيعينها هيكل نفسه؟!.. هيكل -الذكي جدا- في محاولته للتخلص من محنة صندوق الانتخاب أبدا يبتكر بدعة اللجنة التوافقية . ؤهو يعني باللجنة التوافقية -مهما تجمل واستتر وتقنّع- تصنيع طاغية آخر واتحاد اشتراكي آخر وتنظيم سري آخر.. المهم أن تدار الأمور بعيدا عن صندوق الانتخاب. بعيدا عن الشعب.

رغم أي هجوم على هيكل لابد أن نعترف أن ذمته المالية لم يثر حولها غبار كثير.. وأنه رد بقوة على كل ما أثير. لكنني في الوقت نفسه كنت أتساءل في دهشة عن كيفية تحول بعض أبنائه إلى فئة المليارديرات.. كان عندي د ئما يقين بارتباط هذا الحجم الهائل من الثروة بالفساد ارتباطا لا يقبل الانفصام. وكنت أقول لنفسي دائما: سواء اشترك هيكل أم لم يشترك فهو مسئول .. على الأقل بوجوب الاعتراض العلني.. كما أن مسئوليته عن أبنائه توازي مسئولية مبارك عن أبنائه. كان عليه أن يمنعهم من استعلال أنهم أبناؤه.

منذ أيام حول النائب العام أحد أبناء هيكل إلى محكمة الجنايات بتهمة الفساد والتواطؤ للاستيلاء على المال العام.

أظن أن انتشار الفساد بصورة هائلة قد جعل هجوم الطاغوت على هيكل غير ممكن.. فلو أنه اتهم هيكل بدينار لفضح هيكل استيلاءء- أي الطاغوت- عى ألف دينار..

كان الأمر توازنا يعتمد على الفساد..

فلما جاءت حكومة شريفة.. ومجلس أعلى شريف.. لا يخشون من أن يفضحهم لسان هيكل الذرب وقلمه المدمر.. عندما حدث هذ، أمكن اتهام بعض أبناء هيكل.

في مقال سابق قلت أنني أظن أن عمر هيكل لم يطل ويمتد عبثا..

وأنني أخاف أن يكون الله قد مد له في عمره ليمنحه أوسع فرصة للتوبة. فإن لم يتب فلا يلومن إلا نفسه.. سيفضح أمره على الأشهاد. حتى ليطلب الموت فلا يجده.

تماما تماما..

كما حدث مع فرعون..

ومع حسني مبارك..

***

حاشية ١

متى يحاكم فؤاد علام؟

ومتى يتم القبض على المجرم الأثيم السفاح قاتل الشهيد كمال السنانيري ومعذب المئات والألوف.

متى تعاد إجراءات قضية التعذيب الكبرى ليمثل الجلادون الذين أفلتوا من القصاص بين أيدي العدالة..

***

حاشية ٢

نهى الزيني

نهى الزيني.. المستشارة نهى الزينى.. العظيمة القوية الشريفة المناضلة الشاهدة بالحق.. يا لها من مأساة أن تسقط في غوايات اليسار وبراثن الثورة المضادة.. يا لها من كارثة أن تفقد كنزا وتأخذ وباء.. أفهم ضعف نهى الزيني إزاء مديح عصابات النخبة في قصصها متوسطة القيمة ورغبتها في الحصول على شهادة اعتراف بها كمثقفة وأديبة وهي شهادات تحتكر العصابات المدنسة حق إصدارها.. ويا لها من كارثة أن تسقط فريسة لشهادة اعتراف مزورة من فئة كاذبة شهاداتها تشين ولا تشرف. نهى الزيني تقول أن المادة الثانية من الدستور سنة أنور السادات وليست سنة الإسلام.. ولو صح قولك يا نهى لكان الإسلام اختراعا لحسن البنا وليس أعظم الأديان وخاتمها الذي أنزل من السماء- يا نهى- على خاتم المرسلين وسيد البشر ﷺ.

أو صح ما تقولين يا نهى لوجب استبدال المادة الثانية لتصبح: ساويرس هو المصدر الرئيسي للتشريع..

***

حاشية ٣

شكر مستحق للكاتب الكبير صلاح عيسى ..

أشكرك يا صلاح ..

منذ الثورة لم أرك على شاشات الفضائيات سوى مرة واحدة.. أما كتاباتك الصحافية فلا أدرى عنها شيئا بعد أن توقفت عن القراءة لك منذ كتابك الوحيد الحقيقي:« مثقفون وعسكر»

.. لم أرك ولم أقرأ لك.. ولقد خفف هذا كثيرا من عتمة الغيوم في الشتاء وظلمة الغروب في المساء.. كما قلل من تسمم الهواء ومن التلوث الفكري ورفع جرعة الأمل في مستقبل أنظف..

يا صلاح: قم بخدمتك الأخيرة- وربما الوحيدة – للأمة: واصل الاختفاء!.

***

حاشية ٤

جمال الغيطاني

لست أدرى لماذا غفلوا عن منحه جائزة في التمثيل..

إنه من جنرالات المعارضة المصنوعة سابقا ومن رؤوس الثورة المضادة حاليا.. رأيته بالصدفة الكئيبة منذ أيام يتحدث في إحدى الفضائيات.. يبدو دائما مسكينا يثير الرثاء وهو يتناول أمورا تبدو بالنسبة له بديهية .. ويبدو على وشك البكاء وهو يحاول إقناع الناس ببديهياته.. آخر بديهياته محاولة تنزيه المجلس العسكري عن الحكم وأن يتركه لشباب الثورة.. كان يقول ذلك بيقين من يمتلك قائمة شاملة كاملة لكل شباب الثورة اسما اسما ورجلا رجلا وامرأة امرأة وطفلا طفلا.. وعنوان كل واحد منهم من شارع إلى حارة إلى زنقة زنقة!.. لكنني واثق أنه لو سئل عن شباب الثورة لما تجاوز عصابة الأربعة التي شوهت الثقافة في مصر تحت رئاسته وقيادته!.. وهي العصابة التي منعت نور الشمس وسدت منافذ الهواء عن الثقافة الحقيقية في مصر ونشرت التغريب والتخريب والانحلال والشذوذ.

ومع ذلك كله يبدو مسكينا يثير الشفقة والرثاء لا حول له ولا قوة حتى أنني قلت لنفسي أنني لو التقيته دون أن أعرفه لبادرت بالتصدق عليه!

***

ملحق للحاشية السابقة:

في اليوم التالي مباشرة.. برعب كرعب الدكتور شوقي في رائعة يوسف إدريس العسكري الأسود.. انقلب جمال الغيطاني على نفسه ليطالب الجيش بالاستمرار في الحكم لمدة ثلاثة أعوام!

***

حاشية ٥:

عادل إمام

عادل إمام.. ازدرى الأمة فازدرته.. ونظرا لأنه لا يمكن أن يشغل مكانه فرد واحد فإنني أقترح تكوين مجموعة تضحك الناس بدلا منه.. أقترح أن يكون من بين النجوم الذين يحلون مكانه: على عبد الرحيم.. سيد القمني.. سيد على .. هناء السمري .. توفيق عكاشة .. بالإضافة إلى رؤساء التحرير السابقين مثل كرم جبر وعبد الله كمال ومحمد على إبراهيم ونجيب جبرائيل.. آسف.. نسيت أسماء الآخرين.. فالقائمة طويلة.. ولذلك سنضحك طويلا....

***

حاشية٦

مساواة..

لماذا لم يطالب النصارى- الذي صدعوا رؤوسنا في مطالبات مزورة بالمساواة- بأن يكون لهم نصيب يوازي نسبتهم العددية في ليمان طرة؟!

***

حاشية٧

علاء الأسواني.. رئيسا للجمهورية

لعل القراء يذكرون مقالا لي كتبته منذ أعوام عن الدكتور علاء الأسواني بعنوان: «صناعة نجم» حيث أبديت اندهاشي من الضجة الإعلامية الصاخبة التى قدمته للعالم

كظاهرة فذة. وهي حملة لم يظفر بها نجيب محفوظ وماركيز وحتى شكسبير إلا بعد عشرات الأعمال الكبرى. بينما ظفر بها الأسواني بعد رواية شكك معظم النقاد المحترمين في قيمتها الحقيقية. لقد كانت الضجة الكبرى التي أثيرت حول الرواية مقارنة بالموهبة المحدودة للأسواني إنذار خطر جعلتني أكتب للقراء ساخرا وجادا : انتظروا حصوله على نوبل.

من وجهة نظري كان الأسواني يعد –منذ البداية– لكي يكون نجما سياسيا لا أدبيا كي يقوم بأدوار معينة..

وقد صنعوه على عجل لأن كل وجوههم كانت قد احترقت أو انكشفت أو أصبحت بالغة السوء والقبح ومثيرة للاشمئزاز. وكن لابد لهم أن يتعجلوا.. ويكتفوا برواية واحدة بدلا من عشرة أعمال مثلا.. رواية توزع ملايين النسخ(الميديا تحرك العالم وليس مصر فقط.. ومركزها الرئيسي أمريكا).

وهاهو ذا الأسواني يمارس السياسة– لا الأدب.

ولقد تحققت هواجسي بأسرع مما توقعت.

لن أندهش إذا ما رشحوه لرئاسة الجمهورية.. أو كلفوه لقيادة حملة شرسة ضد المادة الثانية من الدستور..

لكنني لا أظنه سيقدم لهم كثيرا.. لقد تم تصنيعه لبحار مختلفة عن بحار ثورة ٢٥ يناير.. ورغم زعمه أنه من صناع الثورة إلا أنه سيختنق في بحار الثورة النقية..

لقد تم تصنيعه تحت حملة قصف إعلانية عالمية..

لكنه كما أفل في الأدب أفل في السياسة..

***

حاشية أخيرة

الأستاذ الكبير عادل حمودة:

صحيفة الفجر.. : طلب مخجل: أرجوكم.. لا تنسوا تشكيل حروف اسم الصحيفة فالأمر يلتبس على كثير من القراء!!

هلك الفاجر



أيها الجيش: لا تخذلنا ولا تستسلم

إلغاء نتائج الاستفتاء ضعف للجيش وخيانة للثورة والأمة



رغم نتيجة الاستفتاء فإن الأقلية تحاول وتستميت لفرض رأيها على الأغلبية.. هذه الأقلية فجرت بلاعات الإعلام وطفحت فلوثت الدنيا ودنست الآفاق، نفس النمط كموقعة الجزائر وموقعة الوليمة ومواقع الهجمة الصليبية اليهودية على الإسلام والمسلمين، الإعلام الموجود في مصر نشأ من علاقة محرمة بين قطاع مجرم من النخبة ومباحث أمن الدولة، وهو بالنهار: «الصحاف» وفي الليل جوبلز.

هذه الهجمة الشرسة تستهدف المجلس الأعلى للقوات المسلحة. إنها تطلب منه الاستسلام دون قيد ولا شرط. والاعتراف بخطئه في إدارة البلاد منذ تولى. وإرغامه على التخلي عن نتائج استفتاء ١٩ مارس. إن المهزوم يملي شروطه على المنتصر. وبنفس كلمات مبارك: الاستسلام أو الفوضى. إن الاستجابة لإملاءات الثورة المضادة هي الطريق إلى الهاوية. وليعلم الجيش أنه ما من مبتز يقف عند حد. إنها خطوات شيطانية يساندها الخارج.. وهي تهدف إلى هزيمة الشعب ممثلا في الأغلبية أولا ثم هزيمة الجيش بعد ذلك.

***

إلا أنني أعتب على المجلس العسكري وعلى رئيس الوزراء: لماذا احتفظتم بكل أعدائكم؟ لماذا تتصرفون كما تصرف عبد الحكيم عامر في سوريا، حيث انقلب عليه وعلى الوحدة ضباط مكتبه؟. لماذا إصراركم على الاحتفاظ بجسد النظام القديم كله بعد أن تخلصتم من بعض رأسه.. وليس من رأسه كلها؟. لماذا لم تحققوا الأمن؟ لماذا كنتم بهذا الضعف أمام الفلول المجرمة من الشرطة بينما خذلتم ائتلاف ضباط الشرطة الشرفاء الذين قدموا حلولا شاملة لعقاب المسيئين من الشرطة وتحقيق الأمن. لماذا لم تحققوا في جريمة اغتيال اللواء محمد البطران؟ لماذا الجمل؟ لماذا إصراركم على استمرار كل قوى الثورة المضادة في أماكنها بكل سلطاتها؟ لماذا اختياراتكم المشوهة لعصفور وغازي والقعيد والغيطاني والمحافظين والوزراء المرفوضين؟ كيف تتركون سكيرا لا يكاد يفيق يرأس جهازا هاما لينكر التعذيب والتزوير ويزعم أن سجون مبارك أكثر فخامة من فنادق الخمسة نجوم؟ لماذا إصراركم على عادل عبد السلام؟ لماذا تبدون بهذا اللين أمام بلطجية الثقافة والإعلام وهم الغرس الشيطاني لجهاز أمن الدولة؟ وهم ثمرة العلاقة

الحرام بين سلطة مجرمة وأمن مجرم. ولماذا احتفظتم منذ البداية بهم؟..

أتعلمون: لو رأوا منكم صرامة العدل لوقعوا أمامكم ساجدين من دون الله!. لم يتعودوا على السجود لله لكنهم يركعون ويسجدون لمن دونه. لماذا.. ألف لماذا؟.. ألف ألف لماذا؟؟!!.

***

تقول علوم الجريمة: فتش عن المستفيد..

والمستفيد هنا كل من يهدد صندوق الانتخاب استقراره. فإنه يدخل في معركة حياة أو موت لمنع الوصول إلى صندوق الانتخاب. معركة حياة أو موت، بكل معنى الكلمة.

لا ينبغي أن أذكر مصطلح الثورة المضادة دون تحديد، يجب أن أحدد تماما ما أقصده، دون تردد ودون اعتبار لحساسية ودون ادعاء أيضا أنني أملك ميزان الصواب والخطأ. فالأمر جد لا هزل، والأمة في خطر.

تتكون الثورة المضادة من قوى هائلة، لن أخدع نفسي ولن أخدعكم لأقول أنها فلول، لا، بل هي ما تزال تملك من القوة المادية أكثر مما تملكه ثورة الأمة، ثورة ٢٥ يناير.

تتكون الثورة المضادة من الرئيس السابق وأبنائه وحاشيته، والكثيرين جدا من رجال الأعمال، وجهاز مباحث أمن الدولة كله بقوته الأسطورية واتصالاته المرعبة وأذرعه الأخطبوطية، وتتكون أيضا من جل أعضاء الحزب الوطني ومن أعضاء المجلسين المزورين، ومن جل من عينهم النظام السابق كوزراء ومحافظين ورؤساء جامعات وعمداء كليات بل وحتى العمد وصولا إلى الدكتور السباعي. الثورة المضادة تضم أيضا كل الأحزاب المصنوعة، أحزاب الأنابيب، التي فقدت كل قيمتها بعد ثورة ٢٥ يناير، كعملة مالية تم إلغاؤها، وتضم القضاة الفاسدين ومن استمرأ تلفيق التهم من نيابة أمن الدولة وقيادات الأمن. لكن الأخطر من هؤلاء والأشد تأثيرا فئة واسعة تتشكل من الصحافيين والإعلاميين والكتاب، وهي نخبة لم تحصل على نخبويتها بالانتخاب الطبيعي من بين آخرين، ولا بمواهبها، وإنما برضى النظام ومباحث أمن الدولة عنها. عنها جميعا، المعارضون قبل المؤيدين، فقد كان المعارضون يمثلون الديكور الفاخر للنظام، كانوا غطاء

يغطي عوراته، ومحللا ديوثا لا يغار على شرف الأمة المغتصبة. وهم ليسوا مثقفين وليسوا نخبة. إنهم بلطجية الثقافة، وعلاقتهم بالثقافة كعلاقة أصحاب موقعة الجمل بالسياسة. مجرد مرتزقة.

***

لم ننته بعد..

فهناك قوة لا تقل عن كل أولئك خطورة بل وتتميز عليهم باتصالاتها الأجنبية الخطيرة وبامتداداتها في الخارج. هذه القوة الكبيرة هي قوة البابا شنودة وعدد كبير من أتباعه الذين يخرجون الآن على الشاشات يصرخون أنهم يندمون على اشتراكهم في ثورة ٢٥ يناير. وهذا كذب. لأنهم لم يشتركوا في ثورة ٢٥ يناير. بل كانوا ضدها. كانوا ضدها قبل قيامها بأربعين عاما، منذ تولى البابا، الذي منع تأبين من مات من النصارى فيها.

***

للبابا شنودة -كرجل دين- كل الاحترام، لكن من حقي أن أنتقده بحرية كزعيم سياسي. لقد هاجمت مبارك دون اعتبار لأي حساسيات. لكنني مع البابا شنودة سأراعي حساسيات كثيرة وسأكبح من جماح قلمي.

لقد راهن البابا شنودة رهانا خاسرا على نظام الرئيس مبارك، ووضع كل أوراقه في سلته، حتى أثار انتقاد الأقباط أنفسهم، الذين قالوا له : إنك تناقض نفسك وتضعف موقفنا وموقفك، إذ كيف تملأ العالم صراخا وضجيجا حول الظلم الذي يتعرض له الأقباط في مصر، في نفس الوقت تؤيد رئيس هذا النظام-المسئول عن تلك المظالم- تأييدا مطلقا وتبالغ في مديحه.. كما تؤيد توريث ابنه من بعده.

ولكم صرخ العديد من النصارى والمسلمين يحذرون البابا شنودة من وجهة نظر براجماتية بحتة، مؤكدين له أن النظام يوشك أن ينهار وأنه بذلك يعرض مصالح النصارى للخطر. وحذره البعض مما هو أسوأ، إذ أنه برهانه ذلك يضع أتباعه من النصارى في صف الفساد ضد الإصلاح. بل وحذره البعض من أنه يسيء إلى الديانة المسيحية بموقفه ويهدد مستقبل رعاياه بموقفه، ولقد وصل الأمر أن طالب بعض

الأقباط بعزله ومحاكمته، وأظنهم كانوا على صواب.

منذ ستين عاما كان الناس يقولون : إنه مسيحي لكنه مخلص جدا وأمين جدا وكفؤ جدا. الآن يقولون: إنه قسيس.. لكنه لص يسرق أراضي الدولة ويقتل الأعراب ويكذب في الفضائيات.

لقد انضم البابا شنودة إلى الاتجاه الخطأ والفئة الخاسرة.. ويبدو أنه كالرئيس السابق: معه دكتوراه في العناد!.. وعلى الرغم من ذلك بلغت السماحة بأهل مصر - بمعظم مسلميها وكثير من مسيحييها - أنهم خجلوا من مواجهته بأن عليه أن يدفع ثمن رهانه الخاسر كما دفع مبارك وأتباعه ثمن رهاناتهم اخاسرة..

خجلوا من أن يقولوا له أن:

البابا أصبح دولة تقوم بفرض إرادتها على الدولة... و أنه هو سبب الفتنة الطائفية. وأن الأقباط الآن يضطهدون المسلمين ويستقوون بأمريكا. وأن هناك مخططا صهيونيا لتهجير المصريين المسلمين إلى الجزيرة العربية وأن سر خضوع الدولة للكنيسة أنها خاضعة أولاً لأمريكا، بالإضافة إلى تنازلها عن حق المواطنة للمسيحيين المصريين واعترتهم لا يتبعونها. وبدلاً من أن تعتذر الكنيسة جعل البابا شنودة الدولة تعتذر ومجلس الشعب يعتذر، ومجلس الوزراء يعتذر، وذلك لأنه خرج بمسألة المظاهرات، والكنيسة رسخت لمبدأ أن المظاهرات قوة سياسية لها. إن الاضطهاد أصبح بالعكس، فالمسيحي الآن يضطهد المسلم، وهذا ليس اضطهاد بل تعالي واستعلاء من قبل الأقباط ضد المسلمين، وذلك مدعومًا بالتوجه الأمريكي والاستقواء بالخارج، وكذلك استقواء بالاضطهاد، فالاضطهاد أصبح حالة إرهابية تفرض على الجانب الذي به أغلبية. إن فئات من أقباط المهجر يتبعون أجندة خارجية يثيرون بها مشاكل الأقباط وقد بدت مجاميع المسيحيين داخل مصر تتعاطف معهم. لأول مرة نجد داخل الكنيسة شخصية دينية تطالب بتدخل أجنبي، ويقوم بالترسيخ لقسمة الوطن بين المسلمين والمسيحيين، ويرسخ لأشياء غير موجودة وغير صحيحة، منها أن مصر ملك للمسيحيين. إن أسقف القوصية توماس يكتب تقارير للمنظمات الصهيونية مقابل آلاف الدولارات. ولم يصدر قرار ضد توماس حتى هذه اللحظة، ولم يصدر تصريح أو بيان من داخل الكنيسة يستنكر أو ينفي أو يعتذر

وهذا خطأ، وهذا يجعل الرأي العام يربط بين توماس كخائن للوطن وبين الكنيسة. فتوماس أراد أن ينظر لمسألة الفصل بين المسلمين والمسيحيين، ووصل به الجهل إلى القول عن المصري المسيحي الذي أسلم عن اقتناع أنه لم يعد مصريًا بل صار عربيا تابعا للجنسية العربية، كحضارة أخرى متخلفة بالنسبة لهم، وهو بذلك يطبق النظرية الصهيونية كاملة، بمعنى أنك مسلم الآن، ووقتها لن تصبح مصريًا، ولا هويتك مصرية. وعندما تقوى الكنسية ستقوم بفرض تلك الهوية المسيحية على كل المصريين.

ستؤدي تلك الدعاوى إلى حرب أهلية، وتدخل خارجي أمريكي، والسؤال الآن، أين سيذهب المسلمون المقيمون في مصر منذ ١٤٠٠ عامًا؟

***

هل تجاوزت؟.. لكنني أحمل لكم مفاجأة!!..

فكل ما قلته في الفقرة السابقة كلام كاتب وسياسي مسيحي أرثوزكسي من أتباع البابا شنودة!..

هذا السياسي الصادق الشريف هو جمال أسعد عبد الملاك الذي أبي عليه ضميره إلا أن يصرخ ضد البابا وضد بعض الأقباط في حديث صحفي أجراه معه في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٨ الصحفي أحمد سعد.

ولقد استشهدت بحديث جمال أسعد لأنه من أخف ما وجه إلى البابا من الأقباط لا المسلمين.

لقد اعترف محافظ قنا السابق وهو مسيحي أن المسيحيين كانوا خلف كل الفتن الطائفية في محافظته.

***

لطالما حذر عشرات الأقباط البابا شنودة ومنهم الرائع العظيم المنصف الدكتور رفيق حبيب.

دعنا الآن من رأي رئيس الجمهورية الأسبق أنور السادات في البابا شنودة..

ودعنا من حكم المحكمة وحيثياته في بداية عصر مبارك.

ودعنا من «التقرير الرهيب» الذي نشره الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه «قذائف الحق».

ودعنا من كتابات الدكتور محمد عمارة والمستشار طارق البشري والأستاذ جلال كشك والدكتور عبد الودود شلبي والدكتورة زينب عبد العزيز وعشرات الكتاب المصريين والأجانب ومئات الوثائق التي تتحدث عن محاولات تنصير العالم وفي صدارته مصر.

دعونا من هذا كله ولننتقل إلى واقع قديم ما زال حيا في عنفوانه وجنين مستقبل لم يولد بعد تحاول الثورة المضادة قتله أو إجهاضه.

دعونا من هذا كله ولننتقل إلى واقع حقيقي أليم .. واقع نرجو أن يكون قد أوشك على الانتهاء بقيام ثورة ٢٥ يناير التي تحاول الثورة المضادة اغتيالها.. نرجو.. لكننا غير واثقين..

لقد دفع البابا مصر بمسلميها ومسيحييها إلى طريق وعر. وكما حصل مبارك على ما حصل عليه اختلاسا وكذبا وتزويرا فقد سار البابا على إثره. ابتز كل منهما الآخر ودفعت الأمة الثمن.

***

هناك واقع لم يمت وحلم لم يولد يجعلني أتهم الجميع بدء من كل أتباع رئيس الجمهورية السابق وعائلته وانتهاء بأصغر مخبر في مباحث أمن الدولة باضطهاد الإسلام والمسلمين وبمحاباة النصارى على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى.

نعم.. أتهم الدولة في الستين عاما الماضية بمحاباة العلمانيين على المسلمين والكفار على المؤمنين والمرتدين على القابضين على الجمر وغير المتدينين على المتدينين..

ربما تحسن الأمر بعد الثورة.. لكن الثورة المضادة تحاول القضاء على ذلك التحسن.

لقد قامت الدولة طيلة ستين عاما بحماية رواد الحانات وتهديد رواد المساجد، بمحاباة السكارى ووضع المعتكفين على قوائم الاشتباه. وحسمت اختيارها فحالفت أعداءها ضد أمتها وتاريخها ودينها. وطيلة ستين عاما كان بعض النصارى يرتكبون الجرائم فلا تجرؤ الدولة على مواجهتهم وفي الوقت نفسه تنسب تلك الجرائم أو مثلها للمسلمين وتعاقبهم عليها، كالتنظيم الدولي والتمويل الدولي والميليشيات المسلحة وتخزين السلاح. وفي هذا الصدد قامت الدولة بتجنيد آلتها الإعلامية الجبارة للدفاع عن النصارى مهما بلغت جرائم بعضهم وتشويه المسلمين مهما كانت براءتهم. بل لقد وصل الأمر إلى أكثر من هذا، لقد تحالفت مباحث أمن الدولة مع بعض تجار المخدرات في الصعيد وتغاضت عن نشاطهم الإجرامي مقابل قيامهم بقتل الإسلاميين. نعم. ليس هناك خطأ. بقتلهم. ويبدو أن نفس الجهاز المجرم قد ورط وتورط فوظف بعض النصارى لنفس الهدف، وما أحداث إمبابة إلا مجرد مثل. ولا أزيد.

لكن الجدير بالذكر هنا، أن كل المجرمين، تعودوا أن يرتكبوا من الجرائم ما يشاؤون، ثم تنسب جرائمهم للإسلاميين زورا وظلما وعدوانا، فلما جاء نظام حكم شريف أصابتهم الصاعقة، لأن تحقيق العدل بالنسبة لهم كارثة، كما أن صندوق الانتخابات مصيبة.

يذكرني هذا بطرفة عن قاتل مجرم كان في طريقه إلى المحكمة، وكانت أمه لا تكف عن الدعاء بأن يظهر الله الحق، فلم يتمالك الرجل نفسه فصرخ فيها: إن ظهر الحق فيها إعدام.

نعم.. بالنسبة للثورة المضادة: إن ظهر الحق فيها إعدام!. ومن هنا كان هجومهم الكاسح على المجلس العسكري وعصام شرف. إنهم يريدون حكما يواصل الظلم والبطش والتزوير لا حكما يحكم بالعدل ويرسخ الديمقراطية.

في الستين عاما الماضية حاصرت الدولة المسلمين ونكلت بهم وعذبتهم وسجنتهم وصادرت أموالهم وأعدمتهم وجاملت النصارى وتركت لهم الحبل على غاربه حتى أصبحوا يملكون ٢٠٪ من شركات المقاولات في مصر. و ٥٠٪ من المكاتب الاستشارية. و ٦٠٪ من الصيدليات و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة و٣٥٪ من

عضوية غرفة التجارة الأمريكية و ٦٠٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية و ٢٠٪ من رجال الأعمال المصريين و ٢٠٪ من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادي بمصر، وأكثر من ٢٠٪ من المستثمرين في مدينتي السادات والعاشر من رمضان و ٢٥٪ من المهن الممتازة والمتميزة- الصيادلة والأطباء والمهندسين والمحامين، والبيطريين. كما أن أغنى ثلاثة في مصر من الأقباط، أي أن ٥ ,٥٪ من سكان مصر - الأقباط- يملكون ما يتراوح بين ٤٠٪ و ٦٠٪ من ثروة مصر وامتيازاتها؟!.

إن نسبة الكنائس إلى النصارى أعلى من نسبة المساجد للمسلمين، كما أن مساحة دير واحد من أديرة النصارى تفوق مساحات مساجد مصر كلها لكن الكنائس مفتوحة على مدار النهار والليل، والمساجد تغلق عقب الصلاة، ومنبر الكنيسة حر كل الحرية، ومنبر المسجد مؤمم وخطيبه مكمم.

إن نسبة النصارى في مصر أقل من نسبة المسلمين في كثير من الدول الغربية، ولم نسمع أبدا هناك ضجيجا يثيره المسلمون ولا رأينا مسئولا كبيرا أو قائدا في الجيش أو حتى عمدة مدينة من المسلمين. فهل تعرفون لماذا؟ لأن النصارى في بلادنا وجدوا من يشحنهم بالكراهية والأفكار الخاطئة، وجدوا من يشحنهم في الكنائس والصحف والمجلات التي تصدرها الكنائس بأفكار تغذي إحساسهم بالظلم الكاذب ومن هذه الأفكار أنهم أصحاب البلاد وأن المسلمين غزاة. فإذا ما كان الأمر كذلك كان طبيعيا أن يستشهدوا لتحرير بلادهم من الغزاة. وللأسف: هذا ما يفعله بعضهم.

تعال إلى أي واحد في الشارع وسلط عليه من يقنعه أن هذا الشارع ملكه، وواصل إقناعه بذلك أربعين عاما، واملأه بوهم أن هؤلاء السائرين في الشارع غزاة بغاة استولوا على الشارع منه وهو ميراث أجداده وثروة أبنائه. طبيعي جدا أن يشعر هذا المسكين بحقد لا نهائي على كل السائرين في الشارع. يا إلهي.. إنها قصة الشرقاوي الذي اشترى ترام العتبة. في المرة الأولى كانت ملهاة.. وفي الثانية مأساة. شرقاوي اشترى الترام.. ونصراني تملك مصر.. يا للمأساة.. بل يا للمهزلة..

ولنعترف.. أنه وقد تم شحن النصارى بهذه الأفكار المجنونة فإن كل شيء يصبح مبررا وتصبح مشاعر النصارى طبيعية تماما.. وتصبح مشاعرهم ضد المسلمين الغزاة

البغاة الذين استولوا على بلدهم وأرضهم هي الفطرة وسواها غريب.

لكن يظل السؤال معلقا في الأفق يبحث عن المسئول عنه كروح هائمة: يظل السؤال صارخا: هذا عن المشحون فماذا عن الشاحن؟!.

من المسئول عن هذا الشحن المسعور المجرم؟..

الموساد أم السي آي إيه..

أم الآباء والقسس والكهنة.

***

المحزن أن البابا قد حول الانتماء الديني إلى نوع من الحصانة يحصل بها على الامتيازات، تماما كأعضاء المجلسين المزورين ومباحث أمن الدولة ونخب الصحافة والإعلام. والمحزن أنه تحالف مع مبارك ضد الأمة، واثقا من اتهام الإسلاميين بما شاء هو وشاء مبارك.

في الستين عاما الماضية كانت الدولة تتنصر فكرا وإن بقيت في الظاهر مسلمة. وليس معنى أن تتنصر الدولة أن تقيم القداس وتؤمن بالثالوث بل أن تكون وجهة نظرها في الإسلام والمسلمين هي بالضبط وجهة نظر اليهود والصليبيين فيه. لقد خلعت الدولة الفكر العروبي والإسلامي وارتدت الفكر الصهيوني الصليبي الأمريكي. وليته كان فكر الكنيسة المصرية التليد.

إن الغالبية العظمى من المذيعين والمذيعات والصحافيين والصحافيات الذين يتصدرون الساحة الملوثة هم أتباع مسيلمة.

بعد أحداث إمبابة، وعندما بدت بوادر عدل حقيقي يمارس لأول مرة منذ ستين عاما، بدا أعضاء الثورة المضادة متلبسين بالكذب متورطين في خداع الأمة وتشويه المسلمين، ذكرني منظرهم بمشاهد الأفلام القديمة، عندما تهاجم الشرطة بيتا سيئ السمعة، فتحمل رواده ملفوفين في الملاءات. كان في أعينهم وأعينهن ذات نظرة الذل والعار والانكسار. في اليوم التالي كانوا قد امتصوا الصدمة، تماما كما يفعل رواد البيت

سيئ السمعة أمام النيابة بعد أن يتهالكوا أنفسهم ويأتيهم المحامون ويتصلون بذوي النفوذ الذين يحمونهم. فيواجهون النيابة والناس بكل وقاحة.

ثلاث فضائيات أو أربعة تحمل عبء نشر الفتنة وتزييف الوعي وإشعال النار..

إحدى المذيعات فيها كانت تبدو كلبؤة متنمرة تتلمظ لالتهام البشر. قرأت في عينيها أن الحل عندها هو شن حرب إبادة ضد المسلمين واستئصال شأفتهم جميعا.. عرضت في قناتها جنازات النصارى لإشعال الفتنة ولم تعرض جنازة مسلم!. وهكذا فعلت معظم الصحف.

***

في الأعوام الماضية انتشرت أحداث العنف الطائفي وكان موقف الدولة مذهلا، وانفجر التساؤل: هل تغير المسلمون فجأة بعد ألف وخمسمائة عام؟ أم أن طارئا طرأ فحرض النصارى على التحرش بالمسلمين وإشعال الفتنة وكلما أطفأها المسلمون أعادوا إشعالها.

والمذهل أن الدولة بإمكانياتها الأسطورية وأجهزتها الأخطبوطية عجزت أن تفهم ما وراء هذا التحرش من تهديد للأمن القومي بينما فهم البسطاء ذلك فتصدوا بأنفسهم للغزوة الهمجية التي تروم خلعهم من جذورهم، وطردهم إلى الحجاز!.

المواطن البسيط الأمي رأى وفهم، أن هنـك مخططا للتحرش بالمسلمين يُدفع بعض النصارى إليه. مخطط واضح محدد لاستفزازهم وإظهارهم بالمظهر العدواني، ورأي وفهم أن في الإنفاق الباذخ على إنشاء كنائس لا يوجد من يصلي فيها ليست إنفاقا سفيها بل هم يشيدون حصان طروادة. إنفاق سفيه يغذيه تمويل لا سقف له، كي يكسو الطابع النصراني وجه مصر، حيث خصص الفاتيكان ٢٤ مليار دولار للتنصير ورشوة المتنصرين وبناء الكنائس. كما رأى المواطن البسيط أن تحدى القانون كسر للدولة، وأن احتجاز أي شخص حتى لو كان كافرا هو تحطيم لمفهوم الدولة.

***

إني أحذر وأتهم، من أن البابا شنودة منذ مجيئه ينفذ مخططا لإشعال حرب أهلية، ومهما

خضعت له السلطة وتجنبت التصعيد فإنه سيصر على إشعال النار من جديد. ليس من مصلحة المسلمين إثارة الفتنة. لكن البابا وهو على خطأ يظن أن الظرف العالمي المعادي للإسلام يوفر له فرصة لن تتكرر لتحقيق مكاسب حاسمة لأبناء طائفته لن يحصل عليها إلا بإشعال الفتنة. ولقد بلغ التحرش حد الاعتداء على الشرطة ثم الجيش ثم وصل إلى الخيانة العظمي بالتجمهر حول السفارة الأمريكية كي يستغيثوا بها ضد بلادهم.

لقد اعترف موسى شاريت: « بأن أجهزة المخابرات الصليبية والصهيونية سوف تحرك الأقليات في العالم الإسلامي وفي قلبه مصر لتدمير هذه المجتمعات المستقرة» فمن الذي ينفذ أغراضهم؟.

ولعل هناك من يتساءل: وحتى لو كان ذلك صحيحا فلماذا لا نتركهم؟

والجواب: لا نتركهم لأن المسألة مسألة أمن قومي.

لقد كان البابا شنودة عضوا في «جماعة الأمة القبطية» التي ظهرت في مصر في النصف الأول من الخمسينيات- لتدعو إلى تحرير مصر من الإسلام والمسلمين!.. وهو ما يطالب به الآن أتباعه..

الوقوران الشريفان: المشير طنطاوي والدكتور عصام شرف: أعرف أنكما لن تتحيزا أبدا للمسلمين، ونحن نؤيدكم في ذلك، ونذكركم بأن الله سبحانه قد أنزل في كتابه الكريم اثنتي عشرة آية تدافع عن يهودي وتنتصر له من مسلم.

نريد عدالة مطلقة..

ولكنني أذكركم.. أن العدالة المطلقة آخر ما تريده الثورة المضادة..

لا يرضيهم إلا المعادلة الصفرية التي تعودوا عليها ستين عاما.. أن يكون الوزن الفعال للإسلام في المجتمع = صفر٪.

إن الحمى المسعورة التي تشعلها الثورة المضادة تعود إلى ثلاثة مستجدات نزلت عليهم كالصاعقة:

١- لقد تعودوا على أن يرتكبوا من الجرائم ما يشاؤون دون عقاب، وتعودوا أن تلفق الاتهامات للإسلاميين دون حساب.

٢- ولقد نشأ معظم الأقباط على شحن هائل بأفكار شيطانية صورت لهم أنهم أصحاب البلاد وأن المسلمين غزاة.

٣- أن حكما ديمقراطيا عادلا كفيل لا بقذف كل أطياف قيادات الثورة المضادة في مزبلة التاريخ فقط، بل وفي ليمان طرة أيضا.

وثمة سبب رابع أخجل من الاستفاضة فيه.. فلولا أنكم تركتموهم يدنسون الإعلام لما حدث كل هذا.

إنني أحذر..

وأرفض..

وأعترض..

وفقكم الله وجعل مصر في رباط إلى يوم القيامة.

***

حاشية:

إلى شيوخنا السلفيين.. وإلى إخوتنا وأبنائنا.. أنتم تمثلون ظاهرة من أنبل ظواهر الصحوة الإسلامية. لكنكم تفتقدون خبرة العمل السياسي فضلا عن خبرة التعامل مع كلاب جهنم.. أرجوكم: لا مظاهرات على الإطلاق حتى مجيء مجلس شعب جديد ورئيس جديد. اهتموا بالعمل الإعلامي لأن أعداء الله يسيطرون عليه. إن كلاب جهنم من الثورة المضادة تستدرجكم إلى أرض قتل.. فاحذروا.

***

حاشية:

إعلامنا: «الصحاف» بالنهار «وجوبلز» بالليل

منذ بداية التسعينيات، عندما بدأت أكتب بانتظام في « صحيفة الشعب» وأنا لا أكف عن التنبيه إلى طبيعة المعركة العسكرية المستعرة بين فسطاط الحق وفسطاط الباطل هي كما علمنا العلامة محمود شاكر معركة ساحتها ثقافية وأسلحتها القلم والخداع والكذب

(أستعمل كلمة الفسطاط لإغاظة من تشمئز قلوبهم لذكر الله.. لعنهم الله).

ولقد نبهت القراء كثيرا لكي يحذروا عندما تنطلق جل أجهزة الإعلام ككلاب مسعورة أعطاها سيدها إشارة القنص. فتنطلق لا تلوي على شيء يصم نباحها الآذان ويملأ صخبها الأفق.

إعلام خائن يذكرنا بصخبهم وضجيجهم ضد كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله. يذكرنا بصخبهم وضجيجهم في موقعة الجزائر، وفي موقعة غزة وفي موقعة الوليمة: أمثلة لا حصرا. إعلام مبارك. لم يتغير ولم يتبدل. وفي هذا أعاتب المشير ورئيس الوزراء. فقد كان طبيعيا لإعلام لم يتغير أشخاصه ألا تتغير وسائله.

نفس الحملة المسعورة انطلقت بعد أحداث إمبابة.

لقد تجاهل جل هذا الإعلام الحقائق وروج الشائعات وألبس الباطل صوت الحق والحق صوت الباطل. تجاهل مع سبق الإصرار الخسيس والترصد البئيس سبب المشاكل منذ البداية وكون الكنيسة تتصرف كما لو كانت فوق الدولة ولها حق اعتقال أي شخص. ثم كان التجاهل لتفاصيل الفتنة وأن من أطلق الرصاص هو عادل لبيب و١٢ من أقاربه و١٥ بلطجيا. تجاهلت النخبة الخائنة التفصيلات السابقة التي أعلنها الجيش ثم راحت -كما كانت تفعل طول عمرها- تكذب وتكذب وتكذب.

***

أستعير تقديم «أدونيس» وهو كاتب أكرهه، لكتاب « المثقفون والغرب» للكاتب هشام شرابي وهو كاتب أحترمه ولا أوافقه، عندما قال أدونيس: «إن أوروبا لم تعد بالنسبة لنا نحن هذه الشعوب الجاهلة المتخلفة الفقيرة سوى جيفة متمدنة».

أستعير لأقول:

إن الإعلام الافتراضي الكذوب بالنسبة لنا ولكل الأمة المهمشة لم يعد سوى جثث متعفنة تلبس أقنعة من الماكياج، إنه قد يكون أقل قوة مادية من مباحث أمن الدولة لكنه أشد خطورة وأكثر دنسا.

***

لست في حاجة لتكرار أن علاقتي بالجيش علاقة عاطفية مشبوبة منذ بكيت بالدمع الهتون هزيمتنا معه أو هزيمته معنا عام ٦٧، ولا مقاطعتي لأعز أصدقائي عندما كان أحدهم يلمس الجيش بطرفة تسخر منه أو يمسه بسباب وإدانة.

لست في حاجة إلى ذلك، ولكنني فقدت الحماس للشجار من أجل الجيش مع صاحبي الذي راح يقول غاضبا:

- تبدو الأمور كما لو كان مبارك قد طلب من الجيش أن يتصرف بطريقة تمتص طوفان المشاعر الهائلة التي أدت إلى الثورة. وأن يثبت للناس شيئا فشيئا أن : «حكم مبارك.. هذا أفضل»!.

وكان ثمة صديق آخر يقول:

- الصفقة المتوقعة بين العلمانيين والجيش على حساب الشعب.

وكان ثمة ثالث يقول:

- الجيش معذور.. لقد تلقى تحذيرات صارمة من أمريكا وإسرائيل.

وقال رابع:

- الجيش معذور.. لم يتعود على التعامل مع جهاز إعلام كالمرأة الساقطة.. إما أن تستسلم لما تريده منك أو سترمي بدائها عليك وتفضحك أمام العالم.

وقال خامس:

- الجيش لا ينهزم.. سوف يواجههم بقوة وسيسحقهم.

فقال سادس:

- الوضع صعب.. سيحنى رأسه حتى تمر العاصفة وبعدها سينتقم.

وقال سابع:

- الحكاية كلها تمثيلية منذ البداية ولقد شربنا المقلب. مصلحة الجيش مع العلمانيين والنصارى الذين سيقتسمون معه الغنائم.. أما الإسلاميين فسوف يقولون له : شكرا: أنت على العين وعلى الرأس وفي القلب لكن مكانك على الحدود.

وقال ثامن:

- الجيش سيوافقهم كي يتجنب انقلابا عسكريا من خارج المجلس الأعلى.

وقال تاسع:

- إنها المعركة الأخيرة للثورة المضادة.. لو استمرت المحاكمات في خط سيرها الطبيعي فسوف تجد قياداتهم نفسها في ليمان طرة .. سيجردون من قوتهم وأموالهم وأتباعهم.. وهم يحاولون تجنب هذا .. إما قاتل وإما مقتول..

وقال عاشر:

- أدركت أن هذا سيحدث مبكرا جدا.. منذ أصروا على بقاء أحمد شفيق وأبو الغيط ومنذ جاءوا بجابر عصفور وأشباهه ومنذ عينوا الغيطاني والقعيد ومنذ استسلموا للعلمانيين وللأقباط دون محاولة لتفعيل القانون..

وقال آخر:

- على الجيش أن يتجنب حربا أهلية تستمر ١٥ عاما كما قال فضيلة المفتي..

وقال آخر:

- إن كثيرين منهم يستنجدون الآن بأمريكا..

ورد آخر:

- بل هم أقلية لكن وسائل الإعلام تضخم صوتهم..

وقال آخر:

- قرأت على الفيس بوك جملة أرعبتني.. لقد كتب أحدهم يندد بحماقتهم.. إذ أنهم لو استنجدوا بأمريكا فإن الأمريكيين عندما يأتون لن يجدوا نصرانيا يدافعون عنه. إنهم .. هم والجيش لا يعرفون كم الضغط الخطير في قلوب المسلمين الذين يشعرون بالامتهان والظلم طول الوقت.

وقال آخر:

- لكن السلفيين هم الذين بدأوا كل هذا بحماقتهم وعدم خبرتهم..

فرد عليه واحد في غضب:

- بل بدأ شنودة بالاستقواء والضغط على الدولة ورفض حكم المحاكم وإصراره على جعل الأقباط فوق المسلمين بل أنشأ سجونا ومعتقلات، نحن لم نتخذ أي إجراء ضد أي مسلم تنصر. ماذا كان يحدث لو أن شيخ الأزهر اعتقل مسلما تنصر وعذبه ومنع الدولة من الوصول إليه.. لقد أخطأ السلفيون في إعطاء العلمانيين والنصارى ذريعة، وعلى أي حال لو لم يمكنهم السلفيون لاخترعوا ذريعة أخرى. إنهم مصرون على الوصول إلى حافة الهاوية. لا يدركون مدى الخطورة عليهم.

- ...

وكنت أريد أن أقول لهم -لكنني لم أقل- أن الأمر أكثر تعقيدا، وأن أعضاء الثورة المضادة، ونصفهم علمانيون والنصف الآخر نصارى لكن العلمانيين يخوضون المعركة نيابة عنهم وبالأصالة عن أنفسهم، هؤلاء العلمانيون، الغارقون في ذواتهم، بل الذين لا يؤمنون في الوجود بشيء غير ذواتهم، يتصورون الجيش على شاكلتهم، ويذهلهم حرص الجيش على قيادة سفينة الأمة بحنكة بين الأمواج المتلاطمة إلى شاطئ الأمان. شاطئ صندوق الانتخاب. إذ يتساءلون: وماذا سيستفيد الجيش من ذلك. لا يؤمنون إلا بما يستفيدون به. لذلك، فهم لا يقلون سوءا وإجراما عن مبارك، إنهم كأي قاطع طريق يقتل ضحيته ليسرقها. إنهم يريدون قتل الشعب.. قتل الأغلبية.. كي يستولوا على إرادته وثروته.

سوف تكون خطيئة للجيش لو استجاب لهم عارا لا يقل عن عار ٦٧..

لكن عار ٦٧ كان عارا تحمله الجيش مظلوما.. لكن الاستجابة للثورة المضادة وإلغاء مقررات ١٩ مارس ستكون وصمة عار يتحملها الجيش ظالما.

***

إن منطق الثورة المضادة ركيك جدا وكذوب جدا وساقط جدا. ولكنهم أغبياء، فلم يكن لمنطقهم أن يقنع أحدا. كان الممكن فقط منع الآخرين من الرد عليه. وهذا الآن غير ممكن.

نفس منطق النصارى في عمى الألوان ورؤية ما يودون رؤيته فقط. إنكار الحقائق

الدامغة كالنعامة وظنهم أنهم ما داموا لا يرون فإن الآخرين لا يرون إلا ما يرون!

نفس منطق العلمانيين الغبي..

إنهم يطالبون مثلا بتأجيل الانتخابات لأن الوقت ضيق وهم لم يستعدوا بعد. لكن الوقت كان أضيق بالنسبة للآخرين –كالإخوان– الذين كانوا عرضة للتنكيل منذ ستين عاما.

لكن.. إذا ما أتيح لهم مزيد من الوقت؟ ألن يتاح هذا الوقت للإخوان أيضا؟!

وإذا كانوا قد عجزوا عن التواصل وهم مدللون على حجر مباحث أمن الدولة وفي حضن نظام الحكم الدافئ فهل يستطيعون التواصل وهم عرايا؟.

يذكرني أولئك السفهاء بشعور طفولي ساذج أحسسته منذ ستين عاما.. كنت صغيرا جدا.. وكان من حولي أكبر مني سنا وحجما وقوة.. وكانوا يتفوقون عليّ في أي لعبة. لكنني كنت أعزي نفسي أنني بعد عشرة أعوام سأكون أكبر منهم وأغلبهم!. لم يخطر ببالي أنهم سيكبرون هم أيضا.

هل العلمانيون بهذه السذاجة كلها؟

وهل طلبهم تأجيل الانتخابات يعني حقا أن أحزابهم ستنمو؟ أم أنهم يعرفون أنه كلما عرفهم الناس أكثر كلما انصرفوا عنهم أكثر!

إنني أحذر الأمة أن هؤلاء يطالبون باستمرار الجيش يحكم ثلاثة أعوام حتى يستقووا. إنهم كاذبون. إنهم ينادون بذلك كخطوة أولى لإبعاد صندوق الانتخابات الذي سيلقي بهم إلى صندوق القمامة. إنهم يطالبون بذلك وهم واثقون أن الجيش بعدها لن يترك الحكم وأن الطريق إلى صندوق الانتخاب سيسد في المستقبل المنظور كله.

الأمل الوحيد لهؤلاء العلمانيين هو أن يستمر الجيش.. بدونه يضيعون..

بل إنهم يفضلون حكمَ إسرائيليٍّ عن حكم الشعب بالشعب وللشعب!.

ثم يزعمون أنهم ديمقراطيون.

***

أيها الجيش..

يا سيادة المشير طنطاوي..

يا سيادة رئيس الوزراء.

النخبة المثقفة خائنة.. وهي ابنة سفاح لأمن الدولة..

والأقباط ليسوا مظلومين في مصر..

إنهم أسعد أقلية في العالم..

إن وضعهم أفضل بكثير من الأغلبية.

ليت المسلمين يحصلون على حقوق كحقوقهم..

ربما يوجد سوء تنظيم لكن لا يوجد ظلم..

يوجد أيضا شحن مسعور بالكراهية للمسلمين يقوم به عبيد للشيطان يزعمون أنهم قسس أو رهبان..

ويوجد أفكار مجنونة مثل أن مصر بلادهم وأن المسلمين غزاة..

ويوجد تخلف وأساطير مثل ظهور العذراء .

وتوجد طبقة علمانية سافلة تنصرهم وهم على الباطل نكاية في الإسلام..

وأغلب هذه الطبقة مسلمون بالاسم لكنهم أسوأ من الكفار والمرتدين والزنادقة.

بهذا الشحن وصل كثير من الأقباط إلى حد الجنون فعلا.. أما قوادهم الذين يشحنونهم فيدركون أن الفرصة سانحة لهم الآن فإن لم يهتبلوها فلن تقيض لهم بعد ذلك أبدا.. فرصة ضعف الدولة وانهيار الأمن وخوف الجيش من التورط في الفتنة..

إنه الابتزاز..

لكنه ابتزاز أحمق مجنون.. لأنه سيعود عليهم بالدمار والخراب.

***

يا سيادة المشير طنطاوي.. يا سيادة رئيس الوزراء.

لكم هو محزن أنه منذ ٦٧ فإنني أقرأ الواقع فأحذر وأرفض وأعترض.. فلا يسمع لي

الطاغوت فيحدث كل ما تنبأت به.

ومنذ سبعة أعوام حذرت الأقباط من الاستعلاء والاستقواء واستغلال الظرف.. حذرتهم من فتنة لا تبقى ولا تذر.

منذ سبعة أعوام كتبت:

سوف يركع نظام الحكم أمام شنودة بل سيسجد. سوف يسلم له بكل ما يريده. سوف يسقط الجرائم التي يرتكبها النصارى على الإسلاميين وسيحاول استئصال شأفتهم، سوف يهاجم النصارى الشرطة فتلفق التهم للإسلاميين. سوف يتحدى النصارى الدولة فيُنكل بالإسلاميين. سوف يحملون السلاح فتنسب الجريمة إلى الإسلاميين. سوف يمارسون الإرهاب فيتهم به الإسلاميون. سوف يطالبون بالمساواة والمساواة عندهم إلغاء وجود الإسلاميين وطرد المسلمين جميعا من مصر وهو الأمر الوحيد الذي يقنع شنودة وبيشوي.

سوف يحدث ذلك. وسوف تحقق سياسة شنودة نفس ما حققته سياسة هتلر في أوروبا في بداياتها. لكن كيف كانت النهاية. الدمار الكامل والسحق الشامل. ولو طال بمن يحملون هذه الرؤية الشاذة العمر لانتحروا كما انتحر هتلر. لست أدري لماذا يعرِّضون النصارى لكل هذه المخاطر. هل يدركون ماذا تعنيه حرب طائفية؟ في البداية سيقتل النصارى من المسلمين مائة ألف أو حتى مليون. لكن ماذا سيحدث بعد ذلك. كم سيبقى من النصارى؟!. هل سيبقى منهم مائة ألف أو مليون. وهل سيقر للباقين قرار أم سيلحقون بإخوتهم المهاجرين إلى أمريكا. هل سيبقون مالا أو قوة؟. سوف يدمر اقتصاد مصر. وسوف تتدخل أمريكا. لكن هل استطاعت أمريكا حماية نصارى العراق؟ وهل تستطيع كل قوى الدنيا أن تمنع استشهاديا أو انتحاريا من تفجير نفسه أينما شاء؟!. ثمة نقطة أخرى، إن الخراب الذي سيلحق بمصر لن يؤثر كثيرا في عامة الناس والمسلمين، فثرواتهم منذ البداية منهوبة وقوتهم محاصرة وتأثيرهم محيّد. لكنه سيؤثر على طغمة اللصوص المسيطرة الآن. ستضعف الدولة. سيتهاوى النظام. وبتهاوي النظام ستقوى الحركة الإسلامية إلى ما غير حد. وسوف يؤدي هذا إلى تنامٍ مذهلٍ للمد الإسلامي في

العالم كله. فمصر دولة محورية، ويمكن إذ غيرت موقفها أن تغير موازين السياسة في العالم.

يا شنودة: إنك لم تكف عن التصعيد منذ أربعين عاما، وإن كل ما يحدث الآن بسبب تصعيدك. أنت تريد معاملة المسلمين كعبيد لا حقوق لهم. وهذا لن يحدث. لقد واجهتك سلطة رخوة وشعب مقهور. لكن إذا ما واصلت الضغط والاستفزاز والابتزاز ستنهار السلطة وسينفجر الشعب.

***

ليت السلفيين هم الذين يواجهون النصارى يومها.. بل سيواجههم من لم يقرأ كتابا ومن لم يدخل مسجدا .. من لا يصلهم عواء العلمانيين ولا نباحهم. لن تكون عصبية تحركها الشريعة بل عصبية خارج إطار الشريعة. وأقسم بالله غير حانث.. أنني أظن أنه عندما يحدث ذلك فإن السلفيين سيبادرون إلى حماية النصارى ولو بأرواحهم. بحكم الشريعة عليهم وإلزامها لهم.

***

يا سيادة المشير طنطاوي.. يا سيادة رئيس الوزراء،

هل تريدون حلا؟

إليكم هذا الحل:

إلغاء تعيين شنودة في منصبه كبابا للإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

- استدعاء أغابيوس للشهادة أمام النيابة وإجبار الكنيسة علي تسليم كاميليا شحاتة إلى المجلس العسكري وإعدادها نفسياً لحين ظهورها المرتقب.
- استدعاء عبد المسيح بسيط والتحقيق معه عما قاله مع إبراهيم عيسي على قناة الجزيرة للوصول الي حقيقة تسليح الأقباط من عدمه.
- تجريم كل من يُعطي لقب الشهاده لأحد خفاء أو علانيةً.
- إلغاء لجان النصح والإرشاد للمتحولين لعدم قانونيتها ولما تسببه من أضرار للمجتمع.

• فتح تحقيق فوري في مقتل الراهبة أغابي يوحنا الحبيب في دير ماريوحنا في أكتوبر ٢٠٠٧ واستدعاء بطرس أسقف الدير للتحقيق معه بعد أن أغلق شنودة التحقيق في مارس ٢٠٠٨!!.

فإن شنودة يأخذ مصر بأكملها إلى المجهول لا يبالي بأحد ولا يردعه أحد... لقد أساء باقتدار إلى العلاقة والأخوة بين المصريين بعضهم البعض ... ولم يتخذ موقفا من صبيانه علي الفضائيات ينهشون في الآخر وهو صامت لا يبالي بأحد !! ولم يبالي فهو ليس بأب وليس له ابن يحس به ويتوق إلى أحضانه... إن شنودة وبقلبه الثلجي يعصر هذه الأمة هو ورجاله بلا رادع وتحت سمع وبصر الجميع بلا استثناء ليعيش هو وكهنوته.

ما كان أسهل وأسرع من خلع مبارك !! ولكن أمام كاهنٍ متشح بالسواد تجَمَد المسلمون قبل المسيحيين والمسئولون قبل الشعب في استحياء وخجلٍ ظانين إن من خلفه يقبع الإله ولكنهم واهمون وعن الحقيقة متعامون.

لدي سؤال له ليس ببعيد عنه وهو: هل لا زلت ياشنودة مباركيا؟ ... ولم لا فكل الشواهد تؤكد صدمته لخروج مبارك من الحكم ومعارضته لتظاهرات الأقباط حينها ...؟ ولكن ألا نحتاج الآن وعلى وجه السرعة يا شرفاء المصريين لقرار ساداتي لاستعادة السيادة المصرية علي أراضيها بإلغاء تعيين شنودة في منصبه كبابا للإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ؟!. من هو هذا الشجاع و السباق إلى مصلحة الوطن... الجيش أم رئيس الوزراء ؟

في حالة كاميليا شحاتة كان هناك من يشكك في خطفها وتعذيبها بالرغم من قول الشهير أغابيوس وعلى الهواء مباشرة : « اللي بيحصل كدة هو تقريباً حاجة زي غسيل مخ وحاجات زي كدة فلازم إحنا نعمل غسيل للغسيل » وأما في حالة عبير فخري فالجريمة واضحة ومن فم الضحية مباشرة خطف وإجبار علي اعتناق ما لا تريد وتعذيب واحتجاز ... إلخ إنها جرائم واضحة المعالم متكاملة الأركان يا رئيس الوزراء ويا وزير العدل فماذا بالله عليكم تنتظرون ؟ إن الأحداث تتلاحق مسرعة وتتراكم لتصب ناراً على الجميع واعلموا أن ظهور عبير فخري على السطح لن يُنسِيَ أحد قضايا كاميليا ووفاء والأخريات

إن المطالبين بلجان النصح والإرشاد للمتحولين هم من المشاركين في هدم هذا البلد وإنني أسألهم كما أسأل الكهنة أين كنتم إذاً طوال عُمر المتحول (البالغ) وأين كان إرشادكم ووعظكم ونصحكم ؟ إن أعينكم كانت وأبداً علي صناديق النذور والعشور والزكاة فقط وعندما يتحول شخص تقيموا الدنيا عليه ولا تقعدونها يا أولاد جهنم... «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا» مت ٢٣.

لابد من كبح جماح هذه المدعوة بالكنيسة قبل فوات الأوان إن لم يكن قد فات فعلاً ... ولا وألف لا للجان الإرشاد والوعظ ... إن الكنيسة لا يهمها أولادها وهي تقود مصر إلي حرب أهلية لا محالة ورسالتي إلي هذه الكنيسة إذا كانوا يقرؤون: لن تنفعكم أمريكا (راجعوا مسيحيي العراق) لن ينفعكم الجيش المصري ولا الشرطة (راجعوا أحداث إمبابة) علاقات المحبة والأخوة الحقيقية من القلب للقلب بينكم وبين جميع المسلمين هي الخلاص بعينه ... وحذروا ماذا guess what... إنها تتوافق وبشدة مع تعاليم المسيح أما لعب التلات ورقات وألاعيب شيحة (تَخَصُصك ياكنيسة) فلن تنفعكم والهلاك في انتظاركم وانتظارنا.

إن توزيع الكنيسة لصكوك الشهادة على قتلى الاشتباكات لهو يعني ويعلن تجهيز الكنيسة لجيش من الانتحاريين من أولادنا المغيبين يحملون الصك المزعوم على صدورهم آملين في الشهادة (لاحظوا أنه لم تقام دعوي قضائية واحدة ضد الكنيسة من أباء وأمهات فتيات المعادي الغرقى وقتلي كنيسة القديسين ونجع حمادي ..... . وأخيراً وليس آخراً إمبابة وراجعوا أيضاً تصريحات بيشوي عن الشهادة).

***

هذا هو الحل..

لكن..

معذرة يا سيادة المشير طنطاوي ويا سيادة رئيس الوزراء.

لقد أخفيت عنكم أمرا.. أخفيته عامدا متعمدا.. هذا الأمر هو أنني لست صاحب هذا

الحل.. صاحبه كاتب مسيحي هو الأستاذ هاني سوريال .. وهو منشور في الصحف!!

***

يا سيادة المشير طنطاوي ويا سيادة رئيس الوزراء.

إياكم والاستجابة للثورة المضادة..

لا تخذلوا أمة وثقت فيكم..

لا تهدروا رأي الأمة في استفتاء ١٩ مارس..

إن الثورة المضادة أضعف بكثير جدا مما يبدو في الظاهر..

وكما قلت لكم.. إنهم لا يفهمون أبدا كيف يمكن أن يكون المرء شامخا ونبيلا ويستطيع التضحية ولو بروحه.. وهذه الصفات التي لا يفهمونها هي عماد روح الجيش. لكنهم يراهنون على ما يظنون من خسة البشر جميعا وإمكانية غوايتهم وشرائهم. إنهم يقيسون الناس على قدر خستهم ووضاعتهم. فلا تمكنهم من نفسك أيها الجيش ولا منا..

***

يقول السفهاء أن الجيش ارتعب من صياح العلمانيين وسيطرتهم على الإعلام.. وأنه قرر التراجع أمامهم كما تراجع أمام النصارى.

يقول السفهاء أن الجمل أثبت أنه فعلا كالوتد لا يمكن خلعه (دعنا من الصلة الوثيقة بين الوتد والحيوان). ويقولون أن المذهل.. أن ما يقول به الجمل هو ما يحدث فعلا.. أما ما يقوله الجيش أو رئيس الوزراء فمشكوك فيه!.

إن اللجنة التي شكلها الجمل هي لجنة أشقياء..

لجنة أشقياء يشقُّ الأمة بها شقيٌّ..

هذا الرجل كان بعض الناس يحترمونه لأنهم لا يعرفونه..

هذا الرجل يصدق فيه قول الشاعر:

تولاها وليس له عدو　　　وغادرها وليس له صديق

لكن.. لماذا يستسلم له الجيش..

لماذا قبل تعيينه؟

ثم لماذا وافق على استمراره..

الجيش.. الوقور الصريح القوي النزيه الشريف.. لماذا يفعل ما فعله عبد الناصر والسادات ومبارك حين كانوا يحرصون على عدم تجانس الحكومات ووجود المتناقضين والمتصارعين فيها لأن هذا التناقض والصراع يشكل صمام الأمان للطاغوت..

هم يفعلون ذلك لأنهم طواغيت ومجرمون.. فلماذا يفعل الجيش ذلك..

لماذا؟

يا أيها الجيش أَقِـلْـه.

يا أيها الجيش هذا رجل ضرار وبؤرة عدوى وثغرة طابور خامس.

هذا الرجل هو مندوب الثورة المضادة..

يا أيها الجيش هذا الرجل يصرح التصريح ويصرح بضده خلال ساعة واحدة كعدو يحرص على إيجاد ثغرة في السور المنيع، فكلما اكتُشف أمره هرب وبحث عن ثغرة أخرى يحاول النفاذ منها أو إطلاق بالون اختبار آخر حتى أصبح بحق مطلق الشائعات الأول في البلاد.

هذا الرجل يسبب بلبلة هائلة في الرأي العام وقد تؤدي هذه الفتنة ذات مرة إلى انفجار فليس في كل مرة تسلم الجرة.. خاصة إذا سقطت على وتد الجمل!.

يا أيها الجيش: فسر للأمة سبب قيام الجمل بمفاجأة الأمة بحديثه عن قيامه (من هو؟.. مجرد جمل!) بتشكيل لجنة لصياغة الدستور متجاهلا استفتاء ١٩ مارس.

هذا الرجل هو الثالث الذي يحمل دكتوراه في العناد!

***

يقول السفهاء أن الجيش يبدو غير مستوعب لدوره الجديد كالسلطة العليا في البلاد.. وأنه ما زال يتصرف كمنفذ لأوامر سلطة عليا.

أيها الجيش لا تفتح باب الشيطان ولا تستسلم لهم..

لو أنك وافقت على إهدار نتائج استفتاء مارس فما يدريك ما يطلبون منك غدا..

إن الأمر يبدو كما لو كان انقلابا من الجمل على المجلس الأعلى للقوات المسلحة..

انقلاب ناجح..

يا إلهي..

إهدار الاستفتاء وبراءة إبراهيم كامل وسجن عبير!!.

في يوم واحد..

ف..ي.. .. يـ..و..م.. .. و..ا..ح..د..

***

وما يدريك يا جيش أن الأمة لن ترفض الدستور المقترح من نخبة لا نشك قبل أن يعلن عنها أنها منفصلة عن دين الأمة ووجدانها وضميرها.

لماذا تفتح بابا للفوضى وللشيطان..

لقد قال فلوباتير عليه من الله ما يستحق: أن النصارى يتظاهرون لأن الجيش لا يستجيب إلا بالضغط عليه.

لكن ما يدريك يا جيش أن مظاهرة من خمسة ملايين ستخرج إلى ميدان التحرير تطالب بنزع الوتد وتسريح (بالسين لا بالشين) الجمل وإسقاط كل مؤامراته وتخطيطه للثورة المضادة.

ماذا سيفعل الجيش عندها؟

إن المخاوف التي حذرت فيها في مقالي : «نعم أو الكارثة تتحقق كلها».. فلماذا؟..

لقد وثقنا في حكمة الجيش ووقاره..

فلا تخذلونا.

لماذا تفرض عليكم الهزيمة دون أن تنهزموا ..

لماذا يتكرر ما حدث عام ٧٣ عندما انتصرتم في الميدان ففرضت عليكم السياسة الانسحاب..

لماذا؟!

ألم نحذرك أيها الجيش منذ البداية.. ألم ننبهك؟!

فرق بين أن تقع في حفرة لم ينبهك أحد إليها وبين أن تقع في حفرة بحت أصواتنا من تنبيهك إليها.

ألم نحذرك من الإبقاء على كل كيان الثورة المضادة حولك فاعلا ومسئولا ومهيمنا..

ثم تشكو الآن من افتقاد الأمن.. الافتقاد الذي تفجره الثورة المضادة..

أنا عاتب عليك أيها الجيش...

عاتب .. عاتب.. عاتب.. عاتب..

لماذا؟

لماذا؟..

لماذا..؟..

لماذا فعلت بنفسك ذلك؟ ولماذا فعلت بنا ذلك؟

واجه بقوة.. فأنت إزاء من لا يفهم إلا القوة..

واجه بسيادة القانون فأنت تواجه قوما تعودوا أن يسرج لهم القانون ليركبوه لا ليتبعوه..

يا أيها الجيش: كرامتك كرامتنا فلتكن كرامتنا كرامتك..

يل أيها الجيش: حسبنا الله ونعم الوكيل..

يا أيها الجيش: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

***

يا أيها الجيش.. واجه صعاليك العلمانيين..

وواجه متطرفي النصارى والمسلمين..

واجه بقوة وبحزم وبحسم.. والله معك والأمة معك..

لا تفتح بابا للشيطان ولا للجمل..

لا نريد نكسة ولا انسحابا ولا هزيمة..

كفانا..

هرِمنا..

لا تنهزم.. لا تنهزم.. لا تنهزم.. لا تنهزم.. لا تنهزم.. لا تنهزم.. لا تنهزم.. لا تنهزم..

نرجوك.. لا تنهزم..

نرجوك.. لا تخذلنا..

لا تخذل الأمة..

ولا تخن أمانتك أمام الله ورسوله والمؤمنين.

الجزء الثاني

قبل الثورة

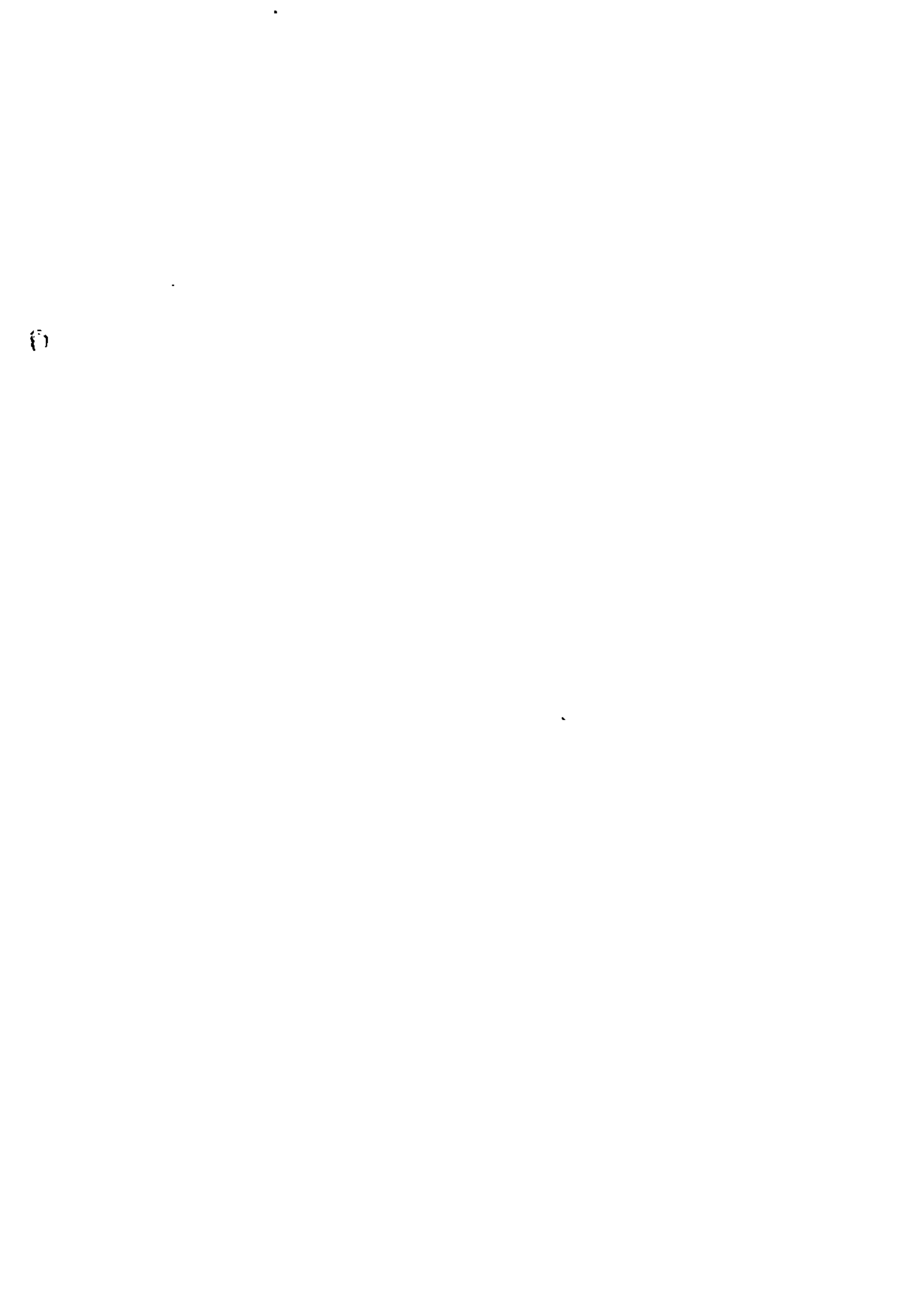
مجموعة من المقالات كتبت قبل الثورة تمثل إرهاصات صريحة ونبوءات تحققت ومنها على سبيل المثال المطالبة لا بعزل مبارك ولا بتنحيته بل بمحاكمته. نشرت هذه المقالات داخل مصر تحت حراب جند الطاغوت وأمن دولته.



هلك الفاجر



مقدمة الجزء الثاني



في هذا الجزء من الكتاب ناديت بالخروج المسلح على الحاكم لأنه ليس حاكما بل رئيس عصابة.. وأترككم مع فقرة من إحدى مقالاته.. نشرت في أغسطس ٢٠٠٥:

إننا لا نواجه حاكما ظالما كنابليون لكنه يحول بلاده إلى قوة عظمى.. ولا حتى سفاحا كموسيليني أو جبارا كهتلر.. أو خسيسا كشارون أو غبيا معتوها مجرما كبوش، فكل أولئك مهما كان رأينا فيهم كانت لهم سمتان: السمة الأولى أنهم كانوا يقصدون – صوابا أو خطأ – رفعة بلادهم وسيادتها.. والسمة الثانية أن جل بأسهم كان ضد أعداء بلادهم – أيضا: صوابا أو خطأ- .. أما سمة طواغيتنا فهو أن كل بأسهم موجه تجاه مواطنيهم، وأنهم يقصدون مع سبق الإصرار والترصد إذلال مواطنيهم وبيع أوطانهم مقابل استمرارهم واستقرارهم على عروشهم.. مقابل التمديد والتوريث. ولقد بلغت الخسة بأحدهم.. بعد أن حكم ثلاثين عاما أنه يرفض تحديد مدة الرئاسة على أمل أن تصل إلى ابنه، لذلك فقد رفض التحديد بدورتين!!.

نحن إذن لا نواجه حاكما ظالما أمرنا الإسلام –في ظروف خاصة وبشروط محددة- بالصبر عليه.. ولا خلافات سياسية يجب أن نحلها بالحوار.. لكننا نواجه قرصانا استولى على السفينة وهو مستعد لحرقها إن لم يتمكن من التمديد والتوريث!!.. ومثل هذا القرصان لا يفيد معه – بل ولا يجوز – حوار. و إنما ضغط شعبي لا ينتهي حتى يستسلم..

قد يبدو الأمر للوهلة الأولي غريبا، لكن القارئ يستطيع أن يدرك الحقيقة عندما يسأل نفسه : كم من هذه النخبة الفاسدة العفنة يفضل أن يظل اليهود في غزة عن أن تحكمها حماس.. وقس على ذلك في العراق و أفغانستان والشيشان والفلبين وكافة بلاد المسلمين. بل إنني أطرح سؤالا أسهل: كم من النخب في بلادنا تفضل حكم العسكر الباطش الجبار الفاجر عن حكم إسلامي؟!!..

الخطأ القاتل الذي وقعت فيه المعارضة أنها تصرفت كما لو كانت الحكومة حكومة فعلا .. والرئيس رئيس حقيقة.. والمؤسسات مؤسسات..

ولم يكن أي من ذلك صحيحا..

تنفك المعضلة وتنحل المشكلة عندما نتوقف عن أوهامنا و خداع أنفسنا بالنظر إلى حكوماتنا كحكومات – مهما كانت باطشة وظالمة- .. لننتقل إلى تشخيص صحيح للواقع بأننا لا نواجه حكومات بل نواجه عصابات .. ولا نواجه حكاما بل نواجه قراصنة..

في هذا التصور يختلف كل شيء..

تختلف أحكام الشرع التي تفرق ما بين حاكم ظالم قد تجوز – أقول قد – طاعته درءا لمفسدة أكبر وما بين لص استولى على الحكم كما يستولي القرصان على سفينة.. فمع القرصان يجب القتال ومن يموت يموت شهيدا.

ويواكب القانون الدولي الشرع ويتفق معه.. فهو يجيز الخروج المسلح على الحاكم الذي يعطل أحكام القضاء.. والقرصان أخطر من ذلك بكثير. إنه لا يعطل أحكام القضاء فقط، بل هو يزورها تزويرا، ويختلقها اختلاقا، ويصطنع حوله فقهاء سوء فلا يتولى القضاء إلا قضاة النار إلا فيما ندر..

أغسطس ٢٠٠٥

ملك الفاجر

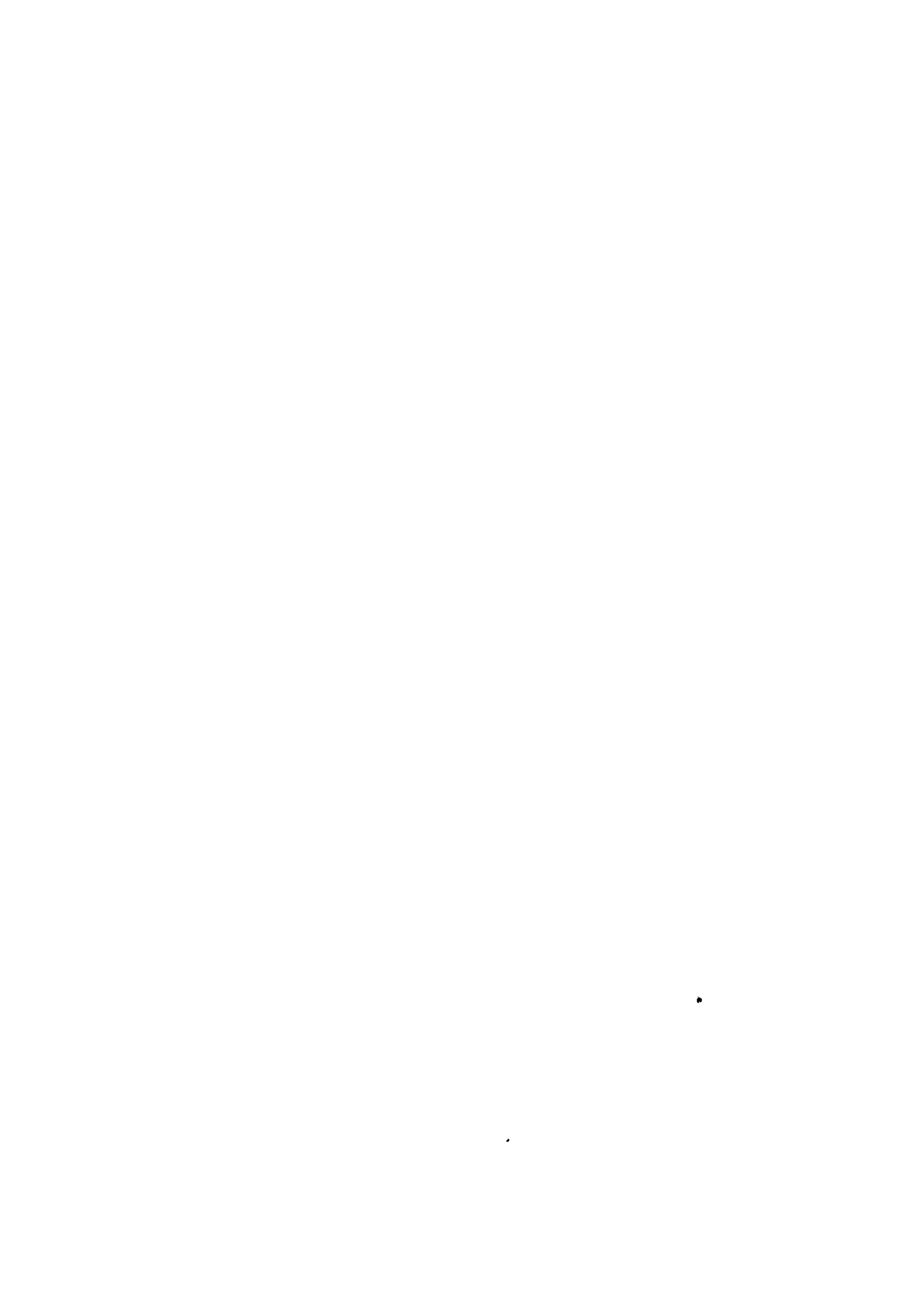


محجوب عبد الدايم: ملك ورئيس وأمير

زواج الكنيسة من الحكومة في مصر باطل!

وإلغاء مكاتب تحفيظ القرآن في السعودية باطل(*)

(*) نشر في نوفمبر ٢٠١٠.



هل اكتشف أمير مكة أن الوحي ما زال يتنزل في واشنطن؟! وأنه قد نزل وحي أقفلت بموجبه وسرحت لأول مرة في التاريخ حلقات تحفيظ القرآن في المسجد الحرام ، وهو أول إلغاء رسمي لها منذ عهد الإسلام الأول ..

وهل اكتشفت مباحث أمن الدولة –في مصر- بالدليل القاطع صدق بيشوي وأن القرآن فعلا محرف؟؟ وأن من أضاف إليه هو سيدنا-لا سيدهم- عثمان بن عفان وأن البحث عنه جار للقبض عليه؟!..

هل اكتشف صعاليك الحانات السكارى الزناة الشواذ الذين يسمونهم حداثيين من أتباع القمني ونصر حامد أبو زيد وخليل عبد الكريم وجابر عصفور أن القرآن ليس أكثر من نص تاريخي ادعاه محمد ﷺ على ربه وأن سيدنا أبا بكر ﷺ أمر بعض الصحابة أن يؤلفوه فألفوه (والكلمة موجودة في كتب السيرة لكن الجهلة والأغبياء لن يعلموا أن التوليف هنا بمعني تنظيم الرقاع والعظام التي دُون القرآن كتابة عليها..

هل اكتشفت المخابرات العامة بعد الاستقصاء المستفيض والاتصال بكل أجهزة مخابرات العالم وعلى رأسها الموساد والسي آي إيه أن الله غير موجود..

هل اكتشفت لجنة السياسات اكتشافا لا شك فيه أن المسيح هو ابن الله وأن الله ثالث ثلاثة..

هل اكتشف الشاذ الخسيس دلائل دامغة على أن الفضائيات الإسلامية والنقاب هما أساس تخلف الأمة..

هل اكتشف المجرم المتهود أن السلفيين هم مجوس هذه الأمة لذلك أقسم ألا يعتلي المنابر سلفي..

وهل اكتشف أوباش العلمانيين أن الإرهاب لصيق بالمسلمين مهما استسلموا واستكانوا وأن النصارى أبرياء منه وإن تجبروا وخانوا؟! أما اليهود فهم فوق الحساب مهما فعلوا وأينما كانوا.

هل اكتشف الأمير خالد بن الفيصل أن مكاتب تحفيظ القرآن في البيت الحرام التي لم تغلق منذ عهد الرسول ﷺ هي منابع الإرهاب فأغلقها..

فإن لم يكن هذا التخريف كله..فلماذا أغلق الأمير الكتاتيب رغم توسلات العلماء والسادة إليه.. حتى أن الوزير السابق والعالم الشهير والمجاهد الكبير محمد عبده يماني مات إثر إصابته بنوبة قلبية بسبب رفض الأمير توسلاته لإعادة تحفيظ القرآن في هذه المكاتب.

لقد أصدر الأمير قراره وهو على جناح سفر خارج المملكة ..

تماما كما صدر القرار بالتنكيل بالمسلمين وعدام سيد قطب وعبد الناصر في موسكو..

اجتمع العلماء -كما يذكر- الشيخ خضر بن سند وكثيرون غيره- وتوسلوا..

وفي اجتماع جمع رؤساء المحاكم والعلماء والوجهاء ليبحثوا هذا القرار ، وجدوا أنّ القرار بيد الأمير وحده ، عندما أغلقت السبل وتقطعت الطرق وتنصل الجميع من المسؤولية ، فوجئوا بمحمد عبده يماني يجهش بالبكاء مثل مجاهد يرى هلاك أمته وهو ينصحهم ويمنعهم من الشر فيكتب الله له -أحسبه كذلك- أجر شهيد وإن مات في فراشه.. ذلك أنه عندما أحس بالخذلان المتكرر ، رأى أن يصدع بالحق رغم أمراضه فصدع بالحق في وجه الأمير في يوم الإثنين الثاني من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣١ ، وفي مجلس الأمير خالد الفيصل ، تكلم يماني مع الأمير عن حلقات القرآن ، واحتدم النقاش ، وخرج الحوار عن مساره إذا أصر الأمير على رأيه . كان يماني يقول في نفسه ولجلسائه دائماً بعد هذا القرار ، إنه القرآن الذي تبذل الأمة مهجتها من أجله ، والقرآن الذي نعيش به ونحيا على ضوئه ، إنه كلام الله الخالق العظيم ، وليس لعبة في أيدي الناس ، ومع النقاش العنيف و وأمام الملأ سطر يماني ملحمة الخلود ، ورأى أن بطن الأرض خير من أعلاها ، لم يستطع أن يعيش ليشاهد كتاب الله تعبث به الأيدي ولا يجد نصيراً .. واحتد النقاش عندما تكلم الفقيد رحمه الله مطالباً بالتراجع عن القرار، فرد عليه الأمير بقوة متذرعاً بأن للقرار حيثيات لا تعرفونها .. !! ، وبلغ الانفعال بالمجاهد الشهيد-ولا أزكيه على الله- كل مبلغ مما تسبب في بداية أعراض الأزمة القلبية ... وبعد حوالي أربعين دقيقة تم نقله للمستشفى ! وكانت حالته حرجه حتى توفاه الله تعالى يوم الإثنين ٢-١٢-١٤٣١هـ.

رغم محاولة الصحافة إخفاء حقيقة ما حصل، إلا أن صحيفة عكاظ في عدد الثلاثاء ٣

ذو الحجة ١٤٣١ هـ وعلى لسان الدكتور عبد العزيز خوجه وزير الثقافة والإعلام اعترفت بذلك ..

***

ماذا حدث..؟

ماذا يحدث؟!

رئيس الجمهورية في العراق ملحد يفخر بإلحاده..

ورئيس الوزراء سفاح قتل مئات الآلاف بأبشع الوسائل- واسألوا المجاهد الشيخ حارث الضاري..

العراق واحدة من أكثر بلاد العالم فسادا..

والعراق انتقل إلى العصر الحجري.. وهو على وشك التفكك.. وبوش يقول أن مصر والسعودية حرضتاه على غزو العراق.. وهو كذوب وإن صدق.. والأصح أنه حرضهما على أن يحرضاه!..

لكن ما يحدث في العراق على أي حال هو النموذج والمثل الذي تريده أمريكا في كافة عالمنا الإسلامي.. خاصة في أركان العالم الإسلامي ودعائمه: في السعودية ومصر وتركيا وإيران والسودان وسوريا وباكستانِ وأفغانستان..

نعم ..

تريد أمريكا في كل بلد من هذه البلاد رئيسا ملحدا ورئيس وزراء سفاح ودولة تتفكك..

أمريكا تريد ذلك..

فلم يريد ولاة أمورنا ما تريد؟!

لا أقول لماذا لا يقاومون؟

بل لا أقول حتى لماذا لا يعترضون؟

وإنما أقول لماذا كرسوا أنفسهم لتنفيذ أغراضها كما لو كانوا قد اكتشفوا أن أقوال

المستشرقين عن الإسلام والقرآن صحيحة.. وأن محمدا ﷺ –حاش لله– كذب على ربه وأن الصحابة ألفوا القرآن وأن عثمان رضي الله عنه زاد في القرآن وأن المسيح هو الله.

***

هل اكتشفتم ذلك؟

هل اكتشفتم ذلك يا أبناء الأفاعي؟..

هل اكتشفتم ذلك يا كلاب النار يا حطب جهنم؟

فإن لم يكن ما تقولونه صحيحا..

إن كنتم أكذب من مسيلمة..

إن كنتم أدرى بدروب الشر والخسة والتهتك من الشيطان..

وإن كان ما تزعمونه ليس سوى تحريف في تحريف..

نعم..

تحريف في تحريف..

فلماذا هزمتنا حكوماتنا

لماذا اختارت جانب الأعداء؟..

لماذا وقفت ضد الأمة ودين الأمة وثقافة لأمة ..؟

لماذا توقف تحفيظ القرآن وتبيح عبادة الشيطان؟.

لماذا تغلق الفضائيات الإسلامية وتهلل –حتى في رمضان– للشذوذ والزنا وتمتدح مقترفيه؟.

لماذا اعتبر الزناة كل زوج طاغية وكل زانية شهيدة؟

لماذا اعتبروا كل من اعوج لسانه مثقفا متحضرا وكل من تمسك بالفصحى إرهابيا أو على الأقل رجعيا متخلفا عائدا ألف وخمسمائة عام إلى الوراء(ويقصد الكلاب والخنازير عصر الرسالة)؟

لماذا تحارب حكوماتنا القرآن؟.. لماذا تغلق فضائيات تعلم القرآن وتدافع عن

الإسلام؟ ولماذا تطارد شبابنا وتعتقل المسلمين وتقتلهم وتنكل بهم؟

أي ديوث يركع لغير الله أصدر القرار؟

ولماذا..

لماذا عندما نظرنا للسعودية كالملاذ الأخير.. تكون هي القائدة للعلمانية وللتنكيل بالإسلام وموالاة أعدائه..ويتم ذلك تمهيدا للتغريب والمشروع الأمريكي؟

لماذا حسمت مصر رأيها لتحدد موقفها الأخير ولتقف ضد الإسلام وكأنها تنصرت؟

لماذا؟..

ففي اللحظة التي انتظرنا فيها كمسلمين أقصى درجات الإنصاف إذا بالطواغيت تنتصر للنصارى نصرا لا هو عادل ولا هو يحافظ على الأمن القومي ولا هو يساعد على التوريث..

وفي اللحظة التي اشرأبت أعناقنا إلى السعودية لتستضيف تلك الفضائيات فوجئنا بها تغلق مكاتب تحفيظ القرآن.. فمن قائل أن السلفيين هم الذين ابتدعوها وأن السلفية من القوة بحيث لا تدع مذهبا آخر ينمو بجوارها.. ومن قائل أن الإخوان المسلمين هم الذين ابتدعوها ولذلك لابد من قطع الطريق عليهم..

يا حمقى هذا قول عباد الصليب..

يا حمقى.. يا عباد الصليب فالسلفيون والإخوان يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. فهل ترجعون عنها كذلك؟

لكم أساؤوا إلى الإسلام والمسلمين وهم على حق وكم آزروا اليهود ونصروا النصارى وهم على باطل.

في عهد عبد الناصر كان الموقف من الإسلام والمسلمين عهد تحطيم وتكسير.. أما في هذا العهد فإنه عهد امتهان وتنصير..

وذلك أقسى.

ولو أن الطاغوت كان يهوديا أو نصرانيا لما كان له أن يفعل ذلك.. لأن كرومر نفسه لم

يفعله..

الذي فعل ذلك خان الأمة والدولة والوطن..

لكنه قبل أن يخوننا كان قد خان الله..

سبحانه..

سبحانه..

سبحانه..

لا إله إلا هو..

لا إله إلا هو..

واحد أحد.. واحد أحد.. واحد أحد..

عتاة القساوسة والأحبار يجاملوننا أو يخدعوننا فيقولون أن الإسلام دين سلام..

ولكن مندوبنا في واشنطن يقول أن حكومته أغلقت ثماني عشرة فضائية كانت تنشر الكراهية..

فماذا يقول أنجس مبشر أو أكثر الأحبار إلحادا وفجرا أكثر من ذلك؟

سبحانه..

وبوش يقول أن مصر والسعودية شجعتاه على غزو العراق..

وجنوب السودان –الذي سلحته ودعمته مصر والسعودية– لا يشترط الحكم بالوثنية ولا حتى المسيحية في الجنوب بل يشترط عدم لحكم بالإسلام في الشمال!!

سبحانه..

لا إله إلا هو..

واحد أحد..

تتواتر الروايات والمشاهد على أن هذا العهد هنا وهناك وهناك يكن للإسلاميين عداء فطريا غريزيا وأن عليهم ألا يتوقعوا مؤازرة ما بقي..

وتتواتر الروايات على ما هو أكثر.. وأننا كالزوج المخدوع الذي ما زوجوه زوجته إلا

تغطية على عهرها وبيع شرفها لغيره.. إذ يرى هؤلاء أن هذه الحكومات وولاة الأمور لم يخونوا بعد أن اختيروا ... بل لقد اختيروا لأنهم تعهدوا منذ البداية بخيانة الله ورسوله والمؤمنين.. بخيانة الدين والأمة والدولة.. بهزيمة أوطانهم ونصرة أمريكا وإسرائيل..وقد ذهبت آراء كثير من الفقهاء بكفر من لا يحكم بما أنزل الله من الحكام- راجع فتوى الدكتور يوسف القرضاوي-.. ولقد ذهبت كثير من الشائعات بإلحاد أقوام وتهود أقوام وتنصر أقوام..

نعم..

لم يخونوا بعد أن اختيروا..

بل اختيروا لأنهم تعهدوا بالخيانة..

ومحجوب عبد الدايم لم يكن بطل القاهرة ٣٠ لنجيب محفوظ وإنما كان ملكا وأميرا ورئيسا ووريثا..

محجوب عبد الدايم لم يفاجأ بخيانة زوجته.. بل ساوم على شرفها من قبل أن يتزوجها.. ولولا أنه ساوم على شرفها ما سمحوا له بالزواج منها..

ولولا موافقته على التفاصيل بل وعلى تفاصيل التفاصيل ما سمح له بالزواج منها..

وفقط عندما وافق..

فقط عندما وافق..

فقط عندما وافق..

سمحوا له بأن يكون ملكا أو رئيسا أو أميرا أو وريثا..

ولم يكن المعروض للبيع شرفه بل شرف أمته ودينه..

لماذا أيها الملك محجوب عبد الدايم فعلت ما فعلت؟..

لماذا أيها الرئيس محجوب عبد الدايم فعلت ما فعلت؟..

لماذا أيها الأمير محجوب عبد الدايم فعلت ما فعلت؟..

لماذا أيها الوريث محجوب عبد الدايم فعلت ما فعلت؟..

يا محجوب عبد الدايم: هل كفرت؟

هل تنصرت أو تهودت؟..

فلماذا فعات ما فعلت ولماذا تفعل ما تفعل؟؟

***

لا أتصور كيف أقدموا على ما أقدموا عليه..

كيف أغلق محجوب عبد الدايم في السعودية مكاتب تحفيظ القرآن؟

كيف يحارب محجوب عبد الدايم في مصر القرآن والإسلام ويسعى لنشر الفاحشة بين المسلمين والانتصار للنصارى على المسلمين في مصر ولليهود على المسلمين في غزة؟!

كيف يوقفون عيون الأمة ويزيحونهم عن الدعوة وعرض الإسلام.. ليضعوا مكانهم المنافقين والمشكوك في دينهم بل والفاسقين والشواذ؟

ولم يكن دليلا مما قالوه صحيحا..

ولا مسئولا ممن اتخذوا القرار أو تستروا عليه بريئا..

كانوا يضعون مفتاح ثقافة رجالات الأمة بين يدي شواذ يجاهرون بالمعاصي ولا يبذلون مجهودا لتغطية الكفر..

كما كانوا يضعون مقياس الشرف والعفة بيدي قوادة..

أبناء الأفاعي عاملوا فضائيات تدعوا إلى الله كما لو كانت أوكار لصوص ومخادع فاحشة..

الفاحشة في مخادعهم.. أما اللصوص فهم هم.. هم هم.. هم هم..

وادعى الدعار أن أشهر هذه القنوات-قناة الناس- لا يديرها أكفاء..

فإذا كانت الكفاءة هي الشذوذ فإن المتحدثين فيها غير أكفاء..

وإن كانت الكفاءة هي الدعارة الفكرية فهي ليست كذلك..

ليحتكروا هم الكفاءة إذن..

ولتبق الفضائيات الإسلامية وعلى رأسها قناة الناس عالية وشامخة حتى لو أوقفوا

إذاعتها..

وليبق أبطالها في القلب وفي الضمير مهما حاولوا منع اتصالهم بالناس..

أكرمهم الله وجزاهم خيرا عما قدموه للأمة وللناس..

جزى الله الشيخ سالم أبو الفتوح .... ليسانس الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر كل خير..

وجزى دكتور مازن السرساوي ... أستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر خيرا.. والدكتور صفوت حجازي .... أستاذ الحديث وعلومه بدار الحديث المدينة الجامعة الإسلامية المدينة المنورة .. و الدكتور محمد الصغير .... كلية الدعوة الإسلامية الأزهر وعضو هيئة علماء الجمعية الشرعية و الدكتور عبد الله بركات .... أستاذ ورئيس قسم الأديان والمذاهب والعميد السابق لكلية الدعوة الأزهر والشيخ سلامة عبد القوي .... إمام وخطيب بالأوقاف ليسانس الدعوة الإسلامية الأزهر و الشيخ محمد حسين يعقوب ... دبلوم معلمين وشيخ بالتلقي والشيخ محمود المصري ... معهد إعداد الدعاة والشيخ أبو إسحاق الحويني ... ليسانس ألسن وشيخ بالتلقي والدكتور أحمد الجهيني ... دكتوراه في التفسير جامعة الأزهر والشيخ أشرف الفيل ... إمام وخطيب بالأوقاف ليسانس الدعوة الأزهر والشيخ محمد جبريل .. القارئ المعروف ليسانس الشريعة الأزهر والشيخ مصطفى الأزهري .... ليسانس الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر والدكتور علي السالوس ... دكتوراه الفقه المقارن كلية دار العلوم وأستاذ الفقه بكلية الشريعة بقطر والدكتور محمود الرضواني ... أستاذ العقيدة والأديان بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والشيخ حسام جبر ... إمام وخطيب ليسانس الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر والشيخ أحمد عامر ... شيخ القراءات ورئيس معهد معلمي القرآن والشيخ محمد عبده ... إمام وخطيب وعميد معهد كامل عودة الأزهري ليسانس الدعوة الإسلامية الأزهر والشيخ أحمد هليل ... عضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية ليسانس الدعوة الإسلامية الأزهر والدكتور عبد الرحمن فودة ... أستاذ اللغة والبلاغة كلية دار العلوم جامعة القاهرة والدكتور طلعت عفيفي ... العميد السابق لكلية الدعوة الإسلامية الأزهر .. والشيخ

محمد عبد الفتاح ... إمام وخطيب رئيس قسم الوعظ بدولة الإمارات كلية أصول الدين الأزهر والشيخ سامي السرساوي ... إمام وخطيب وعضو لجنة الفتوى بالأزهر كلية الشريعة الأزهر والشيخ علي ونيس ... إمام وخطيب وأمين فتوى بدار الإفتاء المصرية كلية الدراسات الإسلامية الأزهر والدكتور وجدي غنيم ... عالية القراءات معهد القراءات دكتوراه في التفسير، والدكتور جمال عبد الهادي ... أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة أم القرى مكة المكرمة والدكتور عمر عبد الكافي ... دكتوراه الحديث وعلومه جامعة الأزهر والدكتور عبد البديع أبو هاشم .. أستاذ التفسير كلية أصول الدين جامعة الأزهر والدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ... أستاذ التفسير كلية أصول الدين جامعة الأزهر والشيخ محمد الراوي ... أستاذ التفسير جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية والدكتور زغلول النجار ... الداعية المعروف وأستاذ الإعجاز العلمي وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ..

هؤلاء هم من ادعى الدعار الشواذ أنهم جهلة لا يحملون سوى شهادة الإعدادية!..

هؤلاء هم فرساننا فمن فرسانكم؟

من فرسانكم سوى محجوب عبد الدايم؟

يا كلاب النار هؤلاء هم فرساننا فمن فرسانكم؟

يا حطب جهنم هؤلاء هم فرساننا فمن فرسانكم؟

يا شواذ هؤلاء هم فرساننا فمن فرسانكم؟

يا دعار ويا داعرات هؤلاء هم فرساننا فمن فرسانكم؟

هل كنتم تريدون منا أن نأتيكم بالمجرم المخبول بوش ليخبرنا أن الوحي قد نزل عليه بضرورة إغلاق مكاتب تحفيظ القرآن في مكة لأنها أحد وسائل تفريخ الإرهاب الذي يجب تجفيف منابعه.... لأول مرة في التاريخ يتم إغلاق هذه الحلقات منذ انتقال حبيبنا وسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ للرفيق الأعلى؟

هل كنتم تريدون منا أن نأتيكم بشنودة يسخر من القرآن ويطالب بإلغاء المادة الثانية من الدستور ويبصق على الأمة وهو يعلن أنه لن يخالف الإنجيل أبدا مهما كان موقف

الدولة..

ولم يكن يتحدث عن الإنجيل بل عن تفسيره له..

ولا عن القرآن بل تشويهه له وأكاذيبه عنه..

لكنه حين بجل للإنجيل بجلوه وحين سخر من القرآن أيضا بجلوه..

عليهم اللعنة إلى يوم القيامة..

هل كنتم تريدون منا أن نأتي بالمجرم الكذاب بيشوي كي يحدثنا عن التاريخ والمواطنة؟

هل كنتم تريدون منا أن نأتي بفاروق حسني كي يحاضرنا عن مقاييس العفة والشرف؟!

هل كنتم تريدون منا أن نأتي بمجدي الدقاق كي يحاضرنا عن قواعد الإيمان؟!

أم كنتم تريدون منا أن نأتي بإيناس الدغيدي كي تحاضرنا أن الحجاب حرام وأن الزنا حلال؟

أم كنتم تريدون منا أن نأتي بأنيس الدغيدي كي يحدثنا عن الليالي الحمراء لخاتم الأنبياء..

ماذا كنتم تريدون وماذا كانت صحفكم الداعرة تريد؟

***

ماذا كنتم تريدون؟..

ماذا كنت تريد يا ولي الأمر؟

ماذا كنت تريد أيها الملك الأمير الرئيس الوريث؟!..

ماذا كنت تريد يا محجوب عبد الدايم؟

***

يا محجوب عبد الدايم..

أصرخ فيك..

أصرخ مع نزار قباني:

ولم أر إلا جرائد تخلع أثوابها الداخلية

لأي رئيس من الغيب يأتي

وأي عقيد على جثة الشعب يمشي

وأي مراب يكدس في راحتيه الذهب

فيا للعجب !!

أنا منذ خمسين عاماً

أراقب حال العرب

وأقول : إن عفافنا عهرٌ ..

وأن لا فرق ..

ما بين السياسة والدعارة !!

وأصرخ معه أننا:

مواطنون دونها وطن

مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن

مسافرون دون أوراق ..وموتى دونها كفن

من قبضة لقبضة

من هالك لمالك

ومن وثن إلى وثن

نركض كالكلاب كل ليلة

من عدن لطنجة

يا وطني المصلوب فوق حائط الكراهية

يا كرة النار التي تسير نحو الهاوية

***

محجوب عبد الدايم ليس ملكا أميرا رئيسا وريثا فقط بل هو موظف لنا في واشنطن

يرسل خطابا إلى صحيفة «واشنطن بوست» يقول فيه ، إن تراخيص البث الخاصة بـ ١٧ قناة أوقفت ولم تلغ، لأن هذه القنوات تحرض على الكراهية .

فهل يقول شنودة سوى ذلك؟

هل يقول بيشوي إلا ذلك؟؟

هل يقول أقباط المهجر إلا ذلك؟

هل يقول المستشرقون إلا ذلك؟

هل تقول الموساد إلا ذلك؟

هل تقول السي آي إيه إلا ذلك؟..

لقد كانوا هم بأنفسهم -وليستْ فضائياتنا المأسورة يا محجوب عبد الدايم- من يزرعون الحقد والكراهية..

ابحثوا عن تلك الفضائيات فقد يكون شنودة قد أسرها بعد أن سلمها له زكريا عزمي.. وقد يكون عين بيشوي حارسا عليها..

وكانوا هم من يغلقون مكاتب تحفيظ القرآن..

تابعوهم غدا فربما يقررون علينا حفظ التوراة والإنجيل..

***

وأصرخ مع نزار قباني:

لم يبق فيهم لا أبوبكر .. ولا عثمان

جميعهم هياكل عظمية في متحف الزمان

تساقط الفرسان عن سروجهم

وأعلنت دويلة الخصيان

واعتقل المؤذنون في بيوتهم

وألغي الأذان...

جميعهم .. تضخمت أثدائهم

وأصبحوا نسوان

جميعهم يأتيهم الحيض ومشغولون بالحمل

وبالرضاعة...

جميعهم قد ذبحوا خيولهم

وارتهنوا سيوفهم

وقدموا نساءهم هدية لقائد الرومان

وأصرخ مع مظفر النواب:

أقسمت بتاريخ الجوع

ويوم السَغَبة .

لن يبقى عربي واحد ،

إن بقيت حالتنا هذي الحالة

يا جمهوراً في الليل يداوم في قبو مؤسسة الحزن !

سنصبح نحن يهود التاريخ

ونعوي في الصحراء

بلا مأوى !

أصرخ فيكمْ ...

أصرخ أين شهامتكمْ ؟!!

إن كنتم عرباً ... بشراً ... حيوانات

فالذئبة حتى الذئبة ، تحرس نطفتها

والكلبة تحرس نطفتها

والنملة تعتز بثقب الأرض

وأصرخ مع أحمد مطر:

في بلاد المشركين ،

يبصق المرء بوجه الحاكمين،

فيجازى بالغرامة؛

ولدينا نحن أصحاب اليمن،

يبصق المرء دماً تحت أيادي المخبرين،

ويرى يوم القيامة، عندما ينثر ماء الورد، والهيل ـ بلا إذن ـ على وجه أمير المؤمنين

وأصرخ مع عبد الله الخليلى

يا أمة ذلت وهيض جناحها

وغدت تقضى عمرها تشريدا؟

لولا تخاذلكم لما أصبحتم

للأرذلين المجرمين عبيدا

وأصرخ مع : موسى عبد الحفيظ

مهلا فليس بنا مس ولا خبل

حتى تجوز علينا هذه الحيل

إنا عرفناك منذ دنست ساحتنا

وقد تلبس فيك الزيف والدجل

أبدل كما شئت أثوابا وأقنعة

وتب توبة عاص إذ دنا الأجل

وأصرخ مع الدكتور: محمد صيام

شرح المصاب هو المصاب وحديثه مر وصاب

وشعوبنا هانت وما عادت تعز ولا تهاب

وولاتها – إلا القلة – لا يقام لهم حساب

وإذا فتحت فماً فتحت عليك ألوان العذاب
وعليك أن تتحمل الأيدي الغليظة والعقاب
لله درك من زمان عج بالعجب العجاب
فالغرب يمقتنا ونحن إليه نطرق كل باب
ونظل نستجدى رضاه في الذهاب وفى الإياب
والغرب يلهث خلف (أمريكا) وينبح كالكلاب
فإذا عوت يعوى وان نهشت فينهش كالذئاب
بعض الكلاب يموت في الأرض المقدسة السليبة
ممن غزوها في ظلام الليل كالقطط الغريبة
فتقوم مؤتمرات (شرم الشيخ) تندب للمصيبة
وتقود (أمريكا) المؤامرة المكثفة الرهيبة
والعالم العربي شجب واتفاقات مريبة
يا قوم فلتستيقظوا فالنوم كالموت الزؤام
لا يحرس الأوطان من عبث القراصنة اللئام
وجدودكم سادوا الورى وتربعوا فوق الغمام
فعلى طريقتهم فسيروا، تبلغوا الهدف المرام
ويعد إليكم ما ورثتم عن جدودكم الكرام
وأصرخ مع أحمد مطر في قصيدة: قلة أدب
قرأتُ في القُرآنْ :
« تبت يدا أبي لَهَبْ »
فأعلنتْ وسائلُ الإذعان :
« إنَّ السكوتَ من ذَهَبْ »
أحببتُ فَقْري .. لم أَزَلْ أتلو :

« وَتَبْ

ما أغنى عَنْهُ مالُهُ وما كَسَبْ »

فصُودِرَتْ حَنْجَرتي

بِجُرْمِ قِلَّةِ الأدبْ

وصُودِرَالقُرآنْ

لأنّه .. حَرَّضَني على الشَّغَبْ !

***

ألا تخاف يا ولي الأمر؟

ألا تخاف يا ملك يا أمير يا رئيس يا وزير يا وريث؟

ألا تخاف يا ديوث؟..

ألا تخاف يا محجوب عبد الدايم؟!..

ألا تخاف رد فعل الأمة.. وهو ليس بالضرورة عاجلا.. بل وكلما تأجل كلما ازداد العنف المتوقع فيه؟

ألا تخاف الله؟

يوم يقتص الله للأمة منك..

ويوم يقتص للإسلام منك.. ويوم يقتص للفضائيات المصادرة منك..

ويوم يقتص منه لأنه لأول مرة في التاريخ يسلم نساء مؤمنات إلى محاكم التفتيش لردهن عن الإسلام.

يوم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة .. ولا حتى مثقال ذرة.

يوم يقضى الله للجلحاء من القرناء، ويوم يسأل الجهاد فيم نكب إصبع الرجل، فهل أعددت نفسك يوم يسألك ونحن شهود لك أو عليك فماذا تفعل حينذاك ؟..

ماذا تفعل في هذا اليوم ؟.

ماذا تفعل في هذا اليوم ؟ يوم التكوير، يوم الانكدار، يوم التسيير، ، يوم التسعير، يوم التعطيل، يوم التسجيل، يوم السؤال، يوم الكشط والطى ، يوم الساعة، يوم البعث، يوم النفخة، يوم الناقور، يوم القارعة، يوم الغاشية، يوم النشور، يوم الحشر، يوم العرض، يوم الجمع، يوم التفرق، يوم البعثرة، يوم التند، يوم الدعاء يوم الواقعة، يوم الحساب، يوم السؤال، يوم الشهادة، يوم التبديل، يوم التلاق، يوم الآزفة، يوم المآب، يوم المصير، يوم القضاء، يوم الوزن، يوم الجدال، يوم القصاص، يوم الحاقة، يوم الطامة، يوم الصاخة، يوم الوعيد، يوم الدين، يوم الجزاء، يوم الندامة، يوم التغابن، يوم الشخوص، يوم الشفاعة، يوم العرق، يوم القلق، يوم الجرع، يوم الفزع، يوم فرار، يوم الازدحام، يوم الحر، يوم العطش، يوم الانفطار، يوم الانشقاق، يوم الذل، يوم الخوف، يوم الخروج ، يوم الخلود، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.. يوم يصك النداء آذاننا، يسمعه القريب كما يسمعه البعيد :

- أنا الملك أنا الديان..

يوم يقبض الله الأرض ويطوى السماوات بيمينه ثم يقول :

«أنا الملك أين ملوك الأرض، أين الجبارون أين المتكبرون»؟ .

بم تجيب يومها يا رئيسا هنا وملكا هناك .

يوم يسألك ألم يجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا، وسخر لك الدنيا، فبم تجيب؟

لقد استرعاك الله علينا ومن استرعاه الله أمة محمد فمات وهو غاش لها حرم الله عليه الجنة .

كيف تجيب؟. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا قامت حاشيتك من كبير الياوران إلى أصغر مخبر في مباحث أمن الدولة بمحاباة النصارى واليهود والأمريكان على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا قامت أجهزتك بمحاباة العلمانيين على المسلمين والكفار على المؤمنين والمرتدين عى القابضين على الجمر وغير المتدينين على

المتدينين؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا قامت الدولة بحماية رواد الحانات وتهديد رواد المساجد.. بمحاباة السكارى ووضع المعتكفين على قوائم الاشتباه؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا حسمت الدولة القطرية اختيارها فحالفت أعداءها ضد أمتها وتاريخها ودينها.. حتى أنه يخيل إلى أن حربا سرية قد نشبت بين المسلمين والنصارى.. وأننا هزمنا هزيمة ساحقة وأنهم واجهوا ولي أمرنا بالموقف الصعب: إما الاستسلام التام ونصر النصارى مهما كان ظلمهم على المسلمين مهما كان الحق معهم وإلا فإنهم سيوجهون سلاحا رهيبا إلى عالمنا الإسلامي يقتل المسلمين جميعا ويستبقي النصارى؟خيل إليّ أنك اخترت أخف الضررين وكتمت في قلبك تفاصيل الفاجعة عنا..

نعم خيل لي أن هذا هو التبرير الوحيد لموقفك أيها الطاغوت ..

في بعض المواقف برح الخفاء وانكشفت العورات وبدت السوءات وانفضحت المؤامرات فصرخت:آن لعمائه أن ينتهي انتظرتُ منك -متفائلا- موقفا حاسما غاضبا من أجل دينك حين علمت يقينا كم المظالم الواقعة على المسلمين الذين باتوا لا يحلمون بمساواتهم بالنصارى فأحسوا بأقصى درجات الخذلان منك..

وبم تجيب حين تُسأل.

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا تركتم النصارى يرتكبون الجرائم فلا تجرؤ الدولة على مواجهتهم وفي الوقت نفسه تنسب تلك الجرائم أو مثلها للمسلمين وتعاقبهم عليها.. كالتنظيم الدولي والتمويل الدولي والميليشيات المسلحة وتخزين السلاح؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا جندت الدولة آلتها الإعلامية الجبارة للدفاع عن النصارى والعلمانيين واليهود مهما بلغت جرائم بعضهم وتشويه المسلمين مهما كانت براءتهم؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تسأل لماذا تفتح الأبواب على مصارعها الآن لأشد

أنواع الصوفية انحرافا خاصة في مصر والسعودية.. في مصر اختار الصوفية ساويرس كرجل للعام .. وفي السعودية ربما يختارون نتنياهو أو بوش.. وربما يصلون خلفه كإمام لهم في الوقت الذي يكفرون الشيخ المجاهد أسامة بن لادن والشيخ أيمن الظواهري ويرفضون السلفية الإسلامية ويقبلون بسلفية النصارى واليهود؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا حاصر جهاز أمنها الباطش الجبار المسلمين وضيق عليهم وحاربهم وجامل النصارى وأغمض عينه عنهم وترك لهم الحبل على غاربه حتى أصبح أقل من ٦٪ هم عدد النصارى يملكون ٦٠٪ من ثروة لبلاد؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا جعلت من ميزانية بلادك دعما للمجهود الحربي الأمريكي ومن واردات سلاحك خرابا لنا وعمارا لأعدائنا؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا تتنصر الدولة تحت حكمك فكرا وإن بقيت في الظاهر مسلمة. وليس معنى أن تتنصر الدو ة أن تقيم القداس وتؤمن بالثالوث بل أن تكون وجهة نظرها في الإسلام والمسلمين هي بالضبط وجهة نظر اليهود والصليبيين؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا وقفت دائما ضد الأغلبية واستعملت الأقليات كي تضرب بها الأغلبية . ألأنك تتوجس دائما أن تهديد استمرار حكمك بل وتوريثه يأتي من ناحيتها؟ أم ليقينك أن الأقليات كي تعوض ضعفها كثيرا ما تتحالف مع الأجنبي ومع أعداء البلاد..وباستقواء الحاكم بهم فإنه يستقوي بحلفائهم: أعداء أمته ووطنه ودينه؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا اعتبرت الإسلام هو لخطر الأكبر الكفيل بمقاومة ظلم الدولة وطغيانها وإزاحتها من على عرش الطغيان والجماجم والظلم والجرائم ؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا يا راعي الدولة المسلمة تحالفت مع اليهود والنصارى والعلمانيين -وهم ألعن- ضد الإسلام والمسلمين؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا خلعت الدولة في عهدك الفكر العروبي والإسلامي وارتدت الفكر الصهيوني الصليبي؟

ولذلك فكل عدو للإسلام أصبح أثيرا على الدولة..

وكل من ينصر الإسلام أصبح أسيرا عند الدولة..

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا قامت أجهزتك كمباحث أمن الدولة والحرس الوطني وأجهزة الإعلام والإعلان والتعليم بمحاباة غير المسلمين على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا قامت النخبة المثقفة المستغربة -التي لم تحط نفسك بغيرها- بمحاباة غير المسلمين على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى؟

لماذا .. وكيف؟!

والمذهل أن الدولة بإمكانياتها الأسطورية وأجهزتها الأخطبوطية عجزت أن تفهم ما وراء هذا التحرش من تهديد للأمن القومي بينما فهم البسطاء ذلك. ولقد كان أبسط مواطن في الصعيد أكثر وأبسط بدوي في جيزان وأبسط فلاح في السودان وأفقر مسلم في تركيا أو إيران وباكستان أكثر وعيا بالجريمة المروعة التي ترتكب في حق الوطن فتصدى لها بنفسه. كانوا كأفراد في أمة مهزومة هزم جيشها وخانت نخبتها وعجزت قيادتها فتصدى الأفراد أنفسهم للغزوة الهمجية التي تروم خلعهم من جذورهم.. وطردهم إلى الحجاز. المواطن الأمّي فهم أن المؤامرة الصليبية الصهيونية تقتضي أن يكون في مواجهة كل مسجد كنيسة.. وعلى رأس كل مسلم علماني أو يهودي أو نصراني ..ويستطيع أقباط المهجر عندها أن يزعموا أنهم هم الغالبية ليصلوا إلى أحد أهداف المرحلة النهائية.. وهي ليست جواز تولي النصراني رئاسة الجمهورية.. لا .. ليس الهدف ذلك.. بل إن الهدف هو عدم جواز تولي المسلم رئاسة الجمهورية.. تماما كالحادث الآن في لبنان

المواطن البسيط الأمي فهم.. ورأى في الإنفاق الباذخ على إنشاء كنائس لا يوجد من يصلي فيها ليست إنفاقا سفيها بل هم يشيدون حصان طروادة.

المواطن الأمي البسيط فهم وعجزت النخبة.. وعجزت السلطة.. وعجزت الدولة... ولقد كان المواطنون البسطاء أكثر وعيا وفهما وإدراكا لتهديد ما يحدث للأمن القومي من النخب الحاكمة وأجهزة الأمن الجبارة وجيوش الإعلام الجرارة. أدركوا أن وطنهم في خطر.

وربما ما فشلوا وما عجزوا..

لكن هذا هو الثمن الذي وافق محجوب عبد الدايم-بل وتعهد- بدفعه..

كان البسطاء أكثر وعيا منك يا محجوب عبد الدايم..

يا علوك العلوج..

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل : ألم تعلم أن ديرا واحدا للنصارى في مصر -من عشرات الأديرة- تزيد مساحته عن مساحات كل مساجد مصر.. فإذا علمنا أن الكنائس تفتح ليلا ونهارا وأن المساجد تفتح-محاصرة وأحيانا مراقبة بكاميرات زقزوق نصف ساعة في اليوم- أصبح الهول أشد والمفارقة أحد؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل : لماذا خالفتم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وسمحتم ببناء الكنائس في جزيرة العرب.. كنيسة شاهقة شاسعة لكل خمسة أفراد ليس يأتي منهم أحد؟!

***

هل ما زلت مسلما يا محجوب عبد الدايم؟؟

هل كفرت؟

هل تهودت؟

هل تنصرت؟

لماذا وكيف؟

لماذا نصرت أعداء الله دائما على الإسلام؟

لا يقتصر حديثي على إغلاق الفضائيات الإسلامية

.. لكن الحكم كان صادرا منذ البداية.. ربما منذ عام ٧١ وربما منذ عام ٨١..

حكم تنصير مصر..

حكم الحرب على الإسلام..

لماذا وكيف؟

أما نحن فكيف نستمر والجريمة ترتكب أمامنا.. والوطن ينهش أمامنا .. وأدلة التورط والتلبس والثبوت تحيط بنا من كل جانب فنغمض أعيننا ليقوم ولاة أمورنا بحصار المسلمين وضربهم وتعذيبهم وتزوير أصواتهم ونهب أموالهم وحصار اقتصادهم؟

***

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا تعاملت مع المؤامرة الكارثة بنفس المنهج الذي تعاملوا به حكامنا مع اليهود قبل إنشاء دولة إسرائيل.. والذي انتهى بضياع فلسطين كلها. ولو أن جيوشنا الجبارة(!!) لم تتدخل.. ولو أن عزائمنا الخوارة(!!) لم تتصد .. ولو أن كتائب المثقفين المنحرفة المنهارة لم تضلل لأمكن إنقاذ فلسطين وتجنب أهوال الخراب الذي نعيشه الآن جراء عدم تقديرنا للأمور في الوقت المناسب. نعم.. كان الفلسطيني البسيط.. الفلسطيني الأمي البسيط قادرا على مواجهة الغزوة الصهيونية.. لكن الجبارة والخوارة والمنهارة تكفلت بتقييد الفلسطيني وشل حركته تماما كما تقوم أجهزتنا الأمنية بقمع رد فعل البسطاء تجاه تحويل مصر إلى غابة من الكنائس.. و إلى حصار المساجد وإعطاء الزنادقة جوائز الدولة وتولية الشواذ أمور وجدانها؟

كيف تجيب يا ملك يا أمير يا رئيس يا وريث .. وبماذا تجيب حين تُسأل؟ فاسمعني، فبحق جلال الله ما أعرض عليك شيئا لن تُسأل عنه يوم الفزع الأكبر؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا فعلت كل ذلك لكي ترضيهم ؟.. ألم تعلم أنه مهما فعلت لهم لن يرضوا عنك إلا أن تترك ملة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أخبرك القرآن بذلك منذ ألف وأربعمائة عام ؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل في الموقف الرهيب في اليوم العظيم يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم

بسكارى ولكن عذاب الله شديد؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل إنها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، لا تساوى جيفة، وهى ابتلاء وفتنة، أم حسبت أن تقول أمنت ولا تفتن؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل لماذا تقوم الدولة تحت حكمك بإفساد العلمانيين واليهود والنصارى كما يفسد الأب أبناءه بتدليلهم وعدم عقابهم حين يرتكبون الجرائم الصغيرة حتى يتعودون على ارتكاب الكبائر دون تأنيب ضمير.. ثم إلى التزوير باتهام المسلمين بجرائمهم؟

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل ؟..

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل ؟..

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل ؟..

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل ؟..

كيف تجيب.. وبماذا تجيب حين تُسأل ؟..

لكن إن كنت لا تشك في أنك ذات يوم ستسأل..

فلماذا فعلت ما فعلت؟!..

* يا محجوب عبد الدايم : اتق يوما كان عذابه مستطيرا ..

وإنى لأكاد أراك رأى العين .. يحاسبك الله ويسألك الملائكة وأصابع مئات الملايين من وطننا ومن العالم العربي والإسلامي تشير إليك هاتفة :

– كان يستطيع يا رب .. لكنه لم يفعل ..

وأخال غيرهم يقولون:

– كان يستطيع ألا يفعل يا رب.. لكنه فعل.

وأخالك يومها .. وحدك .. لا جيش ولا حرس ولا أمن مركزي ولا وزير داخلية يقلب الحقائق..

وكل نقطة قوة كانت لك في الدنيا هي عليك في الآخرة .. فهل أعددت عدتك للسفر

يا وليّ الأمر. للقاء ربك ؟

أدمعت عيناك من خشية الله منذ أصبحت رئيسا للجمهورية أم غرتك القوة ؟ أنكصت عن فعل كنت تزمعه خوفا من الله . أو أقدمت على فعل لصالح رعيتك مبتغيا وجه الواحد القهار لا مبتغيا استمرار النظام ؟

أقدرك الله علينا اليوم، فاتقيت قدرتنا عليك غدا أمامه ؟

وكيف تجيبه حين يسألك عن شاب تقي روعه أمنك ومنعه من ارتياد المساجد وعن آخر شقي كرمه أمنك حين ارتاد الملاهي والخمارات.. وكيف تجيبه حين يسألك عن جائع لم يجد طعامه .. وعار لم يجد كساءه، وقاطن بالمقابر لم يجد سكنا .. وعن مظلوم لم تنصفه وعن ظالم لم تنصره برده عن ظلمه، وعن آمال ضيعتها وعن آلام سببتها وعن كذب لم تصححه وعن تزييف لعقل الأمة لم توقفه، وعن أشرار وليتهم وعن لصوص ائتمنتهم، وعن أتقياء استبعدتهم، وعن مسلمين حاربتهم.. وآخرين حاصرتهم.. وعن أعداء لله واليتهم.. وعن حق هجرته، وعن باطل احتضنته، وعن أخ لك في الله جفوته حتى العداوة وعن عدو لله اصطفيته ؟. وكيف تجيبه حينما يسألك عن لصوص ومرتشين استنزفوا البلاد سكتّ عنهم ؟ وكيف تجيبه عندما يواجهك من عُذّب في عهدك .. وما بالك إذا أخذوا يقتصون منك بكل ما فعل بهم واحدا واحدا يا ابن الأكرمين ؟ وكيف تجيبه حين يواجهك الآلاف الذين استشهدوا في حروب الوطن .. أدافعت عن القضية التي استشهدوا في سبيلها..أم نكصت عنها؟

بم تجيبه وكيف تجيبه حين يسألك عن العراق ولبنان وكشمير والشيشان وأفغانستان و.. و.. و؟

كيف تجيبه حين يحيط بك دوي السؤال تتصدع أمامه قلوب البشر منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: بم تجيب حين تُسأل:

- أغلقوا مكاتب تحفيظ القرآن فهل اعترضت؟..

- سبوا الله فهل رددت؟..

- سبوا رسول الله فهل رددت؟..

- سبوا القرآن فهل رددت؟..

- أرادوا للفاحشة أن تشيع بين المؤمنين فهل منعت؟

- حاصروا اقتصاد المسلمين واستولوا عليه وتركوا الحبل على غاربه للنصارى فتوحشوا.. فلماذا أمرت؟

- أغلقوا القنوات التي تدعوا لله وتركوا التي تدعوا للشيطان فبم تجيب؟

- بم تجيب حين تسأل لماذا ضيعت ثروة الأمة على شراء سلاح لم يستعمل إلا ضد الإسلام والمسلمين؟

بم تجيب حين تسأل لماذا كرست أجهزة إعلامك لتشويه الإسلام وصرف الناس عنه؟

بم تجيب حين تسأل لماذا تركت المال الحرام لوارد للنصارى من الخارج يشتري أجهزة الإعلام والصحف كي يمجد النصارى ويقدسهم ويعامل المسلمين كهمج هامج؟

بم تجيب حين تسأل لماذا لم توقف التعذيب؟

بم تجيب حين تسأل لماذا لم توقف تزوير الانتخابات ؟

***

بما تجيب وكيف تجيب حين تسأل عني وقد وجهت لك الخطاب تلو الخطاب والنداء عقب النداء والمناشدة إثر المناشدة حتى أنني أصبحت أكرر نفسي فلا تسمعني أبدا حتى وقر في ذهني أن هناك لجنة من شنودة وبيشوي وساويرس هي التي تحكم وتقضي وأنه لا يصلك إلا ما تسمح بوصوله إليك؟

أكرر نفسي وأقول ما سبق أن قلته وأكتب ما سبق أن كتبته..

وقد يكون هذا آخر حديثي لك ولعله آخر الاجتماع

فالسلام عليكم يا ولي الأمر

يا ملك يا رئيس يا وريث يا أمير..

السلام عليك يا أيها الأجير ...

فلعلنا لا نلتقي أبدا بعد عامنا هذا في موقفنا هذا .

ومن أجل هذا كتبت لك ما كتبت، ولم أكن ألقى بنفسي في التهلكة بل والله أنقذها.. فلو أن عبدا خير بين ما عند الله وما عندك فاختار ما عند الله أيهلك، أم ينقذ من الهلاك نفسه ؟..

أبارت تجارته أم ربح البيع؟

السلام عليك يا محجوب عبد الدايم..

السلام عليك، وعلى موعدنا للقاء أمام الله في يوم قد يكون مقداره خمسون ألف سنة .

فكيف لا أقول لك ما أقول، وما أنا إلا عابر غريب، دنياي آخرتي، والطريق وعر، والمخاطر جمة، حتى أنني أتهلل لم يختصر لي المسافة ويقصر على الشقة ويخفف الابتلاء ويلطف القضاء ويعجّل بالأوبة.

لست مقيما، وإنما أتزود من قفري لروضتي، أنتظر الطلب بالذهاب والإذن بالمثول، غير آبه لأي حال تكون عليه عظامي وإهابي حين مغادرتي .

وكيف لا أقول وما أنا إلا عبد أرسله سيده وأمره أن يقول فكيف لا أصدع أنا ولم لا تصدع أنت ؟ ..

وكيف لا أقول وقد أحس قلبي بعرش الله يهتز مع صرخات زميلات سمية أشرف.. طالبة الزقازيق التي نهشها كلب مسعور يحمل رتبة ضابط أمن.. كان المشهد كله مسجلا بكاميرات المحمول.. شاملا الضرب «بالشلوت» وبخرطوم المياه وصراخ الفتاة واستغاثتها.. ثم بدأ صراخ زميلاتها في هلع وذعر وفوضى وفجأة خرج عن النشاز صوت قوي :

حسبنا الله ونعم الوكيل..

واضطربت أصوات النشاز المرعوبة المرعبة.. لكن صوتا آخر انضم إلى:

حسبنا الله ونعم الوكيل

ثلاثة.. أربعة.. خمسة.. عشرة.. مائة..ألف:

حسبنا الله ونعم الوكيل

أحسست بأن الهواء يشتعل وقلبي يشتعل والأرض تشتعل..

حسبنا الله ونعم الوكيل

ظل الصوت يتردد أكثر من خمس عشرة دقيقة..

حسبنا الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل..

في المساء كان رئيس قناة فاجر لم يغلقوا قناته يزعم زعما لم يقل به سواه.. أن الفتاة المسكينة عضو في شبكة إسلامية أوقعت بالضابط.. وأنها بادرته بالضرب بالحذاء..

أحسست بعرش الله يهتز كما اهتز لموت سعد بن معاذ..

أحسست بالعذاب قادما وبالانتقام قائما ؛ وبالإعصار يوشك أن يهب ليخلع الخيانة والكفر والعهر والشذوذ وخيانة الحكام من جذورها..

لكن ثمة مسافة ما تزال باقية يمهل الله فيها ولا يهمل كي يأخذ أخذ عزيز مقتدر.. بقية وقت يغلقون فيه فضائيات الإسلام ليروجوا لفضائيات النصارى..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور].

وقت ينصرون فيه مصر ويقتلعون الإسلام من السعودية ويقسمون السودان.. و.. و.. و..

أقول ينصرون مصر....

ينصرون.. بتشديد الصاد لا بضمها..

***

مناشدة:

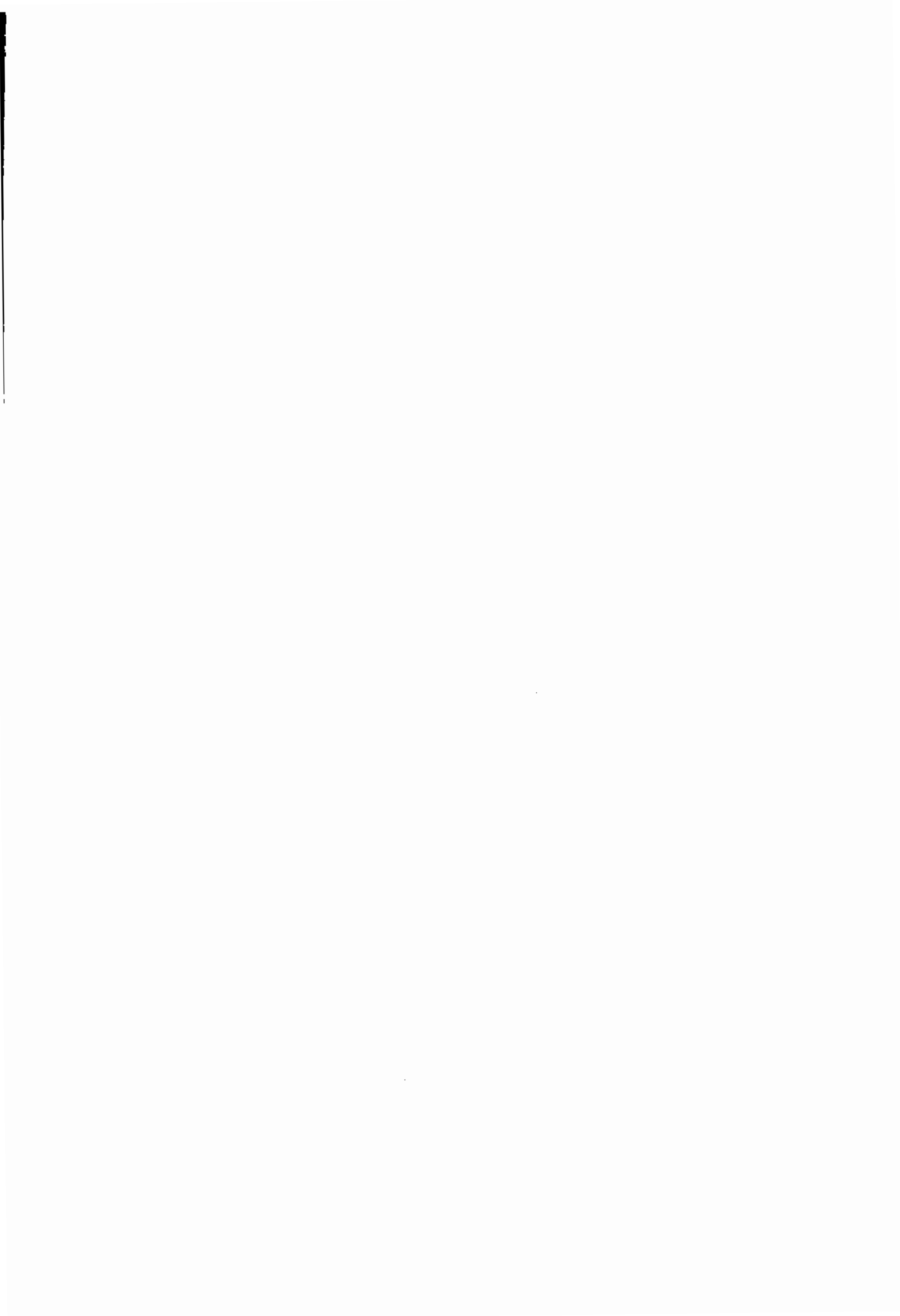
أناشد كل من يقرأ هذا المقال أن يهاتف قريبا له من الواقفين اليوم على عرفات وأن يطلب منه أن يدعو الله دعاء حارا أن يهلك الطاغوت الذي أغلق حلقات تحفيظ القرآن وذلك الذي أغلق الفضائيات الإسلامية..

هلك الفاجر



لواط(*)

(*) نشر في مايو ٢٠٠٢.



انفجر يا قلب..

واحترق يا عقل..

وتراجعي يا كل الموضوعات التي انتويت الكتابة فيها هذا الأسبوع وفى ظني أنها الأخطر والأهم..

تراجع أيضا أيها الشعور الضاغط المهيمن الذي يلح عليّ لكي أتوقف عن الكتابة بعد أن أصبحت عذابا لا يكاد يطاق.. فالكتابة محرك يجب أن يتبعه فعل فإذا لم يأت الفعل عاما وعشرة أعوام وربع قرن فما جدوى الكتابة؟

ما جدوى الكتابة والحصار يضيق والخطوط تتراجع؟

ما جدوى الكتابة وقد كنت أكتب إلى الرئيس منذ عشرين عاما أحدثه عن القيم والمثل العليا والوحدة العربية الإسلامية ومواجهة الهيمنة الأمريكية والصهيونية ، كما كنت أكتب أيضا عن التعذيب وتزوير الانتخابات وعمولات السلاح والفساد، منذ عشرين عاما كنت أكتب عن كل هذا واليوم أجدني عازفا كل العزوف عن الكتابة له..

فماذا أكتب؟!

هل أكتب له عن أي من ذاك؟ ليصبح الأمر نكتة سخيفة مضحكة في وضع لا يليق فيه الضحك بل لطم الخدود ..

هل أكتب له عن أي من ذاك وقد صدر بالأمس قرار بالعفو عن الشواذ من قوم لوط.. وفى نفس اليوم رفض للتصديق على حكم محكمة على بعض الإسلاميين ، لا لكي يمنحوا البراءة التي منحت للشواذ بل لتشديد الحكم..

ويصدر القرار في نفس الوقت بمد حبس رجال الإخوان المسلمين..

***

كنت أطالع الأنباء ولا أكاد أصدق:

مبارك يلغي الأحكام ضد ٥٠ متهماً في تنظيم الشواذ (٢٠٠٢-٠٥-٢٣ ٠١:٥٠)

القاهرة- أ.ف.ب: أعلن مصدر قضائي الخميس أن الرئيس المصري حسني مبارك

ألغى الأحكام التي أصدرتها محكمة أمن الدولة العليا طوارئ بحق ٥٠ متهما بالشواذ في ١٤ نوفمبر الماضي وقرر إحالة القضية إلى النيابة العامة

وبإمكان مبارك المصادقة على الأحكام الصادرة عن محكمة أمن الدولة العليا طوارئ أو إلغائها بموجب الصلاحيات التي يمنحه إياها قانون الطوارئ المطبق في مصر منذ العام ١٩٨١

وكانت المحكمة حكمت فيما سمي بتنظيم الشواذ بالسجن سنتين مع الأشغال الشاقة على ٢٠ شخصا والسجن سنة واحدة لمتهم آخر في حين برأت ٢٩ متهما في القضية

لكن الرئيس المصري صادق على أحكام صدرت بحق اثنين من المتهمين كانا مع الخمسين وأدينا بتهمة ازدراء الأديان بحيث نالا ثلاث وخمس سنوات لكل منهما

والمتهمان هما المهندس شريف فرحات (٣٣ عاما) الذي نال العقوبة القصوى وهي خمس سنوات مع الأشغال الشاقة في حين نال المتهم الثاني محمود أحمد علام ثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة

وقال المحامي فريد الديب، أحد وكلاء الدفاع الرئيسيين عن المتهمين، لوكالة فرانس برس أن مبارك قرر إلغاء الحكم في ما يتعلق بتهمة الفجور وإعادتها إلى النيابة لكي تتخذ الإجراءات الضرورية مع إمكان حفظ القضية أو إعادة تقديمها أمام محكمة الجنح العادية وليس محكمة أمن الدولة

وقد قبض على المتهمين وغالبيتهم لم تتجاوز العشرين في ١١ مايو ٢٠٠١ أثناء وجودهم في سفينة سياحية تستخدم كملهى ليلي بالزمالك.

ووجهت إلى فرحات وعلام تهمة ازدراء الأديان واستغلال الدين الإسلامي ونشر أفكار متطرفة وتحوير آيات قرآنية لتحقير الأديان السماوية والرسولﷺ وابتداع طريقة مختلفة للصلاة فضلا عن الشذوذ الجنسي كما جاء في قرار الاتهام

والخمسون الآخرون متهمون بالاعتياد على ممارسة الشذوذ الجنسي وجعله مبدأ أساسي لمجموعتهم

ولا يندرج اللواط بالتحديد ضمن الجرائم المنصوص عليها في القانون المصري

المستوحى من الشريعة الإسلامية، لكن القانون يعاقب الاعتياد على ممارسة الفجور أو الدعارة

وقد أثارت المحاكمة فور بدئها في يوليو الماضي احتجاجات عدة من جماعات الشواذ ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان في الغرب وخصوصا في فرنسا وسويسرا والولايات المتحدة

***

وكنت أواصل مطالعة الأنباء من مصدر آخر ولا أكاد أصدق:

مبارك يلغي أحكاما مخففة صدرت ضد إسلاميين

الجمعة ١٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ - ٢٤ مايو ٢٠٠٢م تحديث ٤:٢٠ ص بتوقيت مكة

مفكرة الإسلام : أصدر الرئيس المصري بصفته الحاكم العسكري وفق قانون الطوارئ، قرارا بإلغاء بعض الأحكام القضائية المخففة نسبيا بحق بعض الإسلاميين التابعين للجماعة الإسلامية المصرية ..

وكانت محكمة أمن الدول العليا « طوارئ » قد أصدرت حكما غيابيا بالسجن المؤبد - ٢٥ عاما - على رفعت زيدان القيادي البارز الهارب من الجماعة الإسلامية، وبالسجن لمدة خمسة أعوام على محمد الفولي، وذلك تهمة قتل أحد رجال الشرطة في محافظة أسيوط بصعيد مصر العام ١٩٩٤، واعتبرت المحكمة أن الحكم الصادر على الفولي خفف لأنه قام بتسليم نفسه ..

ويذكر أن الرئيس المصري يحق له الاعتراض على الأحكام التي تصدرها محكمة أمن الدولة العليا طوارئ، بالإلغاء أو التخفيف، بوصفه حاكما عسكريا، كما أن الأحكام الصادرة لا يجوز الاستئناف فيها من قبل المحكومين، ويعتبر مراقبون أن الاعتراض على الحكم الصادر بحق زيدان يعني المطالبة ضمنيا بالإعدام، ولم يتحدد بعد موعد للمحاكمة الجديدة ..

وكان الرئيس المصري قد ألقى كلمة في حفل بمناسبة « المولد النبوي »، قال فيها :

« الرسالة الخالدة التي أنزلت على صاحب هذه الذكرى صلحت ولا تزال صالحة لبناء مجتمعات إنسانية فاضلة تحكمها قيم إنسانية رفيعة، معاذ الله أن تقف هذه الرسالة اليوم في موقف الدفاع أو يقف أتباع رسولها الكريم موقف الاعتذار » ...

***

وكنت أواصل متابعة الأنباء من مصدر ثالث ولا أكاد أصدق:

مصر .. إلغاء أحكام بحق ٥٠ متهما بالشذوذ

القاهرة – وكالات – إسلام أون لاين.نت/ ٢٦-٥-٢٠٠٢

تجديد حبس ٤٤ من جماعة الإخوان (٢٠٠٢-٠٥-٢٣ ١٢:٠٥)

جددت السلطات المصرية أمس حبس ٤٤ عضوا من المتمين لجماعة الإخوان المسلمين (المحظورة) ٤٥ يوما على ذمة التحقيقات.

وكانت محكمة أمن الدولة المصرية قد قررت تجديد حبس ٣٦ إخوانيا ٤٥ يوما بينهم الدكتور محمد السيد حبيب، والمعروفون بمجموعة أسيوط والذين تم إلقاء القبض عليهم بمنازلهم بأسيوط منتصف العام الماضي في وقت قررت فيه النيابة العامة تجديد حبس ثمانية آخرين بينهم المهندس محمد سراج اللبودي لمدة ١٥ يوما على ذمة التحقيقات وهم المجموعة التي ألقي القبض عليها أواخر شهر يناير (كانون الثاني) الماضي بحي العجوزة بالجيزة ومعظمهم من أساتذة الجامعات

***

قلت لنفسي، أو لعلي تمنيت أن تكون الأخبار كاذبة.. أن تكون للتشهير والإساءة.. ليس لأنني أستبعد أن يحدث هذا لكنني استبعدت أن تتم المجاهرة به بكل هذه الاستهانة بالأمة..لكنني وجدت نفس الأخبار على موقع مصري هذه المرة، وهو موقع تجاري لا علاقة له بالسياسة، وكانت عناوين الموقع:

﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ .

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ .

إذا كان عندك الضغط أو السكر ، فلا تكمل قراءة هذا الخبر

مبارك يلغـي الأحكام ضد ٥٠ متهماً بالشـذوذ

http://news.masrawy.com/masrawynews/٨٤٧١٢/٢٣٠٥٢٠٠٢news.htm

تجديد حبس ٤٤ من جماعة الإخوان

http://news.masrawy.com/masrawynews/٨٤٧٠١/٢٣٠٥٢٠٠٢news.htm

***

انفجر يا قلب..

واحترق يا عقل..

وتراجعي يا كل الموضـوعات التـي انتويـت الكتابـة فيهـا هـذا الأسـبوع وفى ظنـي أنهـا الأخطر والأهم..

***

بدأ الرئيس مبارك عهده يرفع راية أنـه لا يتـدخل أبـدا في أحكـام القضـاء.. واحترمنـا الراية رغم أن الكثيرين ظنوا أنها كلمة حق يراد بها باطل..

وحتى عندما طبق شعاره ذلك على الفريـق سـعد الـدين الشـاذلي كـان هنـاك مـن يؤيـد الشعار الذي اعتبره ضمانة لعدم اختراق القضاء أو التأثير عليه..

لكن الشعار انكشف وتعرى حين صدر القرار بالإفراج عن آل مصراطي والـذي بـال كبيرهم على المحكمة..

وكنا نرى طول الوقت محاولات اختراق القضاء والتأثير عليه..

وكنا نرى طيلة الوقت إهدار أحكام القضاء عنـدما لا توافـق هـوى السـلطة.. لكننـا لم نكن نرى الأصابع المحركة..

ولست أدرى من هو مستشار السوء الـذي ورط الرئاسـة في إصـدار قراراتهـا الأخـيرة تيك..

***

يختزل التاريخ في لحظة.. لحظة وحيدة هي التي تبقى في الوعي دالة على زمن وعهد.. فإن قلت : مينا سيقفز المعنى في الذهن على الفور: موحد القطرين، و إن قلت أحمس يُقال: طارد الهكسوس..و إن قلت صلاح الدين يُقال: حطين، أو قلت قطز يُقال: عين جالوت ، أو قلت محمد على يُقال : تحديث الدولة، أو قلت إبراهيم: يُقال عكا، أو قلت توفيق يقال الخائن الذي سلم البلاد للإنجليز، أو قلت فاروق يُقال بوللي، أو قلت عبد الناصر يُقال تأميم القناة أو هزيمة ٦٧ ، أو قلت السادات يُقال: أكتوبر ٧٣ أو ٥ سبتمبر..

هذا العهد عندما يختزله التاريخ في لحظة: ترى ما ستكون..

وهل تكون غير تلك اللحظة التي نتحدث عنها.. سواء في هذه القضية أو في قضية الوليمة؟

عصر الشواذ..

عصر العفو عن الشواذ وتبرئتهم والانحياز إليهم..

وعصر القسوة على المسلمين و إدانتهم والانحياز عليهم..

يا له من خزي ويا له من عار وكل ما أملنا فيه ينهار..

منذ عام ونيف، في حفل عزاء المرحوم الأستاذ عادل حسين تغمده الله برحمته، اقترب مني مسئول كبير في مجلس الشورى، و أخذ يعدد لي مناقب العزيز الراحل، ثم فجأة وجدته يقول لي:

- هناك موضوع خطير، خطير جدا، أرجوك أن تتناوله بقوة كما تناولت قضية الوليمة..

واستطرد الرجل قائلا:

- هناك تقارير سرية تتحدث عن انتشار الشذوذ الجنسي بين فئات القيادة العليا في بلادنا على كافة المستويات.. و أن نسبتهم تصل الآن إلى عشرة في المائة.. و أن ذلك مرتبط بمخطط أجنبي للسيطرة تماما على قرارات البلاد ومصيرها..

و أخذ الرجل يستطرد في حديثه ويضرب الأمثلة على ما يقول، مركزا على الأماكن

الحساسة التي أصبح الشواذ يحتلونها، و بأنهم يشكلون الآن أقوى حزب متناسق متعاون متفاهم و أنهم قادرون على إجهاض كل عمليات الإصلاح ومقاومة الفساد، بل وقادرون بالوصول بالبلد إلى حالة العجز التام مع أي مواجهة.. قال الرجل كل ذلك و أكثر منه لكنني – والله يا قراء – استحييت أن أكتب في الموضوع، رغم أن الرجل كان يبدو صادقا في كل كلمة قالها.

***

لعلكم تذكرون يا قراء ما كتبته عن الحداثة في مقالات سابقة.. حين قلت لكم أن الشذوذ الجنسي مكون رئيسي من مكونات الحداثة.

فالحداثة كمصطلح فلسفي يعود إلى أكثر من قرن مضى، أما كتطبيق يمكن فهمه بأثر رجعى فيعود إلى القرن السابع عشر.

وباختصار شديد فإن الحداثة تعنى نفى القديم كله، دينا وثقافة ومعتقدات وتقاليد، واعتبار الإنسان هو المرجعية الوحيدة.

ويؤكد الدكتور عبد الوهاب المسرى على أن الحداثة وهى تدعى إعلاء مكانة الإنسان قد قضت عليه، و أنها حين كفرت بالله كفرت بالإنسان أيضا.

يؤكد ذلك أيضا رجاء جارودي في مؤلفه الهام أمريكا طليعة الانحطاط.

ما يهمنا في هذا الصدد، أن الحداثة حين جعلت الإنسان هو المرجعية الوحيدة (دعك الآن من أنه الإنسان الأبيض المسيحي واليهودي أما غير ذلك من البشر فسائمة لا قيمة لها) قد ألغت كل القيم الروحية، و أصبح الإنسان هو محور ذاته، و أصبح هدفه في الحياة السعادة عن طريق اللذة والمزيد من اللذة، لا توجد محرمات ولا توجد عوائق، فالدين إرهاب والعادات تخلف واللذة هي – مع الدولار – دين القوم الجديد.

في هذه العبادة الشيطانية للذة يصبح الشذوذ الجنسي أمرا منطقيا تماما.. ويصبح الاعتراض عليه إرهابا وتخلفا يستحق الحصار والعقاب.

***

و إنني أستأذن القارئ كي أستشهد ببعض من فقرات كتابي الذي صادرته السلطة – نصيرة الشواذ – : بل هي حرب على الإسلام في توضيح مفهوم الحداثة:

الحداثة..

إنني لا أبدأ الحديث عن الحداثة من الصفر و إلا لكان الأمر سهلا، ولكنني أبدأه على كوم هائل من التضليل والتعتيم والتجهيل والخداع قاده الحداثيون في بلادنا، وهم لا يختلفون عن عباد الشيطان في شيء، ولطالما أوهموا الناس على سبيل المثال أن الحداثة مجرد نظرية في الأدب.. وكانت هذه هي الخدعة الكبرى التي جعلت المجتمع لا يواجهها في الوقت المناسب بما تستحق، جعلت المجتمع يوصد سمعه إزاء من كانوا يحذرون طول الوقت، وكان التحذير يصطدم دائما بتلك الغلالة الشيطانية من الغموض التي يسربل بها الحداثيون أعمالهم، وهو غموض متعمد للتدليس على الناس، خاصة مع الخلط المتعمد بين الحداثة والتحديث، وشتان ما بينهما، واستمرت الخديعة حتى انفجار أزمة الوليمة التي كان لي شرف تفجيرها .. عندما فجعت الأمة أن الحداثة تعني ضمن ما تعنى أقذع سباب لله سبحانه وتعالي عما يشركون وللقرآن الكريم وللرسول ﷺ. وبدأ الناس يسمعون ويعون ويعلمون ما غاب عنهم فيدركون أن الحداثة ليست مذهبا أدبيا.. بل نظرة شاملة للكون تتناقض مع الدين وتزيحه وتحل محله. لذلك أرجو من القارئ أن يصبر عليّ، و أعده بالاختصار الشديد.

فالحداثة يا قراء كما يصفها الدكتور عوض محمد القرني – في كتابه الهام : الحداثة في ميزان الإسلام– تقديم سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى أنها : «مذهب فكري جديد يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم، والتمرد على الأخلاق والقيم والمعتقدات».. و يؤكد :«أن الصراع مع الحداثة ـ أولاً وأخيراً ـ صراع عقائدي بحت»..

ثم يضيف قائلا:

«انتهت الحداثة في النهاية إلى الجمع بين ضلالات البشر، فمن شيوعية مادية إلى داروئية تقول : «بأن أصل الإنسان قرد»، وميثولوجية تنكر أن يكون الأصل في الأديان

التوحيد، وأن الإنسان الأول ما لجأ إلى التدين إلا لجهله بالطبيعة وخوفه منها، حين لم يستطع أن يواجهها بالتفسير العلمي الصحيح - كما يقولون - .»

نفس هذا المعنى يصل إليه كاتب عملاق آخر هو الدكتور عبد العزيز حمودة في كتابه: المرايا المقعرة، وهو سفر يقع في أكثر من خمسمائة صفحة ويبدأ بداية جياشة حين يتحدث عن إحساسه بانشطار الذات في أزمة وليمة لأعشاب البحر حين راح السؤال يهدر داخله: «من نحن» ثم يكشف شيئا فشيئا أنهم خدعونا بالخلط بين الحداثة والتحديث، و أن الحداثة صفقة شاملة نبيع فيه كل تاريخنا وتراثنا. و أن أهم مستلزمات الحداثة هو القطيعة المعرفية الكاملة مع تراثنا.

والتراث يا قراء مصطلح حداثي يقصد به القرآن والسنة وتاريخ الإسلام و آدابه جميعا.. لكنهم حين يهاجمون لا يقصدون سوي القرآن والحديث.

والحداثة كما يقول الدكتور بشير موسى نافع: « أعلت مرتبة العقل فوق النص المقدس، بل وجعلت من العقل المرجع الأوحد للقيم والسلوك وعلاقات الاجتماع الإنساني. تهاوي بذلك الاعتقاد بوجود ثوابت إنسانية خالدة، وانتقلت القيم من دائرة الثابت إلى دائرة النسبي، ومن الدلالة المطلقة للخير والشر إلى التحولات المتغيرة للاقتصاد والسياسة والتقنية. »

نعم يا قراء.. اقرؤوا كل كلمة بتمعن..

على أن شعار سيادة العقل على النص – رغم أنه في جوهره كفر –.. لكنه فضلا عن ذلك لم يكن حقيقيا.. كان مجرد طعم يغريك ويغويك حتى تدلف فيه فيسلمك على الفور إلي غيره..ولقد أسفر بعد قليل عن : سيادة الحس على العقل .. ومن التجليات الفادحة الفاضحة لسيادة الحس على العقل تقبل الشذوذ الجنسي و إباحته.. بل وصل الأمر أن تهدد أمريكا مصر بمنع المعونات عنها إن هي استمرت في مكافحة الشذوذ، وفي ضوء ما نرى، فمن المؤكد، أن مكافحة الشذوذ ستعتبر خلال عشرة أعوام – على أبعد تقدير – ضربا من ضروب الإرهاب الذي يخضع لعقاب التحالف الأمريكي. . وقد نقصف بالطائرات والصواريخ إن احتججنا عليه!!..

يستطرد الدكتور نافع قائلا: « عندما سادت ثقافة -الآن وهنا- على حساب الإيمان الإنساني بالله والعالم الآخر، أخذت الروابط الإنسانية في الانهيار الواحد منها بعد الآخر، طالما أن التجربة الإنسانية تدور في النهاية حول المنفعة والإنجاز الفردي خلال حياة بشرية قصيرة بكل المقاييس.»

إن الموضوع معقد إلى حد ما يا قراء.. ليس لصعوبة كامنة فيه.. ولكن لأن الحداثيين لا يسفرون عما في أنفسهم أبدا إلا حين يضمنون أنهم الأقوى و أنهم قادرون على سحق خصومهم.. تماما كما تفعل أمريكا الآن بالعالم..

إنني أرجو يا قراء أن ننظر بعمق إلى مقومات الفكر الغربي الحداثي والذي يعتمد في جزء مهم منه على نظرية دارون، وهى نظرية متهاوية لا قيمة لها إلا في إعلاء الكفر والحداثة، وموجز منطقها المختل كأن تقول:

المنضدة لها أربعة أرجل.. والبقرة كذلك.. إذن فالمنضدة بنت البقرة!!.

لكن التجلي التطبيقي لهذه النظرية كانت فكرة البقاء للأقوى، وهى الفكرة التي تشكل أساسا رئيسيا للفكر الحداثي الغربي وهى الفكرة التي جعلت - كما يقول الدكتور نافع - تشرتشل، باعتباره وزيرا للمستعمرات، في مجلس العموم البريطاني يدافع عن استخدام القوات البريطانية للقنابل الكيماوية ضد العشائر العراقية الثائرة خلال ثورة ١٩٢٠ إذ قال بوضوح أن من حق الأمم المتحضرة أن تستخدم الوسائل التي تراها مناسبة لقمع البرابرة.

هذه الفكرة الشريرة كانت وما تزال أساس الصلف الأمريكي في التعامل مع العالم.. في الجرائم البشعة التي ارتكبتها أمريكا في العراق وأفغانستان على سبيل المثال.. وفى الجرائم التي سترتكبها باسم الحرب على الإرهاب.

وهي أيضا أساس الصلف الإسرائيلي.. فأمريكا هي إسرائيل و إسرائيل ليست سوي حاملة طائرات ضخمة لأمريكا.. هي أساس الصلف الإسرائيلي التي جعلت مجرما كنتنياهو يعلق على ما قيل من أن البحث عن أسامة بن لادن في جبال أفغانستان كالبحث عن إبرة في كومة من القش.. فإذا بالخنزير يقول:

- ولماذا تتعبون أنفسكم بالبحث عن الإبرة.. احرقوا كومة القش..

والآن لنترك الدكتور بشير نافع يختم هذه الفقرة الجافة عن الحداثة:

«المشكلة الرئيسية في التصعيد التبشيري الغربي، الحديث نسبيا، لقيم الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، إنها لا تبدو (وهي كذلك حقيقة) انعكاسا لإيمان ثابت وراسخ وأصيل بل مجرد تطور قيمي مستمر، وإنها تحتل الفضاء القيمي ذاته الذي تحتله سياسات حصار الشعوب وتجويعها وتشريعات الإجهاض واعتبار العلاقات الشاذة علاقات أسرية. كل شيء قابل للنظر وإعادة النظر. بل وحتى الإرهاب الذي أصبح رمزا للشر الإنساني كله خلال الأسابيع الأخيرة، كان دائما وحتى فترة قصيرة أداة هامة من أدوات السياسات الغربية. أليس مدهشا أن إحدى المنظمات المستهدفة الآن في قائمة الإرهاب التي أعلنتها الحكومة الأمريكية كانت هي ذاتها التي استلمت عونا بريطانيا سريا لاغتيال العقيد القذافي؟»

***

يتحدث الدكتور عبد الوهاب المسرى عن الحداثة وما بعد الحداثة فيقول:

«ويصل هذا الاتجاه الفني فيما يسمى « سنف موفيز» ولا أعرف ترجمة لهذه العبارة، ولكن لعل وصفها يعطي فكرة عن محتواها . وهي أفلام يختلط فيها العنف والجنس بطريقة متطرفة، وكثيرا ما تنتهي ببطلة الفيلم في حالة نشوة جنسية ويتم قتلها في اللحظة التي تقذف فيها . ومثل هذا المنظر يتكرر في الأفلام الإباحية «العادية» ، ولكن في السنف موفيز يتم الذبح بالفعل.

نعم تقتل بطلة الفيلم.

وكان يتم الإعلان عن الفيلم بعبارة «صور في أمريكا اللاتينية ، حيث العمالة رخيصة» .

وكل لبيب متوحش بالإشارة يفهم.

ومخرجو مثل هذه الأفلام يدافعون عنها من منظور الإبداع والحرية والثورة . .إلخ

وقد قام بعض المثقفين الليبراليين المدافعين عن حرية الرأي المطلق بمظاهرة ضد دور السينما التي تعرض مثل هذه الأفلام. ولكن جريدة وول ستريت جورنال قامت بتعنيفهم

لموقفهم هذا ، وبينت لهم أن ما يحدث إنما هو نتيجة طبيعية للموقف النسبي المتسيب من الفن والجنس وإنكار الحدود باسم الحرية المطلقة والإبداع غير المتناهي!»..

***

في هذا الإطار يصبح الشذوذ طرفا هاما بل ومكونا أساسيا في الحضارة الغربية والعولمة والحداثة، لأن انتماء الشاذ سيكون إلى وكر الشيطان الذي أباح له شذوذه، إلى الغرب و أمريكا والعولمة والحداثة، وسيكون بالتالي وبالا على وطنه وقومه و أمته .

***

يصبح انتماء الشاذ ليس إلى وطنه و إنما إلى الغرب وضد وطنه.

ولست أقصد شذوذ الجسد فقط، بل أقصد شذوذ الفكر أيضا.. وعندما نعود إلى أزمة الوليمة، سنجد أولئك الشواذ، الذين استباحوا الدين ودافعوا عن وصف القرآن – أستغفر الله العظيم – بالخراء، كان أول ما فعلوه عندما هب طلاب الأزهر وبعض الكتاب الجادين للدفاع عن دينهم، كان أول ما فعلوه أن هددوا بالهجرة من مصر إلى الغرب، حيث الحداثة.

***

ثمت طرفة كنا نتناولها ونتبادلها ضاحكين عندما كان ما يزال هناك للضحك مكان في حياتنا.. حين كان مندوبو التعداد والإحصاء في بعض البلاد العربية يمرون على المنازل لإحصاء السكان، فكان الواحد منهم يسأل الساكن -على سبيل المثال-: ما هى أعلى شهادة حصلت عليها؟ فيجيب الساكن : الدكتوراه، فيكون السؤال التالي للموظف: هل تجيد القراءة والكتابة؟

الطرفة – وهى حقيقية – تعنى أن هناك أسئلة تجبّ وتمنع ما بعدها..

***

نعم .. هناك أسئلة تجب وتمنع ما بعدها..

وليس معقولا على سبيل المثال والحال ذلك، أن أسأل نظاما يدافع عن الشواذ، ويناصرهم عن إسهامه في قضية الأمن القومي أو عن موقفه من فلسطين، أو عن القيم

والمثل العليا والوحدة العربية الإسلامية ومواجهة الهيمنة الأمريكية والصهيونية، ولا يعقل أيضا أن أناشد هذا النظام التوقف عن التعذيب وتزوير الانتخابات وعمولات السلاح والفساد.

فالأمر أسوأ من هذا بكثير..

أسوأ بكثير..

أسوأ بكثير..

أسوأ للدرجة التي ذكرتني بأن القضاء سينظر في الثامن من شهر يونيو قضية صحيفة الشعب – بعد ١٣ حكما قضائيا بعودتها تجاهلها الحكم الذي ثبت أنه يعادى كل ما هو إسلامي ويناصر ما هو شاذ (تذكروا فضيحة وزير التعليم والمناهج والفوط الصحية).

أقول أن آخر حلقات التقاضي ستكون يوم الثامن من الشهر القادم..

ولست أخفيكم يا قراء أنني لم أعد أتمنى أن تعود صحيفة الشعب إلى الصدور..

لأنني أحس.. أنه وسام شرف لنا.. أن ذلك النظام.. مناصر اللواطيين وعدو كل ما هو إسلامي.. يلفظنا كما نلفظه.. ولو أنه احتملنا أو أننا احتملناه لشككت في أننا على صواب..

يختزل التاريخ في لحظة..

وتتميز العهود بكلمة..

و أحسب التاريخ عندما يرصد لحظتنا الراهنة لن يجد سوى كلمة واحدة تعبر عن كل شيء..

هذه الكلمة هي:

لـــــــــــــــــــواط..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم[1].

(١) المرايا المقعرة– دكتور عبد العزيز حمودة– عالم المعرفة.

هلك الفاجر



نوبل واحد فقط.. للرئيس مبارك

دفاع عن مصر العظيمة(*)

(*) نشر في أكتوبر ٢٠٠٢.

أمير عربي خطير، في بلد عربي كبير، جعلني أشعر بالتقصير في حق بلادي – مصر– وذلك بعد أن قرأت مقالاته الحارة دفاعا عن بلاده. وهى مقالات هامة وخطيرة، والأهم من ذلك أنها مقالات طويلة جدا، وعلى الرغم من طولها فهي منشورة في أكبر الصحف الأمريكية (كإعلان مدفوع الأجر) .

وليس لدى اعتراض مبدئي عما فعله سمو الأمير، لكنني أحتج فقط ، على محاولته أن يجمع لبلاده وحدها أطراف المجد بقيامها بشرف خدمة أمريكا ، مغفلا الدور العظيم لبلادي – مصر–. وقد كان ذلك ما استنهضني لأهب للدفاع عنها ، ولن أفعل مثلما فعل سمو الأمير، لن أنكر دور بلاده، بل سأقر منذ البداية أن بلدينا كانتا فرسا رهان، يتسابقان على نيل الرضا الأمريكي.

لن أدخل في مقارنات بين دور بلادي و دور بلاده ، لكنني فقط سأبرز دور بلادي، الذي تعترف به الولايات المتحدة نفسها، حين اعتبرت مصر دون سواها دولة محورية، وإقرار بلدي على لسان الرئيس مبارك نفسه، من أنه لولا موقفه في حرب الخليج الثانية، ما تمكنت أمريكا من دخول بلاد العرب، وكفانا ذلك فخرا ، وهو ما يجب على أمريكا ألا تنساه لمصر أبد الدهر.

***

يؤكد ما نذهب إليه من أهمية دور مصر في السياسة الأمريكية كتاب : « الدول المحورية» لبول كينيدي وآخرين The Pivotal States- w.w.norton&company inc. والذي يقرر حقيقة هامة وخطيرة، وهو أن دور مصر المحوري لا يقتصر على جانبه الإيجابي، بل يتعداه إلى جانبه السلبي أيضا..(ص ١٢٠ من الطبعة الإنجليزية).

ننبه إذن إلى أن خدمات مصر للولايات المتحدة الأمريكية لا يقتصر على ما فعلته وهو كثير، بل يتعداه إلى ما لم تفعله، وهو الأهم والأخطر، ومشكلتنا أن هذا الذي لم تفعله، لا يمكن للأسف قياسه، أو دراسة المكاسب الهائلة التي جنتها أمريكا بسبب أن مصر لم تفعله.

يقول الكتاب المذكور أن غاية أمريكا من علاقتها بمصر تنحصر في أهداف رئيسية ثلاثة (ص ١٣٣) : الأول هو إبرام السلام مع إسرائيل، والثاني جرّ الدول العربية لعقد سلام مشابه مع إسرائيل، أما الهدف الثالث فهو أن تكون قنطرة ومدخلا للتواجد الأمريكي في الخليج.

فهل قصرت مصر في أي من هذه الأهداف؟.

أما في الأهداف الفرعية فقد أسند إلى مصر التكفل بليبيا و السودان و إيران؟ فماذا فعلت مصر وماذا كانت النتيجة؟ ألم تكفّر ليبيا بالعروبة ؟ ألم يؤد الضغط المصري المتواصل إلى انهيار الائتلاف في السودان؟ أليس السودان الآن على وشك التقسيم؟ ألم نرفض دون دول العالم تبادل السفراء مع إيران؟ ألم نحذر المرة تلو المرة من مشاريع إيران النووية، وكأنما خطورة هذه المشاريع لو نجحت ستنعكس علينا وليس على أمريكا وإسرائيل؟ فماذا كان يمكن لمصر أن تفعل أكثر مما فعلت؟!.

ألم توافق مصر على إعادة تأهيل جيشها كي يخدم الأغراض الأمريكية؟..

ألا يقول الكتاب المذكور نفسه (ص١٣٤) أن أمريكا في إعادة تأهيلها للجيش المصري قد كونت جيشا دفاعيا مهمته الأولى تدعيم النظام السياسي للرئيس مبارك(ص١٣٩)، كما يمكنه مواجهة عدوان من ليبيا أو السودان لكنه إزاء إسرائيل عاجز بلا حول ولا قوة؟ أعطيناكم جيشا هزم إسرائيل في عام ٧٣، وبعد التطوير أصبح بالكاد على مواجهة ليبيا أو السودان.!!..

***

ألم ننشيء جيشا هائلا من الشرطة لسحق من يفكرون في التمرد على السياسات الأمريكية؟..

أليس لنا الحق في أن نتيه فخارا حتى على الأمريكيين أنفسهم، وعلى الأوربيين أيضا، بل حتى على إسرائيل، ففي كل هذه البلاد خرجت مظاهرات حاشدة تندد بأمريكا وسياسات أمريكا، وتؤيد أفغانستان وفلسطين والعراق، لكننا في مصر نجحنا في قمع الشعب تماما، في إخراسه إلى الأبد، في تطويعه وتطبيعه كي يكون للأمريكيين كالعبد

الذليل الخاضع.

ولم تقتصر جهودنا على ذلك، فإن جهاز الأمن المصري كان هو القائد والرائد والمعلم لأجهزة الأمن في الدول العربية، فعلمها صنوفا من التعذيب لا تخطر على بال، وقد أسفر هذا عن ذلك الصمت المطبق الذي يسربل العالم العربي كله.. وقد كانت مصر صاحبة الفضل الأول.

***

إنني نعيذ بالإدارة الأمريكية ألا تفهم، أو أن تتجاهل، أهمية دور مصر، أو أن تقارنه بدور غيرها مقارنة تغفل وزن مصر وقيمتها، فنحن نعلم أن هناك دولا عربية، قد سلمت لأمريكا كل شيء، وقد يبدو للوهلة الأولى أن مثل هذه الدول قد فاقت مصر في عطائها لأمريكا، لكن مثل هذه المقارنة الظالمة تغمط وزن مصر وقيمتها، مصر التي تعادل الإيماءة منها ركوع الآخرين، ويعادل ركوعها سجودهم.. ومع ذلك.. فعندما طلبتم من مصر السجود.. سجدت.

ما أريد أن أقوله، أن دور مصر لا يمكن أن يزايد عليه إلا حاقد أو حاسد.. أو بالطبع إرهابي.

ألم تكن مصر العظيمة هي التي حطمت الأمن القومي العربي في كامب ديفيد حيث اعترف بذلك وزيرها الإرهابي محمود رياض في مذكراته.. ولم يكن ذلك إلا تفانيا في حب أمريكا يصل إلى ذوبان العاشق في المعشوق.

ألم تقم مصر بتخريب القطاع العام لأنه كان ركيزة اقتصادها في الحروب التي دخلتها ضد إسرائيل..

ألم تبذر مصر كل مواردها، بل ما هو أكثرَ من مواردها على القبور المهجورة في الساحل الشمالي وعلى المشاريع الميئوس منها في توشكا، وما فعلنا ذلك رغم أنه ضد الاقتصاد وضد المنطق وضد مصلحة الوطن إلا لأنكم أردتمونا أن نفعله، وما أردتم ذلك إلا لكي نبتعد عن سيناء، كي تظل دائما لقمة سائغة لإسرائيل حين تريدها.

فمصر العظيمة – هكذا ينبغي أن تكون بالنسبة لكم- لم تكتف بالتخلي عن دورها المحوري في قيادة العالم الإسلامي، ولو اقتصر فعلها على ذلك لكان مكرمة منها على أمريكا والغرب و إسرائيل، فقد كانت قادرة بممارسة هذا الدور على أن تقطر العالم الإسلامي كله من موقع السلام والخضوع و'لطاعة إلى موقع الحرب والمقاومة، ولسنا نحن الذي نقول ذلك، بل تقوله الدراسات الأمريكية نفسها وعلى رأسها الكتاب المذكور أعلاه، حيث تقول هذه الدراسات أن مصر إذا ما غيرت موقفها تغييرا جذريا فسوف تقلب العالم رأسا على عقب، وليس في ذلك مبالغة، لأن هذه الدراسات تؤكد أن اتخاذ مصر لموقف جذري لصالح الإسلام والمسلمين والعروبة والعرب سوف يرغم الحكومات العربية ثم الإسلامية على السير في ركابها مدعوما بحماس وتأييد مليار وربع مليار مسلم، وهذا الموقف سيكون موقفا ملهما لشعوب العالم الثالث في أفريقيا و آسيا وأمريكا اللاتينية، تلك الشعوب التي تشعر بالكراهية والغضب من الصلف الأمريكي، وتتمنى أن تجد كيانا تنسج آمالها حوله للمقاومة. ثم إن وقوف كل هذه القوى والكتل مع مصر سوف يؤدى إلى تغييرات جذرية في مواقف أوروبا وروسيا والصين، لتجد أمريكا نفسها معزولة في النهاية.

قد يقول قائل أن أمريكا ستستبق كل ذلك بضربة قاصمة، وذلك محتمل، ولا ننكره، لكن مصر إذا ما غيرت توجهاتها وعادت إلى دينها لن تؤثر فيها مثل تلك الضربة إلا بقدر ما أثرت ضربات إسرائيل في حزب الله، و إن نداء من الأزهر تؤيده مصر الرسمية سوف يحرق مصالح أمريكا في العالم الإسلامي كله.

إن أمريكا ترتجف وتهتز من عمليات فردية يقوم بها أفراد مدنيون بأسلحة بدائية، فماذا ستفعل لو واجهتها أجهزة مخابرات بخبرة المخابرات المصرية، وفرق استشهادية تعلمت من الفلسطينيين كيف تستشهد؟، ماذا ستفعل لو وجهت مصر – على سبيل المثال – بعد أن ترفع راية الإسلام نداء إلى جيوش الدول العربية التي يوجد بها جيوش أمريكية، نداء إلى أفراد هذه الجيوش لا إلى قياداتها أن يقوموا بعمليات استشهادية ضد الجيش الأمريكي المحتل؟ماذا تفعل أمريكا لو فوجئت بسرب طائرات سعودية يهاجم قاعدتها في الظهران،

أو بفرقة صاعقة قطرية تدمر قاعدة العيديد، أو بالشرطة الكويتية نفسها تقوم بعمل استشهادي ضد الأمريكيين في الكويت. وهل يُتصور إلا أن تولى هاربة كما ولت من بيروت ومقديشيو؟!

***

ماذا لو خرج الرئيس المصري على شاشات التلفاز ليحذر العالم الإسلامي، وليكشف له أن هدف أمريكا هو القضاء على الإسلام، و أن يقولها – ليس بطريقة ياسر عرفات بالطبع – أنه قرر أن يموت شهيدا شهيدا شهيدا..

ماذا لو خرج الرئيس المصري ليعلن رفع الحصار على العراق.. وكم من دول العالم الإسلامي ستتبعه؟ وماذا لو نجحت مصر في قيادة الدول الإسلامية للانسحاب من الأمم المتحدة إذا لم تكف عن قراراتها الظالمة ضد العرب والمسلمين؟

ماذا لو خرج الرئيس المصري ليعلن أن مصر بسبب سياساتها الخاطئة، لا تستطيع مواجهة إسرائيل، لكنها ستعطى السلاح للفلسطينيين.. فإذا ما هاجمتها إسرائيل ستحاربها بطريقة المسلمين في الشيشان وأفغانستان وجنين.. و أنه يدعم قراره ذلك، باستدعاء الفريق الشاذلي ليتولى قيادة الجيش؟

ماذا؟

ماذا؟

ماذا؟

فهل تدركون الآن – يا عرب و يا عجم – قيمة الدور الذي لعبته مصر العظيمة لصالح أمريكا الأعظم؟..

***

الأخطر من كل ما سبق أن مصر ادعت أمام العالم العربي والإسلامي أنها عاجزة، وما هي بعاجزة، لكنها ادعت ذلك كي تضرب المثل للجميع أن أكبر الدول العربية عاجزة، فالكل إذن معذور مهما بلغ استسلامه ومهما بلغت خيانته. ولقد كان هذا الموقف بالذات،

موقف ادعاء العجز.. هو المفتاح الذي فتح كل الأبواب على مصاريعها أمام أمريكا لتتقدم.. ولتعامل المنطقة الإسلامية والعربية معاملة غنيمة حرب..

***

مصر العظيمة هي التي قدمت المفتاح فكيف ينسى دورها؟ وكيف يجحد فضلها؟

فهل كان يمكن أن نفعل أكثر من هذا؟..

كتاب أمريكا هم الذين تحدثوا عن مصر كدولة محورية..

إننا الآن في حاجة إلى وقفة مع الصديق الأمريكي لنذكره بتضحيات مصر الرسمية من أجل أمريكا..

لا تظنوا أننا لا نفهم..

بل نفهم الحكاية جيدا..

و إذا كنتم أنتم بدأتم مشروعاتكم للقضاء على الإسلام منذ أعوام فقد بدأناه نحن منذ عشرات الأعوام.. ولقد أدركنا منذ البداية أن علينا أن ندفع هذا الثمن مقابل الاستمرار والاستقرار.. ولكنكم الآن تنكصون عن تعهداتكم بالإحراجات المتوالية لمصر الرسمية بل وبالتهديد بتغيير نظامها.

أبعد كل ما فعلته مصر يكون هذا جزاءها.

ألم تتحمل مصر في محاولاتها تلك ما يعجز عنه أولو العزم من الدول؟.. ألم يتهموها بأن السلام الذي تسعى إليه هو الاستسلام بعينه، وهو المقامرة بأمن العالم الإسلامي بأسره إرضاء لأمريكا وخدمة لمصالحها؟.. ألم تفقد مصر من أجلكم كبرياءها وسمعتها.. ومع ذلك فقد احتملت في سبيلكم ولم تنكص؟

ألم تسع مصر جاهدة – من أجلكم – إلى تقزيم اقتصادها، فأوقفت – متعمدة– حجم صادراتها عند رقم الثلاثة مليارات دولار ونصف طيلة ربع قرن، وما فعلت ذلك إلا لإدراكها أن تنشيط الصادرات قد يؤدى في النهاية إلى الاستغناء عن الصدقات الأمريكية، وقد يترتب على هذا أن يندفع البعض فيها إلى مغامرات إرهابية تهدد إسرائيل

والسلام العالمي.

الإرهابيون ، أعداء السلام والحضارة، لم يكفوا عن مهاجمتنا بسبب عجز صادراتنا، متجاهلين أننا قد حققنا تفوقا حاسما في نوع آخر من التصدير لم يسبقنا إليه أحد في العالمين، ألا وهو تصدير الأوراق المالية، حيث بلغ ما صدرناه منها في ربع القرن الأخير أكثر من خمسمائة مليار دولار طبقا لإحصائيات هيكل.. دعونا من أراجيف الإرهابيين الذين يسمون هذا النوع من التصدير تهريبا للأموال المسروقة والمنهوبة.

هذا المبلغ الذي تم تهريبه كان يمكن أن يغنينا عن المساعدات الأمريكية قرنين من الزمان.. وليست المساعدات إذن ما يربطنا بكم وبخططكم بل هو الحب الأعمى حتى لو رأينا في نهايته مصارع قومنا..

ألم تلجأ مصر طيلة ربع قرن إلى تحقيق العجز الكامل في محصول القمح كي تظل علاقتنا بأمريكا علاقة الجائع بمن يطعمه. وكان ذلك مع سبق الإصرار والترصد، بل إن من يطلع على الأبحاث المدفونة في كليات الزراعة سيذهله تلك الأبحاث الكفيلة لو طبقت بأن تتحول مصر إلى دولة مصدرة للقمح خلال بضع سنوات قليلة (اسألوا الدكتور أحمد مستجير: العميد الأسبق لزراعة القاهرة والذي وصلت أبحاثه إلى نتائج باهرة في زراعة القمح في الصحراء وريه باستخدام ماء البحر مباشرة وبإنتاجية تفوق إنتاجية دلتا مصر) . لكننا استبعدنا كل ذلك في سبيل إخلاصنا للأمريكان.

ألم تلجأ مصر إلى استيراد السموم كي ينشغل شعبها بالأمراض بدلا من أن يدفعه الفراغ أو الصحة إلى المغامرات ضد أمريكا أو إسرائيل؟.

ألم تلجأ مصر قبل الآخرين جميعا إلى تخريب التعليم بها كي تكسر العمود الفقري لشبابها فلا يفكر في الحرب أبدا، ولا يملك وسيلة الإرهاب أبدا؟

ألم تلجأ مصر إلى تخريب الثقافة، وعلمنة الإسلام والجرأة على ثوابته حتى قبل أن تطالب أمريكا بذلك؟

ألم تكن مصر هي الباب الواسع الذي ينفذ منه كل ذلك إلى العالم العربي والإسلامي،

على أيدي مصريين وليس أمريكيين أو يهود؟

ألم تكن مصر هي التي تكفلت بتغريب وعلمنة الدول العربية و لإسلامية؟

ألم يكن شعار «مصر للمصريين» هو الذي أدى في النهاية إلى أن تكون «مصر للأمريكيين»؟

ألم تسع مصر – واعية بدورها – إلى قطع كل لسان يذكر الشباب بالإسلام، مدركة أنه هو الإرهاب الذي تقصده أمريكا. وفى نفس الوقت فقد سعت إلى أن تكون قنوات تلفازها صورة من القنوات الأمريكية، بيت دعارة في كل بيت!.

ألم تلجأ مصر إلى تعيين الشواذ وزراء والقوادين أمناء واللصوص رؤساء؟

ألم تلجأ مصر إلى جمع حثالات السفلة لتقلدهم أعلى المناصب خدمة لمصالح أمريكا..؟..

ألم تجعل ساعيا في مكتب الأرشيف وجرسونا رئيسين لتحرير أكبر الصحف العربية، ومن مكوجي رئيسا لتحرير مجلة، ومن تومرجي رئيسا لعشرات الهيئات الثقافية.. ومن موظف أرشيف كتابي في قسم شرطة السيدة زينب رائدا للثقافة.. ومن عامل فني في صناعة السجاد مسئولا عن الأدب؟..

ألم تغلق صحيفة الشعب لسبب وحيد، هو التزامها بالعروبة والإسلام، وقيامها بالتحريض ضد أمريكا ومصالحها وأصدقائها الذين نعتتهم الصحيفة بالعملاء؟

ألم تلجأ مصر إلى عمل عبقري غير مسبوق لتجفيف منابع الإرهاب، عمل عبقري توضحه نتائج آخر استطلاع كشف أن ٤٠٪ من فتيات الجامعة يدخن أكثر من علبة سجائر في اليوم، وأن ٢٥٪ يدخن المخدرات. ولم تذكر الإحصائية شيئا عن الطلاب، ولكننا نستطيع أن نتوقع في سهولة أن الأرقام- على الأقل - ستتضاعف.

ولقد فزعت من الرقم فهرعت إلى ابني أسأله فإذا به يجيبني: بل ٩٠٪ من طلبة الجامعات الآن يتعاطون المخدرات.

لقد قررت مصر أن تضحي بشبابها في سبيل القضاء على الإرهاب، فأطلقت الحبل على غاربه لمن يشاء تعاطى المخدرات وطاردت بكل القسوة والعنف من يصلى جماعة أو

يحضر محاضرة في الدين أو يخرج في مظاهرة لتأييد العراق أو فلسطين.

إن المخابرات الأمريكية تستطيع بالتأكيد أن تعلم - ومن المؤكد أنها تعلم - أسماء من يهربون المخدرات لمصر، وهم ليسوا الإسرائيليين كما نزعم أو الأعراب كما ندعى.. لكن التهريب يتم خلال قاعة كبار الزوار.. وذلك دليل دامغ على مدى الإخلاص حتى الموت لأمريكا..

فهل لاحظتم هذه الطريقة العبقرية في تجفيف منابع الإرهاب؟..

إن متعاطي المخدرات لا يمكن أن يكون إرهابيا، ولا الزاني ولا الشاذ ولا اللص ولا القواد.. من أجل ذلك كله يتركز جهاد مصر علي تحويل كل شبابها إلى أي من هؤلاء كي لا يكونوا إرهابيين يؤذون بعد ذلك أمريكا الحبيبة.

****

لقد نجحت مصر مع سواها في تكوين أقوى و أهم حزب في العالم العربي، حزب ينتظم فيه النخبة والملوك والرؤساء والأمراء والقادة والكتاب والصحافيين، وهو حزب و إن اشتهر أمره لا يعرف أعضاءه بالتحديد إلا أنتم أيها الأمريكان، حزب يمكن أن نطلق عليه حزب راحاب الزانية، راحاب، التي دلت أعداء قومها على مداخل قومها، مقابل أن تمنح حق الحياة والثروة..والاستقرار والاستمرار.. نعترف أن اليد الطولي في إنشاء هذا الحزب لم تكن لنا في مصر، لكننا نقرر أننا لو عارضناه لما نشأ أبدا، وهذا يعطينا من الفضل فضل من أنشأه أول مرة.

****

هل نسيت أمريكا أن مصطلحات كالإرهاب الإسلامي والتأسلم قد تم صكها في المخابرات الأمريكية، ثم تسلمناها نحن، كالشتلات، فنميناها، وجربناها في بلادنا ، حين سمينا الجهاد إرهابا والإسلام تأسلما، وعندما اشتد عود هذه الشتلات رددنا بضاعتكم إليكم كي تزرعوا نبتها الشيطاني في العالم كله.

ألم تُخير مصر بين رضاء الله ورضاء أمريكا فاختارت رضاء أمريكا؟!

هل هناك دليل على الإخلاص أكثر من ذلك؟..

وبعد هذا كله يأتي من يزايد على مصر ودور مصر..

مصر التي قطعت كل جذورها مع العالم العربي ومع العالم الإسلامي و أصبح عماد سياستها الخارجية هو العلاقة بدولتين فقط من دول العالم كله.. هاتان الدولتان هما أمريكا و إسرائيل..

مصر التي قطعت كل جذورها حتى مع شعبها..

وبعد هذا كله نواجه بالجحود والنكران؟ نكران جماعي .. من الشقيق ومن ابن العم ومن الغريب..

و أمرّ ما فيه أنه منك أنت.. يا أمريكا..

لقد حصلت مصر في عهد السادات على نصف جائزة نوبل..

وقيل أيامها أنها كانت جائزة في التمثيل..

الآن مصر لا تمثل.. بل تقدم خدمات حقيقية وجادة لأمريكا لا تقاس بها أي خدمات قدمتها أي دولة أخرى في العالم.. ولو لم تفعل مصر ما فعلته لكان العالم غير العالم..

ومصر تستحق الآن جائزة كاملة عن كل بند من تلك البنود التي ذكرتها..

نعم .. تستحق مصر العظيمة مائة جائزة نوبل..

ولكنها وهى العظيمة القانعة، التي ما انفكت عبر التاريخ تضرب المثل الأعلى سوف تكتفي بنوبل واحدة..

نوبل للرئيس مبارك..

و إنا لفي انتظارها..



هلك الفاجر



ظلمات فوقها ظلمات :

فاخرجي يا أمة.. تنكشف الغمة(*)

(*) نشر في مارس ٢٠٠٣

هذا القرصان الغبي المجرم الذي يحكم الولايات المتحدة الأمريكية أقوى من الشيطان و أشرس، أو قل أنه هو الذي حول الولايات المتحدة الأمريكية من قوة شيطانية إلى ما هو أشد شرا ودموية وخسة، فالله لم يعط للشيطان على الإنسان من سلطان سوي سلطان الغواية، التي يستطيع الإنسان مقاومتها ، لكن هذا الشيطان القرصان، يملك فوق سلطان الغواية سلطان أقوى قوة عسكرية في التاريخ.

ولقد دأبت الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها الإجرامية بسرقة أرض و إبادة شعب واستعباد شعب آخر على محاولة تشويه الدنيا برؤاها الشيطانية، التي يغذيها خليط دنس من الفلسفات والأساطير التي تنتمي زورا إلى اليهودية أو المسيحية. فهذا القرصان المسعور الذي يأمره دينه أن يدير خده الأيسر لمن يضربه على خده الأيسر يعيث في العالم فسادا ويسفك أنهارا من الدماء لم يسبق عبر التاريخ أن سفك مثلها.

هذا الوحش الغبي المسعور لا يفعل ذلك لمجرد أنه وحش وغبي ومسعور، و إنما اختارته الحكومة الخفية التي تحكم الولايات المتحدة، ومن خلالها تحكم العالم، اختارته لأنه غبي، فأي ذكي ما كان له إلا أن يرفض تنفيذ رغبات هذه الحكومة الشيطانية، و أي إنسان ما كان له أن يسبب هذا القدر من الشقاء والدمار للعالم، و أي عاقل كان لا بد سيدرك، أن هذه السياسة الطائشة المجنونة لا بد أن تعود في النهاية بالدمار علي من يرتكبها.

***

و إذا شئنا أن نلخص هدف السياسة الأمريكية في جملة جامعة مانعة، لما كانت هذه الجملة إلا: إنما أتيت لأدمر مكارم الأخلاق..!!

و لأن الإسلام نزل على البشرية ليتمم مكارم الأخلاق فليس ثمة قوة في العالم بقادرة على وقف هذا الوحش الغبي المسعور إلا الإسلام والمسلمين.

إن إدراكنا لحتمية الصدام هو سبيلنا الوحيد لا إلى الانتصار فقط.. بل إلى مجرد حماية وجودنا وديننا. لذلك فإن كل القوى الإسلامية الداعية إلي الحوار والتقريب و إزالة أسباب الخلاف إنما هي – علمت أم لم تعلم – تقوم بدور النخاس الذي يقوم بترويض العبيد كي يحسنوا خدمة زبائنه وسادته الراغبين في بضاعته.

وما دام الصدام حتميا فإن علينا أن ننظر إلى الوضع الكارثة الذي نجد الآن أنفسنا فيه بعد أن خاننا الحكام والنخبة وظلوا كل تلك الفترة يتخلصون من كنزنا الإسلامي ليستبدلوه بالوباء الغربي.

نجح الغرب أن يحاصرنا في حلقات.. حلقة خلف حلقة.. كظلمات فوقها ظلمات.. وقد تواكب مع ذلك ضرائب حروب لم نحاربها في الوقت المناسب، وجهادا لم نجاهده كما ينبغي للجهاد أن يكون، فإذا بالعالم يتداعى علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

فالهند على سبيل المثال، الهند التي لم نجاهد فيها كما ينبغي للجهاد أن يكون، تحولت من مملكة إسلامية إلى خطر علي الإسلام. والصين، التي غزت بلادا إسلامية يوجد فيها الآن أكثر من مائة مليون مسلم، تخشى اشتداد ساعد الإسلام الذي سيطالب حين استعادة قوته بعودة بلاده، وروسيا التي تشكل البلاد الإسلامية المحتلة ٩٣٪ من مساحتها (نعم.. مساحة الاتحاد السوفيتي في القرن الخامس عشر كانت ٧٪ من مساحتها الآن.. أما الـ ٩٣٪ الأخرى كلها فهي بلاد إسلامية استولت عليها روسيا تماما كما استولى اليهود على فلسطين).. و..و..و..

يترتب علي هذا أن العالم كله يخشى أن يستعيد المسلمون قواهم، ليطالبوا بحقوقهم المغتصبة.

يتكالب العالم كله على العالم الإسلامي تكالب الفريسة على الضحية التي عجز رعاتها عن حمايتها.. بل خانوا وهانوا فساهموا في اصطياد الفريسة.. وكان ما كان فتكالبت الوحوش على الغنيمة..

دائرة حصار تشمل العالم كله.. داخلها دائرة حصار أخرى تشمل حكام العالم الإسلامي الذين أوصلوا الأمة إلى ما وصلت إليه قرنا بعد قرن عن طريق الجهل والخيانة والسطحية والأنانية وقصر النظر.. داخل دائرة حصار الحكام دائرة أخرى هي دائرة الجيوش.. التي تركت مهمتها الأساسية لحماية بلادها لتكون وحدات متخلفة سيئة التدريب تابعة للجيش الأمريكي ولا تتحرك إلا لصالح أمريكا أو لحماية أنظمة الحكم التي ترضى عنها أمريكا.

داخل دائرة الحصار تلك توجد دائرة حصار أخرى أخس و أشرس هي دائرة أجهزة الأمن

التي دمرت وجدان شعوبها خدمة للموساد والسي آي إيه. . دائرة بلا دين ولا خلق ولا ضمير.. دائرة لا تقل وحشية وشيطانية عن الوحش الأمريكي نفسه.. بل ربما تزيد.

داخل دائرة حصار الأمن توجد دائرة حصار الإعلام الذي تكفل عبر القرن الماضي على الأقل بغسيل مخ أمته وتزييف وعيها خدمة للحاكم النخاس وللقرصان الغربي. إعلام لم يتورع طيلة الوقت عن الكذب المجرم ترويضا للأمة.

داخل دائرة الإعلام يوجد دائرة المثقفين، وهم في الغالب الأعم ليسوا مثقفين بأي معنى، فما هم سوى موظفين عينتهم جهة الإدارة التي تعين رجال الأمن (أو على الأحرى وحوش الأمن) وبنفس المنهج، وهم أيضا وحوش وذئاب ضارية كانت وظيفتهم نهش عقيدة الأمة وتسفيه لغتها و أخلاقها.. لا أقول لمصلحة العقيدة الغربية أو الأخلاق .. بل أقول لمصلحة انعدام العقيدة الغربية وانعدام الأخلاق.

في عام ١٩١٢ - على سبيل المثال - كانت المظاهرات الحاشدة تخرج في العالم العربي تأييدا لكوسوفا وكان عشرات الشعراء يكتبون فيها القصائد العصماء .. وسنة ١٩٩٥ - على سبيل المثال أيضا- لم يكن أحد من معظم الناس قد سمع مجرد سماع عن كوسوفا ولا أحد كان يعرف مكانها على الخريطة بله تاريخها الإسلامي.. وكان عشرات الشعراء مشغولون بكتابة قصائد تمجد الشذوذ الجنسي وتجترئ على الله سبحانه وتعالى وتسخر من القرآن الكريم وتسب الرسول ﷺ.

في عام ١٩١٢ كان العالم هو القدوة وفي عام ١٩٩٥ كانت الراقصة هي القدوة..

في عام ١٩١٢ كان المجاهد هو المثل الأعلى وفي عام ١٩٩٥ كان الخائن هو المثل الأعلى أما المجاهد فقد تحول إلي إرهابي يطارد.

حاصل الطرح بين عامي ١٩١٢ و ١٩٩٥ هو ثمرات خيانات حلقات المثقفين والإعلام.

بالتوازي مع كل هذه الحلقات كان التعليم يجهل الأمة..

وكانت حلقة الفساد والكذب تتخلل هذا كله وتستنزف الأمة المحاصرة في مركز الدائرة التي تحيطها كل هذه الحلقات من الحصار.

إنني أقدم لكم يا قراء هذه الصورة القاتمة البالغة السواد لا لكي أبث اليأس في قلوبكم بل لأزرع الأمل.. ولأقول لكم أن أمة احتملت كل هذا الحصار والنزيف والخيانة والقهر ولم تمت هي أمة موصولة بحبل السماء وستنهض لتنتصر.. إن شاء الله..

***

عبر التاريخ كله كانت الدولة الغازية تتحمل نفقات الغزو كي تنهبه بعد ذلك.. حتى بريطانيا المجرمة فعلت ذلك.. أما أمريكا الأكثر إجراما فقد قلبت الآية و أصبحنا نحن الذين نمول لها حروبنا ضدنا!!..

***

انظر أيها القارئ في أي بقعة من بقاع عالمنا الإسلامي إلى حكومتك وقارن كيف تسوسك ثم قارن كيف تسوس أمريكا عالمنا الإسلامي؟ انظر وقارن.. وستكتشف على الفور أن الكفر ملة واحدة.

حاكم سند حكمه الوحيد هو رضاء أمريكا عنه، ولكن دعنا من ذلك الآن – وعلى أي حال فقد تحدثت في هذا الأمر في مقالات سابقة- .. هذا الحاكم يعامل شعبه كعدو أعزل، أما هو فيملك الدبابات والطائرات وفرق الأمن والأسلحة التي يستوردها من أمريكا طبقا لحاجة الاقتصاد الأمريكي وليس طبقا لاحتياجات بلده.. وتسهل له أمريكا الحصول على العمولات والرشاوى لتكون نقطة ضغط عليه في أي وقت. هذا الحاكم سيعين وزراء ومساعدين علي شاكلته، وسيدرب جهاز أمن قوي شرس في أمريكا.. وسيستورد أجهزة التعذيب من أمريكا.. وسيقرب ويعلي كتابا منافقين مزورين يعلون من شأنه.. وسيعين معارضة مستأنسة هزيلة وهزلية للديكور أمام لغرب.. وستحلل له أمريكا ما يفعل.. ٤٠٪ من ميزانية أي دولة إسلامية تنفق على تأمين البيت الحاكم: ابتداء بالجيش والأمن والأحزاب المصطنعة والصحف الحكومية التي تخسر المليارات بغير حساب وانتهاء بالسرقة والأموال المهربة.. وبلد يستنزف ٤٠٪ من ميزانيته فيما لا طائل خلفه لا يمكن أن يحقق أي تنمية اقتصادية.. وتتدهور الأحوال ويزيد السخط على الحاكم فتزداد حاجته إلى الأسلحة والجيش والأمن ليتفاقم الوضع ويتفاقم الانتقاد

فلا يجد الحاكم إلا تفتيت قوى شعبه كي يتناحر كل فصيل منها مع الفصيل الآخر..

كل هذا يتم على حساب الشعب وبماله.. حصار الشعب وترويعه وقتله وتهديد أمنه يتم على حسابه وبماله.

***

والآن انظر أيها القارئ إلى أمريكا.. إنها تتعامل بنفس المنهج.. التفتيت.. استثارة العداوات التي زرعتها بريطانيا المجرمة كألغام موقوتة.. محاباة الفاسدين أعداء شعوبهم.. تسليط كل دولة على الأخرى.. أما عندما تقوم هي بمهمة الغزو والدمار فإن البلد الذي لا يدفع نصيبه في الفاتورة يكون مهددا هو الآخر بغزوه وتغيير نظامه.. وحتى عندما يدرك الحكام خطورة الوضع عليهم فإن كل حاكم منهم يرتاب في شقيقه فيسارع إلى مزيد من التورط والخيانة كي يحظى عند القرصان الأمريكي بالحماية.

***

كان الاستعمار دائما كذلك.. كان شيطانا.. وكان كالشيطان يغطي غواياته بالشعارات والمواثيق والقوانين حتى لو كانت زائفة.. حتى جاء القرصان بوش.. ليتصرف لأول مرة في التاريخ على مستوى الدول كقرصان وقاطع طريق وبلطجي.. ولم يعد يسعى لتغطية غاياته ولا لتسويغ سلوكه إلا كما يلجأ القرصان وقاطع الطريق والقاتل المأجور لتفسير لماذا يرتكب جرائمه.

***

إن حرية السوق - أساس النظرية الرأسمالية كلها - لا تؤمنها حركة السوق التي خدعونا بها عشرات العقود بل تؤمنها البوارج والصواريخ والطائرات والانقلابات العسكرية التي يقوم بها ضد الحاكم الخائن جنرال أشد خيانة.. والانقلاب خلفه أمريكا..

وشفافية البورصة تسفر عن عمليات النصب والاحتيال والتهديد والخطف والاغتصاب.. والاحتيال خلفه أمريكا..

أما حرية المرأة فهي وسيلتهم لهدم مؤسسة الأسرة توسلا إلى هدم المجتمعات ونشر

الدعارة والشذوذ..

و أصبحت حرية الفكر لا تعني إلا حرية الكفر.. بل إنها ليست حرية بل حتمية الكفر لأن من لا يكفر سيعاقب بالبند السابع من قرارات الأمم المتحدة وسيقصف باليورانيوم المشع ليدمر الوطن والأمة والأجيال..

وفي هذا كله تفوق بوش – كرمز لحضارة الغرب – على الشيطان ذاته والذي لم يكن يملك من وسائل الإفساد سوى الغواية..

***

كشف هذا القرصان المجرم زيف الحضارة الغربية كلها..

ولو أننا أنفقنا كل ما نملك كي نكشف منها ما كشف لعجزنا..

***

الآن تبدأ الحلقات في الانهيار..

ولكي تعلموا كيف: انظروا إلي أي بلد إسلامي.. أي بلد فيها يستطيع جيشه أن يفديه بروحه وهو الذي تم تدجينه و إفساده فلم يعد يصلح لخوض حرب مع جيش آخر.. وإنما لمجرد مواجهة المظاهرات بالدبابات والطائرات....

أي حاكم في أي بلد إسلامي يضمن ألا تقوم قوات أمنه التي دربها على تعذيب شعبه لن تعذبه هو شخصيا راضية مسرورة تحت إشراف ضابط أمريكي..

بل أي نائب أو وزير يأتمنه و أي صحيفة من الصحف التي نماها ورعاها لن تكون أول من يمزق لحمه عندما تقترب القوات الأمريكية..

أي حزب من الأحزاب العميلة التي رباها الحاكم العميل لتكون سندا في الخيانة لا تتلمظ الآن لخيانته والوصول إلى مقعد الحكم على أسنة الرماح الأمريكية..

أي رئيس تحرير من الذين يقبلون كل صباح حذاءه لن يكون مستعدا غدا مع الإشارة الأمريكية المدعمة بقوات الغزو لأن يصفع رأسه بحذائه..

***

إن الخيانة التي كانت تحمي وترسخ الاستقرار في السلطة هي بذاتها الآن هي الخيانة التي تهدد..

الآن تدرك الأمة كما لم تدرك أبدا أن عدوها أقرب من أمريكا بكثير..

والآن يدرك الحكام أن الخطر عليهم إنما هو من أمريكا ومن عملائه المقربين..

أكلت الخيانة نفسها.. والأخلاء الآن بعضهم لبعض عدو..

وتلك بداية انعكاس الدورة..

***

أما أنت يا أمة فعليك أن تواجهي حلقات الحصار.. الأقرب فالأبعد..

عار علي كل شعب مسلم ألا يواجه حكومته ويقصيها إذا ما شاركت في غزو العراق..

الدور الآن دور الأمة..

ويا له من عار عليك يا أمه أن يقولها لك إنجليزي.. أن الأمة تستطيع منع غزو العراق إذا ما خرجت بالملايين في الشوارع..

فاخرجي يا أمة..

اخرجي...

إن العمليات الاستشهادية ليست شرفا يقتصر على أبطال فلسطين و أفغانستان والشيشان وكشمير..

فاخرجي يا أمة..

قدمي شهداءك..

ألف شهيد منك يا أمة سيمنعون تدمير الأمة وقتل ملايين دون شهادة..فالناكص الآن عن الجهاد فار من المعركة.. والفرار لا يكونون شهداء و إن قتلوا..

ألف شهيد في الميادين والشوارع قد ينقذون الملايين من الموت تحت الأنقاض..

ألف شهيد يردون عنا عار الدنيا وخزي الآخرة..

فاخرجي يا أمة..

اخرجي..

اخرجي..

اخرجي..

***

حاشية ١

الرئيس مبارك..

نيابة عن المصريين جميعا.. مسلمين ومسيحيين.. أشكر الرئيس مبارك على هديته لأقباط مصر بجعل ٧ يناير عيدا رسميا و إجازة لعموم الوطن.

ولا ريب أن شكرنا للرئيس كان سيكون أكثر و أكثر و أكثر لو أن قراره ذاك جاء استجابة للحديث النبوي الشريف: «من آذى ذميا فقد آذاني».

وكان شكرنا سيكون أكثر و أكثر لو كانت هديته خالصة لبعض رعيته وليست استجابة لرغبات – ولا أقول غير ذلك تأدبا– أمريكية. ذلك أن الأمر بهذه الصورة لا يكون هدية و إنما إتاوة، كما أنها ليست موجهة لأقباط مصر بل للمسيحية البروتستانتية الصهيونية في أمريكا.

وكان شكرنا سيكون أكثر لو أن فخامته تذكر أن في مصر دينا آخر اسمه الإسلام ، قصارى ما يطالب به أهله في عهده ألا يكونوا مواطنين من الفئة الثانية و أن يتساووا في المعاملة مع الأقباط، وقد كان جديرا بفخامته أن يردف هديته للأقباط بهدية للمسلمين، لا بمنحهم إجازة أو عيدا، بل بالإفراج عن أكثر من عشرين ألف معتقل ظلوا في معتقلاته – لا معتقلات مصر – طيلة عهده، لم يشفع لأي واحد منهم أي شفيع سوى شفيع واحد: أن يثبت أنه قد قبض عليه بالخطأ .. لأنه قبطي!!..

هل ترضى يا سيادة الرئيس أن يقول الناس عن عهدك أنه العهد الذي أعز اليهود والأمريكان وأذل المسلمين؟!.

هلك الفاجر



احذروا يا أهل فلسطين(*) :

مبارك أقوى من شارون وبوش وبوتن

المملكة السعودية لم تعد عربية

والجزيرة العربية لم تعد سعودية!!

(*) نشر في يوليو ٢٠٠٤

رسالة أخيرة للرئيس مبارك..

ما أشد الألم الذي يفري القلب..

وما أصعب الكتابة..

تنوء الكلمات فتكبو كلما حاولتْ النهوض.. وتنزف الحروف وتسقط الجمل صرعى.. لا بسبب ضعف في خير لغة أنزلت للناس.. بل لأننا نستعمل الكلمات فيما لا يجوز لنا أن نستعملها فيه.. و لأننا نفعل ذلك فإننا نشعر بالعجز المطلق.. تماما كمن يستعمل الورق لقطع الحديد أو القلم للكتابة على الهواء أو من يحاول السير بقدميه على الماء أو أن يحلق بذراعيه في الفضاء...

كيف أستعمل الكلمات للكتابة عن حكام لن تزحزحهم عن خياناتهم آلاف المقالات.. وهم لا يحتاجون إلى أي مقال.. بل إلى تضافر مجهود مباحث الأموال العامة ومباحث أمن الدولة والمخابرات وكوكبة أمينة من رجال الشرطة التي لم تتحول بعد إلى عصابات وقطاع طرق.. عصابات لم تتفرغ إلا للتعذيب وانتهاك الأعراض وقتل من يقول ربي الله... كوكبة شرطة فعلا تلقي القبض على هؤلاء الحكام دون أي انقلاب ولا قوانين استثنائية لتقديمهم إلى محاكم عادية لا أشك أن الحكم عليهم فيها سيكون بالإعدام.

نعم..

الإعدام قصاصا لمن قتلوهم دون وجه حق..

والإعدام قصاصا لمن أعدمهم رجاله بعد إحالتهم إلى قضاة أمليت عليهم الأحكام..

والإعدام تعزيرا على جرائم ارتكبوها لا يحيط بها الحصر..

والإعدام حرابة على ترويعهم للأمة..

والإعدام خيانة.. خيانة لم يحدث مثلها في التاريخ..

خيانة الله ورسوله والمؤمنين..

خيانة الأمة.. والدولة.. والوطن..

العمالة المباشرة للأعداء الله والاتفاق معهم على هدم أركان الإسلام وابتداع إسلام مزر مهجور..

والإعدام ردة.. نعم ردة عن لا إله إلا الله محمد رسول الله.. والولاء لأعداء الله والبراء من المسلمين.

وقد قصدت أن يكون هذا الأخير في الكتابة رغم أنه الأول في المعنى..

فهل تغني ملايين الصفحات عن ذلك؟

وهل تغني هذه المقالات عن مواجهة كلاب الشيطان حطب جهنم بوش ورامسيفيلد وتشيني وشارون وبلير أم أن موقفا جماعيا أو نصف جماعي أو ربع جماعي.. موقفا يقول فيه أي حاكم عربي: كلنا استشهاديون وأنتم مجرمون عنصريون لصوص سفلة ولن نستسلم أبدا وسنرضى بطرفين للمعادلة : ألف شهيد طاهر منا مقابل كل نافق نجس منكم.. وسنرى لمن تكون الغلبة..

هل تغني المقالات؟..

هل تشبع الكلمات جائعا..

أو تروي المعاني عطشانا..

أو ترد المقالات شرفا انتهك وعرضا اغتصب وكرامة تمزقت؟

هل تغني الكتابة؟

بل هل تنجح حتى في فضح ما يحدث؟

والإجابة كلا.. فلا هي تستطيع وسط الحصار فضحه.. ولا هي تستطيع بعد الفضح منعه..

إنني لا أغمط الكتابة حقها.. وهي ضرورية إذا كان لها تأثير أو استجابة.. لكنها إن كانت بديلا عن الفعل لتبديد الطاقة .. أو للإيهام بأن الكاتب فعل ما عليه حين كتب وأن

القارئ كذلك فإن الأمر كله لا يعدو التنفيس. . لينفجر التساؤل:

- ما جدوى الكتابة؟..

انظروا إلى العراق وكيف يُمزّق.. وكيف تضرب أقوى قوة في العالم بجحافل جيشها قبيلة هنا وعشيرة هناك كي تغير من موازين القوى فيتسنى لها أن تختار أشد الخونة خيانة.. وأكثر اللصوص سرقة.. و أكفر الكفار كفرا و أخسهم خسة.. و أكذبهم قولا.. وأفجرهم خصومة.. و أنذلهم تصرفا .. و أسوأهم خلقا.. و أبعدهم عن الإيمان بأي شيء إلا ذواتهم .. ليحكموا العراق..

وليس مجرد أمريكا وبريطانيا وإسرائيل..

بل إن لص البنوك أحمد شلبي هو الآخر كون جماعاته المسلحة لتغتال قيادات في المجتمع العراقي بغض النظر عن اتجاهاتها لتغيير موازين القوى..

أحمد شلبي الذي يوجد مستنسخ منه الآن في كل عاصمة عربية ينتظر الوقت الذي يغتال فيه كبار المسئولين وضباط الأمن، تماما كما حدث لرجال السافاك والشاة في إيران.. حين قُتلوا و ألقيت جثثهم للكلاب.. ولست أدري كيف يفكر رجال الأمن في العالم العربي في هذا.. وإن كانوا باليقين كله قد فقدوا الخشية من الله.. أفلا يخشون مما يمكن أن يحدث لهم ولعائلاتهم في الدنيا.. على يد الشلبي المصري والسعودي والأردني.. الخ.

نعم.. منتهى التعسف لتسليط الضوء في اتجاه وفرض التعتيم على اتجاه آخر.. وصناعة نجم من اللاشيء وقتل نجوم موجودة وقلب وقائع ونشر افتراءات ودحض حقائق وتلميع أقلام مأجورة وقصف أقلام مقهورة.. واستئجار صحف وإغلاق أخرى.. وكل ذلك من أجل صناعة وصياغة النخبة الحاكمة العميلة الجديدة..

وذلك هو ما يحدث في العراق – وفي فلسطين أيضا – الآن تحت أبصارنا..

وذلك بعينه ما حدث في أفغانستان بالأمس القريب..

وهو بعينه ما حدث في الأمس البعيد على يد فرنسا في الجزائر ولبنان وعلى يد بريطانيا في مصر والهند والعراق و..و..و..

وكان كل ذلك لتشكيل النخب الحاكمة بالنار والدم..

بالكذب وبالخيانة..

ذاك ما نراه الآن رأي العين.. يتحرك أمامنا ويتخلق ويتجسد..

ألم نصرخ طيلة قرن على الأقل لكي نلمح أو نشير أو نثبت أن السلطة في العالم الإسلامي كله قد تكونت بنفس الطريقة..

أقوى جيوش الصليبيين في العالم بمعونة اليهود هي التي رسمت الحدود وخلقت الدول واختارت الزعامات وشكلت الحكومات..

في كل عالمنا الإسلامي..

بلا استثناء..

من علم ومن جهل..

من أدرك ومن لم يدرك..

من استمتع بالخيانة ومن قبلها غصبا.. ومن غرته الأماني فحاول أن يناور فنالوا منه وطرهم ثم سحقوه..

الجميع بلا استثناء..

هانحن أولاء نرى التجربة الحية تجيب وتؤكد تكشف وتفضح: كيف وصل هؤلاء الذين يحكموننا الآن إلى الحكم؟!..

لقد وصلوا جميعا بنفس الطرق.. بلا استثناء..

وتلك حقيقة يجب علينا أن نحسم أمرنا فيها كي نتوقف عن التفاخر بهذا أو التنابز بذاك ولندرك أن الحكام جميعا طينة واحدة..

كل الحكام كذلك..

مهما اختلفت المظاهر فكل الحكام كذلك..

كلهم نبتوا في محاضن الصليبية والصهيونية..

وعلى سبيل المثال .. فما من نظام عربي واحد وما من حكومة واحدة كان مشروعها الرئيسي مقاومة العدوان الصهيوني الصليبي على فلسطين..

إنني لا أقول هذا انتقاما من نظام هنا أو تشفيا في حكومة هناك..

ولكن الواقع الذي يجب أن نتجرعه مهما كانت مرارته هو أن الشرط الواضح الذي وضع أمام كل حكومة عربية بل و إسلامية بلا استثناء كثمن لاستمرارها في الحكم كان:

١. لا للإسلام.

٢. لا للشيوعية.

٣. البترول خط أحمر.

٤. أمن إسرائيل خط أحمر.

ولقد قبلت كل الحكومات هذه الشروط منذ البداية..

نعم منذ البداية..

وما خيبة الأمل الهائلة التي تسحق الأمة الآن إلا بسبب تأخرها في اكتشاف الخيانة نصف قرن أو يزيد.

إن ما أرجوه من القارئ ألا يخدع نفسه..

كانت هذه الشروط هي شروط بريطانيا والدول الأوروبية على كمال أتاتورك كي يسمحوا له بالحكم..

وكانت ذات الشروط على الملك عبد العزيز..

وعلى جمال عبد الناصر..

***

جملة اعتراضية قصيرة: - بالنسبة للشيوعية بالذات لعب بها الغرب بمهارة، فقد كان ضروريا لكي يعرف العالم العربي بشاعة الشيوعية أن تكون بعض دوله شيوعية، وأن تشتبك مع غيرها لاستنزاف الطرفين، بل وكانت المخابرات الأمريكية هي التي تنفق على

مؤتمرات الشيوعيين ورائدات تعهير المرأة-.

وأكرر.. كل الحكومات العربية بلا استثناء قد قبلت هذه الشروط منذ أكثر من نصف قرن..

و أكرر:

على رأس هذه الحكومات حكومة المملكة السعودية والحكومة المصرية قبل الثورة وبعدها.. بل لقد أصبح واضحا الآن ومكشوفا أن المخابرات الأمريكية - كيرميت روزفيلت ومايلز كوبلاند - قد شجعت انقلاب ٢٣ يوليو لأن حكومة الملك والأحزاب كانت أضعف من أن تلتزم بالشروط الأربعة.

***

الصدمة التي تعانيها الأمة الآن أنها خدعت طيلة الحقب الماضية.. وظنت أن ما ألمّ بحكامها هو العجز لا التواطؤ، والقصور لا الخيانة، و أنها حين تكتشف حقيقة ما جرى إنها تكتشفه بعد أن تيقن الآخرون أنه لم يعد لاكتشافها قيمة.

***

نعم..

ماذا يفيدك الآن أن تكتشف اسم من قتل جدك.. ومن سلب شرف عمتك.. ومن سرق أرض أبيك..

ضاعت العلامات وضاعت الطرق..

وضاع الحق..

ضاع لأن من كان عليهم المطالبة به تواطئوا مع الأعداء ضد الأمة..

أما رجال الأمة فقد خُدعوا فانخدعوا.. وكُذِبوا فصدّقوا..

وعندما اكتشفوا الحقيقة كان الوقت قد فات لعمل أي شيء..

وكانت الشتلات تترعرع في تربية الخيانة لا يرويها إلا الحرام والدنس.

***

نعم كل الحكومات العربية قد تربت وزرعت شتلاتها في محاضن الصليبية الصهيونية..

وليس الحكومات فقط ..

بل كل النخبة الحاكمة..

وفقدان هذه النظرة الشاملة هو الذي يسبب صدماتنا وانكسار آمالنا أملا بعد أمل.

فقدان هذه النظرة الشاملة هي سبب الفجيعة في جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو..

فقدان هذه النظرة الشاملة هي سبب الفجيعة في المملكة العربية السعودية.. بل إن مراجعة التاريخ لكشف موقف المملكة ضد عودة الخلافة كان كفيلا بألا نصدم لكننا نسينا..

نعم ..

فقدان هذه النظرة الشاملة هي سبب الفجيعة في باقي النظم العربية كلها..

وفقدان هذه النظرة الشاملة هي سبب الفجيعة في الفرق بين المقال والأفعال في قضية فلسطين..

و فقدان هذه النظرة الشاملة هي سبب صدمة حدثت لي شخصيا منذ عامين ونصف العام يختلط فيها الهزل بالجد والمحزن بالمضحك.. هذه الصدمة تتعلق بمشروع لقاء لم يتم مع ولي العهد السعودي الأمير عبد الله.

وبرغم أن اللقاء لم يتم، إلا أنني أوصلت إليه ما أريد قوله عن طريق أحد معاونيه المقربين.. الذي جاءني يعتذر باسم ولي العهد عن طلب اللقاء لانشغاله الشديد في لقاء ضيوف أجانب.. وفيما بعد.. كي يكتمل التناقض .. ويتسع الخرق.. اكتشفت أنه يوم اعتذر عن لقائي.. و التي كنت أزمع فيها مطالبته بإعلان الجهاد ولو بدون معارك بالطريقة الذكية للخليفة المظلوم السلطان عبد الحميد.. كنت أزمع ذلك.. وكان جلالته.. يلقي بآخر ثمالة للقضية .. إذ كان في نفس اليوم يجتمع بـ: «فريدمان».. تمهيدا لإطلاق مبادرته المشئومة التي قدمها إلى مؤتمر قمة بيروت..

خلاصة ما قلته للمعاون أن المملكة في خطر شديد و أنها مستهدفة للتفتيت.. ليس بسبب أحداث ١١ سبتمبر .. ب.. و أنها إن استسلمت ستتفتت.. و إن قاومت ستتفتت.. وليس أمامها سوي سبيل واحد.. هو إعلان الجهاد.. أن يحتمي الأمير بالسعوديين.. و أن يحتمي السعوديون بأهل الجزيرة.. و أن يحتمي أهل الجزيرة بالعرب.. و أن يحتمي العرب بالمسلمين.. وأن يقدم المسلمون للعالم ما افتقده.. الضمير والأخلاق والمعاملة.

سوف نعود إلى التفاصيل في أجزاء تالية من هذا المقال..

***

وعندما علم المحيطون بما فعلت كانوا بين مشفق ومرتعب حتى أن عددا منهم قاطعني خوفا من أنني سأكون تحت مراقبة شديدة.

البعض الآخر لامني بشدة متسائلا عما دفعني لهذا.. وقلت لهم أظنه أفضل الأمراء السعوديين بعد الملك فيصل.. وكان رأي معظمهم على النقيض تماما من ذلك..بل عبر بعضهم عن دهشته الشديدة لأنني لا أعرف ذلك.

كنت أظنه أفضل الأمراء.. رغم مجموعة من القواعد الذهبية وضعتها لنفسي لا تكاد تخيب.. من هذه القواعد أن حكامنا : ما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أسوأهما.. و أن كل حاكم أسوأ من سابقه.. و أنه لم يعد يتغلب واحد من النخبة الحاكمة على رفاقه إلا لأنه أشد خسة وحقارة ودناءة وخداعا ونفاقا ونكثا بالعهد.

***

إنني أنبه القارئ أنني في هذا المقال أترك لتداعي الأفكار الحر أن يأخذ مداه.. لا ليفقد المقال تماسكه.. بل على العكس.. ليترابط أكثر و أكثر.. لأنه لا يمكن – على سبيل المثال فهم موقف المملكة السعودية من أفغانستان إلا في ضوء تنصل الملك عبد العزيز من الخلافة.. ولا يمكن فهم موقف مبارك من المسلمين إلا في ضوء الاتفاق المبرم بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية:

لا للإسلام

لا للشيوعية

لا لتهديد إسرائيل..

النفط خط أحمر..

ثم افعل بعد ذلك ما شئت..

وصدّقهم الطاغوت وصدَقهم.. فنالوا منه وطرهم.. ثم انقلبوا عليه.. وسحقوه بعد أن تمكن – لا غفر الله له – من إحداث تحول حاسم في موقف الجماهير .. تحول وضع فيه الغشاوة على أعين الأمة فحجب عنها الإسلام الحقيقي وقدم لها مسوخا باسم الإسلام.. ولست أدعي براءة الأمة.. فهذه الأمة ذاتها هي التي سمحت للمقامر السكير المجاهر بترك الصلاة والصوم: سعد زغلول بقيادتها.. وهذه الأمة هي التي سمحت للملك عبد العزيز أن يقدم شكل دولة الإسلام بلا جوهر الإسلام وبلا سنامه ويتنصل من الخلافة ومسئولياتها.. وهذه الأمة هي التي سمحت أيضا لمرتدين وشواذ ومجانين وخونة أن يحكموها..

سمحت.. وما تزال..

وإنني هنا أعود إلى حادث المنشية المبتدع لتقديم عبد الناصر كنجم بعد أن تهاوت سمعته (والقارئ يذكر أنه في يوم الحادث نفسه كانت الجماهير في صوان الاحتفال تهتف ضده إلى أن أخرجهم الأمن ووضع مكانهم جماهير تتبعه (– عمال مديرية التحرير)..

أعود إليه..

و أذكر القارئ أنني حذرت من تكرار ذات الأمر في المملكة العربية السعودية..

ولست أدافع عن القذافي عليه من الله ما يستحق.. بل لعل بغضي له يزيد عن حكام العرب جميعا.. فموقع الرجل الإليكتروني يجهر بالكفر.. كما أن فتوى الشيخ ابن باز تدمغه به.. ودعنا الآن من درجة الجنون أو الحماقة أو الخيانة أو تدمير الأمة أو الخسة والحقارة والدناءة والخداع والنفاق ونكث العهد..

دعنا من كل ذلك الآن – ولا تثريب .. فالولايات المتحدة راضية وسعيدة بكل ذلك–

.. دعنا منه..

لأننا هنا نتصدى لأمر آخر: وهو اتهامه بتدبير مؤامرة اغتيال ولي العهد السعودي.. نتصدى لهذا الأمر ليس بمجرد النفي بل بالسخرية والازدراء والمرارة..

لا لأن الرجل أحكم أو أعقل من أن يفعل ذلك أو لأن دينه يردعه وخلقه يمنعه..

لا.. ليس الأمر أيا من ذلك..

فالرجل قرر منذ زمن أن يترك عبادة الله إلى عبادة الأمريكان.. ء أشك أنه عبد الله في أي يوم..

وهو يدرك قدر الأمير عبد الله عندهم..

فلا يمكن أن يمسه بسوء (إلا إذا أمره الأمريكيون بذلك).

فرية الاغتيال إذن تخضع لنفس ظروف حدث المنشية..

أمير أو ولي عهد أو ملك تدنت شعبيته وانتضح عجزه ويلزمه تدبير حادث يشعل تعاطف الجماهير معه ويعيد إليه شعبيته.

***

نعود إلى موضوع الدعوة..

كان ذلك منذ عامين ونصف العام، حين فوجئت بالملحق الثقافي في السفارة السعودية في القاهرة يعرفني بنفسه ويدعوني لحضور احتفالات الجنادرية.

في الأحوال العادية أعتذر عن مثل هذه الدعوات، عزوفا، وتعففا، وحياء، وزهدا، وترفعا، و أحيانا اشمئزازا.

لكن كلمة «الدعوة» كان لها وقع رهيب في أذني.. وقع لا يتعلق بهذه الدعوة بالذات، ولا بالجنادرية، وإنما يعود إلى ربع قرن مضى، حيث آخر عهدي بالجزيرة العربية، بعد زيارة السادات للقدس، في عام ١٩٧٧ . وكنت قد عملت هناك خمسة أعوام – كطبيب– حيث عاصرت الفترة الأخيرة من حكم الملك فيصل، الحاكم العربي الوحيد الذي يستحق في نهاياته الاحترام (ولست غافلا عن موبقات البدايات).

وفي عودتي تلك، منذ أكثر من ربع قرن، كنت ثائرا وحزينا، وكنت أدرك أن القشرة الظاهرية للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة إنما هي تخدير للعالم الإسلامي، تخدير يصرفه عن السعي إلى وحدة حقيقية للأمة الإسلامية، بل وشرعت في ذلك الوقت في كتابة كتاب لم أتمه، وكان عنوانه: دور المملكة السعودية في هدم الأمن الإسلامي.

كنت مستفزا بالفارق بين الواقع والمثال.. وكنت غاضبا لأن الدولة التي تحوي قبلة المسلمين تجعل من المسلمين فيها مواطنين من الدرجة الثانية.. وكان معروفا أن المواطن الأول في المملكة السعودية (أحذف كلمة «العربية» عامدا متعمدا.. فالمملكة السعودية لم تعد عربية كما أن الجزيرة العربية لم تعد سعودية) ..أقول أن المواطن الأول هناك هو من يحمل الجنسية الأمريكية، والمواطن الثاني هم أفراد العائلة المالكة، والمواطن الثالث هم الأوروبيون، والمواطن الرابع هم العراقيون (كان للعراق مهابة شديدة آنذاك للدرجة التي كانت الأخبار تتناقل أن السفير العراقي لا يدخل على الأمير إلا بعد أن يدفع الباب بحذائه.. وهو إن حدث سوء أدب على أي حال) ثم يتلو ذلك باقي الجنسيات حتى القاع حيث المصريين فاليمنيين.

كان هذا الوضع مستفزا، فالدولة التي عليها أن تكون النواة كي تجمع كانت تفرق..

وكان لي لقاء أيامها مع فضيلة الشيخ الإمام محمد الغزالي في منزله بمكة المكرمة- حيث كان يعمل أيامها- فكشف لي الكثير من عيوب الحكام والأمراء وعلماء السلاطين.. مما زاد من غضبي.

الحاصل أنني في ذلك الوقت وقعت في معصية عجيبة لا أملك لها تفسيرا، فقد أقسمت ألا أعود إلى هناك أبدا إلا مدعوا.. (يخجلني أن أقول ذلك، لكنه ما حدث) وقد كان عليّ أن أحنث بقسمي و أكفر عن حنثي ، لكنني لم أفعل، ولست أدري كيف احتمل القلب الصدئ أن يمكث ربع قرن دون اكتحال بمرأى الكعبة وزيارة الرسول ﷺ.

وبررت بقسمي.. وطيلة ربع قرن لم توجه إليّ دعوة – لم أكن في الواقع أتصورها أبدا- .. لكنها في نفس الوقت لم تغب عن ذاكرتي يوما واحدا.. كانت كما وصف الحسن البصري رضي الله عنه الموت: يقين لا شك فيه شبيه بشك لا يقين فيه.

كان الأمر أشبه بحلم يقظة لا ينفك أبدا.. ولا يحدث أبدا.. ولا يُنسى أبدا..

حلم يقظة من نوع تلك الأحلام التي تتسلط عليّ أعواما وراء أعوام.. تحركها وتحددها صروف الزمن.. فمن حلم يقظة أمسك فيه قنبلة نووية أهدد بها الغرب الفاجر فأراه يبتلع وحشيته وخسته ويعود إلى ادعاء الرقة والإنسانية.. إلى حلم آخر أكون فيه حيث الحجر يقول يا مسلم خلفي يهودي فاقتله فأذهب و أقتله.. إلى حلم ثالث أعاصر فيه عودة دولة الخلافة الراشدة .. ثم يأتي زمن تنكمش فيه حتى الأحلام ليقتصر الأمر على رغبة مشبوبة في رصاصة في جبهة الدجال بوش.. أو قنبلة تمزق الخنزير رامسيفيلد.. أو لهيبا يحرق كلب الشيطان شارون.. أو بئرا للدنس يغرق فيها نصف الرجل بلير.

اجتمع النقيضان..

ربع قرن لم أتصور فيها أن توجه إليّ دعوة..

وأيضا.. ربع قرن لم أتصور ألا توجه إليّ دعوه..!!

وربع قرن لم أنس فيها قط موضوع الدعوة..

وطيلة ربع القرن لم أذهب..

لذلك..

عندما تلفظ الملحق الثقافي بكلمة «دعوة» أحسست بمس الصاعقة..

ما أكرمك وما أحلمك..

ما أكرمك و ما أحلمك ..

ما أكرمك وما أحلمك..

ومن أكون أنا حتى تبر بقسمي..

سبحانك.. جل وعلا شانك..

***

ربما، لولا تلك الخلفية لاعتذرت على الفور..

لكنني أدركت أنها الدعوة التي طلبتها..

تمالكت نفسي و أنا من الروع في غاية، وقلت للملحق:

أظن أن هناك خطأ في الاسم و أنكم لا تقصدونني.. إنني غير منضم لأي عصابة من عصابات أشباه المثقفين .. لست دجالا ولا مشعوذا ولا حامل مبخرة، ولا أنا منافق ، وليس لدي شك أن كل الذين يسمح لهم بأي درجة من درجات الظهور لابد أن يكون منتميا بشكل أو بآخر إلى هذه العصابات. ثم أنني أنبهك من البداية لشيء هام.. وهو أني قلمي غير معروض للبيع بأي ثمن.

ورد الرجل بأنه متأكد من الاسم ومن الدعوة.. فعدت أقول له:

إنني لست معارضا لنظام الحكم في مصر فقط.. بل إن معارضتي لنظامكم لا تقل عنفا.. و آرائي في حكامنا وحكامكم منشورة.. أنا لا أرفض الدعوة.. بل إنني أسعد بها كثيرا لغير السبب الذي قد يخطر ببالك.. لكنني في نفس الوقت لا أريد أن أذهب لأكتشف أنني دعيت على سبيل الخطأ و أن المقصود كان سواي.

وبدا أن الرجل بدأ يفقد ثقته، فراح يراجع معي بياناتي، وكانت صحيحة، إلا أنني عاجلته بالقول:

أحد كتبي الهامة: « إني أرى الملك عاريا» .. ولم أكن أقصد مليكنا فقط!!..

وهنا فقد الرجل يقينه وتزلزل فقال متلعثما:

أمهلني ثلاثة أيام أعود فيها إلى الرياض لأستوثق.

و أمهلته .. وتذكرت ما حدث من اعتذارات متعددة كان أحدها اعتذارا عن لقاء الرئيس مبارك.

فمنذ عشرة أعوام، كنت أكتب سلسلة من المقالات في صحيفة الشعب المصرية، والتي لم تكن قد صودرت بسيف الطاغوت بعد، الطاغوت الذي ما يزال يفخر بأنه لم يقصف قلما ولم يصادر صحيفة!! .. وكان عنوان المقالات: «من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك».. (وقد نشرت بعد ذلك في كتاب).. وجاء – من جهاز سيادي من يعدني بلقاء

مع الرئيس في اليوم التالي بشرط التوقف عن سلسلة المقالات فاعتذرت.

***

بعد ثلاثة أيام عاد الملحق الثقافي ليخبرني أنه استوثق من أنني المقصود بالدعوة. وسألني إن كان لي مطالب خاصة فأجبته أن لي مطلبان : أولهما إتاحة أداء العمرة وزيارة المدينة المنورة فأجاب أن ذلك بند ثابت في برنامج الدعوة لجميع المسلمين من ضيوف المؤتمر . وسألني عن مطلبي الثاني فقلت له:

أطلب تدبير لقاء مع الأمير عبد الله.

واعتذر الرجل أن الوقت الضيق لن يتيح له أمرا كهذا و أنني يمكن أن أدبره مع سكرتارية المؤتمر في الرياض، ثم استحثني لإرسال الأوراق إليه لبدء الدعوة.

***

الدعوة..

من تابع مقالاتي القديمة أو كتبي الأولى سيتذكر أنني ذهبت إلى المملكة العربية السعودية في أوائل عام ٧٣ في ظرف غريب ، حين رأيت رؤيا كان فيها من يخبرني بأن الرسول ﷺ مستاء لأنني لم أذهب، و أجبت في الرؤيا و أنا من الفزع والدهشة في غاية: لكنه لم يطلبني، فأجابني بإجابة لما أكد أفهم معناها.. كانت الإجابة : «فرق بين الطالب والمطلوب»..

***

هل كان المعنى أنني أقل من أن أكون مطلوبا فعلى أن أحرص على أن أكون طالبا..

هل يعني أن عليّ أداء واجب محدد في الدفاع عن قضية : «لا إله إلا الله محمد رسول الله».. و أنني مطلوب من أجله..

لكن شأني أقل من ذلك و أهون..

لم أفهم حينها.. ومر ثلاثون عاما.. لتجيء الدعوة الجديدة بعد قسم كان عليّ أن أحنث فيه..

لماذا نسيت أنى طالب لا مطلوب؟..

لماذا ابتعدت؟

لماذا ابتعدت ربع قرن؟

نعم

كنت بعيدا.. وأظنني قريبا..

فلما اقتربت اكتشفت كم أنا بعيد..

وكلما اقتربت ابتعدت..

أقترب فأبتعد.. أقترب فأبتعد.. أقترب فأبتعد.. حتى لتمر علىّ أوقات أوقن فيها بالهلاك.. ولم أكن كغريق يرده الموج إلى الأعماق كلما اجتهد وجاهد كي يقترب من الشاطئ.. بل كنت رغم ما أظنه اجتهادا وجهادا أكتشف أن الشاطئ لم يكن قريبا أبدا..كان الخطأ خطئي.. وقد ضللت الطريق.. وكان الأمان بعيدا.. ورحت أنا الأحمق أخيل لنفسي – ربما كي أنشد الاطمئنان – أنه قريب.. كان الخيال خيالي.. و لكنني كنت دائما بعيدا.. وكان البعد – فوق خطورته - ذنبي لا ذنب سواي.. وكانت المسافة فوق قدرتي على الاجتياز.. وكنت نملة صغيرة حقيرة تافهة قد تسحقها في أي لحظة قدم أوتطيرها نسمة ريح.. وكان على النملة اجتياز قفار وراءها قفار ولم يكن أمامها أي أمل إلا أن يتغمدها الله برحمته وعونه.

نعم..

كنت كلما ظننت الاقتراب أكتشف أن البعد أكثر مما تصورت..

كنت كالأعمى الذي لا يرى الحفرة إلا بعد أن يقع فيها..

أو كالأعشى الذي يخدعه بصره الضعيف فيحسب أن الهاوية أمامه ضحلة الأغوار.. فكلما قوي بصره واشتد اكتشف أنها بلا قرار..

وكنت كالجاهل الذي ظن أنه يستطيع أن يرقى إلى السماء بسلم..

أو كالأبله الذي راح يمد أصابعه كي يمسك بها القمر..

وكلما حددت البصر غامت الرؤية..

وكلما تلمست الأمن زاد الخوف.. أو نشدت الاطمئنان زاد الرعب..

وكلما علمت أكثر جهلت أكثر.. فرحت آسى على إيمان المساكين..

وطفقت أدرك كل يوم أكثر من كل يوم أن الأمر جد لا هزل..

جد لا هزل..

جد لا هزل..

***

بعد الحرب الفاجرة الكافرة على العراق عام ٩١ كنت قد ادركت عمق الهاوية، كشفتها لي رحمة الله الذي هداني لقراءة محمود شاكر ومصطفى صادق الرافعي ومحمد قطب وسيد الشهداء في زماننا – بإذن الله – سيد قطب.. وأيضا على عزت بيجوفيتش ومحمد أسد والمودودي.. وعشرات وعشرات .. ولقد غسل هؤلاء نتاج ربع قرن من الثقافة الصحيحة التي اختلطت بالثقافة المزيفة تحت وهم الموضوعية والانفتاح على الثقافات والحضارات.

وكنت حينذاك.. في بداية التسعينات أتمثل قول الشهيد العظيم سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» أثاب الله قائله ولعن قاتله:

« إن حكاية فصل « العلم » عن « صاحب العلم » لا يعرفها الإسلام فيما يختص بكل العلوم المتعلقة بمفهومات العقيدة المؤثرة في نظرة الإنسان إلى الوجود والحياة والنشاط الإنساني ، والأوضاع ، والقيم ، والأخلاق ، والعادات ، وسائر ما يتعلق بنفس الإنسان ونشاطه من هذه النواحي .

إن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم عن غير المسلم ، أو عن غير التقي من المسلمين ، في علم الكيمياء البحتة ، أو الطبيعة ، أو الفلك ، أو الطب ، أو الصناعة ، أو الزراعة ، أو الأعمال الإدارية والكتابية .. وأمثالها . وذلك في الحالات التي لا يجد فيها مسلماً تقياً يأخذ عنه في هذا كله ، كما هو واقع من يسمون أنفسهم المسلمين اليوم ، الناشئ من بُعْدِهم عن

دينهم ومنهجهم وعن التصور الإسلامي لمقتضيات الخلافة في الأرض - بإذن الله - وما يلزم لهذه الخلافة من هذه العلوم والخبرات والمهارات المختلفة .. ولكنه لا يتسامح في أن يتلقى أصول عقيدته ، ولا مقومات تصوره ، ولا تفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيه ، ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه ، ولا مذهب مجتمعه ، ولا نظام حكمه ، ولا منهج سياسته ، ولا موجبات فنه وأدبه وتعبيره ... إلخ ، من مصادر غير إسلامية ، ولا أن يتلقى عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه في شيء من هذا كله.

إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة . كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية .. ما هو من تخصصه وما هو من هواياته .. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره . فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم - وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك - وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره . فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها ، وعلى انحرافها ، وعلى ضآلتها ، وعلى قزامتها ... وعلى جعجعتها وانتفاشها ، وعلى غرورها وادعائها كذلك !!! وعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي !!!

ومع ذلك فليس الذي سبق في هذه الفقرة رأياً لي أبديه .. إن الأمر أكبر من أن يفتى فيه بالرأي.. إنه أثقل في ميزان الله من أن يعتمد المسلم فيه على رأيه ، إنما هو قول الله - سبحانه - وقول نبيه ﷺ.. نحكمه في هذا الشأن ، ونرجع فيه إلى الله والرسول ، كما يرجع الذين آمنوا إلى الله والرسول فيما يختلفون فيه .

يقول الله - سبحانه - عن الهدف النهائي لليهود والنصارى في شأن المسلمين بصفة عامة :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران].

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الحافظ أبو يعلى عن حماد عن الشعبي عن جابر - رضي الله عنهم :

« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل ، وإما أن تكذبوا بحق ، وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلَّ له أن يتبعني » .

وحين يتحدد الهدف النهائي لليهود والنصارى في شأن المسلمين على ذلك النحو القاطع الذي يقرره الله سبحانه ، يكون من البلاهة الظن لحظة بأنهم يصدرون عن نية طيبة في أي مبحث من المباحث المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ، أو التاريخ الإسلامي ، أو التوجيه في نظام المجتمع المسلم ، أو في سياسته أو اقتصاده ، أو يقصدون إلى خير ، أو إلى هدى ، أو إلى نور ... والذين يظنون ذلك فيما عند هؤلاء الناس - بعد تقرير الله سبحانه - إنما هم الغافلون !.

***

مع الشهيد سيد قطب .. أتمني أن أتوقف عن كتابة مقالي لأواصل نقل كتابه لكم يا قراء..

ولاحظوا أنني بدأت الكتابة المركزة عن الشهيد العظيم منذ ستة شهور وسط ظلام تعتيم لا يبدو له صبح..

ومن ذلك الحين انطلقت كلاب الصيد المدربة لمواجهة أي تأثير لأي كلمة حق تقال في الشهيد العظيم..

سنتجاوز سريعا عن محاولات قناة الجزيرة..

ولكننا نركز على صلاح عيسي في صحيفة القاهرة..

صلاح عيسي .. صياد المياه العكرة.. وصاحب باقة الشيطان كلما هلك منهم واحد أتي

بمن يحل محله..

صلاح عيسي الذي يتحدث الكاتب المتميز محمد إبراهيم مبروك عنه فيقول: « ولكن منذ عامين فقط أدرك الماركسي القديم الأستاذ صلاح عيسى بذكاء لا يحسد عليه مدى ما يمكن حصده من ثمار خلال توظيف جمال البنا لتوجهات التيار العلماني الذي ينتمي إليه. ليس فقط استغلالا لاسم الرجل الذي يرتبط بأخوته للإمام حسن البنا أو حتى لصفة المفكر الإسلامي الملتصقة به. ولكن وقبل كل ذلك لأنه فهم مشكلة الرجل ومن هنا أتاح له الفرصة عبر صحيفته «القاهرة» أن يقول كل ما يريده، بل وكل ما يريده صلاح عيسى أيضا. وحتى إلى هذا الحد فليست هناك مشكلة ذات بال. فالجريدة تكاد تكون حكرا على العلمانيين وأما توزيعها فحدث عنه ولا حرج[1]. وبعض الإسلاميين الذين كانت تفزعهم آراء وفتاوى البنا في أول الأمر سريعا ما صاروا يقرؤونها من باب الطرائف والعجائب ولكن يبدو أن هذا الأمر ذاته أثار غضب الأستاذ البنا وعناده فقرر أن يعلن في الآونة الأخيرة عن أفكار أشد حدة وإثارة مثل كون الإسلام دينا علمانيا وأنه ليس دينا ودولة وبطلان الجهاد في الإسلام وأن الحضارة الأمريكية حضارة رائعة رغم لوثاتها وأن على المسلمين أن يطوروا عقائدهم ومناهجهم الدينية استجابة لطلب بوش والإدارة الأمريكية. وبذلك حقق للتيار العلماني وللقوى التي يخدمها أكثر مما يريدون.»

ثم يواصل الأستاذ مبروك فضحه للاثنين:

« ومن ثم فمن غير المعقول مطالبة الناس بالتخلي عن إيمانهم ذاته إرضاء للغرب وإن كان هذا يرضي أشد الرضا دعاة العلمانية عندنا ومن هنا كان التقاء الهدف بينهم وبين الأمريكيين. ولهذا ينشط أمثال جمال البنا في الدعوة للاستجابة لمطالب الأمريكيين في

(١)لا يتجاوز متوسط توزيع العدد ألف نسخة ، ثمن النسخة جنيه مصري واحد، ويوزع مع معظم الأعداد كتاب كهدية مجانية، وقيمة الكتاب بأسعار هيئة الكتاب لا تقل عن خمسة جنيهات.. أما مرتب ص ع عن ذلك فيتجاوز ١٤٠٠٠ جنيه.. أي أنه بحساب تكلفة الكتاب والصحافيين و.. و.. فإن كل عدد من الصحيفة المهجورة يكلف الأمة المنهوبة أكثر من مائة جنيه مصري.. وكل ذلك لأنه صنيعة الأمريكان والسلطان لتشويه الإسلام.

تغيير المناهج الدينية ويعلن الرجل للإسلاميين أنه ليس أمامهم الآن سوى قبول دعوته لما يقدمه لهم من إسلام بلا إسلام. أي إسلام بلا قواعد ولا شرائع ولا أحكام بل مجرد بعض الشعائر بحسب المزاج والطلب.. ومن ثم فإنه يرى أن المعترضين على هذا الطلب الأمريكي «لن يعسر عليهم أن يأتونا بنصوص من أقوال الفقهاء توقع عقوبة الموت على المرتد وتقرر مصادرة كل فكر مختلف.. ولن يعسر عليهم أن يقدموا نصوصا عن دونية المرأة وفرضية الحجاب عليها وتحريم المناصب العليا.. أما الحدود من قطع يد السارق ورجم الزاني فإنها بالطبع ستكون في صدارة ما يقدمون» (القاهرة: ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢).

والدليل على أنه يعلن للإسلاميين بل للمسلمين عامة أنهم ليس لهم سوى قبول ما يتفضل علينا به من إسلامه العجيب هو أننا لن نستطيع الدفاع عن أنفسنا تجاه الأمريكيين لأن ما يعترضون عليه «هو بالفعل أقوال أئمة المذاهب وفقهاء السلف الصالح فإذا أعادته المؤسسات الدينية فإن ذلك سيكون مصداقا لاتهامات الأمريكيين وهذا هو المأزق الذي سيجد فقهاؤنا أنفسهم فيه وكانوا في غنى عنه ومخلص منه لو» وأقف هنا وأقول: لو ماذا؟ لو ألغينا عقولنا واعتقدنا أن الإسلام الذي يقدمه جمال البنا ومن يقف وراءه من غلاة العلمانيين الحاقدين له أدنى علاقة بالإسلام. ذلك الإسلام الذي بلا تفسير ولا سنة ولا قواعد للحكم ولا جهاد في سبيل الله ولا حد ردة ولا حد زنى ولا حد سرقة ولا قصاص ولا حجاب ولا صلوات خمس وإنما صلاتان فقط ولا شعائر ذبح ولا شعائر ذكر ولا أي شيء على الإطلاق من قواعد الدين وأحكامه وهذا الذي يكمل به كلمة لو فيقول« لو أخذوا بما عرضناه مرارا وتكرارا وما سجلناه في «نحو فقه جديد» و«الإسلام وحرية الفكر وعشرات الكتب الأخرى» .

وربما لو كان البنا قد أعلن عن علمانيته بوضوح لما أثار اهتمام أحد ولفات على العلمانيين ما يحققونه الآن من ثمار انتشار هذه الأفكار الشاذة. ولهذا انصب اهتمامنا هنا على تجريد أفكاره من تلك الصفة الإسلامية بوجه خاص وتقديم الأدلة والبراهين على ذلك ليكون التركيز على نفي هذه الصفة هي المهمة الأساسية لمن يواجهون بمثل تلك

الأفكار من قبل بعض المدعين من العلمانيين استنادا على جمال البنا.»[١]

***

لا أملك إلا أن أضيف بعد كلمات مبروك القيمة أن الأزهر أصر تقريره عن كتابات جمال البنا الأخيرة بأنها إنكار للمعلوم من الدين بالضرورة و أنها كفر يوجب الاستتابة.

***

كان جمال البنا أحد إبداعات صلاح عيسى الذي أطلق نكرة آخر يسود الصفحات تلو الصفحات في صحيفته يقول أن الإسراء كان للمدينة المنورة وأن لا علاقة له بالقدس الشريف و أن علينا أن نتركها لليهود بما فيها لتنتهي المشكلة!!..

صلاح عيسى.. الشيوعي بالأمس.. والأمريكي اليوم.. والصهيوني غدا.. وعضو مجلس الحكم بعد غد..

صلاح عيسى الذي أوجع قلوبنا ذات يوم بحديثه عن أنماط التعذيب الوحشية المجرمة التي عانى منها في سجون عبد الناصر.. أنماط التعذيب التي لم تكن تسمح لمعتقل إلا بالصراخ.. حين اجتاح طوفان الدنس الهادر الجيش والشرطة والنيابة والقضاء جميعا.. ولتتصوروا أن المجرم جمال سالم الذي كان يحاكم البطل الشهيد سيد قطب كان يقول:

- لا يهمني أن تتزوج ابنتي يهوديا أو أمريكيا[٢].

صلاح عيسى انطلق أو أُطلق ليحاصر ما يمكن أن يكون قد تسرب من حصار الشيطان حول الشهيد العظيم فانطلق ليمارس نوعا مما أسميه:

«الكتابة الفاسقة للتاريخ»..

ذلك أنه ينشر الكذب بقلب بارد وبلا ضمير.. وتخيلوا معي أنه يجعل المرجع الذي يرجع إليه ويقيس عليه هو محاضر تحقيقات النيابة..

---

(١) المحزن جدا.. أن بعضا من إخوتنا الأفاضل من كتاب الشعب لم يفطنوا لذلك فبادروني بالعتاب عندما كتبت في مقال سابق أن جمال البنا شقيق للإمام حسن البنا.. لكنه ليس من أهله.

(٢) عادل حمودة- كيف يسخر المصريون من حكامهم- سفنكس للطباعة والنشر.

سوف نتحدث يوما عن المستشار على جريشة الذي كتب يقول أن التعذيب الحيواني المجنون المجرم الذي تعرض له كان شديد الإيلام.. لكن ألمه كان أكثر حين استدعي للمرة الأولى أمام وكيل نيابة صغير السن (وكان هو مستشارا) فوجده يدوس القانون بقدميه.. وللمرة الأولى رغم كل أنواع العذاب ينفجر المستشار في البكاء.. وأمام وكيل نيابة في عمر أبنائه..

مثل هذا الوكيل هو ما يجعله صلاح عيسى مرجعا..

ولقد حدثتكم عن المذيع حمدي قنديل حين كان يذهب إلى السجن الحربي ليحصل على تأييد من الإخوان للثورة.. وكان المعتقل يأتي من أمام وكيل النيابة أو الضابط نازف الجسد ممزق الروح من فرط العذاب بعد أن وعدهم بأن يقول ما يريدون كي يتخلص من التعذيب ولو لبرهة.. لكنه حين يذهب إلى حمدي قنديل يرفض أن ينطق بما يريدون فيصرخ حمدي قنديل:

تعالوا شيلوا القرف ده..

وهو يقصد أن يأخذوه لمزيد من التعذيب كي يقول ما يريدون..

تحت مثل هذا التعذيب يرص صلاح عيسى مراجعه..

وغفر الله لحمدي قنديل جرائمه فقد اعترف بها و أبدى ندمه في أحد البرامج كما قال لي بعض من استمع إليه.

وكان يمكن أن نعذر صلاح عيسى بالجهل.. وهو جاهل و لو علم.. و أن نفترض أنه من السذاجة بحيث يفترض النيابة في وضعها المتخيل المثالي لا في واقعها الوحشي الإجرامي الذي تحدثت عنه حيثيات أحكام نهئية.. أقول كان يمكن أن نعذره بالجهل.. وهو جاهل و لو علم.. لكنه هو بنفسه قد تعرض للتعذيب في الاعتقال كشيوعي.. وتعرض لبعض هذا التعذيب .. ويعلم كيف كان يدلي باعترافاته و أي نوع من وكلاء النيابة كان يتعامل معه.. ويعلم أكثر مما يعلم أي واحد آخر أن ما يكتبه وكيل النيابة منبت الصلة بالواقع. بل هو ما يمليه وكيل النيابة كي يحبك الأدلة المزورة ويحاصر بها الضحية، فهناك، كانت وما زالت الأحكام تصدر أولا، ثم تلفق لها التحريات المناسبة وتحقيقات

النيابة التي تلف الحبل حول عنق المتهم.

***

نعم..

عذب صلاح عيسى مع الشيوعيين ورأي بعينيه و أحس.. ويعرف الحقيقة جيدا.. ومن شاء فليرجع إلى مقاله في كتابه مثقفون وعسكر: أضغاث أحلام..

وهنا يجب أن نفرق بين تعذيب الإخوان المسلمين والوفديين والشيوعيين.

كان تعذيب الوفديين هو الأخف.. إذ لم يكن الوفد يشكل منافسا حقيقيا للسلطة وكان المطلوب مجرد الترويع للابتعاد.. وبمجرد ممارسة القليل من العنف ضد موكب للنحاس باشا انسحب فورا من الحياة العامة.

تعذيب الإخوان كان نوعا آخر.. كان هو الأعنف.. وكان يهدف ليس إلى الترويع كما حدث مع الوفديين.. بل إلى الاستئصال.. الاستئصال الكامل بالإبادة والإعدام والتحطيم النفسي.. ولم يكن من بداخل السجن هم المقصودون وحدهم .. بل كان المجتمع الواسع هو المستهدف أساسا .. كان المقصود أن يعرف المجتمع أن أي محاولة لاتباع الإسلام كما أراد الله له أن يكون سوف تقابل بهذا النوع من البطش الشديد.

من السحق..

والتعذيب حتى الموت..

والتشهير..

والإعدام الجسدي والمعنوي..

ولقد ذكرت من قبل، مدى التأثير الهائل لهذا التعذيب، ولا نجحد فضل الذين صبروا، ولولا صبرهم لانتهت الدعوة لقرون، لكننا نتناول نوعا آخر لنرصد التأثير عليه، النوع الذي هُزم واستسلم، فالبعض قدم طلبا رسميا للتحول إلى النصرانية، والبعض الآخر، ومنهم واحد من قيادات خانت الدعوة مقابل أن تكون شاهد ملك (في قضية ٦٥)، هذه القيادة ترك الصلاة و أفطر في رمضان، بل وتحول – ولا حول ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم – إلى شاذ جنسيا و أخذ يعلن ذلك كي يقنع أجهزة الأمن بصدق توبته.

تعذيب الشيوعيين كان نوعا آخر..

كان ترويضا..

كانوا يعاملونهم كما تُعامل القرود..

يضربونها بالسياط ثم يأمرونها بالرقص فترقص [1].

نعم..

كانوا يدربونهم كما تدرب حيوانات السيرك ليكونوا قادرين على أي فعل مهما بدا شذوذه أو نبت غرابته..

كانت المشكلة مع الإخوان المسلمين هي مشكلة العقيدة.. كانت ممتزجة في قلوب العديد منهم امتزاج الدم.. وكانت مغروسة في الجسد انغراس القلب والأحشاء.. بحيث لا يمكن انتزاع العقيدة قبل انتزاع الروح..

هذه المشكلة لم تكن موجودة مع الشيوعيين (وعندما أقول الشيوعيين فإنني أقصد المعنى الأوسع للعلمانيين جميعا) .. كانوا بلا عقيدة.. وكان المطلوب هو تحويلهم إلى تلك القرود التي تضرب بالسياط لترقص.. كان المطلوب أن يقتنعوا بأن الحاكم هو ربهم الأعلى ولا رب لهم سواه.. وكان المطلوب هو القضاء على أي نوع من الكرامة الإنسانية داخل ذواتهم.. واستئصال أي إمكانية للاعتراض.. كان المطلوب أن يكونوا كلاب صيد شرسة يفعلون ما يفعلونه الآن تماما ..

نعم..

يفعلون ما يفعلونه الآن من مطاردة وحصار أي توجه يعارض الحاكم.. ولا بأس أحيانا بتمثيل أدوار المعارضة..

---

(١) الوصف بتصرف عن فولتير في روايته القصيرة الشهيرة: الساذج- ترجمة عبد الله المشنوق- منشورات دار المقاصد الإسلامية- بيروت.

باختصار دخل العلمانيون إلى السجون وهم كافرون بالله..

وخرجوا منه وقد كفروا بالإنسان أيضا..

و أصبحوا لا يؤمنون إلا بالحاكم..

هو الآمر الناهي..

هو منبع الخطر والقوة..

هو – أستغفر الله العظيم – يحيي ويميت..

هو يعين ويفصل..

هو يعذب ويعفو..

فإذا كانوا لا يعرفون الله أصلا فلماذا لا يعبدون الحاكم إذن؟

لقد كان هذا جليا بحيث لا يكاد يحتاج إلى إثبات.. فبعد فترة الترويض.. خرجوا من السجن إلى المناصب القيادية ليس في مصر فقط بل في العالم العربي كله .. و إلى الآن..

أما الأغرب فهي أن انتقالهم إلى المناصب القيادية لم يقتصر على عهد عبد الناصر فقط.. بل استمر في عهد نقيضه السادات.. كما استمر في عهد نقيضيهما مبارك.. والأغرب أن ذلك لم يقتصر على مصر بل انتشر في العالم العربي كله.. وبصورة مذهلة.. ويكفي أن بلدا كالسعودية .. وهو آخر بلد كان المتصور فيه أن يوجد الصحافيون العلمانيون .. لم يكتف بمجرد الوجود بل انتقلوا إلى مرحلة السيطرة ثم حصار المسلمين.

***

هل يتصور القراء على سبيل المثال أن تنشر الصحف السعودية غزلا وتشببا في ملحد سعودي مثل عبد الله القصيمي؟ (وبالمناسبة فهو من أساتذة سيد القمني وخليل عبد الكريم وجمال البنا .. وكان من أساتذة خالد محمد خالد قبل أن يدركه الله برحمته فيتوب..)..

كان ذلك منذ أكثر من نصف قرن.. وجاهر الرجل بإلحاده ليفضح أنصاره..

ولقد ذهلت على سبيل المثال عندما وجدت كاتبا كنت أحترمه هو الدكتور محمد

صالح المسفر – عليه من الله ما يستحق- يقول عنه:

استأذن الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله القصيمي[1] رحمه الله في استعارة عنوان أحد كتبه « العالم العربي ليس عقلا » ليكون عنوانا هذه المحطة مع التعديل غير المخل والحق أن شيخنا رحمه الله قد اكتشف قصور العقل عند بعض ولاة الأمر فينا منذ زمن ليس بالقصير، وألف عدة كتب في شأن ذلك العقل وقصور الأداء والإدراك ولكن لم يلتفت إلي كتب شيخنا إلا قلة قليلة من أهل القلم .

محمد صالح المسفر حزين لأن قلة قليلة هي التي التفتت إلى كتب القصيمي القيمة..

سوف نقرأ عما قليل بعضا مما أعجب هذا المسفر في القصيمي..

لكننا قبلها نقرأ جزءا مما كتبه الشهيد العظيم سيد قطب عنه :

(لله درك أيها الشهيد العظيم.. أنت مذهل في كل شيء.. ولقد كشفت خبيئة الملحد حتى بعد أن انخدعت فيه قامات عملاقة كالشيخ رشيد رضا وعباس محمود العقاد.. وهو إذ يكشفه يضع المنهاج الذي يكشف عبيد الشيطان جميعا بدءا بصحيفة المقطم وانتهاء بالقاهرة و أخبار الأدب!!)..

نعود إلى ما قاله الشهيد العظيم عن القصيمي الذي يتباكى المسفر حزنا على من لم يقرأه:

« هذا رجل (يقصد القصيمي) ينافق، يريد أن يطعن الطعنة في صميم الدين خاصة، ثم يتوارى ويتحصن في الدين، وينكر ما قد يفهمه القارئ من بعضر النصوص ومن روح الكتاب كله، وراء النصوص. (...) ثم هذا رجل يسرق أفكار غيره بالنص ، وينكر أن يكون قد قرأ شيئا عن هذه الأفكار. (...) هذا رجل تنقصه الجرأة علي أن يقول ما يريد أن يقول ، وإذن فلا حرية فكر و لا خطر على حرية الفكر ؟إنما هي دعوة خبيثة ملتوية ضد الدين ، وبخاصة الإسلام وضد الروح والخلقية في النفس والضمير؟(...) هنا رائحة ما ؟ (...) رائحة شيء ما شيء غير نظيف ..

***

(١) القصيمي أيضا هو صاحب الكتاب الشهير: العرب ظاهرة صوتية.

سوف يفتضح شأن القصيمي بعد فضح الشهيد له بسنوات.. لن يفضحه أحد.. سيفضح هو نفسه عندما ينطق بالكفر البواح الذي سنورده بعد سطور..

دعنا الآن من أقصى درجات الرقة من الحكومات السعودية في التعامل معه عبر نصف قرن..

دعنا من دعمه ماليا..

وحراسته من الاغتيال..

وعلاجه في الخارج على حساب الأمير طلال بن عبد العزيز..

ورعاية أبنائه..

واستمرار الحوار معه حتى مات..

ولم يقسم الأمير عبد الله ولي العهد أبدا أنه سيطارده ولو ثلاثين عاما حتى يقضي عليه و أنه لن يتحاور معه أبدا..

بالعكس ..

استمر التحاور والرعاية حتى الموت عام ٩٦..

فهل تعرفون يا قراء بعض ما يقوله القصيمي هذا؟.

إنه يقول: في غلاف كتابه الوجه الآخر[١]:

(إن الإنسان المثل الذي يجب أن يكون هو زنديق العقل قديس النفس والأخلاق ، هو العاصي المتمرد المحارب بتفكيره)

ويقول تحت هذا العنوان (في غار حراء لم أجد الإله ولا الملاك) :

(ذهبت إلى الغار .. غار حراء .. غار محمد وإلهه وملاكه .. إلى الغار العابس اليابس البائس اليائس ، ذهبت إليه استجابة للأوامر . دخلت الغار ، دخلته .. صدمت .. ذهلت .. فجعت .. خجلت ، خجلت من نفسي وقومي وديني وتاريخي وإلهي ونبيي ومن

(١)موقع إيلاف على الشبكة.

قراءاتي ومحفوظاتي ..! أهذ هو الغار.. غار حراء .. هو الذي لجأ واختبأ فيه الإله كل التاريخ ! ذهبت إليه إلى الغار غار القرآن المغلق والهادم لكل غار قبله ولكل غار بعده لأنه يجب أن يكون هو كل غار وآخر غار والغائر والغيور من كل غار ..! ذهبت إلى الغار الذي ولد وورث وعلم ولقن وألف وحرض وخلد أقسى أقوى أغبى وأجهل وأدوم إلهيات ونبوات وديانات ووقاحات ووحشيات !

..(...)..

قد مات هذا الغار ... لقد مات بأسلوب الانتحار لأنه أوحى إلى الإنسان العربي .. إلى النبي العربي ما أوحى .. ماذا أوحى إليه ؟ هل تستطيع كل الحسابات والإحصاءات أن تحصي أو تحسب الخسران الذي أصاب الحياة والإنسان من هذا الوحي والإيحاء ؟

ويقول الكافر المجرم القصيمي تحت عنوان (لماذا يسارع المتخلفون إلى الدخول في الإسلام ؟)

يقول :

(أعلن النبي محمد أنه آخر الأنبياء وأنه بمجيئه قد أغلق أبواب السماء لئلا تتصل بالأرض أو تتحدث إليها بالأسلوب الذي تحدثت به إلى الأنبياء بعد أن قرأ ورأى وعرف ضخامة وفظاعة عدوان السماء على الأرض وتشويهها لها بإرسال من تسميهم بالأنبياء إليها .. بعد أن عرف قبح عدوان الأنبياء على الأرض لمعرفته بقبح عدوانه هو عليها . فالنبي محمد يعني إعلان خطيئة مجيء الأنبياء والنبوات وإعلان التوبة الصادقة الحاسمة من ذلك مع كل الاعتذار إلى الحياة التي ما أقسى أطول ما تعذبت وتشوهت وقبحت وتقبحت وجهلت ورذلت ونذلت وهانت وحقدت أبغضت بمجيئهم ومجيئها أي بمجيء الأنبياء والنبوات !

...(...)

هل يمكن تصديق بأن وثنية التوحيد هي أضخم الوثنيات وبأن جميع الوثنيات لا تستطيع أن تنافس الوثنية التي جاء بها نبي التوحيد محمد معلما ومنفذا لها ؟(...).. احتلال الإله لعقولنا أقدح أنواع الاحتلال .

هذه بعض النصوص التي ضمنها القصيمي كتابه (هذا الكون ما ضميره ؟)

***

إنني أنبه القارئ أنني حذفت الكثير الكثير مما لم يطاوعني قلمي على نقله من سباب قذر مجرم في الإسلام وفي نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وفي القرآن الكريم..

ثم إنني أعتذر عما نقلت من هذا السفيه الفاجر عليه لعنة الله..

وما كنت لأذكر هذا الشيطان الرجيم لولا أن الحداثيين والعلمانيين المجرمين في بلادنا لا يجرءون في معظم الأحيان أن يهاجموا الدين مباشرة كما فعل ذلك الكافر.. فيكتفون بمديح القصيمي بما يعني اشتراكهم معه في الفكرة دون تحمل المسئولية .. وهؤلاء يستحقون الفضح باستمرار..

انظروا مثلا إلى الشاعر الخسيس أنسي الحاج (وهو من نفس فصيلة أدونيس والماغوط) وهو يقول عن القصيمي أنه:

« ليس مفكّراً يشرح نظريات، إنه القاموس العربي وقد استحال صراخاً ضد التزوير، بمعناه التاريخي، ضد القمع والتخلف والسدود كلها. هذا الرجل القادم من الصحراء، السعودي المقاتل كلّ شيء، الرافض كل شيء، الحر في وجه كل شيء، يتكلم كالشهيد الحيّ. ماذا يريد؟ يريد أن يفرّغ الدنيا العربية من نفسها ويؤلفها على الحرية، والعقل والكرامة. كُتُبُه فضيحة تاريخية. فضيحة أن يكون العالم العربي قد ظلّ حتى الآن خالياً من عبد الله القصيمي. فضيحة، عبد الله القصيمي، تفضح ألوف ماسخي الكلمة العربية كل يوم من المحيط إلى الخليج. اقرءوا القصيمي. لا تقرءوا الآن إلاّ القصيمي. يا ما حلمنا أن نكتب بهذه الشجاعة! يا ما هربنا من قول ما يقول! يا ما روضنا أنفسنا على النفاق، وتكيفنا، وحطمنا في أنفسنا الحقيقة، لكي نتقي شر جزء مما لم يحاول القصيمي أن يتقي شر قوله في كتبه. ويهجم على الكلمة هجوم البائع الدنيا بكلمة. وتقتحمك كلماته التي لا تتوقف اقتحام الحريق المتصاعد. ضد كل شيء.

***

السعودية سوف تطرد القصيمي لكنها تعامله بكل رحمة.. وسمو ولي العهد لم يقرر مطاردته ثلاثين عاما ولا حتى ثلاثة أعوام.. رغم أن الرجل قد عاش طويلا في عهده (مات في أوائل ٩٦) حيث أصدرت عنه مجلة « إبداع» التي كان يرأس تحريرها التنويري الشيطاني أحمد عبد المعطي حجازي، ملفاً خاصا . وشارك في الملف الكاتب سيد القمني في مقالة بعنوان«عبد الله القصيمي.. صوت صارخ في البرية» والكاتب حسن طلب في مقالة بعنوان«عبد الله القصيمي.. قطرة الشك في صحراء اليقين» والكاتبة البحرينية فوزية رشيد مقالة بعنوان«بعد رحيله، كبرياء التاريخ في مأزق».. والكفر ملة واحدة..

سوف يكون القصيمي أيضا ضيفا عزيزا على النظام الناصري ومن سنة ٥٩ سوف يبث سمومه من صالونه في المنيل في لقاء أسبوعي.

***

لقد أطلت في الحديث عن القصيمي لأن الكثيرين من الشباب اليوم لا يعرفونه..

ولقد كانت معرفتي به – على سبيل المثال – ترياقا حماني من كاتب كالمسفر عندما قرأت إعجابه به..

و إن أنس لا أنسي رسالة قارئ مسلم في أمريكا.. كتب إلي يقول أنه كان يكرهني بشدة حتى دون أن يقرأ لي.. بل كان يتجنب القراءة لي.. وذات يوم كان يبحث ببرنامج جوجل عن موضوع متعلق بنوال السعداوي حيث كان شديد الإعجاب بها.. وفوجئ بكتابتي عنها.. فراح يقرأ دهشا .. وتطورت قراءاته حتى أصبحت نوال السعداوي وما تمثله أبغض الأشياء إلى قلبه..

نعم ..

أنا حريص على كتابة التفاصيل كي أكشف مواقع الحيات السامة وكيف الوقاية من سمومها..

وقد كان هذا بعينه ما فعلته مع كاتب أردني هو خيري منصور حين كتب يمتدح الكافر المجرم خليل عبد الكريم (بحكم فقهي من الأزهر) ..

وهو أيضا أحد مسوخ صلاح عيسى..

صلاح عيسى الذي جند صحيفته بل وكره لتشويه الإسلام وتشويه أبطاله و لإدانة الشهيد العظيم سيد قطب معتمدا محاضر نيابة حمدي قنديل وحمزة البسيوني كمرجعية..!!

لقد كتبت لكم قبل ذلك كيف تناول صلاح عيسى (مولى عميد المباحث صلاح محيسن) العلامة محمود شاكر بالسخرية والكذب.. وفي نفس المقال تحدث عن حمزة البسيوني بوله يشبه العبادة.

ولم يذكر صلاح عيسي كيف كان المجرم الجاهل جمال سالم يحاكم الشهيد.. ولا هو ذكر شيئا عن جرأة الشهيد النادرة أمام ما يسمون بالقضاة ، فلقد خلع قميصه أمام المحكمة وقال بسخرية: انظروا يا قضاة العدالة!!.. نحن نريد أن نسأل ، آيتا أحق بالمحاكمة والسجن نحن أم أنتم؟ إن لدينا وثائق أنكم عملاء للمخابرات الأمريكية ، وبدأ يسرد الوقائع والوثائق التي تصمهم بالخزي وتسمهم بالصلات المشبوهة بكافري - السفير الأمريكي آنذاك- مما اضطر جمال سالم أن يرفع الجلسة ويغلق المحاكمة.

وأودع سيد قطب ليمان طره (السجن الذي يضم المئات من شباب الإخوان) ، ولقد شهد بأم عينيه مذبحة الإخوان في ليمان طره عندما فتحت الحكومة الرشاشات على الإخوان حيث قتل من عنبر واحد ، واحد وعشرون من شباب الإخوان والتصقت لحومهم بالحائط ، ومن شاء الاستزادة فليقرأ كتاب (أقسمت أن أروي لروكس معكرون) [(١)].

لم يذكر صلاح عيسى شيئا عن ذلك..

لم ينقل من كتاب يوسف معكرون هذا قوله:

« لماذا يتحدث حكام القاهرة عن العزة والكرامة والحرية وليس عندهم إلا الوحشية والعبودية والمذلة .. تجار الضجيج باعة السراب .. صناع العذاب ..»

ولا هو نقل منه:

«لقد قدر لي أن أكون الإنسان الوحيد الذي شهد هذه المحنة الفظيعة .. وخرج من السجن .. ومن سجون الجمهورية العربية المتحدة وحدودها جميعا ليتصل بالعالم الحر .»

(١)كتاب عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب بقلم: الدكتور الشهيد عبد الله عزام.

تجاهل صلاح عيسى ذلك لكننا لن نتجاهله ..

سنتحدث عنه..

كما أنني أقدم للقراء في نهاية هذا المقال هدية ثمينة مكثت شهورا حتى عثرت عليها.. ألا وهو النص الكامل لكتاب « أقسمت أن أروي» لسجين جنائي مسيحي لبناني حضر مذبحة طرة فأقسم أن يكتب عن الإجرام الذي شاهده بعينيه و أن يروي المأساة.

لقد عثرت على الكتاب بعد جهد جهيد.. وجمعته وها أنذا أهديه لكم يا قراء مناشدا أن تنشروه على أوسع نطاق فقد نفدت كل طبعاته من الأسواق والكل يستشهد به لكن لا أحد يجده.. لذا أناشد القراء أن ينشروه في كافة المواقع.. خاصة وأن الكتاب صغير جدا، فهو في طبعته الأصلية ٣٧ صفحة من القطع ا صغير.

والكتاب في حد ذاته هام.. يزيده أهمية أن كاتبه – الذي لا أعرف أي شيء عنه– ليس كاتبا و أغلب الظن أنه كان سجينا جنائيا . والرجل ليس مفكرا بالتأكيد.. ثم أنه مسيحي.. وذلك كله يستبعد أي شبهة لأي تعاطف مع المسلمين.

لقد أدرك يوسف معكرون أنه ربما يكون الشاهد الوحيد على جرائم السلطة في مصر والتي تتم بمنتهى الخسة والكذب، حيث تقوم السلطة، وخاصة رجال الأمن بأكثر الجرائم بشاعة و أشدها خسة ثم يتهمون الضحايا بأنهم هم الجناة ويلفقون الأدلة على ذلك[1]. وكان الدافع النبيل الذي دفع يوسف معكرون لكتابة هذا الكتاب أنه ظن أن السلطة الباطشة الغاشمة المجرمة التي قتلت من الإخوان المسلمين٢١ في دقائق غير من ماتوا بالإهمال أو بعدم تقديم العلاج في الأيام التالية. ظن يوسف معكرون أن الباقين جميعا سيقتلون، و أنه لن يبقي منهم من يخرج حيا حتى يروي حقيقة ما حدث، فكان حرصه على كتابة شهادته للتاريخ و قسمه على أن يرويها..

في ذلك الوقت كان الطوفان الدنس يجتاح كل شيء.. ووجد من المفكرين والكتاب

(١)من استن سنة سيئة فعليه وزرها إلى يوم القيامة.. في الأسبوع الماضي هاجمت قرية في محافظة المنيا رجال الأمن و أحرقت سيارات الشرطة.. فقبلها بأسوع ذهبت المباحث لإلقاء القيض على أحد شباب القرية.. وبعدها بأسبوع وجد أهله جثته متعفنة في المزارع!!.

والصحافيين بل والشيوخ من راحوا يباركون بكل خسة وحماسة خطوات الثورة المباركة وفي نفس الوقت يرمون أعداءها بكل نقيصة.

وجد من المجرمين من يفتي بأن مذبحة طرة واجب..

ووجد من يفتي بأن الإخوان المسلمين خوارج.. و أن حربهم أهم من حرب إسرائيل..

ووجد..

ووجد..

ووجد..

وكان طوفان الإعلام الدنس الهادر لا يترك ثغرة لأي كلمة حق يمكن أن تنفد من جدران الباطل..

أما لماذا أذكر ذلك كله الآن فلأنه أصلا يجب ألا ينسى أبدا.. ثم أنني أشم في الإعلام الحكومي السعودي نفس الرائحة النتنة التي شمها الشهيد سيد قطب في عبد الله القصيمي..

أشم رائحة الإعلام الصهيوني والصليبي والناصري..

أشم رائحة الباطل..

أشم رائحة من ليس معنا فهو علينا..

أشم رائحة الشيطان حمزة البسيوني والمجرم جمال سالم والسفيه الدجوي..

أشم رائحة مطاردة تستمر ثلاثين عاما ودون أي إمكانية لحوار..

الحوار لفريدمان وشارون وبوش ورامسيفيلد..

الحوار لفتح القواعد السعودية لضرب العراق..

الحوار لإغلاق المؤسسات الخيرية لخنق الفلسطينيين..

الحوار لكل ذلك.. لكن لا حوار مع إخوتنا و أبنائنا أبدا..

وقد كان هذا بالضبط هو موقف حكامنا في مصر..

ليس – فيما أعتقد – بسبب خلل عقلي ولا مرض وراثي..

و إنما لتنفيذ أوامر محددة سبق التعهد بها .. أما المقابل فهو الاستمرار في الحكم وعدم التفتيت ..

***

لو أنني كنت أعلم منذ عامين ونصف العام ما أعلمه اليوم ما طلبت لقاء ولي العهد الأمير عبد الله أبدا..

***

نعود إلى الدعوة التي خاطبني ملحق السفارة السعودية بشأنها.

منذ عام ١٩٧٨ كنت أشتاق إلى الحج والعمرة.. لكنني كنت قد ربطت نفسي بحماقة بقسم ما كان لي إلا أن أنكثه.. و كنت أواسي نفسي بأنني أديت الفريضة مرتين، أما العمرة فقد قمت بها عشرات المرات.

وكان ثمة إحساس يخجلني ويخيفني.. وهو أن عدم مجيء « الدعوة » يعني أنني ملفوظ.. تلفظني مكة أو المدينة كما يلفظ الحديد الخبث..

وكان هناك أيضا سبب آخر.. ففي تلك الفترة كنت أهاجم السياسة السعودية بضراوة.. وكنت أتوقع رفض طلبي لتأشيرة الحج أو العمرة.. وكنت أخشى من خلط لن أستطيع التمييز فيه.. فلو أنني تقدمت بطلب تأشيرة للحج أو العمرة فهل سأفسر رفض طلبي بسبب غضب الله عليّ أم بسبب غضب السلطات السعودية!!.

***

قبل أن أتطرق للأحداث العاصفة التي صاحبت طلبي لتحديد موعد مع ولي العهد، ومندوبه الذي أرسله للالتقاء بي، وما صاحب ذلك من أحداث عاصفة، أدلف إلى الجزء الأهم، الجزء الذي فرحت بالدعوة لأجله.. أداء العمرة وزيارة قبر الرسول ﷺ .

واجفا مرعوبا ذهبت..

كنت خائفا ألا أخاف..

كنت خائفا أن يكون قلبي قد من الصخر..

وكان العام السابق شديد القسوة.. كان غزو أفغانستان وسقوط الحكومة الوحيدة التي يمكن أن تسمى حكومة إسلامية حقيقية منذ قرون.. كانت وليدا يحتاج الرعاية كي ينمو فذبحوه.. وكانوا ينظرون إلينا نحن العرب كسند وكمنبع .. ولم يدركوا أننا قد فقدنا عروبتنا و أخشى أن أقول جل ديننا منذ زمان طويل.. كانوا يمدون أيديهم طلبا للعون.. وسارع العرب وعلى رأسهم السعودية ومصر بمد أيديهم .. لا للعون .. بل لتقييدهم تمهيدا للذبح.

وكنت مذبوحا من الألم.. وكنت قد كتبت ذلك في كتابي« بل هي حرب على الإسلام» وتلك كانت أحد أسباب دهشتي من الدعوة.

كنت مذبوحا من الألم بعد سقوط كابل وانسحاب طالبان واكتشافي أن مصر والسعودية كانتا من حملة ألوية المشركين....

وكنت أدرك كم أنا محتاج لمن أقترب منه شبرا فيقترب مني باعًا ليهدهد ألمي ويكون بلسما لجروح قلبي وقروح روحي..

وكانت الدعوة..

ووجدت نفسي في المدينة ثم في مكة..

كنت أقول لنفسي: لو بكيت بصدق نجوت.. لو بكيت نجوت.. لو بكيت نجوت..

وكنت أخشى أن تكون دموعي قد جفت..

وفي الحرمين كان الموقف واحدا..

كان الرعب..

والإحساس بالذنب ..

والتقصير..

والخوف من أن أُلفظ أو أن أطرد كما يطرد الحديد الخبث..

كنت أتساءل:

ماذا لو لم أحس حرارة اللقاء.. ويا ويلي لو لم أحسه..

في الحرمين..تكرر نفس الموقف..

عندما تفتت القلب وبكى فغرقت في بحر من الدموع..

***

فجأة .. قفز من عالم النسيان إلى ساحات الذاكرة موقف..

كان ذلك منذ أكثر من ربع قرن.. كان الله قد رزقنا بابنتي الأولى.. مكثت معنا في المملكة عامين ثم اضطررنا لإرسالها لمصر.. وعندما عدنا بعد عام لم تعرفنا.. أنكرتنا.. كانت تنظر إلينا في انزعاج واستنكار للغريبين اللذين يقتحمان حياتها بإصرار وتلوذ بجدتها هربا من أمها و مني.. بعد أيام ذهبت بعيدا.. وراحت تنظر إلينا في دهشة وغضب.. وبدا كما لو أنها تذكرت.. و أنها غاضبة منا.. لماذا هجرناها؟ لماذا ابتعدنا عنها؟ وفجأة انفجرت في البكاء.. وقلت لنفسي وقد ملأني البشر:

لقد انفكت الأزمة..

وصدق ظني..

هل كنت أكرر موقف ابنتي ..

أمام الحرمين؟

هل كانت الدموع كافية لغسل الوحشة و إذابة الهجر..

عندها..

وعندي؟

لكن الفارق أنها – على وجه ما – كانت مجنيا عليها..

وكنت الجاني في الحالتين..

***

بعد أن استقر بنا المقام، راح المضيفون يقولون أن مهرجان الجنادرية ذلك العام يرتدي ثوبا جديدا، ففي كل عام يُدعى إلى ذلك المهرجان مائة وخمسون مدعوا من شتى أنحاء العالم. وكانت العادة أن يكون أكثر من نصفهم من المصريين، وقال أحد المضيفين في شبه اعتذار:

كان معظم المدعوين من العلمانيين.. وكان بعضهم من المجاهرين والمفاخرين بكفرهم..

وراح أحدهم يحكي عن يوسف إدريس حين صاح في ليلته الأولى:

ما هذا.. ألا يوجد نساء.. ولا خمر..

وقال المضيف:

تدارك المسئولون أيامها فنقلوه إلى مكان آخر..

ثم أضاف ساخرا:

ولست أدري إذا ما كانوا قد قدموا له حلا للمشكلتين أم لا.

وواصل مضيف آخر:

هذا العام نسير على فلسفة أخرى أكثر انحيازا للإسلام.. فلم ندع من يجاهر بالكفر.. ثم أننا اقتصرنا على دعوة سبعة فقط من مصر التي جاوز تكاثر العلمانيين فيها مرحلة الخطر.. نعم سبعة فقط بدلا من سبعين أو ثمانين (مع استثناء شخصيتين لم يدعوا بصفتهما مصريين هما الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور عمرو موسى..)..

طفحت في قلبي مرارة تتساءل:

- لن يفرحني أنكم لن تدعوا المجاهرين بالكفر بعد الآن بل يحزنني أنكم دعوتموهم من قبل..فلماذا؟.. لمصلحة من؟..

انقضى اليوم الأول في التعارف وسوف أعتذر عن إيراد أية أسماء لأسباب لابد أن

القارئ سيفهمها..

***

كان مما فرى كبدي أن جاءني شاعر شهير جاوز السبعين من عمره يطلب وساطتي عند أجهزة الأمن في مصر لاستعادة ديوانين للشعر له عندما اعتقلوه عام ١٩٥٤ .. واستولوا على مخطوط الديوانين .. و أنه لم يكف طيلة هذا الوقت عن طلب الوساطة .. بعد أن غادر مصر بعد الإفراج عنه عام ٥٧.. بعد أن عاصر مذبحة ليمان طرة..

ولست أدري لماذا لم يغضب أولئك القوادون الذين غضبوا لما يقولون أنه مصادرة لكتاب لنوال السعداوي (والكتاب لم يصادر ولكنها طريقة القوادين للترويج، فالأزهر أصلا لا يملك حق مصادرة الكتب) ..

لست أدري لماذا لا يتوسط هؤلاء القوادون للشاعر الكبير عند أجهزة الأمن.. وعلاقتهم بها وثيقة .. فهم أبناؤها وغلمانها.

لم يُصادر أي كتاب لنوال السعداوي.. العجوز الشمطاء القبيحة وجها وفكرا.. والتي ارتكبت كل أنواع الموبقات والجرائم كي تحتفظ بالأضواء حول نفسها.. العجوز الشمطاء التي تجاهر بأنها ضد الدين وضد الله – تعالى الله– وأنه – غفرانك ربي– لا يجب اتباع الرسول في الخطأ.. وأن عمرو خالد و خالد الجندي مثل النساء القبيحات.. (أرجو من القارئ أن ينظر إلى صورة وجهها ليضحك).. و تواصل نوال السعداوي أن: (الحجاب) مفروض للجواري.. و تتساءل لما لا أتزوج أربعة؟ وتقول بئس ما تقول: «(ربنا) لا دخل له بالسياسة لأنني لا أستطيع أن أعارضه... و: « (الحج) و (الصلاة) بالطريقة الحالية (غلط) .. و تقبيل الحجر الأسود (وثنية).. وأنا مع الدعوة إلى إسقاط البند المتعلق بالدين من الدستور المصري « الإسلام هو الدين الرسمي أو الرئيسي لمصر »، وأطالب بمنع الختان للرجال .. وأطالب «بالمساواة في الميراث بين الرجال والنساء».

و قد اعتبر مفتي مصر (السابق) الشيخ نصر فريد واصل في تعليق منشور[١] أن إنكار نوال للمعلوم من الدين «يخرجها بالضرورة عن دائرة الإسلام».. لأنها باختصار تتهم الله

---

(١)مجلة آخر ساعة العدد ٣٤٧٠.

بالجهل والظلم!!.. وقال في تصريحات نشرتها مجلة آخر ساعة: هذه الافتراءات علي دين الله ورسوله ليست وليدة اليوم وإنما بدأت من صدر الإسلام الأول وقال بها المنافقون الذين دخلوا في الإسلام رياء ثم نكصوا علي أعقابهم وكادوا للدعوة ورسولها.. وبالأمس القريب تكررت نفس الدعاوى وقال أحدهم: بالنقد التاريخي للقرآن.. وأنكر أحدهم السنة جملة وتفصيلا. وها هي تنكر كل المعلوم من الدين بالضرورة .. وتحدث فضيلته عن أن: الاستعداد للانحراف الخلقي والعقدي رابط مشترك بينهم جميعا.. المنافقون دائما مشكلة تتحدي العالم الإسلامي ولقد كانوا ولا يزالون أشد خطرا علي الإسلام والأمة ولعل سورة المنافقون التي جاءت في القرآن الكريم تفضح أساليب المنافقين الرخيصة: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾. إن هذا الطابور الطويل في تاريخ الدعوة الإسلامية إما أن يكون جاهلا بما يقول.. أو منافقا عليم اللسان وسواء كان هذا أو ذاك فهم أشد خطرا علي المجتمع لأنهم يثيرون الفتن في المجتمع ويعتدون علي الأمن الاجتماعي وأمن الدولة وأنا أقول أن أمن الدولة يبدأ من أمن الدين والعقيدة فإذا ما تعرض أمن الدين لخطر فإن أمن الدولة في مهب الريح.

وفي إجابة عن سؤال: هل تعتقد أن أيادي خفية وراء هذه الأفكار المتطرفة والمخرفة؟! أجاب فضيلته:

أنا في رأيي أن هذه الكارثة وراءها عاملان مهمان:

الأول : الاستعداد النفسي وسوء التربية.. فلو تأملت هؤلاء وفحصتهم ستعرف أن خلفياتهم النفسية لا تبشر بالخير.. وأن مناخ التربية الذي عاشوا فيه مناخ سيئ جدا.

والثاني : قطعا هناك استقطاب دائما لمثل هذه العناصر الجاهزة نفسيا لتشويه أفكارها السيئة أصلا ودعم الأفكار المستهدفة ثم الدفع بهذه العناصر لتلقي حجرا علي المجتمع.. وهم إما طلاب شهرة زائفة.. وإما وراءهم دعم مشبوه وهم مجرد أدوات تحركها مؤسسات خارجية حاقدة أو ناقمة علي الإسلام والمسلمين.

و أضاف فضيلته قائلا : أنظر إلى الدكتورة وهي تحرض نساء البشرية علي الخلاعة

والمجون والعري وهي تقول لمن ما هذا الحجاب الذي يفرضه الإسلام عليكن إنه الرجعية والعبودية والاستذلال..! محض افتراء وسوء قصد وفهم لا تقول به إلا من لا تعرف حلاوة العفة وطهارة السيرة والسريرة.. فالحجاب في شرعنا فريضة ثابتة بالقرآن والسنة.(...) إنني لا أنزعج من مثل هذه الأفكار الشاذة وهذه لآراء المناهضة لتعاليم الإسلام الحنيف بل إنني أعدها ظاهرة صحية تدل علي متانة الإسلام وعمق جذوره.. فالأفاكون من قرون خلت وهم يحاولون اقتلاع الإسلام من جذوره ولكن هيهات .. هيهات .. لأفكار بالية تهب رياحها علينا من حين لآخر أن تبلغ مرادها.. وعلي الذين ينطحون الصخر أن يريحوا أنفسهم ويستمعوا بقلوبهم إلي وعد الله بحفظ دينه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

***

مازلنا مع نوال السعداوي التي تفتخر في كتاب لها أظن عنوانه : مذكرات طبيبة بالتفاصيل الدقيقة : كيف كانت تتلمس الأسباب كي تصرف خادمتها استعدادا للقاء عشيقها..

تغضب السعداوي – عليها من الله ما تستحق– عندما يناديها أحد: يا « حجة» ؟ ، وتقول في ذلك:

– نعم .. لا أحب أن يناديني أحد بهذا اللقب ، لأنني لم أحج و لن أحج ، بإمكاني أن أحج و أنا في شرفة بيتي ، وعملي و كتبي هي صلاتي ، تقربي لله هو تقربي للعدل و الحرية ، و ليس بالنصوص و التفسيرات ، هذه سياسة[1] .

وفي موضع آخر تنكر السعداوي التعذيب الذي تعرض له الإخوان في عهد عبد الناصر .. وتلقي بحجتها الدامغة:

زوجي د/ شريف حتاتة مكث ١٠ سنوات في السجن في عهد عبد الناصر و خرج دون خدش.

---

(١)موقع إيلاف على الشبكة العنكبوتية.

ولقد كذبت وهي تعلم أنها كاذبة لأن للدكتور شريف حتاتة كتاب اسمه: العين ذات الجفن المعدني .. ويقصد بها كوة الزنزانة حيث عاش أهوال التعذيب ويرويها في ذلك الكتاب.. كما يروي مقتل شهدي عطية و آخر لا أذكر الآن اسمه..

لكننا كي نكمل السمات الرائعة لهذه العائلة الكريمة لابد أن نعرج على اعترافات الزوج (د شريف حتاته) في كتاب آخر هو : « النوافذ المفتوحة» حيث يعترف بأنه كان في طفولته يتواطأ مع خادمهم الشاب الأسود القوي حين كان يتحرش به جنسيا. ثم يقدم تبريرا لشدة عدائه لليهود ولإسرائيل حيث كان عالي الصوت في انتقاده لهم دائما. يعترف شريف حتاتة بأنه كان يفعل ذلك كي يغطي على سر دفين في حياته. سر كان يشعر أنه يجلب له العار.. ذلك أن جدته كانت يهودية. وكان يشعر أنه كلما كان أشد حدة في العداء لإسرائيل، كان السر الدفين عصيا على الكشف أكثر.

***

بسبب الخروج على الإسلام طبقا لشهادة المفتي ، فإن نوال السعداوي، الطبيبة التي تحمل دبلوما فقط (درجة أقل من الماجستير) تعمل أستاذا في جامعة ماين بشمال غربي الولايات المتحدة الأمريكية .. وتحصل على جائزة كاتالونيا الدولية في دورتها الخامس عشرة، وقيمتها تقارب المليون جنيه.. حيث قالت – بمنتهى الصراحة والوقاحة– لوكالة الأنباء الأسبانية « في» أن نيلها جائزة كاتالونيا الدولية في دورتها الخامسة عشر «يعطيني الحماس لمواصلة انشقاقي وإبداء انتقاداتي».

وتذكروا يا قراء أن السفيه علاء حامد حصل على جائزة مماثلة و أيضا لمجرد جرأته على الدين. وكذلك السفيه بائع البوية صلاح محسن (و الأخير هذه المرة ليس من صبيان صلاح عيسى بل من غلمان جمال الغيطاني الذي أفرد له مساحات واسعة في أخبار الأدب)..

***

نريد أن نترك العائلة « الشريفة» لكن ليس قبل تناول الطريقة المهيبة التي عرضت بها صحيفة الحياة للفرية المزعومة عن مصادرة كتابها:

القاهرة - محمد صلاح الحياة ٢٩/ ٥/ ٢٠٠٤.

«طالما أن الحكومة تتحدث عن الإصلاح ولا تنفذه، وما دام هناك من ينافق الإسلاميين، ويسعى إلى تملقهم حتى داخل المؤسسات الرسمية وبينها الأزهر، فإن مطاردة المبدعين ستستمر»...

ثم في عنوان آخر:

اتحاد الكتاب يدين قرار الأزهر مصادرة رواية نوال السعداوي..

ثم تعود الحياة لتنشر:

القاهرة - محمد صلاح: اتسعت المواجهة بين الكتاب المصريين من جهة وبين الأزهر من جهة أخرى على خلفية قرار أصدره «مجمع البحوث الإسلامية» الأسبوع الماضي بمصادرة رواية الكاتبة نوال السعداوي «سقوط الإمام»، واستخدم اتحاد الكتاب المصريين، في بيان أصدره أمس، عبارات حادة في وصف خطوة الأزهر وقرارات «المجمع» في شأن التعاطي مع الإبداع.

***

هذا الدوي الإعلامي أيضا ذو رائحة نتنة..

رائحة الصليبيين والصهاينة..

ولم تنشر صحيفة الحياة بعد ذلك تصريحات وزير العدل من أن الضبطية القضائية الممنوحة إنما هي تجديد لهذه الضبطية منذ أكثر من نصف قرن لإشراف على المصاحف أساسا خوفا من أخطاء غير مقصودة أو تحريف مقصود ثم على الكتب التي تورد الأحاديث الموضوعة (الموضوعة وليس الضعيفة) .. وأن هذه الصلاحية لا تمتد لأي كتب أخري..

صحيفة الحياة السعودية لم تنشر ذلك..

بل واصلت التحريض على الإسلام..

صحيفة الحياة .. السعودية..

ولقد كشف المرحوم جلال كشك هذه النوعية الخسيسة من التصرفات التي يقوم بها العلمانيون.. حيث يقومون بأنفسهم – عن طريق وسيط – كما فعل العشماوي وفرج فودة – بإبلاغ الأزهر عن كتاب من كتبهم مع سؤال إذا ما كان هذا الكتاب يتفق مع الإسلام.. تماما كما تذهب أي زانية مثلا لتسأل إذا كان الزنا يتفق مع الإسلام.. وفي الحالتين لابد أن تأتي الفتوى بالنفي.. فيطير هؤلاء بمثل هذه الفتوى إلى صحف كالحياة – السعودية – كي تدير لهم حملتها الإعلانية ضد الإسلام كله..

والأمر يحتوي على استغفال هائل للقراء خدمة للصليبيين والصهاينة..

فبعيدا عن الإسلام.. إن المصادرة عملية يقوم بها رجال الشرطة بناء على حكم قضائي..

فهل سمعتم قط يا قراء على تعدد مثل هذه الحملات الغوغائية بصدور حكم قضائي واحد بمصادرة أي كتاب من هذه الكتب؟..

أو هل سمعتم قط عن حكم آخر بإلغاء الحكم الأول وعودة الكتاب المصادر إلى الصدور..

لم يحدث ذلك أبدا .. لأن العملية كلها كذب محض وعملية حقيرة وراءها تحالف صحف أمن الدولة وكتاب أمن الدولة ومخابرات أمن الدولة.. الدولة الأمريكية.. ومحاولة لترويج كتب العلمانيين خاصة عندما يشعرون أنهم كأي زانية عجوز.. بارت أسواقهم .. فيحاولون استعادة الأضواء بأي طريقة و بأي ثمن..

و أكرر.. و أؤكد.. في كل الحالات لم يصادر كتاب واحد.. على الإطلاق.. لكنها الخسة والعمالة.

من الطبيعي أن يخطئ أي واحد فيعتذر (مثلما فعل حسنين كروم في القدس العربي) أو حتى يتجاهل الأمر خجلا.. لكن هناك من يكذب مع سبق الإصرار والترصد.. يكذب وهو يعلم أنه يكذب لغرض في نفسه..

في أخبار الأدب كان الموضوع الرئيسي هو هذه الفرية..

فلماذا؟ لماذا؟ لماذا؟.

حتى قناة الجزيرة سارت في نفس الدرب النجس..

***

وقبل أن نترك نوال السعداوي أنبهكم إلى مستنسخ منها اسمها «هويدا طه» تحتفل بها الصحف العلمانية كثيرًا .. إذ أنها تكرر نفس الاسطوانة المشروخة الدنسة لفحيح أفاعي الغرب عن أن المسلمين المساكين مشغولون بعذاب القبر والثعبان الأقرع.. (طريقة مبتكرة لصرف الأنظار عن التعذيب في أبو غريب العراقي والمصري) تجاهلت – عليها من الله ما تستحق – أنه في الوقت الذي سجل فيه القوميون الذين تنتمي إليهم أعلى نسبة في تسجيل الهزائم ونتائج لم يصل إليها سواهم في الفرار من ميادين المعارك وترك أسلحة بالمليارات غنائم للأعداء ثم تفتيت الأوطان بعد القيام بالمهمة الرئيسية التي أوكلها الصليبيون والصهاينة إليهم .. ألا وهي تحطيم أي تجمع إسلامي واعد بالنصر وتشويه الإسلام ذاته.. وحتى في حدود الموضوع الذي تتناوله فقد جهلت الجاهلة أن جل خطباء المساجد الآن تابعون للدولة وموظفون فيها و أن مواضيع خطبهم تحددها مباحث أمن الدولة..

نعم..

هكذا بلا لبس ..

أقولها لأن ما حدث في مصر بالأمس يحدث في العالم العربي اليوم.. و أن ما يحدث فيها اليوم سيحدث في العالم العربي غدا..

مباحث أن الدولة هي التي تحدد الخطباء وموضوع الخطب..

يساعدها.. أو على الأقل يعمل تحت إمرتها وزير أوقاف لا بارك الله له ولا عليه ولا فيه.. وزير أوقاف يترك خطباء جهلة فعلا يخطبون ويطارد الدعاة.. لن أذكر عمرو خالد.. بل أذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم الخولي الأستاذ الكبير العلامة الشهير بالأزهر الذي منع من الخطابة في مسجد عزام .. منع لأنه ليس حاصلا على ترخيص بالخطابة من الأوقاف.. والترخيص في الأساس من المباحث وما الأوقاف إلا محلل ديوث.

والأمر لا يتعلق بفرد بل بعشرات الآلاف.. حتى أن ارتقاء المنبر أصبح جريمة أمن دولة..

هل تلاحظون يا قراء تبادل الأدوار:

الأزهر - بعد تطويره !!- يخرج خطباء معظمهم جهلة و الدعوة بالنسبة لهم وظيفة لا قضية دعوة وجهاد.. وظيفة ينفذون في سبيلها وبمقتضاها ما تأتي به الأوامر أيا كانت غير مدركين أن الرئيس الذي ينفذون أوامره ليس سوى واحد من العرائس المتحركة اللاتي تتحرك بالريموت كنترول.. يحركها الصليبيون واليهود و إن لبسوا أقنعة الأوقاف أو المباحث..

وهؤلاء يشكلون وجها بائسا للدعوة لكنهم أفضل من غيرهم على أي حال.. وهم من الناحية الأخرى يشكلون أقلية .. فبعد أن استولى عملاء الصليبيين والصهاينة على الأوقاف تقلصت ميزانية المساجد التي أصبحت تصرف من الميزانية العامة فلا تجد إلا الفتات..

أغلبية الخطباء إذن ليسوا من خريجي الأزهر.. ولا يصدر الترخيص إلا لمن يرضى النظام والأمن والأوقاف عنه..

انتبهوا يا قراء..

لم يكن ذلك كله أخطاء متراكمة..

بل كان هدفا محددا ومقصودا دبر وخطط في أوكار المخابرات الأمريكية ونفذته أجهزة الأمن المصرية وتنفذه الآن أجهزة الأمن السعودية .. والعالم الإسلامي كله..

كان المخطط والمستهدف أن تكون الخطب في المساجد منفرة جاهلة غوغائية مليئة بالأحاديث الموضوعة يلقيها خطاب جهلة سمح بهم ولم يسمح بسواهم جهاز الأمن الباطش الجبار..

خطاب مساجد يتحدثون – بأحاديث موضوعة ربما شارك في وضعها لنفس الأسباب لواء بمباحث أمن الدولة منذ ألف عام- عن الثعبان الأقرع الذي لا تعرف هويدا طه –

كما تقول ساخرة – إن كان يوجد نوع آخر بشعر..

يتحدث الخطباء الذي تكتب لهم أجهزة الأمن خطبهم عن مثل هذا التعذيب لكنهم لا يتحدثون أبدا عن التعذيب الذي تقوم به أجهزة أمن الدولة.

وعند هذا الحد ينتهي جهد ضابط الأمن.. ليبدأ دور مثقفي أمن الدولة كنوال السعداوي وهويدا طه و مئات و ألوف..

نعم..

مثقفي أمن الدولة..

إذ يقومون بمهاجمة هذا النموذج المشوه البشع الذي اصطنعته أجهزة الأمن كي يكون نموذجا للإسلام.. [(١)] .

وأجهزة الأمن أذل و أقل من أن تشوه الإسلام كل هذا التشويه..

لكنها لم تكن سوى دمى في أيدي الصليبيين والصهاينة.

وبنفس الطريقة كان مثقفو أمن الدولة أقل و أذل من أن يشوهوا الإسلام لولا أنهم – أيضا – دمى في أيدي الصليبيين والصهاينة.

نفس المنهج الصليبي الصهيوني..

يمنع كل خطيب يمكن أن يمارس الخطابة فعلا كي يتسنى اتهام الخطباء جميعا..

ويمنع كل مفكر أو كاتب يمكن أن يدافع عن الإسلام فعلا كي يتسنى اتهام الإسلام نفسه..

يجرد المفكرون المسلمون من أقلامهم وتصادر صحفهم بل ويسحقون سحقا كما لو كانت أقلامهم صواريخ و مقالاتهم أسلحة دمار شامل.. في عملية موازية لما تفعله أمريكا و إسرائيل بنا وبدولنا..

وكان آخر ما نشرته هويدا طه في القدس العربي سخرية مباشرة من القرآن:

---

(١) المرجع السابق .

«نحن نستمع في كل زقاق لأشرطة كاسيت، تقسم العالم إلى فسطاطي إيمان وكفر، وتحرض الناس علي كراهية (الأغيار) وتردد أننا (خير أمة أخرجت للناس)! الخوف أن يستمر هذا الوهم في رؤوسنا، حتى نجد أنفسنا ـ أقل من ـ أن نوصف بخير أمة... أخرجت للجرذان!»..

***

وما أريد أن أضيفه، أنك لو رفعت اسم أي واحد من أدعياء الوطنية والقومية، من القوميين والعلمانيين و أدعياء الحداثة، لو رفعت اسم أي واحد منهم أو منهن ووضعت اسم رامسيفيلد أو كونداليزا رايس لما اختلف الأمر.

أي واحد منهم..

ابتداء من الخائن ربيب نابليون: المعلم يعقوب إلى محمد على إلى الطهطاوي.. إلى تلاميذ اللورد كرومر إلى طه حسين إلى القصيمي إلى لويس عوض ومحمد سعيد العشماوي وفرج فودة والقمني وصلاح فضل وتركي الحمد والراشد – وما هو براشد- وجابر عصفور والغيطاني وعيسى والقعيد و.. و.. و.. [(١)]..

ولعله من المناسب هنا أن نستعيد بعضا من مقالة مدوية للكاتب فهمي هويدي كشف فيها عن أن أحد المسؤولين في أحد الأجهزة الرقابية أبلغه أن هناك «مؤسسة صحفية واحدة تضم ١٢٠ شخصا، تجاوز رصيد كل واحد منهم خمسة ملايين جنيه مصري (الدولار الأمريكي يعادل ٩ ,٣ جنيهات مصري).وحرص هويدي على أن يؤكد أن عبارة «الصحفي المليونير» لم تكن واردة في مصر على مدار تاريخها، إلا أن هذه العبارة أضيفت للقاموس خلال السنوات الأخيرة، رغم أن انضمام أي صحفي – كما يقول هويدي – إلى

(١)لقد تحدثت عن مرتب صلاح عيسى في القاهرة.. وهو ضئيل جدا بالمقارنة لما يحصل عليه سواه.. جابر عصفور مثلا يحصل على ربع مليون جنيه سنويا من وزارة الثقافة فقط (وهناك غيرها) مقابل نشر الكفر والعهر والتطبيع.. كما أن مرتب رجال الإدارة العليا ومنهم رؤساء الجامعات ومدراء الأمن ورؤساء الهيئات خاصة الإعلامية يتجاوز مرتب الواحد منهم ٣٠٠٠٠٠ جنيه شهريا.. نعم.. بالأرقام ثلاثمائة ألف جنيه شهريا.. وهذا ليس ثمن « عمل» بل ثمن بيع دين وأمة.

نادي المليونيرات في الظروف العادية لا يمكن أن يتحقق له من أي باب من أبواب الحرفة إذا كان شريفًا بطبيعة الحال[1].

هؤلاء الخونة المستأجرون اللصوص هم الذين يطلق لهم الحبل على غاربه..

أما الشهيدان الشيخ أحمد يسن وعبد العزيز الرنتيسي فإن هناك وزيرًا فاسقا فاجرا في حكومة إحدى الدول العربية أصدر منشورا رسميا إلى خطباء المساجد بتجنب الحديث عن الشهيدين..

الحديث عن بطولة الشهداء ممنوع لكن اتهامهم بالإرهاب مسموح به.

و أن الصورة التي يحاول هؤلاء المجرمون إضفاءها على الإسلام هي نفس التصور الصليبي الصهيوني له..

الأمر ليس اختلاف وجهات نظر.. وإنما خيانة..

وليس اجتهادا في الدين بل انقلابا على الدين..

وليس نوعا من الإيمان بل الكفر بعينه..

نعم ..دعنا من الكلمات المنمقة والتظاهر..

وتأملوا ما كتبه واحد من كبارهم وهو الدكتور حسن حنفي[2]: « نحن مجموعة من الأفراد لو اصطادونا لتم تصفيتنا واحدا واحدا، ولذلك أرى أن أفضل وسيلة للمواجهة هي استخدام أسلوب حرب العصابات. اضرب واجري. ازرع قنابل موقوتة في أماكن متعددة تنفجر وقتما تنفجر ليس المهم هو الوقت. المهم أن تغير الواقع والفكر. ولذلك يسمونني (المفكر الزئبقي). لا أحد يستطيع أن يمسك علي شيئا. الجماعات الإسلامية تراني ماركسي. الشيوعيون يرون أني أصولي. الحكومة تتعامل على أنني شيوعي إخواني..»

هل تريدون صراحة أكثر من هذا..

لن أخذلكم..

---

(١)الوفد- ٦ أبريل ٢٠٠٢.

(٢)أخبار الأدب ٢٨-١٢-٢٠٠٣ .

ولنقرأ هذه الفقرة لكافر منهم ينعى عليهم التقية و أنهم لم يهاجموا الإسلام مباشرة ليثبتوا أنه دين زائف و أن نبيه ادعى القرآن على الله.. يقول الكافر:

« إن الإسلاميين نجحوا منذ تأسيس دولتهم في فرض الإسلام على الناس والمجتمع بقوة السيف وصوروه عبر التاريخ وبذلك السيف انه لا يمكن الشك بالإسلام ونبيه وكتابه المقدس، وهنا كان مكمن نجاحهم وقوتهم . وأصبح الخوف الذي صنع بالإرهاب جزء من البنية الفكرية والاجتماعية للإنسان والمجتمع حتى أصبح جزء من بنية الحركات التي تدافع عن حرية التفكير والنقد . ويمكن أن نصنفه إحدى الأسباب التي منعت جميع الحركات الرادايكالية في تاريخ المجتمعات العربية و منذ حروب الردة وانتهاء بالحكومات العربية التي تحكم بأبواق رجال الدين وبركاتهم وبالسيف الذي ورثوه عن الدولة الإسلامية من أن تفصل نفسها عن الإسلام تجنبا من بطش ممثلي الإسلام .»(...) وأن الذي حكم على صلاح محسن بالسجن لمدة ستة أشهر مع وقف التنفيذ لأنه لا يؤمن بالإسلام ليس تيار الإسلام السياسي فقط بل إسلام الدولة المصرية معا. وأن الذي طلق حامد نصر أبو زيد من زوجته ليس تيار الإسلام السياسي فقط بل إسلام الدولة معا. وأن الذي دفع أن يصدر بيان تحريض على قتل خليل عبد الكريم وصاحب الدار الذي نشر الكتاب بكل استهتار وصفاقة ليس منظمة الجهاد الإسلامي ولا إخوان المسلمين بل جبهة علماء الأزهر حامي وحارس النظام السياسي في مصر ».. إلخ من الأمثلة .

***

نعود إلى الدعوة لمؤتمر الجنادرية..

بعد الاستقبال الحافل.. وفي اليوم الثاني أو الثالث كنت قد تعرفت برئيس الهيئة المسئولة عن استضافتنا وطلبت منه تحديد موعد للقاء ولي العهد.. فرحب بطريقة أشعرتني أن الأمر ليس صعبا.

وكنا نحضر الحفلات يوما بعد يوم.. وكنت في انتظار تحديد الموعد.

***

ذات يوم اصطحبونا إلى معرض لتطور الطيران في المملكة.. وكان مرشدنا في الجولة طيارا سعوديا كبيرا.. وكان معنا – من الضيوف العرب – أحد خبراء الاستراتيجية المرموقين في العالم العربي (سوف أخرج عن تحفظي هذه المرة لخطورة الموضوع لأقول اسم هذا الخبير: إنه الدكتور أو الجنرال يسن سويد.. القائد العسكري اللبناني السابق والخبير الاستراتيجي المعروف) ..

أخذ الدكتور يسن سويد يسأل الطيار السعودي عن تفاصيل مواصفات الطائرات المعروضة بالأصل أو بالنموذج أو بالصور..

بدا الطيار السعودي سعيدا بوجود من يتجاوب معه في هذا الجمع المثقف الذي لم يتصور أن يجد فيه هذه الثقافة العسكرية الرفيعة.. ومع استمرار اجولة بدا أنهما تحولا إلى صديقين حميمين حتى كأنما غفلا عن باقي المجموعة فما من صوت غير الدكتور الجنرال يسأل والطيار السعودي يجيب في نشوة وفخر..

ووصلنا إلى قمة التطور في تاريخ الطيران السعودي..

إلى طائرات الأواكس..

وراح الدكتور الجنرال يسأل بنفس طريقته السابقة أسئلة تبدو ناعمة لا يحركها إلا الفضول أو الرغبة في المعرفة..

عرفنا على سبيل المثال إمكانيات هذه الطائرة..

عرفنا أن ثمنها يفوق المليار دولار..

و أن ملاحيها – فيما أذكر – أربعة معهم أربعة مساعدين..

و أنه في الثمانينيات كان كل ما تملكه الولايات المتحدة من هذه الطائرات ١٨ طائرة.. كان أربعة منها في تركيا و أربعة في السعودية .. بالإضافة إلى طائرتي صهريج «ك. سي – ١٣٥» التي تساعد على إبقاء طائرات «أواكس» في الجو لفترات طويلة (٢٢ ساعة بدلا من ١١ ساعة).

راح الرجلان يتحاوران بمتعة أن طائرات تركيا كانت تغطي الاتحاد السوفياتي كله وأن طائرات السعودية تغطي العالم العربي كله وبعضا من الدول الإسلامية..

كنا نتابع الحوار في فتور فلم تكن معلوماتنا تتيح لنا تتبع تفاصيله.. و إلا فكيف نتابع تعليقات الجنرال و أسئلته عن تردد رادار الأواكس بالميجاهيرتز.. وعن ارتفاعها.. والمدى الذي تغطيه بمئات الكيلومترات.. وقطر الهدف الذي تستطيع اكتشافه وكيف تطورت البرمجيات لتقلل ذلك القطر من عشرين مترا إلى بضعة سنتيمترات وعلى بعد ٥٥ ميلا بحريا.. وعن قدرة الطائرة على التعامل مع ستة أنظمة منها: كشف الأهداف المنخفضة جداً، والأهداف العالية جداً، ونظام الصمت الراداري لمراقبة أي إرسال راداري وتحديد موقعه. و يستطيع الرادار تحديد مواقع أجهزة التشويش الرادارية المعادية. يقوم بجمع كل المعلومات من أجهزة الرادار السلبي ليكون بالإمكان كشف وتحديد حوالي ٤٠٠ هدف معادٍ وتوجيه حوالي ٨٥ طائرة مقاتلة صديقة في وقت واحد.

***

كان الطيار السعودي يتحدث بفخر شديد لأن بلاده بسبب مكانتها هي أحد البلاد القليلة في العالم الذي يمتلك هذا النوع من الطائرات التي تستطيع كشف إطلاق أي صاروخ في منطقة الشرق الأوسط حيث ترصد وتسجل مكان وتوقيت إطلاق الصاروخ المعادي، وتبلغ بذلك، وفي وقت واحد، إلى مراكز القيادة والسيطرة الأرضية وطائرات الإنذار المبكر (أواكس) أو (E&C) والتي توجه الطائرات أو الصواريخ بالمنطقة لقصف الصواريخ المعادية في موقعها وقبل انتقالها إلى مواقع أخرى. وذلك خلال ما بين ٢ إلى ٣ دقيقة من لحظة إطلاق الصواريخ المعادية (منهم ٦, ٠ - ١ دقيقة إنذار) والباقي أوامر بتوجيه المقاتلات نحو الهدف، لاسيما وأن أقصى زمن يستغرقه الصاروخ سكود للوصول إلى هدفه عند أقصى مدى لا يزيد عن ٤ دقائق.

وفجأة تبدلت ملامح الدكتور ياسين سويد..

بدا كنسر استدرج فريسته بعيدا فراح ينقض عليه بالأسئلة انقضاض الصواعق الخارقة:

– لكن العرب فقط هم الذين يملكون صواريخ سكود بالمنطقة.. أما إسرائيل فلديها صواريخ متطورة..

و أمن الطيار السعودي متوجسا.. لكن الجنرال لاحقه:

- المساعدون السعوديون.. هل يقومون بأعمال الملاحة؟..

- بل بعمليات تكنولوجية..

- هل يستطيعون وحدهم التعامل مع الطائرة أو هل يسمح لهم وحدهم بقيادتها؟

- ... م م م لا..

- هل يستقبلون المعلومات التجسسية التي تحصل عليها الطائرة؟؟..

- بالتأكيد..

- أين؟.. في الطائرة نفسها أم في مراكز التحكم الأرضية؟..

- ...

إن الطائرة ترسل بيانات التجسس مشفرة إلى مركز باكلي في الولايات المتحدة، فهل يوجد عندكم في السعودية مراكز مماثلة؟..

- لا.. نعم .. بالتأكيد.. الأمر ليس بهذه البساطة ... الولايات المتحدة دولة صديقة..و..

وهنا التفت الجنرال نحونا قائلا:

- يوجد مركزين فقط في العالم لاستقبال البيانات وحل شفرتها.. مركز باكلي هذا في ولاية كولورادو في الولايات المتحدة.. ومركز النقب في لإسرائيل .. وهو يتلقى البيانات في نفس اللحظة.. ولدي كل من المركزين مفتاح الشفرة التي لا تكون للبيانات أية قيمة بدونها.. ربما كان الطيار السعودي يقصد أنهم يتلقون البيانات مشفرة.. وهي في هذا الحال بلا أي قيمة .. سوى قيمة المهزلة..

إن الطائرة تبث بياناتها للمركزين معا.. في إسرائيل و أمريكا.. لم يراعوا حتى خاطرنا فيستقبلوها في أمريكا ثم يرسلونها لإسرائيل.. لا .. ترسل لإسرائيل في نفس الوقت..!!

وهنا كاد الطيار السعودي يسقط من هول المفاجأة... ليس مفاجأة المعلومات فمن الطبيعي أنه يعرفها.. لكن من مفاجأة مواجهته

بحزم قائد عسكري متمرس أنهى الجنرال هجومه فجأة كما بدأه فجأة..

ولم يكن بحاجة لأن يشرح لنا شيئا عن الحمار يحمل أسفارا.. ويدفع المليارات لشراء أسلحة مهمتها الوحيدة حماية إسرائيل.

انتهت الجولة على الفور.

***

بعد يومين أو ثلاثة جاء اللواء المسئول عن استضافتنا ليعتذر نيابة عن الأمير ولي العهد بسبب انشغاله.. لكنه وعد بأن يرسل إليّ أحد أقرب المعاونين إلى ولى العهد.. وفهمت من حديثه عنهما أن العلاقة بينهما كالعلاقة بين هيكل وعبد الناصر.

***

قبل أن أتناول المساوئ فإنني أعود إلى مكة والمدينة لأمتدح الجهد الجبار المبذول في نظافة وصيانة الحرمين.. وهو جهد أشك أن أي دولة عربية أخرى أن تقوم به (وجزى الله آل بن لادن خيرا فقد كان لهم في ذلك سهم وافر)..

الجهد هائل بلا شك .. ومشكور بلا شك..

دعك مما استفزني من درجة فخامة معمارية و إنفاق هائل على الرخام والنحاس كان المجاهدون أولى بها أما جلال الحرمين ففي القلب دون رخام أو نحاس..

دعنا من ذلك.. ولنشكر مرة أخرى الجهد الهائل المبذول..

غير أن شعورا غلابا سيطر عليّ أن دوائر أمريكية أو على الأقل عقولا أمريكية أو متأمركة تشارك بشكل أو بآخر في تشويه مناسك العمرة والحج (الذي أديته بحمد الله للمرة الثالثة في العام التالي) وهذا موضوع طويل أريد أن أكتب فيه كثيرا من أيامها لكن الكوارث المتلاحقة لا تترك لي الوقت أبدا..

حول الحرمين .. وفي منى وعرفات ينتشر الباعة بنفس الطريقة التي يصورنا الغرب بها حيث السحر والشعوذة والمخدرات.. مساكين يبيعون أشياء معظمها مقلد أو معتوش.. وكلها مستورد من بلاد غير مسلمة.. بينما كان يمكن لموسم الحج أن يكون أعظم سوق

إسلامية في العالم.. وأن عدم إنشاء هذا السوق لا يعود إلى أن المملكة عاجزة عن إنشائه بل لأن إنشاءه أحد الخطوط الحمراء التي وضعتها أمريكا..

أظن من الخطوط الحمراء إذن رمي الجمرات (كنت على وشك الموت اختناقا هناك) ودرجة النظافة في منى..

إن الذي استطاع أن يدير نظافة الحرمين بكل هذه الكفاءة لا يعجز عن إدارة شئون المناسك الأخري.. كي لا تكون في هذه الصورة المسيئة للإسلام والمسلمين.. وقد كان قلبي يتمزق و أنا أرى الفجيعة في عين مجموعة من السياح الأمريكيين يخوضون وسط القاذورات في منى.. ومجموعة كندية منها نساء و أطفال يصعدون إلى الجبل لاهثين في الطريق من عرفات إلى منى.. وذلك لكي يقضوا حاجتهم في الخلاء[1]..

والمجال لا يتسع الآن..

لكنني أشك أن كثيرا من مشاق الحج ليس سببها العجز بل نصائح عقل أمريكي بشكل أو بآخر.

نفس العقل الذي رفض الخلافة في ثلاثينيت القرن الماضي.. لم يرفضها فقط.. بل فر منها فرار السليم من الأجرب.. وليت المثل كان يصلح معكوسا.. لكنه إن لم يصلح لفظا فإنه يصلح معنى..

نفس العقل الذي يقدم القرابين البشرية قربانا إلي بوش..

نفس العقل الذي يقسم أنه سيحارب أهله ثلاثين عاما دون حوار.

---

(١)نفس منهج الحكومة السعودية في إخراج مناسك الحج خارج الحرمين وكأنها ديكور فيلم ليوسف شاهين.. والأمر يحتاج لمقال طويل ليس مكانه ههنا.. ومرحبا بأي مشقة في الحج إلا أن تكون هذه المشقة مصنوعة من الأجهزة السعودية. من ذلك أنه لا يوجد جندي ينظم مرور الحجيج في رمي الجمرات فتراهم يتدافعون في كل اتجاه بلا نظام ,وهو ما ترتب عليه في العام الأخير سقوط عشرات من الحجيج شهداء..و أظن أن الحكومة السعودية ملزمة بدفع الدية لهم.. ومن أوجه القصور أيضا: عدم النظافة والنظام بصورة مذهلة ي مني.. وكذلك أزمة دورات المياه و الأزمة في المواصلات خاصة بين منى ومكة.. حيث تقوم الحكومة بتعطيل وسائل المواصلات العامة في تصرف مذهل في لا منطقيته بحجة إتاحة فرصة لرزق لأصحاب التاكسي!!.

والعقل الذي قدم الخلافة ثمنا لاستقراره في الحكم في الثلاثينيات يقدم أبناء شعبه الآن قرابين.. نعم قرابين بشرية إلى بوش لعله يرضى عنهم ويمنحهم فرصة الاستقرار في الحكم فترة أخرى..

***

كان عددنا كما سبق أن ذكرت ١٥٠ ضيفا.. وكان عددنا يصل بالمدعوين السعوديين إلى خمسمائة مدعو.. وكنا ندعى في معظم الأيام للغداء في قصر أمير وللعشاء في قصر أمير آخر..

وفي كل قصر كانت قاعة الجلوس تتسع للعدد كله..

كذلك قاعة الطعام.. (١)

***

رأيت بذخا هائلا لا يكاد يوصف..

ولكم استفزني.. ولكنني أترفع عن الخوض فيه تعففا وحياء..

***

لقد زرت كثيرا من بلاد العالم.. وفي برامج كثير من تلك الدول كانت زيارة دور الأوبرا والمسارح.. وعلى العموم فلست خبيرا في ذلك.. لكن أكبر مسرح شاهدته في حياتي كان في الرياض.. سألت كم استعمل فقيل ليلة واحدة.. سألت كم تكلف فقيل أكثر من مليار.. فسألت نفسي في يأس لو أن هذا المليار منح «لحماس» فهل كان حالنا يكون هذا الحال؟!..

***

(١)منذ أيام كنت أشاهد ولي العهد على التلفاز يلقي أوامره للمسئولين أن يطاردوا الإرهابيين في كل مكان بلا رحمة ولا شفقة و أن يأتوا بهم إليه شخصيا..وذهلت.. فماذا يفعل ولى العهد بهؤلاء الآلاف أو حتى المئات.. هل سيذبحهم ليقدمهم وليمة لضيوفه؟!.. ولقد سبقه في ذلك الإنجليز.. حين قدموا لآخر ملك هندي مسلم على مائدة الطعام: رؤوس أبنائه.

التقيت بالعديد من المفكرين العرب وببعض السعوديين..

أدركت أن السعودية على وشك الانفجار..

ربع قرن من الغياب جعلت ملاحظتي أكثر حدة..

النظام كما هو .. أو على الأحرى تدهور على وجهين: الوجه الأول انحدار حقيقي.. والوجه الآخر انكشاف ما كان مستورا وافتضح ما كان مخفيا..

ومن الناحية الأخرى كانت درجة الوعي عند السعوديين عامة وعند المثقفين منهم على وجه الخصوص قد ازدادت زيادة مذهلة.. أنبأتني بحتمية التصادم والانفجار.

***

كان مما أزعجني أيضا وضع لم أتصوره أبدا و أنا الذي عشت في المملكة أعواما قبل ذلك..

وهو أن اللغة الإنجليزية تكاد تكون لغة التعامل..خاصة في الأسواق والسوبر ماركت.. بدونها فعلا لا تستطيع أن تتعامل.. مع زيادة خطيرة في أعداد الأجانب من غير العرب ومن غير المسلمين.. لم يحدث هذا بهذه الصورة إلا في عهد ولى العهد الذي طالما بشرونا بأنه محب للعرب والعروبة..!!..

ترى ماذا كان سيحدث لو لم يكن يحبنا؟!..

الحمد لله على كل حال..

***

كان ظني في ولى العهد حسنا لكن من التقيتهم كانوا على النقيض تماما..

***

نبهني كثير من السعوديين : كمثقفين وأساتذة ومواطنين وحتى سائق التاكسي إلى شيوع العلمانية والإلحاد في الصحافة والتلفاز وسكوت الدولة عنهم .. وكان بعض المثقفين يرى أن هؤلاء العلمانيين هم الوجه الآخر للسلطة.. وللشرطة.. وبهم تكرس الدولة موقفها العلماني ..كي يرضى عنها اليهود والنصارى..!! ..

وفي أحد الأيام طلب مني اللواء ألا أغادر الفندق.. وفي المساء جاءني أحد المساعدين المقربين من ولي العهد كما قيل لي..

أخذت أحدثه ثلاث ساعات..

كنت قد أنهيت كتابي « بل هي حرب على الإسلام» لتوي وكانت المعلومات حديثة والمراجع قريبة والوثائق ما تزال في الذاكرة حية..

ولم يحدث ما أخشاه..

ذلك أنني يا قراء – أحيانا – أعزم على الحديث إلى أحد في موضوع ما.. فإذا بي أفاجأ بعزوف في نفسي وصدود في قلبي ينعكس على بياني فإذا بي عزوف عن مجرد الكلام .. وفي أحيان أخرى أكون متدفقا بطريقة تدهشني أنا نفسي..

في ذلك اليوم كانت حالتي: من النوع الثاني..

قلت للرجل أنني سأحدثه بصراحة مهما كانت الصراحة جارحة.. فالأمر يتعلق بالدين.. وبالأمة.. من ناحيتي.. ومن ناحية ولي العهد فإنه يمكن أن يتعلق بحياته..

حدثته عما كتبته في مقالات بعد ذلك – وقبله – عن مخطط شارون – بوش لتقسيم العالم الإسلامي و على رأسه السعودية..

حدثته عن المصيبة الفادحة والخطأ الهائل الذي ارتكبه ولي العهد باستدعاء القوات الأمريكية.. وكان شريكه في ذلك الرئيس مبارك.. ودعنا الآن من أنه موقف كان وما زال وسيظل يستوجب المحاكمة.. وأن هذا الواجب لا يسقطه –شرعا إلا عدم الاستطاعة ومخافة الفتنة– لكن.. في الوقت نفسه.. فإن أمتنا .. التي تصل بها الطيبة لحد الغفلة.. يمكن أن تتسامح و أن تنسي مع أول بادرة لاحتمال عودة الحاكم إلى الصراط المستقيم.

قلت له أن منطلقي في الحديث هو الدين والعقيدة.. هو لا إله إلا الله محمد رسول الله.. و أنني أحب و أتمنى أن يكون ذلك هو منطلق ولي العهد.. فإذا كان ذاك.. فبها ونعمت.. وإن لم يكن فليعتبر حديثي نصيحة براجماتية له للمحافظة على عرشه..

ولم يكن هذا ازدواجا في التفكير ولا نفاقا..

بل تطابق المشروعان..!!

المشروع العقدي..

والمشروع البراجماتي..

ورحت أشرح للرجل فكرتي..

إنني أعارض سياسات ولي العهد كلها وبعنف شديد.. لكنني لا أملك أبدا إلا الاعتراف للرجل بأنه مسلم..

وكونه مسلما هو بالضبط خطيئته الكبرى بالنسبة لأمريكا.. خطيئته التي لا غفران لها أبدا..

إن ادعاءات الأمريكيين عن الديمقراطية والحرية وتحرير المرأة والشفافية وحقوق الإنسان كل ذلك ليس إلا أدوات عمليات النصب والاحتيال التي تقوم بها.. وكأي نصاب محتال فهي لا تكشف عن سريرتها أبدا.. إنها تضغط وتستدرج حتى تصل إلى ما تريد..

نعم..

الديمقراطية ليست طريق السلامة الذي ينجينا من المهالك.. بل هي طريق الهلاك نفسه.. نعم هي طريق الهلاك القديم نفسه بعد أن غيروا اسمه من الحضارة والقومية والليبرالية والتنوير.. فكلما اكتشفنا الخداع والضلال في اسم بدلوه بآخر..

وانظروا كيف أصبح المسخ الليبي ديمقراطيا ومرضيا عنه بمجرد أن سلم سلاحه وارتمى تحت أقدام إسرائيل.

رحت أؤكد للرجل أنه حتى و إن صدقت النوايا فإن المنظومة الغربية طريق الهلاك – ومنها الديمقراطية – فما بالنا إذا لم تكن النوايا صادقة..

في هذا الوضع فإن ما نظنه الملاذ الآمن هو نفسه الفخ الذي سيقضي على البقية الباقية فينا..

ورحت أحلل للرجل كل عنصر من هذه لعناصر.. فالديمقراطية على سبيل المثال

ليست كتلة مصمتة.. ليست سورة الفاتحة التي نحفظها وينتهي الأمر.. لأنك لن تجد فاتحة تختلف عنها في أي كتاب و أي مكان (الخلاف ممكن في طرق الشرح والتفسير)..

قلت للرجل أنه كان دور المملكة السعودية قبل أي بلد آخر أن ترفض في شمم وكبرياء الاستدراج إلى فخ المصطلحات هذا.. فلماذا نلجأ إلى الديمقراطية ولدينا الشورى.. ولماذا نرفع رايات – مجرد رايات – حقوق الإنسان وعندنا حرمة الإنسان أكثر من حرمة الكعبة.. كان على السعودية أن تقف لتوقف الانهيار.. أن توقف تقبلنا لمصطلحات الغرب وأن تفضحها وتعريها حتى لا ينخدع بها الناس..

سوف نبتعد عن تفسيرات قد لا يقتنع بها البعض عن دور الديمقراطية في المؤامرة اليهودية لإفساد العالم.. فقد كانت طبقة الإقطاعيين والأرستقراط قد وصلا من الفساد الروحي والأخلاقي إلى غايته. وكان من المستحيل انتشار هذا الفساد إلى الرعاع.. ومن هنا جاءت فكرة الديمقراطية.. دعنا من ذلك.. ولكن لنضع في اعتبارنا أن الإقطاع ومقدمات الرأسمالية والرعاع كانت جميعا هي التربة التي نبتت فيها الديمقراطية.. ولم تكن هذه البيئة موجودة في الإسلام.. فلا رعاع و إنما خير أمة أخرجت للناس.. ولا إقطاعيين و إنما مترفين فاسقين يدانون ولا يحسدون..

قلت للرجل أنني منزعج أشد ما يكون الانزعاج من تركيز الإعلام السعودي الرسمي أو المعارضة المصنوعة (وهي أكثر تبعية للنظام و أكثر خدمة له حتى من أركان النظام نفسه) على قضايا كالديمقراطية وحرية المرأة .. فالمقصود بإثارة هذه القضايا هو تفتيت وتفكيك المجتمع المسلم.. ورحت أسأله هل لديه أي احتمال لأن تكون أمريكا تقصد بالعالم الإسلامي خيرا؟.. وأجاب الرجل بالنفي.. فسألته: فلماذا نبتلع الطعم إذن؟ ورحت ألقي مزيدا من الضوء مسترشدا بكتابات العلامة الأستاذ محمد قطب الذي يشرح لنا عوار الفكرة وخطورة قبولها ابتداء[١].

***

يقول الأستاذ محمد قطب : في العالم الإسلامي كُتاب و مفكرون و دعاة مخلصون

(١)مذاهب فكرية معاصرة- الأستاذ محمد قطب- دار الشروق.

مخدوعون في الديمقراطية ، يقولون : نأخذ ما فيها من خير و نترك ما فيها من شرور.. (من المحزن أن من هؤلاء عالما وفقيها كالدكتور يوسف القرضاوي غفر الله له ... م ع).. يقولون : نقيدها بما أنزل الله ، و لا نبيح الإلحاد و لا نبيح التحلل الخلقي و الفوضى الجنسية . إنها إذن لن تكون ديمقراطية ، إنما ستكون الإسلام !! إن الديمقراطية هي حكم الشعب بواسطة الشعب ؛ إنها تولي الشعب سلطة التشريع ، فإذا أُلغي هذا الأمر أو قُيد بأي قيد ، فلن تكون هي الديمقراطية التي تقوم اليوم بهذا الاسم . و اسألوا الديمقراطيين ، قولوا لهم : نريد أن نحكم بما أنزل الله ، و لا يكون للشعب و لا ممثليه حق وضع القوانين إلا فيما ليس فيه نص من كتاب أو سنة و لا إجماع من علماء المسلمين . قولوا لهم : نريد أن ننفذ حكم الله في المرتد عن دينه ، و حكم لله في الزاني و السارق وشارب الخمر ... قولوا لهم : نريد أن نلزم المرأة بالحجاب و نمنع التبرج و نمنع العري على الشواطئ و في الطرقات ، و نريد في الوقت ذاته أن نكون ديمقراطيين !! اسألوهم وانظروا ماذا يقولون ! سيقولون على الفور : إن هذه ليست الديمقراطية التي نعرفها ؛ ففي الديمقراطية يُشرع الناس في جميع الأمور ، لا يلتزمون في شيء منها بغير ما يريده الشعب ـ نظريا على الأقل ، وإن كانت الحقيقة أن الرأسماليين هم الذين يُشرعون من وراء الستار ـ . سيقولون : إن الديمقراطية لا تتدخل في الحرية الشخصية للأفراد ، فمن شاء أن يرتد عن دينه فهو حر ، و من شاء أن يتخذ صديقة أو خليلة ، فهو حر ، و من شاءت أن تكشف عن صدرها أو ظهرها أو ساقيها ، فهي حرة ، ما لم يشتك الزوج .

سيقولون : ابحثوا عن اسم آخر لما تريدون ...... اسم غير الديمقراطية !

فإذا كان كذلك ، فلماذا نصر نحن على تسمية نظامنا الذي نريده باسم « الديمقراطية » ، لماذا لا نسميه « الإسلام ».

هذا هو الإسلام ، و هذه هي الديمقراطية في نظر الإسلام .

و من ثم فلا سبيل إلى مزج الإسلام بالديمقراطية ، و لا سبيل إلى القول بأن الإسلام نظام ديمقراطي ، أو أنه يتقبل النظام الديمقراطي أو يسايره لمجرد وجود شبه عارض في بعض النقاط .

إن هذا الالتقاء العارض بين الديمقراطية و الإسلام في الحقوق و الضمانات و في مبدأ الشورى ، لا يجوز أن ينسينا حقيقتين مهمتين :

الحقيقة الأولى : أنه لا ينبغي لنا ـ من الوجهة العقدية ـ أن نقرن النظام الرباني بنظام جاهلي ، فضلا عن أن نحاول سند النظام الرباني بنسبته إلى النظام الجاهلي ، أو أن نتصور أننا نمتدح النظام الرباني بأن نقول ، إنه يحمل نقط التقاء مع النظام الجاهلي.

إنها الهزيمة الداخلية تندس إلى أفهامنا دون أن نحس ، و تجعلنا نعتقد أن النظام الرباني في حاجة إلى دفاعنا عنه و تبريره ؛ كما تجعلنا نعتقد أننا نمتدح النظام الرباني ، بأن نقول للناس ، إنه يحتوي على الفضائل التي تحتوي عليها النظم السائدة .

الحقيقة الثانية : أن هذا الشبه العارض في بعض النقاط ، لا يجوز أن ينسينا الفارق الضخم في القاعدة ، إن القاعدة التي يقوم عليها الإسلام تختلف اختلافا جذريا عن القاعدة التي تقوم عليها الديمقراطية .

في الإسلام يُعبد الله وحده دون شريك ، و تحكم شريعة الله عنوانا على التوحيد ، وتحقيقا له في عالم الواقع ؛ و في الديمقراطية يُعبد غير الله ، و تحكم شرائع البشر عنوانا على عبادة غير الله و توكيدا لها في عالم الواقع .

و في الإسلام يُزكى الإنسان ليحتفظ بإنسانيته في أحسن تقويم ، و في الديمقراطية، يُنكس الإنسان فيهبط أسفل سافلين .

تلك فروق جوهرية في القاعدة ، فما قيمة اللقاء العارض في بعض النقاط أيا كانت القيمة الذاتية لتلك النقاط ؟!

***

رحت أنهج منهج العلامة محمد قطب في كشف عوار حقوق الإنسان.. فهل تشمل هذه الحقوق الإنسان العربي المسلم؟.. أم أن المطلوب فقط فهو حق المسلم في أن يرتد..

إنهم يدسون رجالهم – الذين يكمنون تحت جلدنا ويتحدثون بألسنتنا– يدعون بدعوة الكفر ثم يأمروننا بتقبل هذا الكفر واعتباره حقا من حقوق الإنسان..

إنهم يتحدثون عن تحرير المرأة وهم لا يقصدون إلا تعهيرها وهدم الأسرة..

و..

***

قلت للرجل:

هناك خطأ قاتل عند الحكام السعوديين.. فلا ريب أنهم يقولون بعضهم البعض:

- نحن أصدقاء أمريكا في المنطقة منذ ستين عاما.

بينما يقولون لأنفسهم:

- نحن خدم أمريكا في المنطقة منذ ستين عاما.

ولن يطرح أحد أبدا التساؤل الساذج:

- في مصلحة من هذه العلاقة؟..

السعوديون يظنون أن الإجابة في صفهم، ولأنها لمصلحة أمريكا، فعلى أمريكا إذن أن تدفع الثمن، و أن يصحب هذا الثمن الامتنان. ولعل بعضهم يقول: لن تستطيع أمريكا الاستغناء عن خدماتنا أبدا ، لقد طوعنا لهم العالم الإسلامي بل و أدخلنا المخابرات الأمريكية كطرف رئيسي فاعل في كل المنظمات الإسلامية.

قلت للرجل أن هذا التصور قاتل..

وهو قاتل للأسرة السعودية الحاكمة..

أما مكمن الخطأ في التصور فيقبع في اعتبار أمريكا شخصا طبيعيا.. ولست أقصد بالطبيعي أنه سوي، إنما أقصد لصا طبيعيا طبيعته كطبيعة اللصوص.. أو قاتلا كالقتلة.. لكن ما تمتاز به أمريكا عن هؤلاء هو فكرة في صميم فلسفتها. في الحداثة والقطيعة المعرفية، في إنكار الماضي وجحوده، و إن كان السعوديون يرون أنهم خدموا السياسة الأمريكية في العالم طيلة ستين عاما.. فماذا يدفع الأمريكيين إلى تحمل وطأة هذا الجميل وتحمل أعباء المطالبة الدائمة بثمنه، ثمن التفريط في الأمن الإسلامي وشعب الجزيرة، الذي غفلت عنه الأسرة الحاكمة في السعودية – وفي العالم العربي كله– أن أمريكا

كالشخص السيكوباتي الذي يغتصب امرأة، فإن كانت هذه المرأة شريفة فإنه لابد قاتلها، و إذا أرادت أن تطلب لنفسها أكثر من حقوق عاهرة عجوز فإنه ينكل بها بل ويستبعدها حتى يأتي بأخرى يبدأ معها منذ البداية.. عاهرة أخرى لا تحس أنها تدينه أو أن لها حقوقا سابقة عليه.. أمريكا المجرمة – شعبا وحكومة تفعل ذلك..

هل تستطيع الحكومة السعودية أن تبدأ من جديد مع أمريكا.. أن تنسي خدماتها طيلة ستين عاما لتبدأ من جديد.. ولتتفانى في خدمتها ستين عاما أخري تصل بعدها إلى نفس النهاية..

قلت للرجل: إنني أعرف أن قطاعا هاما في الأسرة المالكة ليس عندهم مانع من ذلك.. بل يسعون إليه ويحبذونه..

ولكنهم حتى لو حبذوه وسعوا إليه فإن كثرة عدد الساعين ستفشل مخططات الجميع..و أن أمريكا تفضل ما هو أكثر و أهم من العميل.. أمريكا تريد أمريكيا لا يحمل الجنسية الأمريكية ليحكم.. تريد الأمير بندر مثلا للسعودية.. وتريد سعد الدين إبراهيم لمصر [(١)].

هذا مزاد للخيانة سيربح فيه الأخس والأكفر والأخون..

وهنا مكمن الخطر على الدين والدنيا أبدا..

***

قلت للرجل : أنت تعلم ما تفعله أمريكا برجالها.. وكيف تخونهم وتنكل بهم..

وتعرف أيضا أن أمريكا لم تكن أبدا إنسانية ولا رحيمة ولا شفوقة.. ولنراجع على سبيل المثال ما فعلته في الفلبين قبيل القرن العشرين وفي اليابان عندما انتهت الحرب فعليا ولكن كان عليها أن تروع العالم بالسلاح النووي.. بمنتهى الوحشية.. إلا أن امتلاك الاتحاد السوفيتي للسلاح نفسه جعل الوحش الأمريكي يطبق فمه على أنيابه ويخفي

(١) إلا إذا نجحت المحاولات الدائبة للدكتور محمد سليم العوا كي يسحب البساط من تحت قدميه .. ليحل محله!.

مخالبه.. حتى انهار الاتحاد السوفيتي فعاد يبرزهما من جديد.

قلت للرجل أن المخطط الأمريكي هو ذات المخطط البريطاني الفرنسي الألماني الإيطالي الأسباني الهولندي البرتغالي السوفيتي الروسي.. و هو مخطط صليبي يهدف القضاء على الإسلام.

و أن ولى العهد أمامه عدة طرق: أحدها أن يسلم لهم بكل ما يريدونه.. وهو في هذه الحالة خاسر لا محالة.. لأنه مهما كان الأمر.. فإنه يوجد في الأسرة المالكة من هو مستعد لتقديم تنازلات أكثر من تلك التي يقدمها ولي العهد.. فهو إذن لابد خاسر في هذا المزاد..

المزايدة في العمالة والخيانة لن تفيد إذن.

الطريق الآخر أن يناور.. إنه يظن نفسه صديقا ويتعامى عن أنه مجرد عميل.. و يظن نفسه قد تحول من صديق (عميل) إلى ند .. مثل جمال عبد الناصر..و مثل.....

سوف يسحقونه سحقا..

إن السياسة الأمريكية نفسها مسئولة عن التغرير بالحكام و إيهامهم بأنهم أصدقاء لا عملاء.. و أنداد لا خدم وعبيد.

الأمر بين.. ولكننا نتعامى.. ذلك أن أي داعر يريد أن يغتصب امرأة لن يبادر بالذهاب إليها قائلا : «تعاليْ حتى أغتصبك» بل إنه ينسج شباكه حولها وينصب أحابيله حتى تقع في الشرك.. وساعتها لن تفيدها صرخاتها مهما استغاثت.. بل إن هذا الداعر لن يكف بعد ذلك عن التنكيل بها لممانعتها في البداية..

الطريق الثالث أن يلتزم بالحد الأدنى من الثوابت التي تحميه من غضب شعب الجزيرة عليه.. والميزان هنا دقيق جدا و أي خطأ سيترتب عليه الوقوع في الهاوية.. بل إنني أرى أن الوقوع في الهاوية محتم.. لأن أمريكا ستلعب على هذه النقطة بالذات.. سوف تدفع ولي العهد للإقدام على تصرفات تستفز شعبه.. وتضغط هي عليه من ناحية وتضغط عليه ردود فعل شعبه من ناحية أخرى.. حتى ينسحق هو بين الطرفين .. وتكون أمريكا قد استهلكته في إضعاف شعبه وسحقه ليرضى بأي ملك أو رئيس بعد ذلك يعينونه عليهم.

هذا الحل الأخير هو أخسر الحلول جميعا .. فالخاسر فيه هو ولي العهد وشعب الجزيرة

كله.. قلت له: ستشتعل الحرب الأهلية في المملكة.. ورجوته أن يصدقني و أن يعود إلى مقالاتي عام ٩١ و أنا أصرخ و أتوسل إلى حكام مصر والسعودية أن الوحش الأمريكي سيستعملهم كمخالب له ثم لن يلبث حتى ينقض عليهم..

قلت له أن الحوادث قد صدقت جميع ما ذهبت إليه..

***

قلت للرجل:

أن كثيرا من الأمور كان مستغلقا عليّ حتى تنبهت إلى تأمل سياسة الأمن في الدول العربية..

ماذا يفعل الأمن مع قوى المعارضة؟..

في إجابة هذا السؤال تكمن أسرار التعامل الأمريكي مع دولنا..

قلت له أنني طالما تأملت في مرجعية التعذيب الحيواني البشع المجنون الذي يمارس في كل بلادنا العربية وعلى رأسها مصر والسعودية..

فليس للتعذيب أي مرجعية في الإسلام أو في العروبة..

وليس له إلا مرجعية جاهلية قاصرة ومقصورة على العبيد لم تصل في قسوتها ووحشيتها إلى ما يحدث الآن فقد كان أبو جهل يخجل من الاعتداء على النساء أو اقتحام البيوت..

قلت له أنني اكتشفت أن مرجعية التعذيب كلها غربية صليبية.. و أن كعبة رجال الأمن في العالم العربي كله هي أمريكا..

وقلت له أنني قبل أحداث ١١ سبتمبر كنت أجري بحثا عن أدوات التعذيب وصناعتها فإذا بي أفاجأ أن ٩٠٪ منها صناعة أمريكية..

بعد ١١ سبتمبر أجريت هذا البحث مرة أخرى فإذا به قد اختفى بالكامل من على الشبكة العنكبوتية[1].

(١)وتلك نقطة أنبه القراء إليها.. خاصة أولئك الذين يعتمدون على الشبكة العنكبوتية كمصدر رئيسي للمعرفة.. لأنه يتم الآن تزييفها.

إننا لو تأملنا سياسة الأمن مع قوى المعارضة سنقرأ كيف تعاملن أمريكا.

ماذا تفعل أجهزة الأمن..؟..

إنها تدعي أنها تحافظ على أمن البلاد (وهي في الواقع تهدد أمن البلاد لمصلحة الحاكم)..

و إنها تدعي الرقة والدماثة والعقل والحكمة والهدوء.. بينما هي على عكس ذلك تماما تماما.

إنها ترصد الواقع وتحلله وتتأمله في صمت وهدوء.. غير أن صمتها ذلك ليس سلبيا.. فهي لا تكف عن زرع عملائها وسط المعارضين.. هؤلاء العملاء يظنون أنهم يخدمون أوطانهم.. وهؤلاء العملاء يحاولون دائما الاستيلاء على الأحزاب المعارضة والهيئات العامة والنقابات من الداخل.. فإذا فشل العملاء تم اتهامها باحتضان الإرهاب ويتم تجميدها .. إنه بالمفهوم الأمريكي محور شر على المستوى المحلي..

إن جهاز الأمن يترك حناجر صارخة و ُقلاما زاعقة لكنها لا تقول شيئا.. تماما كالديموقراطية التي تسمح بها أمريكا... يتركها كديكور ضروري و كمؤسسات إفساد في المجتمع.

ثم إن جهاز الأمن يطلق كلابه لتشويه الشرفاء.. نزع الهيبة مقصود.. الربط ما بين الشهداء والمجرمين وما بين الجهاد والجريمة.. و إغماض الأعين بالكامل عن جرائم الحكومات.

بعد هذا كله وبعد فشل التشهير يأتي دور التزوير..

فإذا فشل التزوير بدأ دور كلاب الصيد ابشرية في تدبير المؤامرات وتدبيج التهم والإحالة إلى المحاكم الاستثنائية..

إن جهاز الأمن الباطش الجبار هذا يترك أحيانا بعض القوي لتتحرك في المجتمع.. وهو يفعل ذلك لأغراض متعددة أهمها أن يجتذب معارضي النظام إلى نطاق العلنية لتسهل مراقبتهم.. والثاني لرشوة الغرب الديوث الذي يعرف الاصطناع والادعاء

والزيف فيتصنع الاقتناع بالمظاهر ويصمت.. أما الأهم فهو أن تستنفد هذه القوي كل طاقاتها في بناء هياكلها لينقض عليها الأمن مرة واحدة فيهدم جميع ما بنت.. ولتستغرق إعادة البناء عقودا تتلوها نفس الهجمة البربرية من جهاز الشيطان الباطش الجبار.

***

ثم أن هذا الجهاز الباطش الجبار لا يعتمد علي سياسة رد الفعل.. إنه لا ينتظر فعل قوي المجتمع كي يرد عليها.. بل إنه يعتمد سياسة الأفعال سابقة التجهيز.. إن لديه عشرات السيناريوهات والبدائل .. فإذا فشل طريق لجأ إلى آخر.. ولكن العلاقة بين هذه الطرق ليست اعتباطية بل يحكمها منهج دقيق وتصور شامل.. يستهدف في النهاية تدمير أي قوة في المجتمع تمثل أي نوع للخطر أو احتمال الخطر على الحاكم..

كما أن الخطة الجهنمية لهذه الأجهزة أنه لا يكاد يسمح لأحد أن يعين في مكان إلا بموافقتها.. بل إنها هي التي تحدد كل النخبة.. من رؤساء الجامعات إلى الوزراء إلى معظم الشخصيات الرئيسية في المجتمع.

وتقتضي الخطة الجهنمية أيضا تحطيم إرادة الفعل عند قوى المعارضة بطريقة:

« لو لم تفعلوا ذلك ما صار الأمر كذلك»..

لو لم تهاجموا الحاكم لما اضطهدناكم..

لو لم تكتبوا عن الوليمة ما صادرنا صحفكم..

لو لم تفعلوا..ما فعلنا..

والنهاية المنطقية لهذا المنهج هو أن تصاب الإرادة عند القوى المعارضة بالشلل فلا تفعل أي شيء خوفا من رد الفعل الصاعق..

وهذا كله فكر سقيم.. لأن جهاز الأمن الباطش الجبار الغبي لديه أهداف محددة وخطة لابد أن تنجز لتحطيم الأمة وشل إدارتها.. وهو سيستغل الأسباب إن وجدت وسيصطنعها إن لم توجد..

***

قلت للرجل : كي تفهم سياسة أمريكا معنا راقب وافهم سياسة أجهزة أمننا مع قوى المعارضة.. فإن ما يحث لهذه هو بعينه ما يحدث لتلك.

ذلك أن منهج كل أجهزة أمننا في العالم العربي هو منهج صليبي .. وكل قيادات الأمن قد تلقت تدريبا في بلد من بلدان الغرب خاصة أمريكا..

***

وقلت للرجل أن الدائرة تبدو مغلقة في الحالتين ولا سبيل أبدا لكسر الطوق..

وهذا صحيح إذا استمرت شروط المعادلة كما هي..

ولكنها تنكسر إذا غيرنا شروط المعادلة..

ولقد وصلنا في تحليلنا السابق أن أي حاكم عربي – ومنهم الأمير عبد الله– ستقتله أمريكا إذا قاوم وسيقتله شعبه إذا استسلم.. و أن من مصلحة أمريكا أن يطول الصراع بين كل حاكم وشعبه كي ينهك كل طرف منهما الآخر..

وهذا يعني أن المقاومة تعني الموت..

وكذلك الاستسلام يعني الموت..

***

كيف نكسر الدائرة إذن؟..

قلت للرجل أن أمريكا تستطيع أن تسحق السعودية سحقا.. لكن هل تستطيع سحق العالم الإسلامي؟..

ماذا لو فوجئت أمريكا بولي العهد يقول مقالة الملك فيصل أنه في سبيل الدين لا مانع عنده من العودة إلى الخيام والرعي.

ماذا لو فوجئت أمريكا بولي العهد يقول أنه لا يمثل نفسه ولا عائلته ولا بلاده و إنما يمثل المسلمين جميعا..

ماذا لو أعلن ولي العهد أن المسلمين قد ارتكبوا إثما هائلا بعدم إقامة الخلافة .. وأنه – من مكة – يعلنها..

ماذا لو نادي ولي العهد المسلمين في العالم أن يهبوا للدفاع عن دينهم..

لقد كانت فرائص بريطانيا العظمى ترتعد عندما يهددها السلطان عبد الحميد بإعلان الجهاد.. وكان السلطان عبد الحميد عليه رحمة الله أكثر ما يكون ضعفا.

ماذا لو اعترف ولي العهد بأنه أخطأ و أنه يتوب إلى الله مما ارتكبه من جرائم في حق الله وفي حق الدين وفي حق الأمة..

ماذا لو قال ولي العهد أن الدين خط أحمر.. وفلسطين خط أحمر.. وفرض الشذوذ والعهر خط أحمر.. وفرض السلاح علينا بمئات المليارات كي نحارب به شعوبنا خط أحمر ولن يتكرر..

***

واصلت الحديث متدفقا وبدا لي الرجل مقتنعا بكل ما أقول وهو يشكرني بحرارة ويعدني أن يعيد كل ما قلته على مسامع ولي العهد في نفس الليلة.

***

ظهر اليوم التالي استقبلنا ولي العهد في قصره في دعوة على الغداء وصافحنا فردا فردا..

أحسست وهو يصافحني كما لو كان ينظر إليّ نظرة اعتذار.. لكنني ضحكت من نفسي كثيرا بعد ذلك.. و أول ضحكي كان في المساء.. في مركز خدمة الضيوف.. حين وجدت الضيوف جميعا بلا استثناء قد التقطت لهم صورة كبيرة أثناء مصافحة ولي العهد وقد أرسلت لكل ضيف صورة – و أحيانا أكثر – لهذه المصافحة..

وكان هناك استثناء واحد لم ترسل له صورة..

وكان هذا الاستثناء يتعلق بي..!!

***

وفي نفس اليوم بدأت المعاملة تتغير.. فالمسئولون عن الضيوف يتجنبونني.. ولم أتنبه في بداية الأمر لذلك.. كما أنني لا أحب أن أتصور لنفسي أهمية متخيلة.. ببساطة إنهم مشغولون وقد قاموا بواجبهم في الترحيب وانتهى الأمر.. فماذا تريد منهم أكثر من ذلك؟

قبيل انتهاء المؤتمر بعدة أيام قررت الرحيل إلى المدينة المنورة – وهو ما سبق الحديث عنه في بداية المقال – فذهبت إلى المسئول عن الضيافة.. فذهلت عندما فوجئت به يعتذر عن تدبير العمرة والزيارة.. و أنه كان يستطيع أن يفعل ذلك حتى الأمس أما اليوم فقد جاءتهم تعليمات بوقفها لاقتراب موسم الحج.

استولى عليّ شعور جارف بالخوف لا بالغضب..

خشيت أن تكون المدينة المنورة تلفظني ومكة المكرمة تأبى زيارتي..

ارتجت نفسي رعبا..

وعبر الرعب عن نفسه في غضب:

– لا أريد منكم تدبير الزيارة .. سأذهب وحدي..

– نحن آسفون.. فأنتم ضيوفنا .. ولكل منكم أهمية في بلده .. ونحن لا نتحمل أن يصيبكم سوء ولو بالصدفة (حادث طريق أو حادث اغتيال مثلا).. لذلك فنحن مسئولون عنك حتى مغادرة المملكة..

قلت له:

– هل تعني أنك تمنعني من العمرة؟

قال:

– لا أقصد ذلك.. وربما استطعنا تدبير ساعتين أو ثلاث تؤدي فيها العمرة..

قلت :

– والمدينة؟

قال:

– نحن آسفون..

فقلت له:

– إذن لا أريد منكم أي استضافة.. سأذهب وحدي وأدبر أمري.. ولست محتاجا

حتى إلى تذكرة الطائرة..

- آسف.. قلت لك أننا مسئولون عن أمنك.

فصرخت في وجهه:

- أضيف أنا أم أسير..

- بل ضيف ولكن هذا هو النظام ولك أن تعود على الرحب والسعة بعد انتهاء موسم الحج.

***

انفجر غضبي مخفيا خوفي.. فقلت له:

- هناك سبيل واحد لمنعي من الذهاب إلى المدينة.. وهو أن تلقوا القبض علي..

***

أعددت أمري وحجزت في الطائرة..

وكما قلت للقارئ لم أكن أريد أن أتخيل لنفسي أهمية لا تستحقها.. فلم أربط بين رسالتي الشفوية لولي العهد وما يحدث..

في مطار الرياض فوجئت بأحد الكتاب من ضيوف الجنادرية معي.. وقد رتبوا له رحلة للزيارة والعمرة..!!

في المطار.. أذن المؤذن لصلاة الصبح .. وقلت له: هيا بنا لصلاة الصبح.. فإذا بي أفاجأ بقوله:

- لكنني لا أصلي..

ونظرت إليه بذهول متسائلا في صمت فواصل:

- أنا أذهب إلى مكة والمدينة كقيمة تاريخية.. كسائح..

ولم ألقه مرة أخرى..

***

في المدينة.. كان حجز غرفة في فندق صعبا.. وكنت أحمل حقيبتي و أبحث حتى أصابني الجهد.. فاستأذنت صاحب فندق أن أترك عنده الحقيبة حتى أجد مكانا..

في أول فندق ذهبت إليه بلا حقيبة وجدت غرفة لخمسة أيام..

.. أظن أنه كان هناك من يتعقبني ويأمر الفنادق بعدم الحجز لي..

كنت أريد أن أقيم في المدينة أسبوعا.. فذهبت في اليوم الرابع إلى فندق مجاور .. ووجدت معظم غرفه خالية فاستأجرت غرفة لمدة أربعة أيام أخري.. وفي اليوم التالي أخذت حقيبتي وذهبت .. وإذا بي أفاجأ أن الفندق ألغي الحجز..

كنت حزينا..

لكنني قلت لنفسي: استقبلتك المدينة ولم تلفظك.. يلفظك نظام الحكم.. و أنت لا تستطيع مقاومة جهاز الأمن الجبار الباطش. ثم أن افتضاح أمر لقاء ولي العهد بالكاتب الأمريكي توماس فريدمان والذي كان هو 'لآخر أحد ضيوف مهرجان الجنادرية قد جعلني أنظر إلى ولي العهد نظرة أكثر واقعية.. وفوق ذلك فإنه يفسر ما يحدث لي..

***

طلبت من الفندق أن يحجز لي مكانا في طائرة جدة.. وكنت متخوفا ألا أجد مكانا فموسم الحج قد اقترب جدا.. ولكن الحجز كان ميسرا بأكثر مما توقعت..

أديت العمرة.. وفي مطار جدة طلب مني مندوبو الخطوط السعودية أن أكتب طلبا لصرف فارق التذكرة الذي لم أستعمله من الرياض إلى جدة.. فأبيت.

***

لقد كنت حريصا يا قراء أن أسرد عليكم كل ذلك لأنه جزء من التاريخ من ناحية.. ومن الناحية الأخرى لكي أؤكد لكم أن التحليل العقلي المنطقي الهادئ كان يؤكد أن ما يحدث في السعودية الآن سوف يحدث..

و أن الأمور ستتطور إلى حرب أهلية ينهك فيه الطرفان كل منهما الآخر.. لينتهي بمملكة ممزقة تكمل أمريكا تمزيقها..

كنت واثقا من أن ذلك سيحدث..

وكنت أقرأ ما يحدث في المملكة مستعيدا ما حدث في مصر في بداية الخمسينيات .. وكتبت عن حادث المنشية.. وكيف تم تلفيقه وتدبيره.. وكتبت عن التعذيب في السجون المصرية آنذاك..

كتبت مثلا ما قاله الشيخ الجليل عمر التلمساني:

« هل يعقل أن يعذب إنسان حتى بعد صدور الحكم بإعدامه . هل يعقل أن تدبر وتنفذ مجازر جماعية لمن صاروا مسجونين مثل مذبحة ليمان طرة التي صدر بشأنها حتى الآن أربعة كتب . إن خبراء التعذيب الشيوعيين والغربيين الذين استقدمهم السفاح الأكبر لم يذهبوا إلى هذا الحد من النذالة والسفالة في معاملة الخصوم إن تعليق المعتقلين عرايا وبأساليب بشعة . إن الزنزانة رقم ٢٤ والتي عمقها متر مليء بالماء والتي يترك بها المعتقل أياما فيصاب بالانهيار العصبي لعدم النوم .. النفخ . كما جاء في كتاب « أقسمت أن أروى . لقد عشت هول المعركة » للكاتب اللبناني روكس معكرون »

هتك أعراض النساء والرجال . تعذيب الرجال عن طريق امتهان آدميتهم ورجولتهم وكرامتهم وتسميتهم بأسماء النساء . تطبيق أساليب الحرب النفسية ونظرية بافلوف الشيوعي لغسيل المخ في السجون والمعتقلات كما ذكرها المجرم صلاح نصر رئيس مخابرات عبد الناصر . اعتقال ١٢٠ فردا في كل حجرة صغيرة بصورة لا إنسانية بل ولا حيوانية لشهور طويلة . هذا قليل من كثير استعمال الكلاب والصعق بالكهرباء والبقاء في الماء والتعليق بصورة مؤلمة والضرب بالعصي والكرابيج وإرغام المعتقلين أن يضرب بعضهم بعضا . وأن يسب بعضهم بعضا لقد ترتب على ذلك انتشرت الأوبئة والأمراض وأصيب البعض بالجنون .»

سيجد القارئ في نهاية هذا المقال النص الكامل لكتاب « أقسمت أن أروى . لقد عشت هول المعركة » للكاتب اللبناني روكس معكرون ».. وقد كتبه عن مذبحة طرة..

و أظن كثيرا من المذابح مثلها يحدث في أرض الجزيرة..

وما أقصده من ذكر وقائع هذه المذبحة أن أظهر مدى إجرام السلطة والشرطة والنيابة

وقدرتهم على قلب الوقائع..

***

لقد اعتصر الألم قلبي و أنا أرى قائدا مفكرا يتحدث في قناة الجزيرة عن النهب المنظم والسرقات الصارخة التي يقوم بها الأمريكيون في العراق على مستوى أحط العصابات وأخسها. لأن مصانع لم تفتح تكلفت الملايين تباع بعدة مئات من الدولارات.. والدبابة الضخمة التي تحتوي على أربعين طن من احديد تباع بسعر الحديد الخردة: ٢٥ دولارا للطن.. أي أن الدبابة التي يصل ثمنها إلى ميون دولار تباع بألف دولار.. ناهيك عن عمليات السرقة المباشرة من بيوت المعتقلين.

أقول أن الألم قد اعتصر قلبي و أنا أقارن ذلك بما كتبه الأستاذ الدكتور جمال حشمت عضو مجلس الشعب السابق فكان من بين نصائحه لمن يتوقعون الاعتقال ألا يحتفظوا في منازلهم بأموال سائلة ولا حتى بمجوهرات زوجاتهم لأن رجال المباحث سيستولون عليها ولن يعيدوها أبدا[١].

قبل ذلك أيضا كان العميد حمدي البطران قد قال كيف يوزع رجال المباحث ممتلكات الإسلاميين الذين يقتلونهم كغنائم توزع فيما بينهم وكيف كانوا يوصون بألا تذكر في محاضر الضبط أية مبالغ كي يتسنى لهم الاستيلاء عليها.

و إنني أذكر هذا الآن – والألم يعتصر قلبي – منتقيا من بين آلاف الصفحات صفحات قليلة كتبها الدكتور محسن العواجي والدكتور سعيد بن زعير عن التعذيب وبطش الشرطة وظلمها وظلامها وخياناتها لله ولرسوله وللمؤمنين.. وعن اشتراك القضاء في كل هذا.. بل لقد امتلأت عيناي بالدموع و أنا أترأ قول العواجي أن ما يسمى زورا وبهتانا بالمحاكم الشرعية في الجزيرة جعلته يتمني لو أنهم يحالون إلى محاكم عسكرية..

***

آه ..

يا لوجع القلب.

(١)آفاق عربية : ١٦/ ٦/ ٢٠٠٤.

إنني أعرف أن ما حدث في مصر منذ خمسين عاما هو ما يحدث الآن في المملكة العربية السعودية..

ولو أن علماء الدين وقفوا أيامها كرجال لردوا الظالم عن ظلمه ..

ولو استشهد العشرات منهم .. فقد كانت دماؤهم ستحيي الأمة..

***

يا أهل الجزيرة..

أنتم الآن في عام ١٩٥٤..

هزيمة ١٩٥٦ في الطريق..

وكارثة ١٩٦٧ توشك أن تحيق بكم.. لن يستغرق الأمر عامين أو عشرة أعوام فقد تقاصر الزمان واختلف.. ويأتي زمان آخر يكون الشعب فيه قد فقد كل قوته وكل حيويته .. كما حدث لنا في مصر..

يا أهل الجزيرة: سيستفحل التعذيب وسيزيد التزوير وستتغول الشرطة أكثر وسيزداد الأمراء حماقة ونهبا وسيجعل الشواذ وزراء والقوادون قادة والملحدون كبار مفكرين..

يا أهل الجزيرة.. وأخص العلماء: قفوا كرجال..

لقد كتب لي أحد القراء من أرض الجزيرة يعاتبني على كلمة قلتها في حق الشيخ عايض القرني.. و أنا فعلا عاتب عليه وعلى كل من يصف المجاهدين بأنهم خوارج..لأنه في اللحظة التي يتهمهم فيها بهذا الاتهام يقر بأن الطرف الآخر أمير المؤمنين..

ولقد كان بمصر في أعوام ٥٤ و٦٥ شيوخ سوء قبحهم الله جعلوا من الطاغية ولي أمر و أميرا للمؤمنين وجعلوا من المجاهدين إخوانا للشياطين..

نعم ..

يجب على العلماء في أرض الجزيرة أن يتدخلوا لحقن الدماء.. ولكنهم يجب أن يستمعوا للطرفين معا لا لطرف واحد.. و أن يغلظوا على الظالم فيهما أيا كان..

إنني أنتقي من المنشور في الشبكة الإليكترونية – موقع الساحة – مقتطفات كتبها من

ينعت نفسه بأنه واحد من المطلوبين .. فيقول:

أنا أحد المطلوبين في الجزيرة وهذه حقيقتنا بعيداً عن إعلام آل سعود

من الذي تغير نحن أم آل سعود .. من الذي تغير فكره .. نحن أم هم ؟

من الذي تغير وبدل التوحيد بمعونة الصليبيين بمعاونتهم ضد حرب أفغانستان التي راح ضحيتها أكثر من ٢٠٠٠٠ ألف مسلم بقنابل أمريكا ! .. نحن لم نتغير ولم يلوث فكرنا. نحن تغيرنا طرأ بعد تغير آل سعود من الإسلام لمعونة الصليب .. هل تريدوننا لا نواجه آل سعود بعدما ظهر منهم موجب الخروج وهو موالاة أمريكا لهدم دولتين أفغانستان والعراق .. لأجل كراسيهم .. من الذي قرب العلمانيين الملاحدة إلى ولي العهد وجعلهم مستشارين لحرب الإسلام ونشر الفكر العلماني ..

قولوا عنا ما تشاؤون .. لكن لا تنسوا أنكم تأخذون الحقيقة من طرف واحد وهو تلفزيون آل سعود .. لقد أصبحت الساحة تمثل القناة الأولى السعودية .. بعد اعتقال كل شريف فيها .. لذا لن أنتظر منكم ثناءً ..!

أجيبوني عن هذه الحقيقة - وهي قتل أكثر من ثلاثين ألف مسلم في أفغانستان والعراق بيد أمريكا بمعونة كاملة من آل سعود - :

قال مستشار ولي العهد للشئون الخارجية في صحيفة الوطن العدد ٧٩٧ الخميس ٥ ديسمبر ٢٠٠٢ ما نصه بالحرف الواحد :

(المملكة العربية السعودية شريك كامل في هذا التحالف. وقد أصدر مكتب منسق مكافحة الإرهاب تقريراً في ٢١ مايو ٢٠٠٢م بعنوان «أشكال الإرهاب العالمي» نص على أن: «المملكة العربية السعودية أعادت تأكيد التزامها بمكافحة الإرهاب وتجاوبت بشكل إيجابي مع مطالب بإجراءات فعلية لدعم جهود التحالف ضد تنظيم القاعدة وطالبان.) .

انظروا :

(وتجاوبت بشكل إيجابي مع مطالب بإجراءات فعلية لدعم جهود التحالف ضد تنظيم القاعدة وطالبان.) .

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز مجموع الفتاوى والمقالات ١/ ٢٧٤:

(وقد أجمع علماء الإسلام على أنَّ من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوع من المساعدة ، فهو كافر مثلهم .) .

ورسول الله ﷺ يقول : «**اسمعوا وأطيعوا ما لم ترو كفرا بواحاً**».

فإن عجزتم أيها الكتاب عن الحق فلا تقولوا الباطل وتعينوا آل سعود ليستمروا بوضع يدهم مع يد الصليبيين لقتل المسلمين، فإن عجزتم عن المواجهة فلا تغالطوا وتقلبوا الحقيقة ..

الإعلام بيد آل سعود وأمريكا صورنا أننا خوارج قرامطة كفار لكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً، والتاريخ يكتبه المنصفون والمزورون سيطويهم الزمن .. ولا تنسوا أيام الحجاج وهو مسلم الكل يقول له مؤيداً : أقتل هؤلاء الخوارج .. لكن التاريخ يكتب الحقيقة ... الآن فمن المجرم الظالم الحجاج أم الذين خرجوا عليه؟ أين تدليس الحجاج وزمرته وإعلامه ..؟!

هكذا التاريخ يعيد نفسه مع آل سعود الذين يفوقهم الحجاج بإسلامه ورحم الله الشيخ حمود العقلاء حينما قال الحقيقة وقال : آل سعود بريئون من الإسلام !!

نحن نضحي بدمائنا وأرواحنا لأجل الوقوف بوجه الصليب ومن والاه محاولة لصدهم عن الكفر واحتلال الديار وسفك الدماء المسلمة بقنابل عنقودية أمريكية ووقود سعودي من أراضي مسلمة .

مسلم على منهج أهل السنة والجماعة بريء من عقيدة الخوارج والمرجئة، ونرى وجوب السمع والطاعة للوالي (المسلم) وعدم الخروج عليه مهما ظلم وبغى ما دام مسلماً، وأما الكافر نرى جواز ذلك إذا رأينا القدرة عليه كما هي عقيدة أهل السنة

عضو تنظيم القاعدة ومن المطلوبين في جزيرة العرب»

***

ما أريد أن أقوله أننا يجب أن لا نحكم لمفقوءة عينه قبل أن نرى خصمه فقد تكون مفقوءة عيناه..

وما أريد أن أقوله هو أنه لا يمكن أن يكون هناك خوارج في أي بقعة من بقاع العالم الإسلامي الآن.. لسبب بسيط وجوهري .. هو أن الحاكم المسلم المبايَع لا يوجد..

ما أريد أن أقوله.. أننا على استعداد – لمجرد الجدل ودحض الحجة – أن نصدق من يتهم أبناءنا بأنهم خوارج..

سنقول لمجرد الجدل أنه على صواب إن كان قد صدق فيما يتهمهم به..

لكن ينفجر في وجوهنا سؤال آخر..

سؤال آخر مروع ورهيب:

فماذا إن كانوا هم الصادقين؟

نعم..

ماذا إن كانوا هم الصادقين؟

***

أليس غريبا أن المجاهدين في العراق هم الذين أوقفوا مشروع الاحتلال الأمريكي .. فلولا الجهاد البطولي في العراق لكانت سوريا والسعودية مستعمرات أمريكية الآن..

أليس غريبا أن المجاهدين في الجزيرة العربية يشكلون الآن عنصرا رئيسيا في الدفاع عن ولي العهد و عائلته.. ذلك أن أمريكا ستفكر ألف مرة قبل محاولة غزو السعودية ما دام مثل هؤلاء المجاهدين موجودين ومستعدين في كل وقت لبذل أرواحهم.

***

ولقد علمت أن ولاة الأمر في الجزيرة .. ولاة الأمر الذين منعوا القنوت على الأمريكان والإسرائيليين أمروا به على المجاهدين..

كما علمت أن خطباء المساجد في معظمهم رفضوا الاستجابة..

وبدرت مني ضحكة أمر من العويل و أنا أقول:

– لماذا امتنعوا ؟ لماذا لم يقنتوا على الظالم؟

وتذكرت تلك الطرفة – ويقال أنها واقعة حقيقية – عن متهم بجريمة قتل.. وصبيحة

النطق بالحكم وقفت أم المتهم إلى جوار محاميه وهي لا تكف عن الدعاء لابنها أن يظهر الله الحق كي ينال البراءة..

بعد أن كررت الدعاء مرات ومرات نفد صبر المحامي فانفجر فيها صارخا:

- ادعي له بالبراءة فقط.. لأنه إن ظهر الحق فسيحكمون عليه بالإعدام..

فاقنتوا يا خطباء المساجد في أرض الجزيرة وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون.

***

حاشية

فلسطين

يا فلسطين الحبيبة..

إياكم..

مصر بحالتها الراهنة أقسى عليكم من إسرائيل..

لقد عجزت إسرائيل معكم.. وعجزت أمريكا في العراق.. وعجزت روسيا في الشيشان.. عجزوا جميعا أن ينجزوا ذلك الإنجاز الباهر للرئيس مبارك.. لقد كانت مهمته كمهمة من كانوا يمهدون المعتقلين للتحقيق في سجن :أبو غريب..

أن يصلوا بهم قبل التحقيق إلى الانهيار التام حتى يسلموا بكل ما يريد منهم الأمريكان..

ولقد فعل مبارك هذا مع ليبيا .. ومع السودان بصورة مباشرة..

وهاهو يوشك على الوصول إليكم يا فلذة الكبد في فلسطين..

مبارك فعل ما لم يفعله سواه في العالمين..

سحق الأمة..

سلب روحها..

عزلها عن أمتها..

ألم أقل لكم أنه أقوى من بوش وشارون وبوتن..

فإياكم..

إياكم..

إياكم..

***

حاشية

رسالة أخيرة إلى الرئيس مبارك

منذ عشرة أعوام كتبت سلسلة مقالات بعنوان:« من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك» يجدها القارئ على موقعي.

ويعلم الله أنني أبغضته في سبيله.

ولمدة أعوام – عندما كانت صحيفة الشعب تصدر – كنت أنتظر موت أحد الحكام الذين أساءوا للإسلام أيما إساءة.. وكنت أعتزم أن أكتب مقالا بمانشيت رئيسي: « هلك الفاجر» .. ولم أكن أنوي أن أتحدث عن الحاكم الميت بل عن يزيد بن معاوية.. تاركا العنوان يلقي ظلاله..

وعندما صودرت صحيفة الشعب كان بعض الإخوة والأصدقاء يتصور رجوعها بحكم قضائي.. وقلت لهم أن الصحيفة لن تعود طالما كان مبارك على قيد الحياة.. فالرجل يكن للمجاهدين والمسلمين كرها شخصيا يتجاوز كراهيته الوظيفية لهم.. فالتنكيل بهم شرط لبقائه.

وأمس الأول عندما انتشرت أنباء – ثبت بعد ذلك عدم دقتها – عن وفاته..

والحقيقة أنني كنت أتوقع أن أفرح..

ولقد ذهلت عندما استقبلت الخبر بوجوم شديد وحزن غالب..

قلت لنفسي أن الحياة تشبه السقوط من ناطحة سحاب.. و أن الفائز هو الذي يلتمس – أثناء السقوط – ملاذا آمنا يهبط فيه.. أما الأحمق فينشغل خلال سقوطه بأن يسرق هذا وينهب ذلك ويخون أولئك.. إلى أن يسقط في الهاوية..

شملني حزن غريب..

فهذا الرجل منحه الله فرصا يحقق فيها كل شيء في الدنيا والآخرة لكنه فضل أن يحمل قدرا من الذنوب لست أدري كيف سيواجه الله به.

ورغم غضب القراء على أي رسالة أرسلها إليه – بعد أن فقدوا الأمل – فإنني أستسمحهم في هذه الرسالة فقط.. على أن تكون الأخيرة:

يا سيادة الرئيس تب..

ذنوبك كثيرة ورحلتك طويلة وزادك معدوم..

الوقت قصير فقدم إلى الله ما قد يشفع لك..

امنع توريث الحكم لابنك فكفانا منكم ظلما..

أفرج عن ضحاياك من المسلمين عل بعضهم يسامحك فيخف وزرك..

حول الجلادين في سجن أبي غريب المصري للتحقيق..

وأمر بوقف التزوير.. والكذب ..

وأمر بالإفراج عن الإسلام الذي ظل أسيرا طوال عهدك..

ولعلي أختم بنفس الخاتمة التي اختتمت بها رسالتي له منذ عشرة أعوام:

حاول أن تحصى ذنوبك كي تتوب إلى الله .

أن ترجع عنها قبل أن يرجع عليك بها .

صارح الأمة وواجهها بحقيقة أمرها .

ذلك أن أول درجات سلم التوبة الصعب أن تقر بذنبك ..

اكشف لنا ما قد علمت من تعذيب وتزوير وتستر..

اكشف للأمة أن ما شاركت فيه لم يكن « عاصفة الصحراء » فقط وإنما كان « المجد للعذراء» أيضا وهو اسم أخفاه إعلامك عن الأمة لغرض في نفس شامير وبوش .

ألغ قانون الطوارئ .

وافق على تغيير الدستور .

الغ الاستفتاء على رئاسة الجمهورية وحوله إلى انتخاب حر .

لا ترشح نفسك مرة أخرى ..

أوقف التعذيب..

أوقف تزوير الانتخابات ..

أطلق حرية الصحافة والأحزاب حقا وصدقا ..

طارد الفساد والمفسدين ..

ضع الأسس لبناء مصر الحديثة. .

خطط لإعداد دولة الإسلام كما خطط بنو إسرائيل لإقامة دولتهم..

ضع مع أقرانك خطة تحقق ولو بعد مائة عام..

إن بقاء أي أسرة من الأسر الحاكمة الآن في العالم العربي والإسلامي لمدة عام واحد أمر غريب، عشرة أعوام معجزة عشرين عاما مستحيل، فأعرض عليهم إذن مشروعا لوحدة العرب المسلمين لا يكتمل إلا بعد مائة عام، مشروعا لا ينتقض من سلطة، مشروعا يداوى جروح الأمة ويجمع شراذمها ويعيدها خير أمة أخرجت للناس .

افعل ذلك، تمح حسناتك سيئاتك..

تب إلى الله..

وإن لك من مجد أكتوبر ما يجعلنا ندعو الله أن يغفر لك .

افعل ذلك ... فوالله لو جئت الله بملء الأرض ذنوبا لجاءك بمثلها حسنات .

ولو تقربت منه ذراعا تقرب منك باعا وإن أتيته تمشى أتاك هرولة .

وليكن عيد ميلادك القادم آخر عيد ميلاد في السلطة .

***

قد يكون هذا آخر حديثي لك ولعله آخر الاجتماع

فالسلام عليكم يا سيادة الرئيس ..

السلام عليك يا أيها الأجير ...

فلعلنا لا نلتقي أبدا بعد عامنا هذا في موقفنا هذا .

ومن أجل هذا كتبت لك ما كتبت، ولم أكن ألقى بنفسي في التهلكة بل والله أنقذها.. فلو أن عبدا خير بين ما عند الله وما عندك فاختار ما عند الله أيهلك، أم ينقذ من الهلاك نفسه ؟..

أبارت تجارته أم ربح البيع؟

السلام عليك أيها الرئيس ..

السلام عليك، وعلى موعدنا للقاء أمام الله في يوم قد يكون مقداره خمسون ألف سنة .

خمسون ألف سنة فتخيل معي يا سيادة الرئيس واعتبر، لأننا -إذا كان ذلك- في الحساب على ذنوبنا – لا في العذاب عليها – سوف نحاسب عن كل يوم عشناه في هذه الدنيا ثلاثة أعوام ..

فكيف لا أقول، وما أنا إلا عابر غريب، دنياي آخرتي، والطريق وعر، والمخاطر جمة، حتى أنني أتهلل لم يختصر لي المسافة ويقصر على الشقة ويخفف الابتلاء ويلطف القضاء ويعجّل بالأوبة .

لست مقيما، وإنما أتزود من قفري لروضتي، أنتظر الطلب بالذهاب والإذن بالمثول، غير آبه لأي حال تكون عليه عظامي وإهابي حين مغادرتي .

وكيف لا أقول وما أنا إلا عبد أرسله سيده وأمره أن يقول فكيف لا أصدع أنا ولم لا تصدع أنت ؟ ..

السلام عليك أيها الرئيس .

سلام الله لا سلام أعداء الله .

***

السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

بدائــل مبارك[1]

الطوفـان(١/٢)

قاموس الردة: المسلم متشدد والملتزم أصولي والأصولي إرهابي

والاستشهادي انتحاري والجهاد جريمة أما الإيمان فليس بالله

بل بمبارك وعبد الله وشارون وبوش والشيطان

اللهم ارحم عبدك حسن وتغمده بغفرانك ورحمتك..

طوفان بغير سفينة نوح، وردة لا أبا بكر لها، وفتنة بلا عمر، وصليبيون دون صلاح الدين، وتتار دون قطز، وخونة يبرئهم قضاة النار ويلبسونهم ملابس الأبطال، ودعار يضعون شروط العفة ويدعون براءة الأطفال، ومزورون يشرفون على صندوق الانتخاب، وزنادقة يحددون شروط الإيمان، وعهار يدرّسون الأخلاق، وطواغيت جعلوا من أنفسهم حراسا على الحرية، ومجالس أمة دونها مجالس الشيطان، وصحف بزت مسيلمة، وكذب ليس له في التاريخ مثيل، وخسة ليس لها في العالم نظير، وقلب مكسور، وجرح مفغور، وذنب أمة أخشى أن يكون غير مغفور، وعقل مهدر، وخطايا بلا مبرر وبلا استغفار وبلا توبة، ونار ليست سلاما، واكتشاف بئيس أن الخطأ ليس في الحكام، بل في الأمة المشلولة التي نست الله فأنساها نفسها وسلط عليها من الطواغيت مثل أولئك الذين تسلطوا عليها، فلما آن أوان وصولهم إلى مأواهم في مزابل التاريخ إذا بالمهرجين يتقدمون ليحكموا أمة تستحقهم فكما تكون يُولّ عليها.

***

نعم..

طوفان أرى أمواجه و أسمع هدير أمواجه و ،خوف ما أخافه و أخشى ما أخشاه أنه

---

(١) نشر في يوليو ٢٠٠٨.

لن يقبض أرواحنا ولن يهدم بيوتنا ولن يخرب عمراننا ولن يغرق بلادنا..

لن يفعل أيا من ذلك..

لكنه سيفعل ما هو أخطر.. وسيقضي على ما هو أهم.. وسيغرق ما هو أغلى و أقيم..

سيقضي على ديننا..

لا على الإسلام كدين -فالله خيرا حافظا- بل على المسلمين كجيل أو أجيال..

طوفان يستهدف لا إله إلا الله..

طوفان فيه المسلم متشدد والملتزم أصولي والأصولي إرهابي والاستشهادي انتحاري والجهاد جريمة أما الإيمان فليس بالله بل بمبارك وعبد الله وشارون وبوش والشيطان.

طوفان عجز طيلة الماضي أو على الأحرى هرب من تعريف الإرهاب الذي يخشاه منا أو من توصيف الإسلام الذي يريده منا.. لكنه بعد أن استيقن – في مخيلاته وهلاوسه- من فنائنا و هلاكنا أسفر عما يخفيه.. فإذا بالإرهاب الذي يقصده هو الجهاد، نعم، هو الجهاد، الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، لا كراهية في الجهاد فقط مع الموافقة على ترك باقي الإسلام دون الجهاد، إنما المقصود الجهاد كذروة وكرأس، فأنت حين تقطع رأس إنسان لا تقتل الرأس ثم تدع باقي الجسد حيا، و إنما تقتل الجسد كله، لذلك فإنهم لم يعودوا يخفون الآن أن الإسلام الذي يعنونه ليس إسلامنا الذي عرفناه عبر القرون كما ينقل لنا د. يحيى هاشم فرغل (.. نعم.. «د».. دكتور حقيقي وفذ أيضا.. لأن حرف الدال الذي يسبق اسمه يعنى: دكتور، أما معظم أسماء النخبة المسبوقة بذات الحرف فإنه لا يرمز فيها لكلمة: «دكتور» و إنما يرمز إلى شيء آخر و إلى كلمة أخرى قد تكون : دبا أو دابة أو داءا أو دبرا أو دُجَّةُ – بمعنى شدة الظلمة وفي الحديث [هؤلاء الدّاجُّ وليسوا بالحاج] أو دجالا أو درنا بمعنى الوسخ أو لعل حرف الدال اختصار لكلمة داعر أو دفر – بمعنى نتن- أو دميم أو دنيء أو دنس أو داهية دهياء ودهواء أو دودة أو دون أو دائص – بمعنى اللص -أو الدبح : دَبَّحَ الرجل تَدْبِيحاً إذا بسط ظهره وطأطأ رأسه فيكون رأسه أشد انحطاطا من أليتيه وفي الحديث [أنه نهى أن يدبح الرجل في الركوع كما يدبح الحمار]

.. وربما يكون ذلك الحرف: حرف الدال قد تم تصحيفه ليتحول إلى ذال، فيصبح الحرف دالاً على كلمات كالذيل أو الذليل) ..

أقول : ينقل لنا د.يحيى هاشم فرغل – بالنص في مقالته بالشعب ٨-٤-٢٠٠٥ – رأي البارونة كوكس وزميلها جون ماركس للحالة الإسلامية في كتابهما « الإسلام والإسلاموية: »حيث يبدأ الكتاب كما يقدمه الدكتور عزام التميمي بديباجة من التعريفات للتمييز بين المسلم المقبول والمسلم المرفوض من وجهة نظر المؤلفين . يقول المؤلفان أن الغالبية العظمي من المسلمين هم مواطنون مسالمون ومتقيدون بالقوانين، ولا مشكلة مع هؤلاء علي الإطلاق. إنما المشكلة في رأيهما مع المسلمين المؤدلجين، المتطرفين ، ممن يسمون بالإسلاميين ، وهم أولئك القلة من المسلمين الذين يعتقدون بأن القرآن وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقرون بأن الشريعة الإسلامية هي مرجعهم الأعلى في كافة شؤون حياتهم. (!!)

نعم..

واقرءوها يا قراء وعوها.. وواجهوها إن أردتم ولا أقول إن استطعتم..

الإسلام المرفوض.. الإسلام الإرهابي .. الإسلام الذي سيخلصنا المارينز منه جبرا إن لم نتخلص منه طوعا هو إسلام أولئك القلة من المسلمين الذين يعتقدون بأن القرآن وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من حلفه، ويقرون بأن الشريعة الإسلامية هي مرجعهم الأعلى في كافة شؤون حياتهم. (!!)

نعم.. هو الطوفان..

طوفان بدأ أعداؤنا يعدون له منذ ألف عام، وكان الشيطان يعد له منذ بدء الخليقة..لكن أكثر من ساهم فيه ومكّن من حدوثه ومهد له هم نحن..

نعم..

نحن..

***

طوفان نواجهه ببعض من كانوا السبب فيه فكأنها نواجه العدو بجواسيسه وطابوره الخامس فينا.

طوفان إن واجهناه بمبارك أو بأي من بدائله المطروحة فإننا من المغرقين..

طوفان له ألف معني كل معنى ينهمر من ألف جانب..

لقد سألت نفسي و أنا أتأمل الطوفان القادم هل يستطيع مبارك أو عبد الله – عبد الله الشقي لا الصبي – أو بشار أو عار العابدين أو الشيخ الصابيء أو أمير الغلمان أو.. أو.. أو .. مواجهته..

وعدت إلى فكرة كانت قد خامرتني بعد التغيير الوزاري الأخير عندما حل بالناس إحساس الفجيعة واليأس والفقد، كنت قد أدركت أن الحد الأقصى للتغيير الممكن لن يغير من الأمور شيئا، حتى لو تغير مبارك نفسه، وجاء رئيس جديد، وكتبت أيامها أن الأمة تحت وطأة الضغوط الهائلة والخيانات السافرة قد انشقت، و أن تغيير فرد أو وزارة أو رئيس لن يغني عنا شيئا لأننا نواجه فساد نخبة تدرك أن مكانها الحكم أو السجن أو القبر.. مكانها البورصة أو نيابة الأموال العامة.. و أن هذه النخبة لا تقل عن عدة ملايين، وهم منظمون جيدا ويعرفون ما يفعلون، وقد خططوا له، و أنهم يملكون القوة والثروة والسلطة ولا يردعهم دين ولا ضمير ولا انتماء، و أنهم سيقاتلون بشراسة منقطعة النظير، وقلت أن ذلك لم يحدث في مصر فقط بل في العالم الإسلامي كله. لقد دبر الصهاينة والصليبيون أمرهم جيدا، دبروه جيدا حتى أن التغيير أصبح يحتاج إلى حرب أهلية ضروس كي يتم.

***

لكن..

هل تكفي الحرب الأهلية للتغيير..

هل يمكن على سبيل المثال، وحتى لو قامت حرب أهلية في مصر ضد المستغربين وعملاء أمريكا و إسرائيل، هل يمكن أن ننتصر فيها وشارون يحكم في الشمال والجنوب

والشرق والغرب؟

هل يمكن أن ننتصر وعبد بوش عن يميننا وغلامه عن يسارنا وخصيانه يحيطون بنا؟

هل يمكن لتغيير و إصلاح حقيقي أن يتم في بلد بمعزل عن الآخر؟!..

وهل يمكن أن يكون هذا التغيير في الاتجاه الذي يسير فيه الآن.. اتجاه الصهيونية والصليبية وانعدام الهوية والمزيد من الكفر والعهر والشذوذ التي تجتمع تحت وصف الليبرالية الجديدة؟..

بل هل يمكن أن يكون التغيير الجوهري أو الإصلاح الحقيقي إلا عكس هذا الاتجاه ونقيضه؟!

هل يمكن..؟

هل يمكن..؟

ثم من سيقودنا إلى هذا التغيير..

***

تساءلت – مستنكرا – إذا ما كان مبارك و أضرابه هم الذين سيقودون..

وعما إذا كان هناك بدائل تستطيع المواجهة..

لكننا قبل أن ندرس البدائل لا بد أن ندرس الأصل..

علينا أن نسأل مثلا :

- هل مبارك رئيس جمهورية حقيقي وشرعي؟!..

والسؤال لا يقتصر على مبارك بل ينسحب على كل حاكم عربي..

ولكي نتصور المسألة فلنقدم مثلا بسيطا.. فلنتصور طبيبا في مستشفى أو مهندسا معماريا.. و أننا نريد بديلا له.. الحل إذن أن نفحص شهادات وخبرة الطبيب الأول الموجود فعلا، ثم نقارن بها شهادات وخبرة من يتقدم كبديل. سيكون للعوامل الأخرى دور وتأثير ولكن الأساس سيكون في الشهادات والخبرة . لن ندعي الرفعة ولا العصمة

وسنعترف بدور للوساطة والمحسوبية.. بل وسنتقبل قدرا مقدرا من الغش والتزوير ما دام ذلك غير مؤثر تأثيرا جذريا على النتيجة النهائية.. ..

لكن..

لكن..

إذا ما اكتشفنا أن شهادات الطبيب الأول مزورة، و أنه لم يحصل على بكالريوس الطب أصلا.. و أنه مارس المهنة طول عمره بدون ترخيص .. وبالتالي بدون علم ولا خبرة..

عند هذا يختلف الأمر ويكون الاستمرار في البحث عن بديل مهزلة.. بل إن أي شخص حتى عمال النظافة يستطيعون القيام بدور البديل لطبيب شهاداته مزورة.

ربما يخطر ببال قارئ أن يسأل ولماذا لا تبلغ إدارة المستشفى عن الطبيب الذي زور أوراقه؟ والإجابة أن الإدارة ليست إدارة فأوراقها مزورة هي الأخرى. لا أحد في موقعه ولا أحد في عمله ولا أحد هو هو. والأمر أشبه بقراصنة استولوا على سفينة أو لص سيارات سرق سيارة وطمس كل ما يمكن أن يكشف جريمته..

نعم.. قراصنة وطمس هوية..

لكن.. فلنعد إذن إلى ما كنا فيه..

هل الرئيس مبارك (كمجرد مثل) رئيس شرعي؟..

هل يمكن أن يكون رئيسا بالمقاييس الأمريكية أو الأوروبية أو اليابانية مثلا؟!..

لن نعود إلى شرعية مشكوك فيها – بل لم يعد فيها شك – لثورة ٢٣ يوليو..

ولا إلى استخلاف غير شرعي للسادات.. (ألم يقولوا أن السادات نفسه كان عميلا للمخابرات الأمريكية..وهو بالطبع قومي.. وما ينطبق عليه ينطبق نظريا –على الأقل– على الأقران والسلف والخلف.. وتلك قضية أخرى لكنها تفسر الاستخلاف.. من .. ولماذا)..

لن نتحدث عن ذلك..لكننا نقرر أنه إذا كان هناك اتفاق كلي لا يشق إجماعه أحد على

تزوير كل الانتخابات والاستفتاءات فإن ذلك يعني أن رئيس الجمهورية الذي نبحث له عن بديل ليس رئيس جمهورية أصلا..

دعنا من الأختام المزورة والمستندات المصطنعة ولنستدع شاهدا لا يمكن أن يكون ضد الرئيس مبارك.. بل إن أكثر ما يؤخذ عليه هو مديحه له.. لنستدع مصطفي بكري للشهادة كيف تزور الانتخابات.. والقارئ يدرك بالطبع أنه إذا كان هناك دافع لتزوير الانتخابات فإن هناك مائة دافع لتزوير الاستفتاءات.. و أنه إذا كان هناك دافع لتزوير الانتخابات لصالح وزير الأوقاف وضد مصطفى بكري فإن هناك ألف دافع لتزوير الانتخابات لصالح الرئيس مبارك..

لنستدع مصطفى بكري إذن لنسمع شهادته المنشورة في العدد الأخير من الأسبوع ٢٥-٤-٢٠٠٥ حين استدعى الأمن المجرمين للسيطرة على المعركة الانتخابية:

«منذ الصباح الباكر، كانت سيارات الميكروباص، تنقل الجيوش الزاحفة، وجوه غريبة، عيون يتطاير منها الشرر.. جاءوا بهم من كل حدب وصوب، أخرجوهم من الزنازين، ووعدوهم بالمكافأة إن استطاعوا إنحاز المهمة علي الوجه الأكمل.. دفعوا بهم أمام اللجان الانتخابية، لقد تلقوا التدريبات جيدا علي يد خبراء محترفين، أمسكوا في أيديهم بالمطاوي والخناجر والسيوف ووقفوا يتربصون بالناخبين.. لم يكن المشهد عاديا، إنه إبداع جديد، صاغته عقول شيطانية، رأت فيه أن ذلك هو الأسلوب المناسب للتعامل مع الشعب المصري!! صدق الناس حديث الرئيس، ودعوته لهم بالمشاركة في الانتخابات، زحفوا إلي أقسام ومراكز الشرطة وقيدوا أسماءهم في اللجان الانتخابية، هذه المرة كان لديهم يقين بأن الإشراف القضائي علي الانتخابات سوف يضع حدا لعمليات التزوير، وينهي إلي غير رجعة بلطجة الحزب الحاكم وأجهزته المختلفة.. في دائرة حلوان والتبين لم أصدق ما رأيت، منذ الصباح الباكر قرروا حسم الانتخابات علي طريقتهم، قرءوا الخريطة جيدا كنت قد حصلت في الجولة الأولي علي ٧٥٠٠ صوت، وكان منافسي وزير الأوقاف السابق محمد علي محجوب قد حصل علي أربعة آلاف صوت، ولكن يا للعجب فقد انقلب الحال في انتخابات الإعادة فحصل هو بقدرة قادر علي ٧٥٠٠ صوت وحصلت أنا علي أربعة آلاف صوت!! كان المشهد مفزعا في انتخابات الإعادة، جحافل

الأمن المركزي تزحف إلي حلوان منذ الواحدة صباحا، تحتل كافة اللجان الانتخابية ، الضباط يصطحبون معهم الكلاب البوليسية الشرسة، وبعد قليل تصل سيارات الميكروباص، حيث يجري توزيع البلطجية والمسجلات آداب علي كافة اللجان التي حققت فيها أعلي الأصوات في الجولة الأولي من الانتخابات، كانت النساء المسجلات يرتدين ملابس صارخة، يطلقن ألفاظا تخدش الحياء، ما أن تتقدم سيدة للإدلاء بصوتها حتى يبدأ فاصل الردح الفظيع الذي لا يستطيع أحد أن يجابهه. كانت المسجلات يمسكن بزجاجات القار الأسود، وكان البلطجية يمسكون بالسيوف والمطاوي ويهددون كل من يقترب من صناديق الانتخابات. تجمهر الناس في كل مكان، رحنا نستنجد بالقضاة، لم يستطع رئيس اللجنة العامة أن يفعل شيئا، لقد راح ضباط الشرطة يهددون كل قاضي يحاول أن يسأل عن السبب.. في مدينة ١٥ مايو كان عدد المصوتين في الجولة الأولي يزيد علي الألفين وخمسمائة حصلت علي أغلبها، وفي جولة الإعادة بلغ عدد المصوتين فقط حوالي ١٦ صوتا، إنهم المندوبون الذين سمحوا بدخول بعضهم إلي داخل اللجان.. كانت المطاردات التي يقوم بها البلطجية والمسجلات تجري تحت حماية ورعاية أمنية كاملة، كنا نستنجد بالكبار والصغار لكن الجميع قرروا صم الآذان، فقد كان الأمر محسوما.

كانت خطة محكمة، منذ الصباح الباكر اعتقلوا اثنين من أشقائي وأكثر من أربعين من أبناء بلدتي، أطلقوا عليهم البلطجية أمام منزل الأسرة في المعادي، واقتادهم ضباط الشرطة إلي قسم البساتين، حيث أذاقوهم كافة صنوف التعذيب النفسي والبدني..

لم نكن وحدنا الذين تعرضنا للتهديد، كان القضاة أيضا يرون أنفسهم عاجزين، وكم كان مؤلما أن يذهب أحد القضاة إلي ضابط في إحدى اللجان الانتخابية بمدينة ١٥ مايو، يسأله لماذا تمنعون الناخبين، كان الضابط جالسا والقاضي واقفا.

نظر الضابط إلي القاضي من أسفل إلي أعلي، وقال له بلغة تحمل كثيرا من التهكم.. خليك في لجنتك وليس لك علاقة بما يجري خارجها..!!

تعجب القاضي من الأمر، وقال له بلغة لا تخلو من الألم.. هذا تجاوز للقانون، ساعتها انتفض الضابط ووقف غاضبا وقال: أنت بتشتمني..!!

انسحب القاضي في هدوء، ومضي إلي لجنته، وقد شعر بجرح غائر في كرامته، فقد اتضح في نهاية الأمر أن وجوده هنا ليس أكثر من ديكور، وأن سلطته مقيدة بقرار حكومي، وأنه يشارك من حيث لم يرد في هذه المهزلة التي تجري باسم «النزاهة والإشراف القضائي».

كان ذلك واحدا من أهم إبداعات وزارة الداخلية لضمان إجراء انتخابات نزيهة وعادلة، يمنع فيها من التصويت كل من تحوم حولهم الشبهات بأنهم سيمنحون أصواتهم لغير المرضي عنهم حكوميا.»

***

وهنا أنبه القراء إلى أن نفس الشيء حدث في الأسبوع الماضي وهذا الأسبوع في الجامع الأزهر.. حيث دأب أعضاء في حزب العمل – جزاهم الله خيرا– منذ ثلاثة أعوام على مخاطبة الأمة بعد صلاة كل يوم جمعة، وسط حصار من السلطة، وتعتيم من الفضائيات، ومقاطعة من المعارضة التي لا تقل سوءا عن السلطة. ومنذ الأسبوع الماضي قررت السلطة مواجهة ذلك عن طريق رجال أمن متنكرين في ثياب مدنية تصرفوا داخل المسجد و أمام المنبر بمنتهى البذاءة والسوقية حتى لقد تفوهوا بسباب قذر يتناول أعراض الأمهات والآباء، حتى أن خطيب المسجد احتج هذا الأسبوع على ما حدث في الأسبوع الماضي.. لكن بعد الصلاة حدث نفس الشيء.. وهجمت قوات الأمن – بملابس مدنية ودون دروع – على أعضاء حزب العمل ومنعوهم من الحديث للناس.

***

فلنعد إلى مصطفى بكري حيث يواصل كشف العصابة.. نعم .. فمن يفعل ذلك عصابة لا حكومة:

«وكان الإبداع الثاني لا يقل ديمقراطية عن الإبداع الأول لقد جيء بالبلطجية والمسجلات آداب وبعض أنصار المرشحين الحكوميين.. أعدت لهم بطاقات شخصية في مكاتب السجل المدني، أنها بطاقات حقيقية عليها صورة المواطن، ولكن بأسماء ناخبين مدونين في اللجان الانتخابية المختلفة. لقد أعدوا لكل شخص ممن جيء بهم عشرين

بطاقة شخصية بأسماء عشرين ناخبا في عشرين لجنة، وأمسك الضباط بهذه البطاقات في حوزتهم، وانطلقوا بباصات كبيرة إلي اللجان الانتخابية المختلفة، وقبيل الوصول إلي اللجنة بقليل يوزعون البطاقة بالاسم، يهبط ركاب الباص يدلون بأصواتهم في حراسة الضباط والمخبرين، كل شيء معد جيدا، القضاة لا يستطيعون الاعتراض، فالبطاقة سليمة واسم الناخب يتطابق مع الاسم المدون علي البطاقة، يدلون بأصواتهم ثم يعودون إلي الباص ليتجه بهم إلي لجنة أخري، تجمع منهم البطاقات، تقدم إليهم بطاقات جديدة بأسماء جديدة للتصويت في لجنة أخري مختلفة.. وهلم جرا!!

وهكذا استطاعت الحكومة أن تجد الوسيلة المناسبة لإنجاح مرشحيها بطريقة تبدو ديمقراطية للغاية، ولا يستطيع أحد أن يشكك فيها، فالأوراق سليمة، والبطاقات نزيهة، والقاضي لا يستطيع أن يعترض!!

كان هناك العديد من الضباط يشعرون بالذنب وعذاب الضمير، لكنها الأوامر والتعليمات التي صدرت من الحزب الحاكم للكبار والصغار، لكن أحدا لم يكن يستطيع أن يوقف المهزلة..!

وما حدث معي حدث مع الكثيرين، وليسوا فقط المحسوبين علي التيار الإسلامي خاصة في الجولتين الثانية والثالثة بعد أن أدركت قيادات الحزب الحاكم أن حزبهم لم يحقق أية انتصارات تذكر في الجولة الأولي».

***

لقد أطلت – متعمدا – في نشر شهادة الأستاذ مصطفي بكري مذكرا القارئ أنها كتبت بعد الحدث بخمسة أعوام، بعد أن انطفأت النار وخبا الأوار ولم تعد إلا الذكرى ورماد الحنظل، أما من يريد أن يقرأ الأحداث بسخونتها ولهيبها كما وقعت فليرجع إلى أعداد الأسبوع في ذلك الوقت، كانت دامية وكانت مأساة. وكانت تنطق وتصرخ أننا لا نواجه انتخابات ولا وزارات ولا دولة. إنما نحن نواجه عصابة أيا كانت المسميات فيها.

***

إنني لا أقصد مصر فقط، بل أقصدها كمثل، لذلك فإنني أورد الواقعة الثانية من

المغرب، ليس لأن التعذيب في المغرب أكثر من مصر ولا لأن التزوير في مصر أكثر من المغرب، ذلك ليس صحيحا، لأن التزوير والتعذيب وما شابه تخضع لإدارات مركزية ليس لدي شك في أن قياداتها العليا تقبع في الموساد أو البنتاجون.

***

في المغرب.. أصدر ضابط المخابرات السابق أحمد بخاري كتابا عن «الأجهزة السرية في المغرب» وقد طبع الكتاب في الدار البيضاء عام ٢٠٠٣.يكشف المؤلف كيف أسس الموساد والـCIA جهاز الأمن المغربي.. وكيف اخترق النخبة المغربية كلها بسبب ذلك (أظن كل أجهزة الأمن في العالم العربي كذلك)..

ربما لذلك لم تعان أجهزة الأمن في عالمنا العربي أي انفصام بين مـ تؤمن به وبين ضمائر أفرادها كمواطنين في الأمة لهم عقائدهم وقيمهم.

تربت هذه الأجهزة منذ البداية بفلسفة صهيونية صليبية ضد دين أمتها، وضد دولها وأوطانها.. ولقد تناقضت طول الوقت مع كل شيء.. إلا شيئا واحدا: مصالح الصليبيين والصهاينة..

كان الدور الملقى على عاتقها هائلا: سلب روح الأمة.. وقد فعلوا..

***

ومع فضائح أجهزة الأمن في المغرب والجزائر إثر مذكرات واعترافات الضباط الهاربين إلى فرنسا بالجرائم التي ارتكبوها فاجأت المغرب العالم بالتلفاز المغربي يظهر بعض المواطنين على الشاشة لكي يتحدثوا في مشاهد تفاعلية حية وسط جمهور، عن التعذيب التي تعرضوا لها على أيدي أجهزة أمن الدولة.

يقول أحد المعتقلين:

« كنا نخاف من مسألة واحدة هو أن نجرح أو نصب بعطب في جسمنا وليس هناك دواء حيث أننا كنا نتمنى أن نموت على أن نجرح أو نعطب لأنه ليس هناك دواء. العقارب كانت موجودة بكثرة وكنا في الليل قبل أن ننام كنا نقول أنه علينا أن نركز على شيء واحد في رؤوسنا هي أنه علينا أن لا نتحرك أثناء النوم إذا ما عبر فوق أجسامنا أي

شيء لأن العقرب هكذا لن يلسعنا وكنا في أحلامنا كنا نحلم بأن العقارب تلدغنا. ضرب أحد الحراس أحد المختطفين بالمجرفة التي نحمل بها التراب ضربه بجزئها الحديدي ضربه على هذا الجزء من رأسه فجرح جبهته والعضمة التي تحمي العينين وجزء من وجهه ومن طبيعة الحال ليس هناك دواء ليس هناك طبيب وبالتالي تعفنت هذه المنطقة من وجهه إلى أن توفي. في الواقع الحالات التي مرت بي هي أنني أرى معتقلين يحتضرون هكذا طريحي الفراش في وضع منهك وقد بلغت بهم النحافة لدرجة لا تتصور إذ أن عظامهم البادية للعيان وكأنها عارية من أي لحم وقد قضوا نحبهم ومنهم على وجه الخصوص محمد الشيخ والذي لم يكن يتجاوز على أكثر تقدير سن ١٤ من العمر فقد أطلق صرخة مدوية يوم لفظ أنفاسه. من المسائل التي أخذنا نتفق عليها هي أنه يجب أن يعيش منا على الأقل واحد يجب أن نتحدى الموت ويعيش واحد حتى يخرج منا على الأقل واحد لكي يشهد ما عشناه وكانت إذن هذه هي من أصعب الفترات بحيث أنه كان هناك صراع ليس بيننا وبين الحراس كما كان من قبل ولكن صراع بيننا وبين الموت. يجب أن نحيى لكي نشهد بما عشناه لكي نقول للمغاربة نقول للملأ أن هناك أماكن حيث يدفنوا المغاربة لا لشيء ولا لسبب يذكر».

***

إنني أنبه القارئ أن أي محاولة لوصف التعذيب هي إهانة لضحاياه لأن الوصف لا يمكن أن يقارب الحقيقة كما أننا لا نستطيع أن نصوغ من الكلمات بلسما يداوي الجروح ويزيل الندوب.

كما أنبه القارئ إلى إدراك هذه الأجهزة الشيطانية ودراساتها الفائقة في كيفية تحطيم شخص (وبالتالي جماعة أو أمة) بإذلاله معنويا وجسديا.. فإن استعصى على التحطيم قتل..

فلسفة الأمن في مصر هي ذات فلسفته في سوريا والمغرب وتونس والرياض وتل أبيب – فقط للمسلمين- وأبي غريب وجوانتانامو بل وفي سجن يكون السجين فيه من المسلمين في أي بقعة في العالم..

نفس الفلسفة ونفس الفكر..

نفس الأساتذة ونفس التدريب..

نفس أدوات التعذيب ومستوردة من نفس البلاد.. (أليس غريبا رغم تغير الحكومات في العالم كله أنه لا توجد حكومة واحدة جاءت بعد ما يزعمون أنه تصحيح وإصلاح ودمقرطة.. أقول لم تأت حكومة واحدة تكشف مصادر استيراد أدوات التعذيب)..

تغيرت النظم من النقيض إلى النقيض .. وفضح كل نقيض نقيضه إلا في أجهزة التعذيب..

ذلك أن كل أجهزة الأمن في عالمنا العربي تنتمي إلى نفس المصادر ونفس الأساتذة ونفس التدريب.. بل ونفس الشيطان الذي يعبدونه من دون الله.

نعم.. نفس الفكر.. ونفس التدريب.. ونفس الشيطان يعبدون.

***

والآن ..لنعد إلى المغرب..

أخيرا يفرج عن أحد المعتقلين واسمه عبد الناصر حيث يروي قصته الدامية ليلة الإفراج عنه:

«أفرج عني.. ولم أُخبر أن كان والدي لازالوا أحياء أو ماتوا.. وإن كانوا لازالوا قاطنين في نفس المنزل أو غيروه. وصلت إلى المدينة وكانت الساعة حوالي الثالثة أو الرابعة فجرا. لا أستطيع ضبط الوقت. وأتيت إلى المنزل. وقفت في باب المنزل. وأخذت أتردد هل أطرق هذا الباب أم لا. هل لازالت أسرتي تسكن بهذا المنزل أم لا. وقررت أن أطرق الباب وأرى ما يمكن أن أراه. وكان هناك ثقب في الباب. وفكرت أن أطل من الثقب. وكان الوقت ليلا. كان الظلام. وكانت ليلة باردة جدا. فقد كانت يوم الثلاثين من ديسمبر سنة ١٩٨٤. وفعلا.. عندما فتح.. عندما أشعل الضوء من داخل المنزل.. رأيت فعلا امرأة قادمة من خلال الثقب.. أردت أن أنسحب كما فكرت.. ولكنني لم أستطع.. حيث أنني كنت أقدر أن أحرك كتفي وظهري ولكن رجلي شدت إلى الأرض كأنها دكتا

في الأرض لا أستطيع تحريكها.. وفتحت امرأة الباب وسألتني من أنت؟.. وهو أمر غريب جدا لأن هذه المرأة كانت هي والدتي ولكنني لم أتعرف عليها خلال تلك اللحظة رغم أن صورتها لم تفارقني طيلة التسع سنوات سواء في يقظتي أو في منامي.. وسألتني من أنت؟.. وبشكل غريب لا أفهمه لحد الآن أجبتها : أنني ابنك عبد الناصر.. وكان جوابها أن ليس لها ابن بهذا الاسم.. وأخذت ألح عليها أنني ابنها وأن عليها أن تتركني أدخل.. وكما قلت كانت الفترة ليلا.. وهذه المرأة التي يدق على بابها.. يطرق على بابها شخص لا تعرفه.. دخلت إلى المنزل وتركت الباب مفتوحا.. وذهبت توقظ إخوتي لتقول لهم استيقظوا فهناك في الباب شخص يقول أنه أخوكم.. كانت لحظة رهيبة صرت فيها لا أعرف.. أنا أتحدث مع امرأة على أنها والدتي.. وأنا لا أعرفها.. وهي تتحدث معي وهي تنكر إن كان لها ابن بهذا الاسم.. بطبيعة الحال لم استطع الوقوف في باب المنزل ودخلت.. وجدت إخوتي قد استيقظوا. لم يفهموا ما يقع. في تلك اللحظة خامرني شك في أن كل هذا مجرد تمثيلية.. حتى لا يقولوا لي نحن نرفضك لا نريدك.. وشعرت كأن سكينا انغرزت في داخلي.. وفكرت في أن أنسحب باعتبار أنهم لا يريدونني.. في تلك اللحظة الأخ الأكبر كأنه استفاق.. وارتمي عليّ.. وأخذ يقبلني.. وابتدأ البكاء..»

المصدر: قناة الجزيرة- يحكى أن -الأربعاء ٢٢/ ٨/ ١٤٢٥ هـ - الموافق ٦/ ١٠/ ٢٠٠٤ م

***

أما آن الأوان أن تستفيق الأمة ويبتدئ البكاء..

أما آن أن نئوب إليك يا رب..

أما آن لك أن تئوبي يا أمة لم تدافع عن دينها وهويتها كما كان يجب عليها..

أما آن للأمة أن تكتشف خديعتها بالبطاقات المزورة والهويات المدمرة حيث المؤذن حاخام والإمام قسيس وقائد الجيش جاسوس للأعداء.

***

ثمة مثل آخر آتيكم به هذه المرة من سوريا .

مثل يصب في نفس الاتجاه.. لكي يقتنع الناس أننا لا نرى ما يحدث بل نرى ما يمثلون علينا أنه يحدث.. وبالطبيعة لابد أن يكون فخ لاصطيادنا وشركا للإيقاع بنا.. وما دام فخا فلابد أن نكون فئران تجارب.. ولابد أن تكون التجارب التي يجرونها علينا لها هدف ما. لها توجيه ما.. ورغبة في أن نقتنع بشيء معين يصوغ وجداننا بطريقة معينة ويدفع عقولنا للتفكير بصورة معينة فيوجه عواطفنا وسلوكنا وقراراتنا.

و إنني أنبه القارئ مرة أخرى .. أنني أقصد بتعدد الاستشهادات من دول مختلفة أن أثبت نفس المرض وليس أمراضا متعددة.. ذلك أن نفس المرض يبدو بأعراض مختلفة في الأعضاء المختلفة.. فإذا غرتنا الظواهر وعالجنا الأعراض بدلا من المرض قتلنا مريضنا..

كما أقصد أن المؤامرة واحدة.. و أؤكد أن العلاج لا يمكن أن يتم على أساس قطري..

ولكن.. لننته من المثل السوري أولا..

لقد لاحظت العار الذي يحس به الناس بسبب الانسحاب المخزي للجيش السوري من لبنان بأمر أمريكي.

ولقد شعرت على المستوى الشخصي بهذا الخزي والعار.. شعرت به رغم أنني أدرك الحقيقة ربما لأنني أعرف أن بشار الأسد ليس مأزورا بآثام أبيه وجر ئمه..

وهو بالتأكيد عار وخزي.. لكن فهم التفاصيل كما حدثت قد يغير من وجهة نظرنا للأمر.. لأننا لم ننتقل من طهر إلى عهر بل كان العهر من قديم.

ولقد كنت أنا واحدا من ضحايا الخديعة ذات يوم، ليس بصورة كاملة، وكنت عندما أسمعهم ينتقدون السلوك الإجرامي لحافظ الأسد، أقول لنفسي: هو الوحيد الباقي ضد إسرائيل..هو آخر من بقي من جبهة الصمود والتصدي التي تحولت إلى جبهة الاستسلام والتردي.. فآثامه إذن كآثامهم لكن ليست لهم مزاياه.. وكنت أرفض المغالاة في الاتهام والمبالغة في الأرقام.. فهل يعقل مثلا أن يقصف الأسد الإخوان المسلمين في مدينة حماة بالطائرات ويسحق المدينة بالدبابات ليبلغ الشهداء واحد وثلاثون ألف قتيل والمفقودون خمسين ألف.. أما في تدمر .. ففي قبر واحد دفن ما يقارب من ألف عالم وداعية ..

كنت أرفض هذه المبالغات الفجة.. فكيف يحدث ذلك دون أن ينقلب العالم وتشتعل وكالات الأنباء وتنفجر منظمات حقوق الإنسان..

وكنت أعاتب الإسلاميين على تلك المبالغات قائلا: ما ضركم لو قلتم الحقيقة دون مبالغة.. لماذا لا تقولون الرقم الحقيقي.. ثلاثون مثلا.. أو حتى ثلاثمائة.. لكن.. ثلاثون ألفا..!!

لكنني اكتشفت بعد ذلك سذاجتي وفجاجتي أنا لا فجاجة المبالغات..

كان الصحافي البريطاني باتريك سيل – وهو بالنسبة لحافظ الأسد مثل أنتوني ناتنج بالنسبة لعبد الناصر.. واحد من أشد المعجبين به- هو الذي أكد هذه المعلومات في كتابه عن سيرة حافظ الأسد.. وذكر نفس الأرقام..

وربما كانت هذه القربة إلى الشيطان ما قدم الأسد إلى الغرب كي يظل في الحكم آمادا لم تتعودها سوريا..

كان خطئي في المنهج فادحا..

و إنني هنا أستدرك قبل أن يظن قارئ أنني كنت ضد دخول الجيش السوري إلى لبنان.. أو أنني ضد تحرير لبنان. لأنني مع تحرير سوريا ولبنان والعالم الإسلامي كله.. كما أنني أدرك أن الجيوش الوطنية قد تحولت إلى جيوش احتلال تحارب الدين والأمة.. أقولها وقلبي يقطر دما.. أقولها وقد كنت مستعدا طول عمري أن أحمل على رأسي حذاء أي جندي بشرط أن يكون مجاهدا في سبيل الله.. أقولها أن جيوشنا تحولت إلى جيوش احتلال لبلادنا.. فالجيش المصري يحتل مصر.. والجيش السوري يحتل سوريا – وليس لبنان- والجيش السعودي يحتل مهبط الرسالة ونبع النور والهداية... وهكذا وهكذا وهكذا.. بل إن جيش الاحتلال المحلي عادة ما يكون أكثر قسوة و إجراما من جيش الاحتلال الأجنبي الذي تضبطه ولو في الظاهر قوانين بلاده أو على الأقل المناورات السياسية بين أحزاب مختلفة كل منها يريد أن يلوث الآخر كي يصل إلى الحكم على حسابه.. وحتى هذه ليست في بلادنا.. فالقانون تحت نعال الحكام الذين يحميهم الجيش.

أقول أن الأصل في العالم الإسلامي دولة واحدة.. وأن الأمة تريد ذلك.. يمنعها حكام خونة تحرسهم جيوش خائنة ويبرر لهم كتاب ميامس.. وفي هذا الإطار فإنني مع الوحدة ولو بالقوة.

***

والآن لنعد إلى كيفية دخول الجيش السوري إلى لبنان لنحسب كمّ الخزي في خروجه المهين.

وفي أواخر سنة ١٩٧٥ دخل الجيش السوري إلى لبنان وكان المتصور أنه دخل ليوقف انهيار الأمور في لبنان خوفا من تدخل إسرائيل و أمريكا. وكان و ضحا حتى أيامها أنه دخل ليقف مع الموارنة ضد الفلسطينيين والدروز والسنة والشيعة.. وكان ميزان القوي يميل بشكل حاسم في صف المسلمين، حتى قيل أنه لو تأخر التدخل السوري يوما واحدا لتم القضاء على الموارنة.

وكان تدخله لصالح الموارنة ضد المسلمين غصة في القلب لكن أجهزة الإعلام زفت الأمر إلينا كما لو كانت ضريبة الدم التي تحمي الكيان اللبناني الهش من الانهيار.. وكأنك كأنما تلجأ إلى ضرب ابنك بشراسة و قسوة كي لا يندفع الآخرون إلى قتله.. ولم يخفف ذلك من مرارة القرار لكنه ساعدنا – وسط افتقاد منهج إسلامي – على تقبله..

ولنكن صرحاء.. فإن قسما كبيرا من الموارنة في لبنان لا يخفي هويته الصهيونية الأمريكية بل إن بعضهم أشد عداوة للمسلمين والعرب.. وهم يحملون من خلال المنهج الشيطاني ذات الصفات الخسيسة التي خبرناها في اليهود دائما.. وفي بعض المسيحيين.. كما حدث من بعض النصارى المصريين مؤخرا في قضية وفاء قسطنطين.. حيث لجئوا إلى الكذب .. ثم المبالغة في الكذب.. ثم الابتزاز بالكذب.. ثم مهجمة من يكشف هذا الكذب والادعاء عليه واتهامه بالكذب.. ثم المطالبة بتكميمه وسحقه لأنه إرهابي ويضطهد الأقباط.. وهذا الكذب لم يتورط فيه الأوباش – كالكمالين : خليل وغبريال– أو الصعاليك الذين يجمعونهم للتظاهر في الكنائس بل السادة والزعماء والرؤساء.. واستقووا بالخارج بالكذب.. وحصلوا على ما يريدون بالكذب.. ثم راحوا يواصلون

بالكذب ادعاء أنهم مظلومون مغبونون.. ويطالبون المسلمين بالإنصاف والاعتذار.

منهج شيطان..

منهج شيطان اسمه ليس إبليس و إنما جورج بوش اعتبر محمد الدرة و إيمان حجو إرهابيين واعتبر شارون بطل سلام.

منهج قذر خسيس وحشي همجي رخيص..

ولقد كان هذا المنهج بنفسه هو منهج إسرائيل في سرقة وطن ومحاولة اغتيال شعب.. ثم بعد هذا يكون اللص المجرم الفاجر – إسرائيل- متحضرا ويكون الشعب المقاوم إرهابيا وهمجيا ومطالبا بالتوقف عن المقاومة والاعتذار.

قيل أيامها أن السذاجة السياسية هي التي دفعت المسلمين لحصار الموارنة ووضعهم في هذا المأزق.. لأن النتيجة سوف تكون تدخلا أمريكيا أو إسرائيليا.

من الطرف الآخر كان هناك من يقول أن التركيبة الطائفية في لبنان تركيبة مزورة بناء على استفتاءات مزورة أظهرت أن الموارنة يتمتعون بالأغلبية العددية ولذلك فإن من حقهم رئاسة الجمهورية.. بينما الواقع يؤكد أن تعداد المارونيين لا يتجاوز ٣٠٪ من اللبنانيين.. لذلك قر قرار التحالف الإسلامي بعد هزيمة المارون على ترشيح كمال جنبلاط رئيسا للجمهورية.

دخل الجيش السوري إلى لبنان..

ثم تم اغتيال كمال جنبلاط..

وتم تكريس الطائفية كما كانت.

وتم تبرير مذابح كمذبحة تل الزعتر ومذابح ومجازر أخرى شملت جميع المسلمين في لبنان بأنها حكمة الزعيم السوري الملهم الذي شاءت حكمته أن يكون هو منقذ المارون بدلا من أن يلتجئوا إلى أمريكا أو إسرائيل..(التجئوا بعد ذلك إلى أمريكا و إسرائيل.. وخانوا وكونوا جيشا وذبحوا الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا.. ولم يمنعهم الجيش السوري من ذلك كله)..

تم أيضا تزوير الوقائع والأحداث فبدا أن الجيش السوري دخل إلى لبنان بطلب من مؤتمر القمة العربية..

وتم أيضا تزوير الوقائع ليبدو الوجود السوري في لبنان طيلة الأعوام الماضية تحديا لأمريكا و إسرائيل وانتصارا للعروبة.. بل وبلغت عملية استغفالنا أن بدت أمريكا ضائقة عاجزة حائرة لا تدرك كيف تواجه الزعيم العربي الملهم (نفس الشيء حدث قبل ذلك مع الأسد الأب وعبد الناصرَ وصدام)..

لكن..

ألا يختلف الأمر لو ثبت أن الجيش السوري عندما دخل إلى لبنان إنما دخل بطلب أمريكي!!

ألا يختلف حين ندرك أنه حين دخل كان ذلك لمصلحة موارنة لبنان وضد مصلحة المسلمين .. وأنه حينذاك أُمرَ أن يدخل فدخل.. ثم تغيرت الأمور بعد أن تم سحق جزء كبير من الأمة الإسلامية و أصبحت مصلحة الموارنة في خروج جيش سوريا فأُمر أن يخرج فخرج.. و أن سوريا لم تكن عزيزة في الدخول ذليلة في الخروج بل كانت في الحالتين ذليلة..

فلنرجع إذن إلى كتاب أحمد بهاء الدين: « محاوراتي مع السادات» ولنقرأ فيه:

«.. كان تقديري أن هذه الدول المقترحة لديها قوة ضغط كافية على الفئات المتحاربة في لبنان وقلت له (يعنى للسادات) : إن فلسطين ضاعت وأخشى أن تستفيد إسرائيل من الموقف وتضيع لبنان، وكيف يمكن للرأي العام العربي أن يصدق أن زعماءه قادرون على إعادة الأراضي المحتلة إذا كانوا غير قادرين على منع ضياع لبنان ؟ وأن الضغط على كميل شمعون أو كمال جنبلاط أصعب من الضغط على جولدا مائير.

وظل السادات يحاورني طويلا في هذا الأمر وأنا ألح عليه بمداومة الجدل بشكل غير مألوف حتى قال لي كأنه ضاق ذرعا:

- طيب .. مادام بتلح كده . . أحب أقولك إن الموضوع حسم !

- إزاى يا ريس ؟

- الجيش السوري سيدخل لبنان خلال ٤٨ ساعة !

- مستحيل يا ريس ! والوضع الداخلي؟ ورد فعل إسرائيل ؟

- جيرالد فورد (الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت وكان وزير خارجيته هو كيسنجر أيضا) طلب من حافظ الأسد أن يدخل الجيش السوري لبنان لإنقاذ الموقف » لأنه لا يوجد حل آخر وحتى لا يحدث رد فعل إسرائيلي يلخبط الدنيا!!.

- وعلى أي أساس سيتم هذا الدخول ؟

- رتبت أمريكا مع سليمان فرنجية أنه كرئيس للدولة يطلب القوات السورية. . وأمريكا أبلغت إسرائيل وأبلغت الأردن بما سوف يحدث حتى لا يفهم أحد دخول الجيش السوري على غير حقيقته؟!

وعندما كررت دهشتي وارتيابي قال لي:

- أنت قاعد معانا في مصر لحد إمتى؟!!.

- لآخر الأسبوع.

- طيب إذا لم يدخل الجيش السوري لبنان بعد ٤٨ ساعة تعالى إلى هنا في البيت بدون موعد وحاسبني على هذا الكلام!!.

***

وفى السطر التالي مباشرة يردف أحمد بهاء الدين بفصل الخطاب فيقول:

وبعد ٤٨ ساعة دخل الجيش السوري لبنان !!.

آآآآه..

تم دخول الجيش السوري إلى لبنان بأمر أمريكي.. فلا تلطموا الخدود يا ثكالى إذ ينسحب مخذولا مدحورا لأنه ينسحب بأمر أمريكي كما دخل بأمر أمريكي. وفي الحالين كان يخدم مخططا أمريكيا ضد الإسلام والمسلمين.

في عام ١٩٨٠ أصدرت الحكومة السورية القانون ٤٩ لعام ١٩٨٠ القاضي بإعدام كل

من ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين.

لعل أمريكا ترضى..

وقد رضيت..

أليس كثيرا أن يمتد رضاؤها ثلاثين عاما.. وأن تبلغ درجة الرضا توريث الحكم.. فلماذا نغضب إذن إذا غير الواهب وصيته واسترد صاحب الوديعة وديعته..

ألتاع فالتاعوا معي..

أصرخ فاصرخوا معي..

يا للأحلام المهدرة والشرف المسفوح والارتياع دون سبب للارتياع والمفاجأة دون سبب للمفاجأة..

أتذكر بيت شعر للعقاد -غفر الله له - عندما أحب امرأة وتعذب وجدا ورغبة في وصال لم يجرؤ على البوح به.. ليكتشف أن المرأة داعرة تبيع نفسها لمن يدفع الثمن.. وعندما يواجهها في ثورة صاخبة ترد عليه في دهشة عاتبة: لكنك لم تطلب.. ولو طلبتني لمنحتك ما تريد مني.. فإذا بالعقاد يقول بيت شعر من أعذب ما قال:

فإن كان لا بد للكاس والطلا .. ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي!!

***

أردت قط أن أضرب هذه الأمثلة قبل أن أناقش نوع الإصلاح ونوع البدائل وحجم الطوفان الذي نواجهه.

طوفان أحد منابعه تزييف التاريخ، و أحد منابعه تجهيل الناس ونشر السطحية والجهل والفساد ومحاصرة المثل الأعلى، و أحد منابعه الجرأة على الدين، و أحد منابعه نشر مساوئ الأخلاق والترويج لها كمكارم، و أحد منابعه الفخر بالفحشة، و أحد منابعه استمراء الكذب، و أحد منابعه طمس الهوية، و أحد منابعه تولية السفهاء وسجن العظماء، و أحد منابعه سيطرة زوجات الحكام على الحكم، و أحد منابعه استخلاف الأبناء، و أحد منابعه التزوير، وأحد منابعه التلفيق، و أحد منابعه اصطناع كلاب بشرية

مهمتها التعذيب، و أحد منابعه تحول النيابة العامة إلى قطاع من الشرطة، و أحد منابعه فساد القضاء و إفساده..و أحد منابعه أن يكون الكتاب من أتباع مسيلمة.. و..و..و..

طوفان ألغى الثوابت فإذا أحد منابعه أيضا الصحف وما تنشره من أكاذيب أو من كلمات حق يراد بها باطل..

ثمة صحف كالشرق الأوسط والحياة وعشرات الصحف الأخرى تكاد تكون أبواقا للمخابرات الأمريكية والموساد..

لقد فعلها اللورد كرومر بذكاء شيطاني ذات يوم، حين ساعد بطرق مباشرة و غير مباشرة على إصدار ثلاثمائة صحيفة في مصر، تكفلت بإغراق الأمة في الدوار، فكل الآراء مطروحة، وكل الاحتمالات ممكنة، وكل الممكنات محتملة، لكن ذلك كله يحدث في وسط مرسوم جيدا و إلا أفلتت السيطرة. ذلك أن الهوية الإسلامية والوطنية كانت قد طعنت في الصميم، وكانت القيادات الفكرية قد استؤصلت، واصطنعت قيادات غيرها على منهج كرومر، ثم كان نشر الفساد والانحلال، وتسليط بعض ضعاف النفوس من النصارى ، وبعد هذا كله وبسببه كله أصبح الناس الذين تعرض عليهم كل يوم ألف فكرة غير قادرين على الإيمان بأي فكرة ، والأخطر أنهم أيضا غير قادرين على رفض أي فكرة.

ما فعله كرومر والبريطانيين فعل الأمريكيون أضعافه.. لذلك فإن حيرة الناس أكثر ودوارهم أشد.

ولنستمع إليهم بعد أن فعلوه ماذا يقولون عنا:

«اتهمت صحيفة »الواشنطن بوست« في افتتاحيتها الصحافة المصرية بأنها تعمل بالأوامر! ! وقالت إنها تستعد لخوض موجة جديدة من الحملات المضادة لأمريكا! ووصلت وقاحة الصحيفة إلي حد وصف قيادات الصحافة المصرية بأنهم أغبياء ومرتزقة!! كما تطاولت الصحيفة علي رجال القضاء في مصر ووصفتهم بأنهم »عملاء« للنظام المصري الحاكم» القدس العربي ١٦-٣.

هل يتطاول الأمريكيون علينا أم يعرفون من حقائق أحوالنا أكثر مما نعرف.. وهل نستطيع إن كنا نخاف الله تكذيبهم..

ولكن..

فلندعم شهادة الأمريكيين بشهادة محلية من كتاب شكل فضيحة للوسط الثقافي كله..

كتاب كتبه مدير مكتب وزير الثقافة ومستشار التحرير في صحيفة القاهرة. والكتاب بعنوان: «مثقفون تحت الطلب» وقد كتبه الرجل بعد اختلافه مع الوزير، وطرح الكتاب في السوق يوما واحدا، ثم سحب منه، و أظن أن الأمن لم يسحبه.. و إنما سحبه من فضحهم الكتاب. وربما المؤلف نفسه . خاصة أن الوزير لم يرتدع من نشر الكتاب.. بل رد على الابتزاز بنشر خطابات من محمد عبد الواحد له تظهر مزيجا من العلاقة الحميمة والعاطفة المتأججة ما بين العتاب وما بين الغضب بين الوزير ومدير مكتبه ثم الابتزاز المالي من الصحفي الوسيم للوزير الأشد وسامة، والذي كشفه الخطابات التي أظهرها الوزير.

يؤكد الكاتب أن أغلب رموز المثقفين المصريين توجد لهم علاقة بالسلطة، وأن «ما نراه من مواقف مكتوبة لا يعبر عن حقيقة ما يتشدقون به ويذكر بنظرية فاروق حسني الشهيرة التي تقول إنّ المثقف نوعان: واحد يُشترى بعشوة وسفرة، وآخر تدفع فيه ١٠ آلاف جنيه ليس أكثر؟ كما كشف الكتاب حقيقة أن معظم المثقفين المصريين لديهم الاستعداد للعمل كخدم في بلاط الوزير بما فيهم الذين هاجموه من قبل..

ويحمل غلاف الكتاب صورة لوزير الثقافة في صورة مايسترو يقود المثقفين وهم جميعا متشابهون ورؤوسهم فارغة ، أما الغلاف الخلفي فيحمل قصيدة عامية سبق نشرها في صحيفة «القاهرة» والقصيدة – مجازا – تشكل غزلا جنسيا صريحا في سيادة الوزير الهمام الذي يعتبر اختياره والإبقاء عليه من أهم إنحازات السيد الرئيس حسني مبارك:

تقول بعض كلمات القصيدة – أستغفر الله العظيم– للسيد الوزير :

زي لغم قابض على الرجلين..

حبستني جوه البرواز..

كتفتني..

حللتني..

بالضبط زي الأرض ما بتملك الميتين..

طلعني يا فنان!!

***

آسف لن أعلق..

يخجلني أن أعلق..!!

***

يلخص محمد عبد الواحد رأيه في المثقفين من خلال علاقتهم بالوزير بقوله أن الثقافة المصرية في عهد الوزير لغز ومادة خصبة للكتابة والكذب والحقيقة.وأن من الأسماء التي يستخدمها الوزير أو يستخدمون أنفسهم للوزير جابر عصفور والأبنودي وعز الدين نجيب وسيد خميس وصلاح عيسي وغيرهم.. إن راتب جابر عصفور يزيد على ١٢ ألف جنيه شهريا وإنه ناقد أدبي جيد في رأي الوزير، غير أن له أغراضًا سياسية ظهرت بعد دخوله المجلس القومي للمرأة وإنه استغل منصبه أفضل استغلال بما يتيح له فتح أماكن للكتابة في المجلات العربية الكويتية وغيرها مثل «مجلة العربي» والحياة اللندنية.

يتمتع صلاح عيسى بأكبر قدر من الفضح والإدانة..

ويتحدث الكاتب عن موقف عبد الله السناوي رئيس تحرير العربي و أنه أقام معه علاقة حيث كانت صحيفته تهاجم الوزير بضراوة .. وتوالت إعلانات الوزارة على العربي وموافقة الوزير على مئات من طلبات التعيين لأصدقاء السناوي الذي اشتكى الوزير منه له عشرات المرات وضاق ذرعا بكثرة طلبات السناوي الذي انتقل - كما يشير الكتاب - إلي مثقفي التبرير والتجميل، حيث كانت «العربي الناصري» التي كانت تهاجم الوزير بضراوة قد انتقلت إلي المهادنة .

ولم أفاجأ بموقف عبد الله السناوي لأنني أدرك أبعاد القوميين الآن و أنهم لا يملكون إلا

حناجر صارخة للإيهام بقوتهم في الشارع، لأنهم يحصلون على ثمن هذه القوة المزعومة.

أقول أن ما فوجئت به ليس موقفه السياسي والاجتماعي ولا حتى المالي..

وإنما ما فاجأني هو أنه في مرحلة من مراحل الغضب والعتاب والبعد ثم القرب بين الوزير ومدير مكتبه.. منح عبد الله السناوي محمد عبد الواحد عمودا يكتب فيه في صحيفته، ولم يكن العمود ما أذهلني و إنما مهاتفته الوزير ليخبره أن مدير مكتبه قد لجأ إليه – السناوي – لجوءا سياسيا.. فإذا بالوزير يعلق ضاحكا:

- لجوء سياسي ماشي.. لجوء عاطفي لأ!!..

ذهلت..

يا إلهي.. لجوء سياسي ماشي.. لجوء عاطفي لأ!!.. ما معنى هذا..

***

تعلق صحيفة آفاق عربية – ٣ مارس–على الكتاب بقولها:

- الكتاب ٤٠٠ صفحة وفيه سيرة أسماء كثيرة من المثقفين وعلاقتهم بالوزير أمثال صلاح عناني – الأبنودي– سمير سرحان –رجاء النقاش – حلمي سالم– العويضي – ساويرس - مجدي مهنا - عادل حمودة – نجم – خيري شلبي – عز الدين نجيب – سلوى بكر وآخرين واغرب ما شدني في هذا الكتاب أن معظم المثقفين المصريين لديهم الاستعداد للعمل كخدم في بلاط الوزير حتى الذين هاجموه من قبل وأن الوزير استطاع بخبرته الأمنية الانتقام منهم حينما واجهوه بحملة عاتية من الرفض إبان تعيينه وزيرا منذ١٨ عاما وقد أسر معظمهم في حظيرته كما يحب أن يقول دائما.

***

لقد أعطينا مثلا على التزوير في مصر، ومثلا على التعذيب من المغرب، ومثلا على الدجل السياسي من سوريا، ثم مثلا علي المثقفين الميامس الخدم في مصر.

***

والآن لنستعرض نموذجا لنوع الرؤساء الذين تريدهم أمريكا.. نموذج يمثله الفاسق

المجرم جلال طالباني رئيس العراق.. واستعراض هذا المثل هنا ضروري جدا.. لأنه سيكون أشبه بعلامة الطريق على الاتجاه الذي تريد منا أمريكا السير فيه.. أو أشبه بالنموذج أو الموديل الذي على الجميع احتذائه..

وليس ذلك فقط..

لأن اتجاه هذا الطريق سيدلنا على نوع التنافس والتصارع بين مبارك وبدائله.. تصارع وتنافس من يعرفون الإجابات النموذجية للامتحان فيتصارعون ويتنافسون على تطبيقها للحصول على أعلى الدرجات ثم الفوز.

سيكون عليهم أن يصلوا إلى درجة الانحطاط والسفالة التي بلغها رئيس جمهورية العراق حين قال منذ ثلاثين عاما:

«متى نعيد لمحمد أوراقه الصفراء التي أتى بها على جمل أجرب»

السبيل الأردنية بتاريخ: ٠٦/ ٠١/ ٢٠٠٤ د. أحمد نوفل

طالباني.. الرجل الذي لا مبادئ له ولا ثوابت عنده .. الرجل الذي كتب عنه الأستاذ طلال سلمان في (السفير) منتصف التسعينات مقالة ذائعة الصيت عنوانها (الكردي التائه) قال فيها: إنه يتلون حسب الظروف والمواسم، تجده كردياً يزايد علي ملا مصطفي، وشيعياً ينافس الخميني، وناصرياً يسابق عبد الناصر، وبعثياً يتفوق علي ميشيل عفلق، وصهيونياً يجادل شيمون بيريز.

لعلنا نذكر ذلك الصحافي العميل الذي ملأ الدنيا حديثا عن النعوش الطائرة وعن صدام الذي ادعى الألوهية واختار لنفسه تسعة وتسعين اسما.. بل ونشرت صحيفته هذه الأسماء رامية صدام حسين بالكفر..

هذا الكلب الذي يقتني سيارة فاخرة هدية من صدام.. هذا الكلب لم يطلق نبحة واحدة على الكافر المرتد جلال طالباني الذي سب الرسول هذا السباب الفاحش حتى ليرى معظم الفقهاء أن يقتله ولي الأمر دون استتابة..

الصحافي العميل لم يطلق نبحة واحدة..

والآن ينعقد المزاد..

فليأت الأصل ولتعرض البدائل نفسها.. كعرض الجواري والنخاسين للعبيد..

من يزور أكثر من مصر ويعذب أكثر من المغرب ويشعوذ أكثر من سوريا ويتعهر أكثر ممن يتعهر من الكتاب..

من..!!

من يستطيع أن يزايد أكثر و أن يخفي حقيقته على الناس أكثر.. فيبيع مدعيا أنه يضحي.. ويخون خادعا بأنه يفدي.. ويسرق مدعيا أنه يعطي.. ويزني مدعيا أنه يصلي؟

الآن ينعقد المزاد..

من يكفر أكثر من طالباني؟

من يتسفل أكثر منه؟

من.. من .. من..

رفعت السعيد أم نعمان جمعة أم أيمن نور.. أم.. أم.. أم:. وهل سيرشح مبارك نفسه على هذه المبادئ..

انعقد المزاد.. ومن المفاجآت التي تسحق القلب أن هيكل كان حاضرا فيه..

كان حاضرا.. لا كمتنافس بل كمؤرخ وصديق لطالباني .. طاباني الذي عبر عن نفسه في نفس الوقت الذي يذكره فيه هيكل بقوله: «متى نعيد لمحمد أوراقه الصفراء التي أتى بها على جمل أجرب» ..

يقول هيكل في حلقة مذاعة على قناة الجزيرة في ١٩-٨-٢٠٠٤:

أنا بعرف مثلا واحد زي جلال طالباني، جلال طالباني كان صديقي وهو موجود في القاهرة وأنا كنت مسؤول عن ولاده لما اضطر يسافر.

إنه لا يعرفه فقط.. إنه صديقه.. وليس صديقا عاديا.. بل بلغت الصداقة مرحلة أن يوصيه بأبنائه إذا ما حدث له شيء.

لم تنته الحكاية..

لأننا هنا نسأل وكلنا ارتياب.. ما الذي جعل محمد حسنين هيكل يدفع جلال طالباني إلى صدارة حديثه في قناة الجزيرة..

هل كان يعرف شيئا ما؟..

هل كان الأمر صدفة؟..

هل طلب منه أن يذكر اسم جلال طالباني دون أن يقال له لماذا..

المصادفة العجيبة أن من يذكره هيكل على قناة الجزيرة منوها أنه صديقه يأتي رئيسا للجمهورية في أقل من عام..

لكن المصادفة الأكثر مدعاة للعجب أن يفعل جمال الغيطاني نفس الشيء ليصدر في أخبار الأدب ملفا خاصا عن جلال طالباني في العدد ٥٨٩ ـ تاريخ ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٤.. رغم أن الغيطاني لم يشتهر بالتنبؤ ولا بالكهانة.. إنه يرسل لطالباني واحدا من كتاب روايات العهر السافلة التي صادرتها وزارة الثقافة _ تصوروا- ليكتب عنه كلاما لا يجوز إلا على الصديقين، ثم أن جمال الغيطاني يكتب بنفسه افتتاحية العدد مقدما للملف، مشيرا إلى اللقاء الذي جرى في أوائل الستينات بين الزعيم الكردي جلال طالباني، والرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر وكيف أن هذا الأخير عامل طالباني معاملة خاصة ومتميزة، وفي أماكن أخري من الملف تتضح لنا واقعة مذهلة في ضراوتها.. لقد كان جمال عبد الناصر أول من أعطى السلاح للأكراد ليبدءوا المقاومة المسلحة ضد الحكومة العراقية.. فإذا أضفنا هذه الكارثة لكارثة أخرى ذكرتها في مقالة سابقة عن أن جمال عبد الناصر كان أول من سلح الوثنيين والنصارى في جنوب السودان ليبدءوا المقاومة المسلحة ضد الشمال المسلم الذي تعاطف مع الإخوان المسلمين في مصر ومع محمد نجيب فرفض الوحدة مع مصر تحت طغيان العسكر.. إذا أضفنا هذه لتلك برح الخفاء وسقطت أوراق التوت..

لماذا فعل جمال الغيطاني ما فعل؟؟..

وما علاقة أخبار الأدب بطالباني؟؟

أم أن الأمر يتعلق بالمخابرات؟!!

ولتقرءوا معي جملة في التحقيق .. جملة تأتي في ملف أخبار الأدب تمزق الستر على العورات القبيحة.. يقول مراسل أخبار الأدب إلى طالباني:

... لدينا صورة لامرأة مقتولة بسكين في ظهرها، والجنود يلعبون الورق عليها!! هل ثمة صورة أقسى من هذه؟؟ وأين كانت تلك الأصوات ـ التي تحرم، الآن، على الكرد الترحيب بالأمريكي المحرر ـ حينما كان صدام يقوم بهذه البشاعات والفظاعات؟؟؟..

الموضوع كله كان إذن كان تزيينا للباطل كما يزين القواد الزنا لبغي.. ولكي يصبح الأمريكي محررا والمقاوم إرهابيا وجلال طالباني في النهاية رئيسا.. أما كل من ذكرت فلكل منه وظيفته ودوره في دولاب المخابرات الأمريكية والإسرائيلية.

نعم..

جمال عبد الناصر.. هيكل.. الغيطاني.. طالباني..

والحلقات تكتشف والسر يخرج من مخبئه..

نعم .. هيكل يقدم لنا جلال طالباني منذ عام..

وهيكل ليس ساذجا ولا غرا.. وهو لا يلقي الكلام على عواهنه.. ولا يقوله اعتباطا..

لقد كان هيكل مع طالباني في لقائه مع عبد الناصر عام ٦٣.. ومن المؤكد أنه اطلع – إن لم يكن قد توسط – في تسليح الأكراد للثورة على نظام الحكم في العراق.

لم يكن الأمر جديدا..

ففي عهد الرئيس جمال عبد الناصر تأسست إذاعة كردية في القاهرة في بدايات عام ١٩٥٨ والتي لعبت دوراً هاماً في توعية وتعبئة الجماهير الكردستانية.

يا إلهي..

قومية عربية ..

ويثير غير العرب على العرب..

الوثنيون والنصارى في جنوب السودان.. والأكراد في العراق.. أما المصادفة السعيدة فهي أن من ساعدهما عبد الناصر منذ نصف قرن.. أحدهما: الملحد عينته رئيسا للعراق.. والآخر.. الصليبي التبشيري أصبح – بفضل أمريكا- نائب رئيس السودان و أعلن أنه سيرشح نفسه لرئاسة الجمهورية في السودان..

ثم يأتي خنزير مصري يعيش في أمريكا يطالب بانتهاز الفرصة وترشيح رئيس قبطي لمصر منوها أنه منذ عشرة أعوام فقط كان المستحيل بعينه أن يكون طالباني رئيسا للعراق أو جارانج مرشحا للرئاسة في السودان فلماذا لا نتخيل بعد عدة أعوام مواتية أن يكون رئيس مصر قبطيا.

لا يقتصر الأمر على ذلك..

لأن على القارئ أن يربط بين الإشارات هنا وهناك كي تكتمل الصورة أمامه..

ولعل القارئ يذكر ما كتبته في مقال سابق حين وصلت صحيفة العربي – لا غفر الله لها – إلى ذروة نشوتها عندما استنطقت الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح – غفر الله له وهداه- لتحصل منه على اعتراف ما أنزل الله به من سلطان..

اعتراف بجواز أن يكون رئيس مصر مسيحيا..

ولعل القارئ يذكر أنني علقت أيامها أن العربي ليس لديها أي بأس أن يكون الرئيس المصري مسيحيا لكن كل الكوارث ستحدق لو كان هذا الرئيس مسلما.

ثم يأتي من ينكر أن ثورة يوليو كانت أمريكية!!..

***

ما أريد أن أقوله الآن.. و أعيده .. و أكرره.. و أؤكد عليه.. أن التغيير كله يسير في عكس الاتجاه الصحيح.. و أن التغيير الحقيقي يجب أن يكون عكس الاتجاه المطروح تماما.. و أن أي محاولة للمناورة مقضي عليها بالهزيمة و أنه ما من سبيل أمامنا سوى الإسلام المجاهد..

نعم..

المطروح أمامنا كله عمالة وخيانة و إن اختلفت اللافتات والستائر والحجب ووسائل الإخفاء والتمويه.

لقد سمعنا على سبيل المثال ما قاله الرئيس مبارك من أن جهات أجنبية قد دفعت سبعين مليون دولار لتمويل الانتخابات القادمة..

ولست أشك مطلقا في صحة ما يقوله الرتيس مبارك..

وهو صادق بلا شك..

لكن ما أشك فيه هو صحة الرقم.. إذ ربما كان هذا الرقم سبعمائة مليون أو أكثر..

وليس هناك أيضا من أبرئه من اتهام مبارك المنقض والمحلق فوق الرؤوس والذي لم يحدد حزبا معينا كي يصب عليه اتهامه مما يجعل جميع الأحزاب متهمة فما من حزب محصن وما من قيادة فوق مستوى الشبهات. صحيح أن الرئيس كان يقصد حزب الغد ورئيسه أيمن نور الذي انقض عليه انقضاض الموت والخراب والشؤم من حيث لا يحتسب من بعد ربع قرن لم ير فيه منافسا، والأنكى والأشد أن شعبية أيمن نور تزداد و أن الغرب يؤيده، فثمة احتمالات إذن أن يحدث للرئيس ما حدث للشاة، وربما ما حدث لنورويجا، وهناك احتمال إذن أن يحدث لعائلته و أبنائه ما حدث لأهل الأسير صدام حسين – فك الله أسره. من المحتمل أيضا أن يحدث في مصر ما حدث في أوكرانيا وجورجيا وقيرغيزيا حيث تمكنت الشعوب من الإطاحة بالحكام الطغاة بوسائل مختلفة.

***

ولقد لمحت الرئيس مبارك – دون سابق قصد أو ترصد – فرأيت صورة العجز والخوف والانكسار على وجهه.. ولقد تحولت مشاعري تجاهه من دهر تمنيت فيه رحيله إلى دهر تمنيت فيه عدم رحيله بل محاكمته[1] ليعترف بها سببه للأمة من كوارث وما ارتكب في حقها من موبقات آخرها جريمة لم يرتكبها من حكام المسلمين عبر التاريخ إلا واحد..

(١) مرة أخرى أذكر القارئ أن هذا المقال نشر في يوليو ٢٠٠٨.

ألا وهي رد المؤمنات و إرجاعهن إِلَى الْكُفَّارِ: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾

نعم..

رد المؤمنات آخر مخازيه التي لا يحصيها عد.

وهي جريمة لم يرتكبها قبله إلا واحد انتهي بها يستحق.. بالموت والخراب كما يخبرنا الشيخ محمد الغزالي في كتابه: قذائف الحق :

« بعد ضياع الأندلس تطلع الأسبان المسيحيون لاحتلال المغرب. وانتهز ملك قشتالة « فرديناد » الثالث أن « إدريس أبو العلا المأمون » طلب مساعدته على استعادة ملكه في المغرب، فأمده بجيش من اثني عشر ألف جندي مسيحي، وذلك مقابل الشروط الآتية التي التزم بها المأمون:

١ . أن يعطى المأمون لفرديناد قواعد يختارها ملك قشتالة.

٢ . إذا فتح المأمون مدينة مراكش وجب عليه بناء كنيسة للمسيحيين.

٣. للجنود الأسبان حق المجاهرة بشعائر دينهم، وأن يضربوا النواقيس لمناداة المصلين معهم.

٤ . إذا أراد بعض المسيحيين أن يسلم لا يسمح له بذلك ويتم تسليمه إلى النصارى كي يطبقوا عليه أحكامهم.

٥ . وإذا أراد بعض المسلمين أن يتنصر لم يتعرض له أحد !!

هذه الحادثة التاريخية تبين كيف أن تهافت بعض الرؤساء على السلطة جعلهم يقبلون مثل هذا الشروط.. على أن هذا « المأمون » قضى عليه آخر الأمر، وأمكن طرد الجنود النصارى الذين استجلبهم، فلم ير في المغرب بعد ذلك مسيحي.

***

لا يمكن إذن أن يأتي تغيير حقيقي على يد مبارك.. فالمطروح هو العكس..

إنهم يطلبون منه أكثر.. وهو لم يعد لديه ما يمكن أن يقدمه.. كما أن اتهاماته للآخرين

بالعمالة والتمويل الأجنبي لا يمكن أن تخدع أحدا.. فأي اتهام من هذا النوع سوف يكون له شخصيا قصب السبق فيه.. ولكي نتجنب المحاذير دعنا من مسميات العمالة والخيانة.. وبعد ذلك – مع ملاحظة تغيير المسميات – فليس مطروحا في الساحة من هو أقرب لأمريكا من مبارك ولا من هو أشد منه وفاء لها.. إنه بتعبير الكاتب محمد عبد الحكيم دياب في صحيفة القدس العربي (٢٦-٣) مستعد، في سبيل البقاء في الحكم، لما هو أكثر من الاستسلام والتفريط..

نعم.. في الأعوام الماضية كنت أتمنى محاكمته والحصول على اعترافاته..

لكن يبدو الآن أن هذه المحاكمة ستكون أمريكية.. لذلك أتراجع ولا أملك إلا ما قاله امرؤ القيس عندما بلغه قتل أبيه (ليس ثمة أبوة أبدا لكنه سحر التعبير الباقي والمعبر) :

- ضيعتنا صغيرا وحملتنا دمك كبيرا..

نعم .. ضيعنا صغيرا وحملنا دمه كبيرا..

ونحن الذين كرهناه – في الله بكرهه للمسلمين و إيذائه لهم و إساءته للإسلام – العمر كله نجد أنفسنا نخاف الآن من نكاية الأمريكيين فينا بأن يفعلوا فيه ما فعلوه في شاه إيران وفي صدام حسين وفي قصي وعدي.. ولقد تمكنت الشعوب في أوكرانيا وجورجيا وقيرغيزيا من الإطاحة بالحكام الطغاة بوسائل سلمية، ولذلك من غير المستبعد بالمرة أن تصل هذه العدوى إلى الأقطار العربية.

نعم.. تحولت مشاعري من الرغبة في محاكمته إلى الرغبة في إنقاذه من بطش أمريكي متوقع.. لا لأنه عارضهم أو قاومهم.. على العكس.. لقد فعل لهم كل ما يريدون بل وأكثر مما يريدون لكنهم استنفدوا أغراضهم منه.. وقد آن أوان جزائه الأخير.. جزاء سنمار.

***

يجهل الطغاة موقف سادتهم، فأولئك السادة المجرمون كرؤساء العصابات، بل هم رؤساء عصابات فعلا على سبيل الواقع لا المجاز ولا التشبيه، وقد استأجر السادة الصليبيون والصهاينة مجرما قاتلا مأجورا هنا وهناك.

نعم.. رؤساء عصابات دوليون استأجروا قتلة مأجورين بدرجة ملوك و أمراء ورؤساء جمهورية. وما من رئيس عصابة مهما كان إجرامه و خسته يمكن له أن يحترم أو أن يحتفظ بقاتل أجير أدى مهمته. يظل القاتل الأجير قاتلا أجيرا ولا يتحول أبدا إلى صديق أو ند.. بل هو جزء من الأجهزة القذرة التي يلقى بها إلى القمامة بعد استعمالها مرة أو مرات.

***

هذا هو مبارك إذن.. فهل يختلف عنه بدائله؟..

لست أنفي إذن اتهامات مبارك لبدائله كحزب الغد أو أيمن نور، وبرغم شهرة النظام الذي لا تدانيها شهرة في التزوير والتشهير والكذب، فإنني لا أرد الاتهام ولا أدحضه ولا أنفيه. لكنني أقول فقط أن أي اتهام لحزب الغد مردود على الحزب الوطني أضعافا مضاعفة. فلا يمكن على سبيل المثال أن تكون علاقة أيمن نور أو سعد الدين إبراهيم أو حتى الحيزبون الشمطاء أو ذلك الآخر المجنون بأمريكا أوثق من علاقة مبارك بها مهما سميت هذه العلاقة . تماما كما يظل الزنا زنا واللواط لواطا مهما تغيرت اللافتة التي يستتر خلفها من صداقة إلى حرية شخصية إلى حقوق إنسان إلى.. إلى.. إلى..

***

أخشى أن الأمر شديد الخطورة والتعقيد.. و أنه لا يوجد حزب ولا هيئة ولا مؤسسة في مصر والعالم العربي والإسلامي إلا وقد تم اختراقها حتى النخاع..

أحزاب كالوفد والغد والتجمع والناصري مفروغ من اختراقها..

لكن ما يرعبني الاختراق الذي حدث للأمل..

لحزب العمل على سبيل المثال..

وما يرعبني نوع الاختراق الذي سيحدث للإخوان المسلمين.

و إنني أنبه القارئ لنوع الاختراق الذي حدث لحزب العمل.. بعدة أشخاص كانوا قريبين جدا من الرأس.. وهم عملاء لأمن الدولة.. أحدهم بلغ من إسفافه وانحلاله

أنهم يلحقون اسمه دائما بالعاهرة الأمريكية « مونيكا» فلا يقولون إلا « فلان مونيكا» أما الآخر فهو شخصية رئيسية استولت على أرشيف صحيفة الشعب وحرقته.. وقد كان مطلوبا من هذين وغيرهما في الفترة الماضية فصل مجدي حسين ورفاقه المجاهدين من الحزب مع وعد من الحكومة التي أهدرت عشرات الأحكام القضائية بعودة الحزب وصحيفته.. أقول كان هناك وعد بالعودة الفورية للحزب والصحيفة إذا ما تم عزل الشق غير المخترق في الحزب وعلى رأسه مجدي حسين.. ومن شاء الاستزادة فعليه أن يقرأ مقالات الأستاذ صلاح بديوي خلال شهر أبريل الماضي.

***

الاختراق حادث إذن لكل البدائل.. لكن أخطر الاختراقات هو ما أظنه حدث لكبري الحركات الإسلامية.. الإخوان المسلمين..

ومن المؤكد أن هذا الاختراق ليس حديثا.. بل ربما تم في نفس الوقت الذي تم فيه تجنيد عملاء كجارانج وطالباني لكي يتولوا الحكم بعد نصف قرن من تجنيدهم..

أنظر بقلب واجف إلى الأستاذ محمد مهدي عاكف بطيبته وذكائه والقبول الذي منحه الله له فأتساءل في أسى مرعوب عن العلاقة بين شخصيته وشخصية محمد نجيب.. وأتساءل: إذن من هو جمال عبد الناصر الذي سيستولي على الأمر كله لصالح أمريكا مرة أخرى.

***

طال المقال.. ولم يعد يتسع لمناقشة هذه الأمور التي أرجو أن أناقشها تفصيلا في المقالات القادمة

لكنني قبل أن أنتهي أنوه لأمرين:

أولها أن الاختراق لا يكون فقط بتجنيد العملاء بل بغواية الأقوياء..

ولقد حدث في الآونة الأخيرة أمران كانا على قلبي كذوب رصاص منصهر.

فثمة صديق حميم كنت أغبطه و أحسده في شهر رمضان الماضي على كل شيء.. على

صلاته وصيامه وقيامه وعبادته واعتكافه..

كان يسبقني في كل شيء ..

وكنت أحسده..

بعدها بشهور .. علمت قدرا.. أنه رئيس نادي الروتاري في منطقته..

وانسحق قلبي أمام دهشته من دهشتي..

وانفجرت فيه انفجارا عاتيا.. ورغم توبته فما زال سؤالي مستمرا:

- كيف جاز لمثله أن يتورط.

الأمر الآخر أشد وطأة.. فهو يتعلق بصديق أهم.. وأخ في الله أكبر من الآخر.. وأمل.. وعمل .. وتاريخ.. ومجد.. وتضحية.. وجهاد.. و.. و.. و..

فوجئت به ضيفا على قناة الكفر والعهر المسماة بالحرة..

ولولا وصية سيدي وحبيبي ومولاي:«هلا سترته» لكنت قد كشفت أمره..

لكنني أرأب صدعا و أرتق فتقا و أسد ثغرة و أتجاوز عن خطيئة من أحسبه مجاهدا في سبيل الله..

انسحق قلبي..

انسحق..

وبالرغم من تراجع الصديقين فإن قلبي لم يتعاف من انسحاقه.. ولم يبرأ من هواجسه عن هول الاختراق.. وعن الاحتمالات المرعبة لتداعياته..

ويطاردني الرعب من تعس ذلك الذي يعمل عمل أهل الجنة حتى يكون قاب قوسين أو أدنى فيعمل عمل أهل النار فيدخلها..

ويطاردني الرعب من أولئك الذين استبطئوا النصر ووعد الله قال فيهم المصطفي صلى الله عليه وسلم : ولكنكم قوم تستعجلون..

يصيبني الرعب من أن يكون أيا من أصحابي من الأشقياء الذين قال الله فيهم:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

***

يبقى انسحاق آخر للقلب حول التفجيرات الأخيرة في القاهرة..

سوف أتحدث بالتفاصيل في مقالات قادمة لكنني أدين و أحتقر تشويه من قاموا بهذه العمليات.. (صحيفة حزبية شهيرة حقيرة كانت شامتة بأن أشلاء الشهيد - إن شاء الله - حسن بشندي قد ألقيت في المجاري) .. و كنت أهتف من قلب مكلوم: إنه ما يزال طفلا.. سحقا لقوم خانوا أماناتهم فدفعوه لما فعل..

وبرغم اعتقادي الجازم في أن هذه التفجيرات بصورة مباشرة و غير مباشرة تخضع لتخطيط مركزي من الأمن (وليست لدي أوهام بوجود حواجز بين أجهزة أمننا والموساد والسي آي إيه) خاصة بعد ما ثبت أن أحد المتهمين عميل للمباحث..

وليس لدي شك أن الجهاز الباطش الجبار ذو الخبرات العالمية قد استغل كل ذلك للسيطرة على طفل وعلى توجيهه (دون أي انتقاص لنبل الشهيد مهما كان خطؤه).

وبرغم ما يمكن إثارته من تساؤلات فإن جهاز الأمن الغبي أو العميل يمكن أن يعمل ضد النظام الذي ينتمي إليه(شعراوي جمعة والسادات مثلا) أو بصورة أوضح ما فعله وزير الداخلية جمال عبد الناصر شخصيا كما يروي عبد اللطيف البغدادي في مذكراته - الجزء الأول - ص١٤٦ وهو أحد الضباط الأحرار الرئيسيين:

.....«.... وفي المؤتمر المشترك من مجلس الثورة وأعضاء الوزارة المنعقد في ٢٠/ ٣/ ١٩٥٤م تحدث (جمال عبد الناصر) عن وقوع ستة انفجارات نسف في مبنى السكة الحديد وفي الجامعة وفي محل جروبي في وقت واحد، وعلّق على ذلك بأن ذلك جرى بسبب سياسة اللين في موقف الحكومة، وأن خطوة العودة إلى الحكم النيابي لا تصلح في هذا الوقت». ولكنه يعترف في اليوم التالي لكلٍّ من حسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين بأنه هو الذي قام بهذه التفجيرات، وعزا السبب في ذلك

بأنه «كان يرغب في إثارة البلبلة في نفوس الناس، ويجعلها تشعر بعدم الطمأنينة حتى يتذكروا الماضي أيام نسف السينمات ويشعروا أنهم في حاجة إلى مَن يحميهم».

الكفر ملة واحدة ولدينا من السوابق ما يؤيد ما نذهب إليه..

وعلى أي حال و أي صورة.. ومهما كانت الوسيلة والغواية أو الصواب والخطأ فإن أسوأ ما يمكن أن يقال في حسن بشندي ورفاقه أنهم اجتهدوا فأخطئوا.. و أنهم طلبوا الحق فأخطئوه.. أما ما يمكن أن يقال في مبارك وبدائله أنهم قوم طلبوا الباطل فأصابوه..

فاللهم اغفر لحسن بشندي ورفاقه وتقبلهم على نيتهم – إن شاء الله شهداء – وتغمدهم برحمتك..

اللهم آمين.



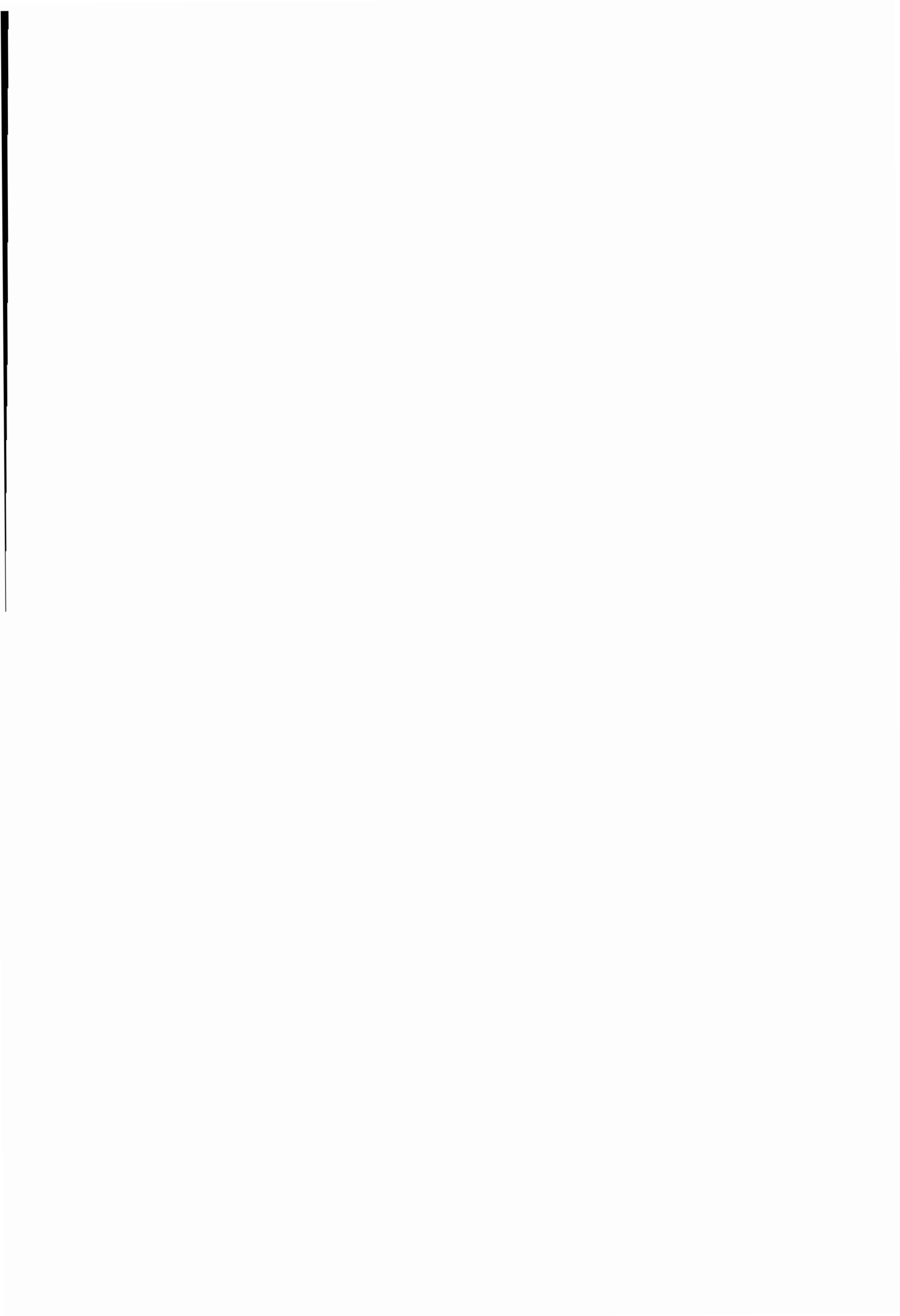


هلك الفاجر



مبارك .. أعز الله به اليهود والنصارى .. وأذل المسلمين(*)

(*) نشر في أغسطس ٢٠٠٨.



لماذا لا يحمي المسلمون شيوخهم كما يحمي النصارى قساوستهم..

التنكيل بعلماء الأزهر جريمة لم يجرؤ عليها شارون وتستوجب عزل مبارك..

جزى الله الشيخ سيد عسكر خيرا عن الأمة.. دافع عن القرآن فسحلوه..

ماذا يحدث لإنسان إذا نزعت روحه؟

ماذا يبقى منه؟

أيبقي شيء سوى الجيفة؟؟!!

وحتى لو استطاعوا بالوسائل الصناعية، وبالتزوير والتدليس والكذب، لو استطاعوا الإبقاء على مظاهر الحياة دون جوهرها، فهل تتغير الجيفة؟ هل تتطور؟.. هل يمكن إصلاحها دون إعادة الروح إليها؟!..

ماذا يبقي من العين إن سلبت منها البصر؟

وماذا يبقى من الأذن إن سلبت منها السمع؟

وماذا يبقى من المخ إن سلبت منه العقل؟

وماذا يبقى من القلب إن سلبت منه الوجدان والعقيدة؟

***

لا أريد أن أفلت الواقع في بحر المثال أو دنيا الخيال.. فما أقصده بالإنسان الذي نزعت روحه وبالعين بلا بصر والأذن بلا سمع والمخ بلا عقل والقلب بلا عقيدة هو جمع الأمة أما الروح والسمع والبصر والفؤاد فهي الإسلام..

والطوفان الذي يدهمنا يغرقنا لا يكتفي بإغراقنا بل يفصل ما بين هذه المتلازمات..

بين الجسد والروح.. العين والبصر.. السمع والأذن..والمخ والعقل.. الوجدان والقلب.. والأمة والإسلام..

يغرقنا الطوفان ويفرقنا شذر مذر فيجعلنا نقرأ سطرا واحدا من صفحة واحدة من سفر الوجود الهائل ثم نحكم على الأمر كله و كأننا قد قرأنا السفر كله..

نعم..

كأنك قرأت صفحة واحدة من رواية ثم رحت تحكم على الرواية كلها كما لو كانت لا تحتوي إلا تلك الصفحة..

كأنك قرأت صفحة واحدة ثم لم تقرأ سواها.. أو كأنك حين قرأت سواها نسيته أو أنسيته..

وذلك جوهر الحداثة دون إخلال حقيقي مهما ادعى الحداثيون: القطيعة المعرفية.. أن تقاطع معارفك السابقة كلها و أولها الدين والإيمان.. أن تنسي الأحداث والأفكار والوجدان والأحاسيس.. فلا تذكر إلا الصفحة التي أمامك .. فإذا أضفنا أن الصفحة التي قدمت إليك إنما هي صفحة مزورة مدسوسة مغشوشة كاذبة اكتملت الكارثة..

سبحان الله..

أليس ذلك ما حذرنا منه القرآن الكريم من أن ننسى الله فينسينا أنفسنا:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر].

نعم..

صدق الله العظيم..

أولئك هم الفاسقون..

هم الفاسقون..

***

تعاقب الأحداث ينسي بعضه بعضا..

وكلما طال الأمد قست القلوب و أعتمت العقول فعجزت عن رؤية الحقيقة وتاهت عن أصل الحكاية فأصبحت الخطوات خبط عشواء.. كالمريض الذي عجزنا عن تشخيص مرضه فرحنا نعالج الظواهر والأعراض بما قد يزيد وطأة المرض وتفاقمه من ناحية.. ومن الناحية الأخرى فهو لا يمكن أن يعالج مرضا لم يعرف أصله ولا تشخيصه..

وتحت هذا المثل تندرج كل محاولات الإصلاح في عالمنا الإسلامي.. وتندرج بالتالي ممارسات مبارك وبدائله.

يجب أن نعرف أصل الداء كي نعرف الدواء..

***

أصل الحكاية إما إيمان و إما كفر..

لا سبيل إلى إعادة الجيفة إنسانا إلا بإعادة الروح إليها..

ولا سبيل إلى إحياء الأمة من مواتها إلا بعودتها إلى الإسلام..

ذلك هو سبيل الإصلاح الذي نتنكبه وطريقه الذي نسير في عكس اتجاهه..

ذلك هو سبيل الإصلاح وغيره مزيد من الفساد والإفساد والخراب..

لطالما مضت الأمة في سبيل التيه وهي تنحدر على الهاوية من ضلال إلى ضلال أضل ومن فساد إلى فساد أشد ومن مصائب إلى مصائب أكبر..

نعم..

يجب أن نفهم أن كل قضايا الوجود يلخصها أمر من أمرين:

إما إيمان و إما كفر..

هل خلق هذا الكون إله أم وُجد هذا الكون صدفة..

يجب أن نبدأ من البداية فنور البداية هو الذي يضيء لك النهاية..

وسيختلف كل شيء في هذا الوجود إذا ما آمنت أو كفرت..

إذ لو لم يكن الله موجودا – حاش لله – لأصبح كل ما نفعله بلا قيمة.. يصبح الجهاد حماقة والصلاة عبثا ومكارم الأخلاق بلا جدوى والصدق سخفا والشرف بلاهة والالتزام سفاهة.. وتصبح العلاقة بيننا وبين الفلسطينيين والعرب والمسلمين وهما وخرافة وينقسم العالم – بمفهوم الشيطان – إلى متحضرين مستنيرين لا يؤمنون بالغيب ولا بالله ومتخلفين همج ما زالوا يؤمنون بالله.. أما أشدهم تخلفا فإنهم أولئك القلة الذين

يعتقدون بأن القرآن وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقرون بأن الشريعة الإسلامية هي مرجعهم الأعلى في كافة شؤون حياتهم.(!!)

نعم .. إذا لم يكن الله موجودا فكل شيء مباح..

و إذا لم يكن موجودا، فإن الإنسان الضائع في هذا الكون، الإنسان الذي لا أصل له ولا بداية ولا مآل ينتهي إليه إلا مآل الجيفة بعد طلوع الروح.. هذا الإنسان الذي خسر روحه قبل أن تطلع لا يبقي له إلا الجسد.. غواية الجسد.. هوة الجسد.. نتن الجسد.. جيفة الجسد.. حيث الحق هو القوة ولا حق إلا القوة.. وحيث متعه الجسد التي سرعان ما تُسأم.. ليتحول الشذوذ إلى مكون رئيسي في المنظومة..

سوف نتناول ذلك بمزيد من التفاصيل في مقالات قادمة.. لكننا هنا نقول أن الإنسان إما أن يؤمن بالله.. بالقدرة الكامنة خلف الأشياء والأحياء و إما أن يؤمن أنه في البدء كانت المادة ولا شيء وراءها و أنها تفسر كل شيء عبر الإحساس المباشر ، لكن المنطق العقلي المجرد في هذه الحالة يستلزم أن تكون المادة بسيطة ومتجانسة ، إذ يمكن بمنطق الشيطان أن نصدق أن الكون كله مكون من الهيدروجين على سبيل المثال (لا يصدق ذلك إلا مجنون أو غبي خاصة عندما يكون لديه أبسط إلمام بتركيب الذرة).. ويمكن لعقل الشيطان إذن أن يقتنع بتكون استثناء أو ستثناءين، أو على الأقل أن يكون وجود العناصر عشوائيا لا يسلكه نظام. أما أن تكون هذه الاستثناءات ١٠٢ استثناء : هي عدد العناصر في الأرض (ما كان يسمى بجدول مندليف)، و أن يكون كل عنصر منها خاضعا لترتيب رياضي مذهل في دقته، للدرجة التي أمكن بها التنبؤ بوجود بعض العناصر رياضيا قبل اكتشافها في الواقع، حينئذ يكون الاستثناء هو القاعدة، وتنهدم نظرية التفسير المادي للتاريخ، ذلك أن أي محاولة لتفسير تنظيم المادة وتراتبها المعجز بأي قوة خارجها هو اعتراف بوجود الله!! خاصة إذا وضعنا في الاعتبار ملايين ملايين العوامل في نطاق الأرض وخارج نطاقها ، والتي لولاها ما كانت الأرض هي الأرض ولا السماء هي السماء. إذ لو أننا صدقنا التفسير المادي في الأرض فهل كان له أن يتم بمعزل عن سرعة دوران الأرض والمسافة بينها وبين الشمس وعلاقتها بالأفلاك. ونحن أمام احتمالين: إما أن تكون هذه البلايين من العوامل بلايين من الصدف (و أنا والله يا

قراء أشك أنه حتى المجنون يمكن أن يصدق هذا) وإما أن يكون كل ذلك مظهرا من مظاهر المشيئة وسننها وقوانينها.

الخيال المريض الذي يفسر الوجود بتوافق ملايين الصدف أشبه بمجنون يفسر وجود مكتبة هائلة تحوي ملايين الكتب في الدين والتاريخ والفلسفة والأدب الشعر والموسيقى و..و..و.. أن يفسر ذلك بانفجار حدث في مخزن للورق تصادف أن حدث معه انفجار في مخزن للحبر فنتج عن الانفجارين – بالصدفة- أن تناثر الحبر على الورق، وبالصدفة أدي تناثر رذاذ الحبر إلى طباعة بلايين الصفحات، دونما خطأ يذكر، ودونما خلل في توزيع الحبر وتجانسه على الصفحات، ثم تصادف أن حدث انفجار ثالث نتج عنه أن تطايرت بلايين بلايين الصفحات فرتبت نفسها دون أي خلل في ترتيب الصفحات ودون سقوط صفحة من هنا أو صفحة من هناك، ثم تصادف أن حدث انفجار رابع في مخزن للورق المقوى فتناثر الورق كي يكون أغلفة للكتب، ثم تصادف أن حدث انفجار في مخزن الأحبار الملونة ترتب عليه رسما مختلفا لغلاف كل نوع من الكتب يتشابه فقط في نسخ الكتاب الواحد ولا يتكرر في كتابين مختلفين، ثم تصادف أن حدث انفجار في غابة مجاورة فنتج عنه – بالصدفة أرفف المكتبة، ثم تصادف انفجار آخر ترتبت فيه الكتب، ثم تصادف انفجار أنشأ الفهارس ثم تصادف انفجار أنشأ المبنى..

ويمكن أن أستمر في هذا العبث بلا نهاية لكنني أتوقف عنه لأقول لكم يا قراء أن هذا المثل الذي ضربته مخجل إلى درجة الخزي إذا ما وضعنا بدلا من المكتبة الخلية أو الذرة.. أو الذبابة.. ضعف الطالب والمطلوب.

سوف نتناول ذلك في مقالات قادمة بمزيد من التفاصيل إن شاء الله، ولن أعتمد على كتب علماء الدين فقط، بل سأعتمد على كتب علماء في الفيزياء والهندسة، مثل الدكتور محمد الحسيني إسماعيل خاصة في مؤلفين جليلين له هما :« الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان» و « الدين والعلم وقصور الفكر البشري» وناشر الكتابين : مكتبة وهبة: القاهرة»والذي يتناول قضية الإيمان فيهما، ليس عبر النصوص الدينية، ولكن عبر النظريات الفلسفية والقوانين العلمية.

الإصلاح إذن في حالة إذا ما كان الله موجودا يختلف عن الإصلاح إذا ما كانت شياطين الجن والإنس هي الوجود الوحيد..

لو لم يكن الله موجودا – حاش لله- لكان بوش وشارون ومبارك على حق وكنا نحن على باطل.. ولكانوا هم الذين فازوا بدنيا ليس بعدها آخرة.. فليس هناك أي مقياس ثابت أو معيار دائم فكل شيء نسبي ووقتي ومتغير ومعياره الوحيد المصلحة والقوة واللذة..

لكن ما الأمر إن كان العكس هو الصحيح؟!..

إذا كان الله موجودا.. وثمة غيب وحساب وثواب وعقاب ..

هل يجوز لنا والحال ذاك أن تكون اختياراتنا و إصلاحاتنا بمعزل عن أوامر خالقنا..؟..

هل يجوز ذلك إلا في أحد حالين:

أولاهما أن ننكر وجود الله ذاته – حاشا لله-.

وثانيهما -كما يدعي بعض العلمانيين- أن يؤمنوا بوجود الله • ككيان غامض بلا معنى – لكنهم يكذبون بالرسل.

أو نقول ما قاله الخنزير ليو شستراوس أن الدين كذبة نبيلة يجب أن نحافظ عليها.. لكن كما يقول جيمس وايت: علينا أن نحدد نحن مواصفات الله و أن نحدد نحن بنود الشريعة التي تتغير بتغير احتياجاتنا ومصالحنا و أهوائنا (في التطبيق العملي أسفر هذا عن إباحة كل شيء.. حتى القتل والسرقة والشذوذ)..

دعنا الآن من المبشرين الصليبيين واليهود.. فأولئك طمس الله على قلوبهم فنكصوا عن الكامل ليؤمنوا بالناقص ورفضوا الصحيح وقبلوا المحرف..

دعنا منهم الآن..فلذلك مقال يجب أن يكون وحده.. لكنني أريد أن أؤكد هنا أن المؤمن بالله يجب أن يؤمن بضرورة تطبيق شرعه.. والعكس صحيح.. فكيف يكون مؤمنا بالله وبكتابه ويعرف أي نوع من العذاب سيتعرض له إن لم يبادر إلى تطبيق شرع الله.. ثم

لا يفعل..

كيف..

كيف يرى الهاوية تحت قدميه فيقفز..

كيف..

كيف يرى الجحيم أمامه فيقتحم..

كيف يرى أمامه قطعة من الحلوى فيسارع إلى التهامها رغم علمه أن السم الزعاف مبثوث فيها..

كيف إن كان يؤمن بالأبد أن يضيعه ليشتري به الدنيا؟..

كيف..

كيف؟..

كيف؟..

إذن: اختيار الإيمان أو الكفر ليس اختيارا نظريا بل هو أهم محور ومفترق طرق في حياتنا و هو الذي يحدد لنا طريق الإصلاح وفي أي اتجاه نسير.

والأمر إذن ليس أمر خرافات و أساطير كما تحاول فئة الصعاليك والسفلة وشذاذ الآفاق من علمانيين وقوميين وشيوعيين ويساريين وبراجماتيين وحداثيين وما بعد حداثيين أن تثبت.

في الغرب كان لهذه الفئات السافلة بعض احترام لأنها لم تخدع أمتها ولا هي غشت قومها فاعترفت وأعلنت أنها لا تؤمن بالله و أنها ارتضت المادة إلها..وترتب على هذا وضع غايات – أو على الأحرى نفي الغايات – الوجود التي تتلخص في أن متعة الوجود والغاية منه هو القوة واللذة، حيث القوة هي الحق – ولا حق سواه – والسعادة هي اللذة – ولا سعادة سواها –.

و لأسباب عديدة اقتصر الخلاف هناك – في الغرب – على جوانبه الفكرية والفلسفية

حتـى و إن تحـول المجتمـع إلى سـاحة مفتوحـة لصراع يـتم طبقـا لنظـام محـدد لا يبـيح للملحدين التنكيل بالمؤمنين بدين.

في بلادنا كان الإيمان يقوم بوظيفة جوهرية لم تعرفها الأديان الأخرى.. فـلأن الإسـلام دين ودولة فقـد كـان الإسـلام يقـوم بعمـل النسـيج الضـام الـذي يـربط بـين أجـزاء الأمـة وبدونه لا تتفتت الأمة فقط بل وتدول دولتهـ وتزول..

لذلك.. ففي بلادنا المنكوبة أضاف العلمانيون إلى رذائلهم رذيلـة الخيانـة، حـين أخفـوا كفرهم. ثم أضافوا إلى رذائلهم محاولة هدم الـدين بادعاء تفسيره، ثم أضافوا سلوكا همجيا وحشـيا استئصـاليا للقضـاء عـلى المؤمنين.. القضـاء بكـل معانيـه، بالقتـل خـارج منظومـة القانون، أو بالقـانون، والعـزل والتشـويه والتجويـع والحصـار والمنـع مـن الوظـائف ومـن وسائل النشر وحتى مـن الوظـائف المرموقـة في المجتمـع. بـلا عقـل ولا خلـق ولا ضـمير، وهم إذ يفعلون ذلك يرفعون شعارات خالية مـن المضـمون، يرفعـون شـعار الديمقراطيـة مثلا، فإذا رأوا أن المؤمنين هم الذين سيفوزون لعنـوا الديمقراطيـة التـي جـاءت بهتلـر ثـم تكاد تأتي بالمسلمين. أو يرفعون شعار تحرير المرأة وهم يقصدون تعهير المـرأة وحريـة الزنـا وخلخلة أسـاس المجتمـع الإنسـاني بإهـدار عفـة المـرأة وشرفهـا والتزامهـا ببيتهـا و أبنائهـا فذلك في النهاية هو الذي سيكوّن لَبِـنات مجتمعهم الملحد.

في مجتمعنـا الإسـلامي لعـب العلمانيـون دور وحـش خـرافي.. تنـين أسـطوري وفـك مفترس أضراسه أجهـزة الأمـن و أنيابـه كتـاب الصـحف وقواطعـه وسـائل الإعـلام. أمـا الذي أطلق هذا التنين علينا فقد كان الغرب.

***

نعم..

في الغرب كان مثل هذا الفكر رد فعل لدين حرف فانحرف..

وعندما فارقوا الفكر المحرف المنحرف فارقوا تخلفهم..

أما عندنا فكان الأمر على العكس..

دين صحيح أدى ابتعادنا عنه إلى تخلفنا..

في الغرب.. لم يدع مفكر ملحد الإيمان..

وعندنا لم يجهر ملحد بالكفر..

وعملية الإخفاء نفسها تدل على الجبن والخسة والسفالة..

وهي تدل ضمن ما تدل على أن هذه النخبة السافلة المنحطة المنحرفة الخسيسة التي تقودنا الآن لا تقودنا كما تدعي إلى التقدم والتنوير والحداثة – وإلا لجاهرت بمعتقداتها– .. و إنما تدفعنا إلى العبودية الكاملة للغرب..

***

كلاب اليسار لم يكفوا أبدا عن النباح على جورباتشوف لأنه فكك الاتحاد السوفيتي.. رغم أنه لم يكن يربط بلاده ببعضها سوى الاحتلال والاستغلال والقهر..

ودببة القومية لم يكفوا أبدا عن التنديد بالدولة الإسلامية لمصلحة الدولة القومية التي لم يصلوا إليها أبدا.. أبدا..

ولقد كان هؤلاء و أولئك أدوات الصليبيين واليهود في تفكيك الدولة الإسلامية والتنفير منها..

...

أصرخ في الخنازير والأفاعي والكلاب والدببة..

أصرخ فيهم..

حتى لو كان الإسلام –حاش لله – باطلا.. حتى لو كان ذلك.. فكان يجب عليهم المحافظة عليه كما حافظ الصينيون على الكونفشيوسية واليابانيون والهنود على البوذية والهندوكية وما شابه.. كان عليهم أن يحافظوا عليه كنسيج ضام للأمة يقيها من التفتت كما حافظ الملاحدة الصهاينة على أساطيرهم لإنشاء دولة مزيفة من العدم والخرافة والأسطورة.. بينما ضيعنا نحن – بفضلهم الحقيقة..

حتى لو كان ذلك لوجب ذاك..

لكنهم أضمروا الكفر و أظهروا الإيمان..

ولم يكتفوا حتى بالموقف السلبي من الإسلام بل جعلوا من أنفسهم معاول لهدمه وتمزيقه..

ولم يكن ذلك لأنهم اكتشفوا أن الإسلام باطل..

ولا لأنهم اكتشفوا – كما اكتشف سيدهم ومولاهم – أن الدولة الإسلامية محور شر لابد أن يزال..

لا..

لم يكن الأمر كذلك..

بل لأنهم بلغوا درجة من السفالة والحقارة والخسة جعلتهم يدركون أن ثمن الإسلام – بالخيانة – ثمن مرتفع جدا..إنه الثروة والسلطة والحكم.. من أجل هذا باعوه.. ولم يكن في بيعهم له مجرد مروق من الإيمان ودخول في الكفر.. بل كان تهديدا لأمن أمتهم كله.. فعبر التاريخ كان الدفاع عن الأمة تحت راية الدين هو الدفاع الأقوى.. لذلك فإن كلاب الاستعمار وعبيد الصهاينة وصبيان اليهود كان عليهم ليس مجرد الخروج من الإسلام.. بل منع المسلمين من دخول المعركة كمسلمين..

فحين تكون الحركة – كما يقول أستاذنا العلامة محمد قطب- جهاداً إسلامياً فالقضية واضحة: مسلمون ثائرون، يجاهدون عدواً صليبياً يحتل بلادهم.فهل يتصور فيهم أن يلتقوا مع العدو الصليبي في منتصف الطريق؟ هل يتصور فيهم أن «يتفاهموا» مع عدوهم على شيء؟ هل يتصور فيهم أن يسكتوا على حركة التغريب وحركة التقريب؟ هل يتصور فيهم أن يسكتوا على تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم، ويسكتوا على الغزو الفكري المتمثل في المنهج الذي وضعه دنلوب للتعليم والمنهج الذي تتبعه وسائل الإعلام بمعاونة المستعمر الصليبي؟!

أما حين تكون حركة وطنية فكل هذا جائز! بل لقد وقع بالفعل! ففي ظل الحركة الوطنية قام التغريب والتقريب، واتسع نطاق الغزو الفكري، واستمر المنهج الدنلوبى، واستمرت وسائل الإعلام تؤدى «مهمتها» في إبعاد المسلمين عن الإسلام!

***

يقول العلامة محمود شاكر في مقدّمته لكتاب «المتنبي»:

«صار بيّناً عندي أننا نعيش في عالم منقسم انقساماً سافراً: عالم القوة والغنى، وعالم الضعف والفقر، أو عالم الغزاة الناهبين، وعالم المستضعفين المنهوبين. كان عالم الغزاة الممثل في الحضارة الأوروبية، يريد أن يحدث في عالم المستضعفين تحولاً اجتماعياً وثقافياً وسياسياً فهو صيد غزير يمد حضارتهم بجميع أسباب القوة والعلو والغنى والسلطان والغلبة. والطريق إلى هذا التحول عمل سياسي محض، لا غاية له إلا إخضاع هذا العالم «المتخلف» إخضاعاً تاماً لحاجات العالم «المتحضر» التي لا تنفد، ولسيطرته السياسية الكاملة أيضاً. ومع أن هذا العمل السياسي المحض المتشعب، قد بدأ تنفيذه منذ زمن في أجزاء متفرقة من عالمنا، إلا أنه بدأ عندنا في مصر، قلب العالم الإسلامي والعربي، مع الطلائع الأولى لعهد محمد علي، بسيطرة القناصل الأوروبية عليه وعلى دولته، وعلى بناء هذه الدولة كلها بالمشورة والتوجيه. ثم ارتفع إلى ذروته في عهد حفيده إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي الخديوي، حتى جاء الاحتلال الإنجليزي في سنة ١٨٨٢ وبمجيء سيطر الإنجليز سيطرة مباشرة على كل شيء، وعلى التعليم خاصة، إلى أن جاء «دنلوب» (في ١٧ مارس ١٨٩٧) ليضع للأمة نظام التعليم المدمر الذي لا نزال نسير عليه، مع الأسف، إلى يومنا هذا»

وفي كتاب«أباطيل وأسمار» يصف العلامة الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي بأنه :

«غزو خفي الوطء، بعيد المرمى، طويل الأجل ، لم يكن غزواً بالمعنى الذي كان الناس يعهدونه يومئذ، أو الذي نعهده إلى اليوم، لم يكن جيوشاً وجحافل لها صليل يقعقع ونقع يثور، فتدك في زحفها الحصون حصناً حصناً، حتى تفرغ من الأرض كلها في شهر أو شهرين، أوعام أوعامين. كان غزواً أقل ما فيه نكاية هو«الجيوش»، وأبلغه افتراساً هو «التجارة»، وأفتكه بالإنسان هو «التبشير»«أباطيل و أسمار »

ثم يعود العلامة ليصف التدمير المفزع لعالمنا الإسلامي .. والذي شارك فيه مثقفونا ومفكرونا:

«لم ينتصب أحد لوصف هذا التدمير المفزع الذي يشترك في جريمته مثقفون كثيرون،

في الأدب، وفي العلم، وفي التاريخ، وفي الفلسفة، وفي الاجتماع، وفي السياسة، وفي الفن كله من مسرح وسينما وموسيقا وغيرها (...) وقد زاد الأمر فلم يبق مقتصراً على التعليم والكتابة والتأليف والصحافة، بل دخل كل بيت دخولاً مفزعاً عن طريق الإذاعة والتليفزيون،بلا رقيب ولا حسيب »(المتنبي).

ولم يكن ذلك تنويرا للأمة بل كان تدميرا للأمة..

ولم يكن التحرير تحريرا بل تعهيرا..

ولم يكن الأمر أمانة بل خيانة..

ولم يكن نورا بل ظلاما..

ولم يكن طهرا بل دنسا..

***

نعم..

كان ذلك و أكثر ..

وكل خطوة لإبعاد المسلمين عن الإسلام لم تكن فقط جريمة كفر بل جريمة أمن دولة..

وكل خطوة إبعاد المسلمين عن الجهاد لم تكن مجرد جبن بل كفرا وجريمة أمن أمة..

***

طريق المؤمنين في الإصلاح إذن غير طريق العلمانيين..

وبهذا المنهج.. وبهذا المنهج وحده نحكم على مبارك وبدائله..

***

ليس هناك خلاف على أن مبارك يقدم مثالا نموذجيا للعلمانية والبراجماتية بمفهومها الشرقي لا الغربي.. فالرجل لم يتوان منذ جاء عن الإساءة للإسلام والتنكيل بالمسلمين وتفتيت الأمة لصالح أعدائها.. بل ووصل الأمر عندما حذره البعض من مغبة الجمود

والعناد للأمة المستفزة حتى توشك أن تحترق وتحترق معه البلاد .. وصل به الأمر أن أجاب على هذا التحذير بقوله:

- ما تتحرق.. ما تولع بجاز.. شعب يستحق الحرق .

(عن د: محمد عبد الحكيم دياب - القدس العربي ١٩-٥-٢٠٠٥)

***

نعم..

أنا أصدق محمد عبد الحكيم دياب رغم أنه قومي..فأنا أنظر إلى ما قال لا إلى من قال..

نعم:

- ما تتحرق.. ما تولع بجاز.. شعب يستحق الحرق .

ويخيل إلى أن هذا كان هو برنامج مبارك منذ جاء.. و أنه لهذا استبقته أمريكا في الحكم ربع قرن.. وقد تستبقيه أكثر..

***

اختيار مبارك إذن لا يناسبنا.. فهل يناسبنا أيمن نور أو سعد الدين إبراهيم..؟!..

فلنعترف أن أجهزة جوبلز قد نجحت في تشويه الرجلين نجاحا غير منكور ولا مشكور..

فلنعترف بذلك منذ البداية.. فتلك الأجهزة قد تمرست على غسل مخ الشعوب.. وليس أدل على ذلك من قدرتها على تغيير وجدان الرأي العام أربع مرات في غضون نصف قرن.

ولكن لنعترف أيضا بأمرين:

أولهما أن جل ما قالته أجهزة الإعلام من قدح فيهما صحيح..

لكن الثاني هو أن ما لم تقله أجهزة الإعلام أيضا صحيح.

وما لم تقله هو أنه إذا كان سعد الدين إبراهيم قد حصل على معونات أجنبية اختلس

بعضها فإن النظام الذي يتهمه بذلك قد حصل على ألف ضعف ما حصل عليه من معونات ورشاً و أنه اختلس عشرة آلاف ما ختلسه سعد الدين إبراهيم..

ثلاثمائة مليار دولار تم تهريبها إلى الخارج.. ولم يكن أيمن نور أو سعد الدين إبراهيم من هربها..

نعم..

ما قالته أجهزة الإعلام صحيح..

لكن ما لم تقله أيضا صحيح.

و إذا كان أيمن نور قد زور ألف أو ألفي توكيل فإن النظام قد زور أكثر من عشرين مليون صوت(الأصوات الانتخابية) ..

و إذا كان أيمن نور مارس التزوير عاما أو بعض عام فإن النظام يمارس التزوير منذ نصف قرن بل يزيد.

***

ولقد تذكرت ما يحدث ما بين مبارك وما بين بدائله، حين كنت أضحك ذلك الضحك الأمر من البكاء، إذ أقرأ حكاية اللص الخائن العميل أحمد الجلبي مع حكومة الأردن. كان الجلبي مدير بنك في الأردن، فاختلسه، وضاعت حقوق المساهمين ومقدارها ثلاثمائة مليون دولار (ملياري جنيه مصري).. وحكم عليه بالسجن ٢٢ عاما مع الأشغال الشاقة وبرد المال المنهوب.. فهرب إلى أمريكا.. وكان أكبر المحرضين على بلاده والكذابين عليها بفرية أسلحة الدمار الشامل.. و أصبح من أهم حكام العراق بسبب تدعيم أمريكا له.. أمريكا التي لا تدعم من الحكام إلا اللصوص.. ووجد الأردن نفسه في حيص بيص.. إن ملك ملك الأردن نفسه هبة أمريكية .. و أمريكا هي التي جعلته ملكا.. وقررت الأردن الانحناء و إصدار عفو عن أحمد الجلبي.. لكن المفاجأة كانت أن الجلبي رفض العفو وطلب تعويضا و إلا ورط كبار المسئولين الأردنيين فهم اللصوص لا هو..!!

نعم..

ضحكت ذلك الضحك الموجع المؤلم لما صرنا إليه من هوان..

قلت لنفسي أن الطرفين كليهما صادق فيما يتعلق بصاحبه وكاذب فيما يتعلق بنفسه.

وهذا هو نفس الوضع فيما يتعلق بمبارك وبدائله..

***

كل ما يقوله مبارك عن بدائله صحيح.. وكل ما يقوله عنه بدائله صحيح.. لكن ما يقوله كل طرف عن نفسه غير صحيح..!!..

وبغض النظر عما قيل وعما يقال وعن رد فعل الشعب إزاء تشويه صورة سعد و أيمن فإنني أظن أنه من الأفضل لأمريكا فعلا أن يكون شخص كسعد الدين إبراهيم أو أيمن نور رجلها القادم بديلا عن مبارك.. لكن هذا الاستبدال لا يدور في إطار استبدال المنهج بمنهج.. بل هو نفس المنهج بطريقة مختلفة.. والفرق بين هذا وذاك كالفرق بين الاغتصاب والغواية.. أو بين البلطجة والإجرام من ناحية والنصب والاحتيال من ناحية أخرى..

نظام الحكم الحالي اغتصاب مستمر للأمة..

وسعد أو أيمن.. هي غواية للأمة للوصول إلى نفس الهدف!!..

نعم..

لا يتغير المنهج من منهج غير شريف إلى منهج شريف..

فقط تتغير الوسائل دون الغايات..

فبدلا من البلطجة التي أصبحت تستمطر اللعنات على أمريكا يأتي النصب والاحتيال!!..

وبغض النظر عن تصديق أو عدم تصديق ما نسب إلى سعد الدين إبراهيم أو إلى أيمن نور أو إلى حزب الغد فإنه مع افتراض صحة كل ما قيل تظل جرائم الحزب الوطني آلاف الأضعاف للدرجة التي يكون فيها حزب الغد ملاكا رحيما أمام شيطان رجيم.

كما أن سعد الدين إبراهيم مهما قيل فيه إلا أنه رجل يمكن التحدث معه.. و أنه على

الأقل سوف يجهد نفسه في خداع الأمة وفي ذلك بعض احترام لعقلها.. وعلى الرغم من أن الاحتيال كله مرفوض إلا أنه أفضل من البلطجي الذي يواجهك بالكذب والسياط والرصاص والمحاكم العسكرية.

***

وبغض النظر عن صحة أو تزوير الاتهامات فإن النمو الجارف لحزب الغد لم يكن أبدا طبيعيا. ثم أن هذا ميلاد هذا الحزب- كأي حرب آخر- لا يرجع إلى لحظة ولادته بل إلى لحظة أخرى أبعد بكثير. في الطفل فإن لحظة البداية تسبق لحظة الولادة بشهور تسعة هي فترة النمو المستتر بعيدا عن العيون. وقد يكون الحمل شرعيا من أب شرعي و أم شرعية وقد يكون سفاحا..

***

في الأحزاب وما إلى ذلك قد تكون هذه الفترة – بغض النظر عن الحلال والسفاح- عاما أو أعواما أو عقودا أو أجيالا أو حتى قرونا.

إنني أريد أن أنبه القراء إلى فترة النمو السرية تلك.. و إلى الأب الحقيقي سواء كان شرعيا أم غير شرعي.. و إلى احتمالات خطف الجنين نفسه.. لأن كى ذلك هو الذي يحدد خواص الوليد الجديد..

إن حركة الضباط الأحرار – مثلا- لم تبدأ في ١٩٥٢ .. لقد ولدت في هذا اليوم مكتملة الخصائص . أما فترة الحمل فيها فقد بدأت قبل ذلك بأربعة عشر عاما ربما على أيد كعزيز المصري ومحمود لبيب ومعروف الحضري.. ثم التقطتها – أو اختطفتها – أيد أخرى كمايلز كوبلاند وكيم روزفيلت..

ولد إذن حزب الغد عملاقا بعد حمل طويل وليس هناك يقين عن أبيه الحقيقي.

على العموم لقد وجدنا فجأة حزبا كبيرا.. يمثل التركيبة التي تريدها أمريكا.. فثلث أعضائه مسيحيون أما الثلثان الآخران فليس لهم من الإسلام – غالبا – إلا اسمه وسطرا في بطاقة الهوية. وهذه هي التركيبة المثالية بالنسبة للأهداف الأمريكية حيث يجرى عزل الإسلام كله (ليس الأهداف الأمريكية فقط.. بل أهداف وزير أوقف فاسق وعالم مارق

وحاكم منافق)..

لكـن.. لا داعـي إذن للاتهامـات بالعمالـة والخيانـة واللصوصـية والإجـرام والتزويـر والتلفيق و..و..و..وكل المسميات التي قد تصدق وقد لا تصدق لكنها على أية حال و أيا كانت المسميات فإن حزبا من الأحزاب لا يستطيع منافسة الحزب الحاكم عليها.

ولقد سألني صديق ساخرا وممرورا:

- إن كان لا مفر.. ولم يكن هناك من طريق ثالـث غير الاغتصـاب أو الغوايـة.. فـإن الغواية أفضل.. و على هذا فإن سعد الدين إبراهيم أقل سوءا من مبارك.. و أيمن نور أقل سوءا من جمال مبارك..

ورددت عليه في وجوم:

- عليهم جميعا دائرة السوء.

ثم رحت أرتل في همس:

- ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ ﴾.

***

أما حزب الوفد فلا يصلح أبدا..

لم يعد يمثل الأمة.. وهو لا يستوفي متطلبات أمريكا.

ومهما كان رأينا في نعمان جمعة الذي يمكن أن نشك في أشياء كثيرة جدا تقال عنـه لكنـه ليس عميلا ولا خائنا ولا هو مستعد لبيع البلد لأمريكـا.. وفي هـذا الصـدد فـإن الحـزب الوطني يتفوق عليه – كما يتفـوق عـلى الآخـرين جميعـا .. مـا عـدا بعـض التحفظـات عـلى التجمع والناصريين – تفوقا ساحقا

لا يصلح حزب الوفد أبدا..

و إذا كـان وفـد سـعد زغلـول نفسـه، أو مصـطفى النحـاس أو فـؤاد سراج الـدين

لا يصلح.. فكيف يصلح وفد نعمان جمعة..

لقد كان مكرم عبيد قبل ذلك مثلا نادرا للسياسي الأحمق الذي دمر نفسه وانشق على حزبه ليكون حزبا هزيلا عميلا.. ولم يكن يضاهيه في ذلك أحد حتى أتي نعمان جمعة ليسبقه.. فهو لم ينشق على حزبه بل حول حزبه كان عملاقا إلى حزب هزيل عميل.. ولقد بدد نعمان جمعة في أقل من عشرة أعوام رصيده كله – وقد كان كبيرا– ثم دمر حزبه حتى كاد أن ينافس حزب الصباحي في « المسخرة» وقلة القيمة.. ولولا بعض الشخصيات التاريخية القليلة الباقية لما أبه به أحد.

لقد مارس الدكتور نعمان جمعة طغيانا غريبا يجعل الكثيرين يفضلون مبارك – كطاغية متمرس – عليه.. تماما كما يفضل الضحية في السجن جلادا متمرسا يعذبه دون أن يكسر عظامه ويريق دماءه.. وليس هذا مجرد مثل.. فقد سمعته فعلا من بعض ضحايا التعذيب.. فالجلاد المتمرس يسبب حدا أقصى من الألم لكن أثره يزول في بضعة أيام أو أسابيع.. أما الجلاد غير المتمرس – الغشيم– فقد يسبب قدرا أقل من الألم ساعة التعذيب لكنه قد يترك كسرا يلتئم في شهور أو جرحا يتقيح أو حتى عاهة مستديمة.

إن نعمان جمعة كما يقول عنه منافسوه الوفديون ومنهم فؤاد بدراوي وبعض المحسوبين عليه من أنصار التطبيع مع العدو الصهيوني، كما أن دفاعه عن الدكتور يوسف والي قضية جريدة الشعب، والخاصة باتهام دكتور والي بالعمل لصالح إسرائيل شكل وصمة عار لا تمحى.. خاصة بعد ما أشيع من أن السبب لم يكن الصداقة كما ادعى.

ولقد تعرض الدكتور نعمان جمعة لانتقادات عنيفة مزقت كيانه وهيبته بسبب مواقفه من أعضاء حزبه وقرارات الفصل المتعددة التي طالت الأقطاب مثل يسن سراج الدين – وهو تصرف وصفه الأخير بأنه صغير - والصحافيين كمجدي مهنا وغيره والنواب كمحمود الشاذلي و أيمن نور وفريد حسنين وعشرات وعشرات.. وكذلك موقفه اللا أخلاقي من الدكتور جمال حشمت وحتى من المرشد العام للإخوان المسلمين .

حزب الوفد لا يشكل بديلا إذن للحزب الوطني.. ليس بسبب انهياره على يد رئيسه نعمان جمعة الذي حوله من حزب قوي إلى حزب كاريكاتوري (انظر اتهامهم المضحك

لحزب الغد بعملية تفجير الأزهر الأخيرة).

فبغض النظر عن خواص وطبيعة نعمان جمعة ودوره الحاسم في إنهاء دور حزب الوفد تاريخيا فإن الحزب لا يصلح للعصر الأمريكي الجديد.

لا نتكلم عن الفساد وهو موجود.. ولا عن الاستغلال والانتهازية وهي غالبة .. ولا عن ضحالة التفكير وهي سمة..لكننا نتحدث عن حزب الوفد في صورته المثلي..وفد فؤاد سراج الدين أو حتى مصطفى النحاس.. بل وفد سعد زغلول.

إن فكرة الوفد النبيلة – وهذه مأساة – قد فرغت منذ البداية من محتواها لتتحول إلى فكرة لغسل مخ الأمة..

لقد كان سعد زغلول صنيعة كرومر..

يقول الدكتور فهمي الشناوي:

«ابتداء من ١٩٠٥م بدأ –الثعلب كرومر– أخطر وأخبث حيلة؛ حيث ابتدأ في اصطياده نبهاء الأمة الإسلامية في شبابهم، ليلتقطهم ويسند إليهم مناصب كبيرة تخدم خط تكوين قومي على حساب الأمة: التقط سعد زغلول وأسند إليه وزارة المعارف ١٩٠٦م أهم الوزارات.والتقط الشيخ محمد عبده –وجعله مفتي للديار، وبذلك ضمن أولاً تفريغ صفوف الأمة الإسلامية من رجالها – وهم لم يكونوا رجالها – ونقلهم إلى صف التفاهم مع الغرب، والتفاوض مع الغرب، واتخاذ الغرب نموذجاً ولو جزئياً ولو ثقافياً.وأنشأ لنفسه مكاتب وصالونات تروج لفكرة اصطياد نبهاء الأمة –مثل صالون الأميرة ناظلي فاضل(تنصرت وتزوجت مسيحيا)، وتم اصطياد لطفي السيد الذي اندفع اندفاعا أعمى ضد الأمة بمقولة «مصر للمصريين» أي ليست للإسلاميين حتى لو صارت للقبط ما داموا مصريين! وأسموه فيلسوفاً دون أن تكون له أدنى علاقة بالفلسفة.واصطاد عبد العزيز فهمي حتى أصبح قاضي قضاة مصر، ولكن بالقانون النابليوني لا بالشريعة! واصطاد قاسم أمين الذي روج بدعوى مساواة المرأة إلى خلخلة تقاليد وأعراف المجتمع الإسلامي .واصطاد عبد الرحيم باشا الدمرداش ليجعل للصوفية على الوعي السياسي الإسلامي قدحا معلى.واصطاد خلفاؤه من بعد نبهاء؛

أمثال عبد الخالق ثروت وطه حسين، وعناصر قبطية؛ مثل البروتستانتي مكرم عبيد سكرتير المستشار القضائي، الذي وصل لقمة الحركة الوطنية، واليهودي رينيه قطاوي الذي وصلوا به إلى وزير مالية لسعد زغلول وزوجته وصيفة للسراي، ومئات غير هؤلاء.وهذا كله لصياغة مجتمع جديد من عجينة جديدة» .

نفس الطريقة تتكرر..

ما حاوله نابليون عن طريق المعلم يعقوب يفعله الإنجليز عن طريق كرومر ويفعله الأمريكيون عن طريق روزفيلت وكوبلاند..

وما فعله محمد علي و أبنائه عن طريق الطهطاوي فعله كرومر عن طريق سعد زغلول وقاسم أمين و أحمد لطفي السيد ثم صبيانهم كطه حسين وسلامة موسى .. وهو نفس ما فعله القوميون – تحت إشراف أمريكي- بعد ذلك عن طريق مئات كصلاح عيسى وجمال الغيطاني وغالي شكري ولطفي الخولي ووحيد عبد المجيد وجابر عصفور ويوسف القعيد.. و.. و.. و..

يقول الأستاذ أنور الجندي:

«لقد كان الاستعمار حريصاً على صنع طبقة خاصة من المثقفين، عمل كرومر على إعدادها ووعدها بأن تتسلم قيادة الأمة بعد خروج الإنجليز لعلمه بأن المجتمع المسلم قد يتقبل من هذه الطائفة المتدثرة باللباس الإسلامي ما لا يتقبله من الاحتلال أو من العلمانية.»

***

بدايات سعد زغلول – كشقيقه فتحي زغلول – لم تكن مبشرة أبدا بخير..

ولقد كان سعد يقول عن اللورد كرومر –في مذكراته- :

«كان يجلس معي الساعة والساعتين، ويحدثني في مسائل شتى كي أتنور منها في حياتي السياسية»..

وكانت هذه من بدايات التنوير في مصر!!

كان سعد زغلول انحرافا بالأمة من الطريق الإسلامي إلى التغريب..

ينبه العلامة محمد قطب في كتابه: «واقعنا المعاصر» إلى علامات سعد في طريق التغريب، إن سعد زغلول ينتهز فرصة الثورة التي تخرج فيها المظاهرات الحاشدة تطالب بالجلاء التام أو الموت الزؤام، ويطلق الإنجليز الرصاص من مدافعهم الرشاشة علي المتظاهرين فيسقط منهم كل يوم قتلي بلا حساب - وهي ثورة استغلها سعد زغلول ولم يشعلها- ليسوق مظاهرة من النسوة وعلي رأسها زوجته صفية هانم زغلول إلى ميدان الإسماعيلية ليلقين الحجاب ويدسنه بأقدامهن.. وليتحول اسم الميدان إلى ميدان التحرير.. ليس تحرير مصر من الإنجليز بل تحرير المرأة من تعاليم السماء!!..

وكانت القاهرة - بطبيعة الحال - هي مركز الثورة.فكانت المظاهرات تخرج يوميا من الأزهر،

وازدادت حدة فسحبت بريطانيا مندوبها السامي من مصر وجاءت باللورد أللنبى مندوباً سامياً في مصر على أمل أن يقضى على الثورة فقد كان أللنبى هو القائد «المظفر» الذي تغلب على جيش دولة الخلافة.

مكث اللنبي مكث شهراً كاملاً يدرس الأحوال في مصر ثم أرسل تقريراً مطولاً إلى حكومته أبرز ما فيه جملتان ذواتا دلالة عميقة وأهمية بالغة:

«إن الثورة تنبع من الأزهر. وهذا أمر له خطورته البالغة»..«أفرجوا عن سعد زغلول وأعيدوه إلى القاهرة! ».

لقد أدرك الرجل الداهية - وما كان في حاجة أن يكون داهية لكي يدرك - أن الثورة تنبع من الأزهر - أي أنها ثورة دينية إسلامية - وأن هذا الأمر له خطورته البالغة! .

إن أعداء هذا الدين يعلمون جيداً أن أخطر شيء عليهم هو روح «الجهاد» في هذا الدين.

وعاد سعد زغلول ليقدم التطبيق العملي لنظرية أللنبي و ليقول:

الدين لله..والوطن للجميع!

بعبارة أخرى: حول سعد الثورة من ثورة دينية إسلامية، إلى ثورة وطنية لا علاقة لها بالدين.

إن سعد زغلول كان زعيما بلا شك.. كما أنه كان أكبر من أن يكون عميلا للإنجليز.. لكنه – وهذا هو الأخطر – كان قد تغرب هو نفسه. كان قد عاصر فترة الانكسار بعد هزيمة عرابي.. وكان أمامه طريق الندامة وطريق السلامة.. وكان طريق الندامة يؤدي إلى شِعْبٍ من شعبين: شِعْب الانهيار وشِعْب الانبهار.. ولقد أنقذ سعد نفسه من الوقوع في شِعْب الانهيار باللجوء إلى شِعْب الانبهار بالغرب.. دون أن يفكر في طريق السلامة.. طريق استعلاء المسلم.. طريق أنتم الأعلون..

لو كان سعد زغلول عميلا مباشرا للفظته الأمة ولما مثل خطرا على وجدانها..

كان فعلا زعيما..

وفعلا أحبه الناس..

ليس لأنهم غفلوا عن حقيقته – كما حدث مع جمال عبد الناصر – لكنهم أحبوه برغم أنهم عرفوا حقيقته..

يقول العلامة محمد قطب: أصبح ما يقوله سعد هو الحق مهما كان مخالفاً للحق! وأصبح ما يفعله سعد هو الصواب، أو أصبح على الأقل مسكوتاً عنه ولو كان أبشع الأفاعيل!

كان سعد يقامر – كما أقر في مذكراته – ويغرق في لعب القمار حتى يخسر أمواله، وأعداؤه السياسيون يكشفون للجماهير ذلك، فتبتلع الجماهير ذلك، وتزداد تعصباً لسعد كلما أوغل أعداؤه السياسيون في النيل منه! وكان يفطر في رمضان، ويشرب الخمر – حتى في رمضان – ويذيع عنه أعداؤه ذلك، فيعتذر عنه المعتذرون بأنه ضعيف لا يقوى بدنه على الصيام – فهو من أهل الأعذار – وأن الطبيب قد نصحه بأخذ جرعات من الخمر بين الحين والحين لإصلاح معدته! فتبتلع الجماهير إفطاره في رمضان وشربه الخمر، وتزداد تعصباً له!!!

وكان يوظف أقاربه وأصهاره في الوظائف الكبيرة، ويعيب عليه أعداؤه هذه

«المحسوبية» فيرد عليهم متحدياً: «سأجلعها زغلولية لحماً ودماً» فتصفق الجماهير إعجاباً بالزعيم الكبير!!

وفي النهاية لم تعد القضية عند الجماهير هي قضية «الوطن» – حتى بعد تحولها من قضية إسلامية إلى قضية وطنية – بل أصبحت القضية هي قضية سعد زغلول ..

***

كان سعد زغلول مرحلة في تقديم نموذج جديد للزعيم الذي لا تشينه نقائص الأخلاق.. الزعيم الذي لا يعتمد في زعامته على علمه وورعه ونظافته ونقائه كالسيد عمر مكرم على سبيل المثال..

وكان هذا مقصودا في حد ذاته.. ليس من أجل سعد بل من أجل نموذج سيتم تعميمه على العالم العربي والإسلامي..

ثم إن سعد لم يكن خلوا من المزايا.. لكنه تحت وطأة الانبهار بالغرب لم يقدم للأمة ما تحتاج إليه و إن قدم بعضه..

فبرغم تعريبه للتعليم إلا أن تعريبه اقتصر على الشكل دون المضمون فاستمر تشويه التاريخ والإسلام كما أنه شارك أيضا في مجلس شورى القوانين حيث كان هدفه إصدار «قوانين» تحكم البلاد بدلاً من الشريعة الإسلامية!.. وبرغم أنه استغل الثورة وتزعمها – وكان على حجم الزعامة بمعناها العلماني.. إلا أنه لم ينجح في قطف ثمار الثورة التي تخلى عنها بعد عودته من المنفى فوافق على وقف الثورة على أساس «التفاوض مع الإنجليز» .. لكن التفاوض فشل.. فلم يندم على قبوله بوقف الثورة وإنما قال كلمتين كل منهما كارثة تهدم مشروعه كله:

«خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز» ..!!..

و..

«الإنجليز خصوم شرفاء معقولون»!!!...

ورضيت بذلك الجماهير!!!

ولم يكن منهج الإسلام ليرضى!!..

***

ثمة تساؤل هنا لا بد أن نسأله..

كانت بريطانيا في ذلك الوقت قد هزمت الخلافة الإسلامية فعليا وكانت على وشك إلغائها.. فهل يتصور أحمق أنها لم تعد عدتها في العالم الإسلامي لمن يضبط لها الأمور.. بنفس الطريقة التي ضبطت بها الأمور في ٤ فبراير ١٩٤٢..

هل نتصور أن بريطانيا خططت لهدم أكبر و أعظم إمبراطورية في التاريخ: الإمبراطورية العثمانية الإسلامية دون أن تمهد الأرض من جاكارتا إلى طنجة.. ومن الهند إلى الشيشان؟..

ماذا يمكن أن نقول اليوم عمن يتصور أن أمريكا لم تخطط لانهيار الاتحاد السوفيتي ولم تمهد العالم للتعايش مع انهياره..

ماذا يمكن أن نقول على من يتخيل أن انتخابات الرئاسة القادمة في مصر تتم بمعزل عن التخطيط والتدخل الأمريكي؟!..

نعود لنقول أن بريطانيا كانت قد مهدت لانهيار الخلافة كما مهدت لحادث ٤ فبراير..

أقول هذا رغم أنني واحد ممن يتعاطفون إلى حد كبير مع موقف مصطفى النحاس في ذلك الوقت.. أتعاطف معه تعاطف المشفق لا الموافق فقد تصرف الرجل ببراءة وقصر نظر نادر المثال إن لم يكن منقطع النظير.. وأنا أدرك أن خطيئته التي وقع فيها كانت خطيئة منهج لم يره ولم يفهمه رغم طيبته ونزاهته..(دعنا من اتهام محمد حسنين هيكل باقتراف الفاحشة فليس هكذا تلقى التهم في الإسلام).. كان الخطأ في عدم فهم واتباع المنهج الإسلامي.. منهج الجهاد الذي لا يعرف الهزيمة فإما استشهاد و إما نصر.. ومن هذا المنطلق غير الإسلامي كان يعتبر كمال أتاتورك مثله الأعلى.. ولقد نشرت في مقال سابق رد الإمام الشهيد حسن البنا عليه.

***

كان الإسلام ينحى في هدوء..

يُذبح في صمت..

كانت البداية على يد « أستاذ الجيل » فقد ظل يكرر في جريدته أن الدين شيء سام نبيل، ولكن محله القلب، ولا ينبغي خلطه بالسياسة، لأن السياسة دنسة، ولا يجوز تلويث الدين بدنس السياسة.

وجاء محمد عبده يقول: لعن الله ساس ويسوس وسياسة !

ثم جاء سعد زغلول يقول: الدين لله، والوطن للجميع.

وجاء مصطفى النحاس ليقول أن أتاتورك مثله الأعلى (وهو ما قاله بعد ذلك جل الضباط الأحرار)..

وظل الدين يزحزح ويقلص حتى انتهى تماما عند « المثقفين » إلى المفهوم الغربي الكنسي للدين.علاقة بين العبد والرب، محلها القلب، ولا صلة لها بواقع الحياة..حتى أصبح يقال: ما للدين والسياسة؟ ما للدين والاقتصاد؟ وما للدين وقضايا المجتمع؟ وما للدين وملابس المرأة؟ ما للدين وعمل المرأة؟ ما للدين..وأي شيء في هذه الحياة؟..

***

شكل الوفد أيضا – بعلمانيته – حاضنا للقومية..

يقول جورج كيرك مؤلف كتاب موجز تاريخ الشرق الأوسط:

إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني !!

ولقد كانت بريطانيا قد فكرت من قبل في إيجاد « الجامعة العربية » على مستوى الحكومات ، فطار « أنتوني إيدن » وزير الخارجية البريطاني إلى القاهرة عام ١٩٤٦م ودعا الملوك والرؤساء العرب إلى الاجتماع به هناك ، وعرض عليهم في الاجتماع فكرة إنشاء الجامعة العربية في القاهرة لتتبنى قضايا العرب وتدافع عن مصالحهم ! ! ولكن ذلك لم يكن كافيا ، فقد كان لابد من رفع راية « القومية العربية » على مستوى الجماهير !

فلما ورثت أمريكا بريطانيا وفرنسا بعد الحرب وبسطت نفوذها على « الشرق

الأوسط» أقامت – عن طريق الانقلابات العسكرية – زعامات كاملة تدافع عن «القومية العربية» في الوقت الذي تحارب فيه الإسلام والمسلمين! وقالت الدعاية – التي أقامتها أمريكا وإسرائيل – إن أمريكا وإسرائيل لا تخشيان شيئا خشيتهما للقومية العربية، ولا تخشيان أحدا خشيتهما لزعيم القومية العربية!

(راجع محمد قطب: واقعنا المعاصر – بتلخيص شديد وتصرف كثير –).

***

باختصار شديد: لقد كان الوفد دعوة إلى القطرية ضد الإسلامية ولهذا كان مقبولا في فترة طويلة لأنه يمزق نسيج الدولة الإسلامية ويقتطع منه ويقدم المثل والقدوة لدول أخرى عليها تحذو حذوه، وهو ما حدث.. (سئل مصطفى النحاس ذات يوم عما تفعله حكومته لإنقاذ فلسطين فأجاب مستنكرا: لكنني رئيس وزراء مصر لا فلسطين).. وظل الوفد – بحماقة – يراهن على أن دوره ما زال مطلوبا بعد أن خدعته شعارات من نوع أنه هو الحزب الليبرالي الوحيد.. ولم يكن هذا الزعم يخدع أحدا إلا حزب الوفد نفسه.. أما على أرض الواقع.. فبعد أن اكتمل تمزيق الدولة الإسلامية.. جاء الدور على تمزيق الدولة القطرية.. ولم يكن قد بقي للوفد من أساس غير الدولة القطرية.. وانقلاب الغرب على هذه الدولة- بعد أن أدت دورها الذي انتهي بهزيمة يونيو ٦٧ – كان بمثابة حكم بالإعدام على حزب الوفد.

هذا من ناحية..

ومن الناحية الأخرى كانت الصحوة الإسلامية قد كشفت للأمة أن الوفد كان – حتى دون أن يعلم كل أتباعه- حلقة في العلمنة والتغريب.. كان حلقة في هزيمة الأمة.

الوفد لا يصلح إذن وهو غير مرشح كبديل لمبارك..

لكنني قبل أن أنتهي أقول أنه كما في الشرار خيار فإن الوفد رغم انتمائه إلى قطاع مرفوض كله فقد كان أفضل من سواه .. خاصة قبل نعمان جمعة..

***

أما الحزب الناصري فإن أي حديث عنه هو حديث موصول بالحديث عن الحزب

الوطني.. الفرق الوحيد أنه يشكل الفصيل الذي جاء الدور عليه ليهمش كما همش هو نفسه قطاعات أخرى عندما امتلك القوة والسلطة..

إن حسني مبارك هو الامتداد الطبيعي لجمال عبد الناصر و أنور السادات.. رغم أنهما كانا أفضل منه.. إلا أنه يسير في السياق الطبيعي.

في حوار مع محمد حسنين هيكل كنت أسأله عن دوره في انقلاب ١٥ مايو فأقر أنه وقف إلى جانب السادات.. وكان تبريره أنه ظن السادات جاهلا.. و أن الجاهل بالخبرة يتعلم.. كما أنه كان يرى الطرف الآخر مجرما.. و أن المجرم بالخبرة يزداد إجراما..

الذي لم يقله هيكل أن التوفيق قد خانه في حساباته و أن من ظنه جاهلا فقط كان جاهلا ومجرما أيضا..

فهل تدرك الآن أيها القارئ من يحكمنا؟.

***

يصيبني الذهول عندما أرى الناصريين لا يخجلون من ناصريتهم رغم أن كل ما يسعون إليه الآن هو تحرير الدولة من آثار طغيان عبد الناصر و إزالة آثاره..

فالاستفتاء بدعة ناصرية لعن الله من ابتدعها..

وتزوير الانتخابات سنة ناصرية لعن الله من بدأها..

والتشبث بالحكم حتى الموت سبيل بدأه الزعيم الذي كان الشيطان يلهمه – كذلك روزفيلت وكوبلاند-..

والجرأة على العلماء سياسة ناصرية..

والتنكيل بالشرفاء سبيل ناصرية..

وامتهان الجامعة والقضاء كلها آليات ناصرية..

والكذب على الأمة مشروع ناصري..

وغسيل مخ الشعب فن برع الناصريون فيه..

أما أبشع ما فعلوه فهو الفخر بالمنكر والخجل من المعروف.

وبرغم كل هذا فما زال هناك من يدافع عن الناصرية ويراها طريق السلامة!!

***

أذكر القارئ، أنني بعد أحداث ١١ سبتمبر حذرت القارئ من أن أمريكا ستروج لاتجاهين في العالم العربي:

الصوفية (المدربة على المبايعة وموالاة الحاكم أيا كان) كي تقاوم بها الأصولية التي تتضمن بالضرورة الجهاد..

والناصرية كي تقاوم بها الإسلام..

و أظن أن الأيام تثبت صدق ظني..

***

أشهد أن صحيفة العربي قد مارست الحرية حتى حدها الأقصى..

لكن الأمر لا يخدع خبيرا..

فكلما كان صوت الصحيفة يعلو كانت الإعلانات الحكومية تزداد.. وفي مقالي الماضي فهمنا أن العلاقة الخاصة بين عبد الله السناوي وفاروق حسني وتأييد سياسة الوزارة كان الطريق إلى المزيد من الإعلانات..

أذكر.. في صحيفة الشعب .. أن الحكومة خنقتها بمنع الإعلانات.. ليس الإعلانات الحكومية فقط.. و إنما إعلانات القطاع الخاص أيضا.. حين كانت التهديدات تنهال على من يعلن في الشعب.

لم يحدث ذلك للعربي..

كانت الصحيفة وكان الحزب عضوا رئيسيا في اللعبة..وكان على الدولة تمويله والتغاضي عن ديونه (أكثر من مليون جنيه للأهرام) بل وتقديم الرشا له (مليون أخري مقابل تأييد وزير الثقافة في قضية الوليمة)

***

لقد تكلمت عن عبد الله السناوي في المقالة الماضية..

وتكلمت عن رئيس التحرير السابق – عبد الله إمام– قبل ذلك منوها أنه لم يكن يفيق من أمرين: الخمر والكذب.

ولست أحب أن أتكلم عن ضياء الدين داوود.. فالضرب فيه حرام..!!

لكننا نتناول في عجالة عبد الحليم قنديل.. ولقد حسبته في وقت من الأوقات جديرا بالاحترام حتى موقفه المخزي في قضية الوليمة لكنني حاولت أن ألتمس له المعاذير بعدم الفهم والعجز عن المواجهة..

لكنه فقد احترامي كله حين راح يروج لفكر الكفر و أدب الكفر وفن الكفر والاستهزاء بآيات الله..

ولكم كانت صدمتي في صحيفته حين راحت تفخر بأنها الصحيفة الوحيدة التي تتحدى وتنشر مقاطع طويلة من الروايات الفاسقة التي صادرها وزير الثقافة ثم نشرها حوارا مع نصر حامد أبو زيد..

تتحدى من؟..

تتحدى الله؟!..

ليس هناك سوى الله من تتحداه لأن الآخرين جميعا من أول الـ CIA وحتى المؤساد وجميع ما بينهم من كفار و أشرار وخونة وحثالة وسفلة و مأجورين ومخدوعين يرحبون بنصر حامد أبو زيد.. الكافر المرتد بحكم محكمة النقض التي تستمد قوانينها من قانون نابليون!!.. وبرغم أن الحكم قد صدر من أعلى محكمة مصرية فقد رفضت السلطة تنفيذه..

ليس هناك سوى الله من تتحداه تلك الصحيفة .. أما الآخرون جميعا فسوف يجزلون لها العطاء وكوبونات النفط الذي تسرقه أمريكا من العراق..

بدأت الصحيفة أخزاها الله فضيحتها في موضوع نصر حامد أبو زيد بالقول:

« قد يقول قائل إن الفكر الحر والنقدي محكوم عليه أن يبقى نخبوياً. لكن المصيبة

الكبرى أن عناصر التخلف والتقليد الأعمى واللاعقلانية صارت اليوم ثقافة تليفزيونية جامعة يروج لها في أوساط الملايين أشخاص من أمثال الداعية عمرو خالد، ومن قبله الشيخ محمد متولي الشعراوي؛ هذا في الوقت الذي تغلق فيه أبواب المؤسسات الأكاديمية العربية، وعلي رأسها الجامعة المصرية، في وجه آخر ممثلي تيار النهضة العربية .الذي بدأ بالشيخ محمد عبده وطه حسين، ولا يجب أن ينتهي مع نصر حامد أبو زيد. لكن هذا الأخير لم يحرم فقط من بلده وأهله ومنصبه الأكاديمي، لكنه حرم أيضا من طلابه ومنع، زوراً وبهتاناً، من أن يزرع في عقول الأجيال الجديدة الفكر النقدي العقلاني الذي أخذه عمن سبقوه وطوره، والذي بدونه لا قيامة للعرب وللمسلمين من سباتهم الطويل.»..

لعنهم الله جميعا..

لعنهم الله..

لم تتطرق هذه الصحيفة.. ولا أي كلب من كلاب النار تطرق إلى الأسباب الحقيقية الكاملة لقضية الكافر المرتد نصر حامد أبو زيد ..

وموجز ما يقوله أبو زيد هو أن القرآن الكريم ليس وحيا من عند الله ولا هو في اللوح المحفوظ ولا هو في علم الله الأزلي و أنه من إفرازات الثقافة العربية لبيئة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا وحي ولا قداسة.. إنه يريد التخلص من سلطان الله – سبحانه وتعالى- ويدعو إلى التمرد على هذه السلطة. إن الشرع اشريف – كتابا وسنة - غير صالح لوضع الحلول لكل القضايا. ثم أن الإسلام دين عربي وليس عالميا ولا شاملا.

***

أضف إلى ذلك المحاولات الدائبة لتشويه الاتجاه الإسلامي والحصول من قياداته على تصريحات مسيئة أو غير موفقة كتصريحات الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح التي قال فيها أنه لا يمانع أن يحكم مصر مسيحي أو حزب ملحد.

كان الخلل عميقا في المنهج..

ثم رأيت بعضا من تجلياته في شهادة واحد من أهلهم حين نشر الناصري العتيق الأستاذ أحمد الجمال في صحيفة العربي ٢٧ مارس مهاجما بعض الناصريين – و أحسبه

يقصد قنديل بالذات- :

«كفاية وصاية على شعب مصر!»

«كفاية وصاية من الذين ادعوا القوامة عليه، بحكم وجودهم في السلطة، وأيضا من الذين يدعون القوامة عليه بحكم أشكال يخترعونها، وشعارات يرددونها، وهتافات يطلقونها، ومناورات يديرونها، وتلفيقات يحبكونها، وخلط للأوراق والأهداف يرتكبونه عن عمد وسبق إصرار.

إن جريمة الوصاية النضالية لا تقل بشاعة عن جريمة الوصاية السلطوية، بل إن الأولى تتجاوز الجريمة إلى الخطيئة.»

وقد علق ناصري آخر هو الأستاذ حسنين كروم على ذلك قائلا في القدس العربي ٢٩-٣:

«وكان الملفت في العربي قيام صديقنا وزميلنا وعضو المكتب السياسي لحزبنا العربي الديمقراطي الناصري الذي لم أعد عضواً في لجنته المركزية بمهاجمة النظام وحركة كفاية في نفس الوقت رغم أن كثيراً من الناصريين أعضاء فيها والمتحدث الرسمي باسمها هو رئيس التحرير التنفيذي لـ العربي عبد الحليم قنديل، أحمد الجمال قال في عموده قضايا :

كفاية وصاية علي شعب مصر! كفاية وصاية عن الذين ادعوا القوامة عليه بحكم وجودهم في السلطة وأيضا من الذين يدعون القوامة عليه بحكم أشكال يخترعونها شعارات يرددونها وتلفيقات يحبكونها وخلط للأوراق والأهداف يرتكبونه عن عمد وسبق إصرار.إن جريمة الوصاية النضالية لا تقل بشاعة عن جريمة الوصاية السلطوية بل إن الأولي تتجاوز الجريمة إلي الخطيئة . والمعاني التي يقصدها خطيرة خاصة حكاية التلفيقات ولكن طالما لم يفصح هو عنها فما شأني أنا؟! »

ومن الواضح أن الجمال وكروم يقصدان بالتلفيقات حكاية عبد الحليم قنديل في صحراء الإسماعيلية واتهامه للسلطة بذلك.

***

لست أدري كيف يواجه الناصريون أنفسهم وهم يرون أن قصارى جهد الأمة بعد أكثر من نصف قرن هو إزالة بعض آثار عبد الناصر.. أما الآثار كلها فقد تستلزم لإزالتها أكثر من قرن من الزمان (هزيمة ٦٧ الساحقة- هزيمة مشروع الوحدة- هزيمة فكرة القومية وتراجعها إلى فكرة القطرية ثم تحلل الفكر القطري ذاته إلى ما يحدث الآن في عهد الطبعة الثالثة المشوهة من جمال عبد الناصر.. أقصد حسني مبارك.)

يكاد يقتلني الخزي أحيانا لأنني كنت واحدا ممن خدعوا في المشروع الناصري ذات يوم.. لا انخداع الانبهار والموافقة..لم أنبهر ولم أوافق.. بل انخدعت حين لم أدرك حجم الكوارث التي مثلها المشروع الناصري للأمة.

إلا أن هذا الوضع يجعلني أكثر تفهما لمن ما يزالون مضللين بالفكر القومي.. وفي أي هجوم على الناصرية وانتقاد لها فإنني لا أقصد المضلَّلين بل المضلِّلين (الأولى بفتح اللام والثانية بكسرها).

ولقد كان خزيي من الخديعة كفيلا بإفقادي الثقة في عقلي لولا أن الشهيد العظيم ذو العقل الجبار سيد قطب قد خُدع شهورا.. و أن العقل الموسوعي الفذ للشيخ محمد الغزالي قد خُدع سنين.

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه: « قذائف الحق»:

«والحق إنى حائر في فهم جمال عبد الناصر، لقد كنت كما يعلم الناس من جماعة الإخوان المسلمين، وأقرر أن جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين بايعا في ليلة واحدة على نصرة الإسلام ورفع لوائه، وقد كنت قريباً من مشهد مثير وقف فيه جمال عبد الناصر أمام قبر حسن البنا يقول:

«نحن على العهد وسنستأنف المسيرة »...

كان ذلك عقب قيام الثورة بأشهر قلائل...

وقد وضع كتاب مسلمون كبار مقدمات للرسائل التي كانت تصدر تحت عنوان «اخترنا لك » أمضاها جمال عبد الناصر وفيها أشرف ما يؤكده زعيم مسلم نحو أمته ودينه ..

لا أدرى ما حدث بعد ذلك..

إنه تغير رهيب في فكر الرجل وسيرته جعله في كل نزاع بين الإسلام وطرف آخر ينضم إلى الطرف الآخر:

- انضم إلى الهند في خصومتها المرة ضد باكستان المسلمة.

- انضم إلى الحبشة في عدوانها الصارخ على أرتريا.

- انضم إلى تنجانيقا وأغضى عن المذبحة الشنعاء التي أوقعتها بشعب زنجبار المسلم، ورحب آخر ترحيب بنيريري الذي يتظاهر بالاشتراكية وهو قسيس كاثوليكي .!!

- انضم إلى القبارصة اليونان في نزاعهم مع القبارصة المسلمين، وجعل الأزهر يستقبل مكاريوس عدو الكيان الإسلامي للأتراك.

- كان أسداً هصوراً في قتال اليمن، وحملاً وديعاً في قتال اليهود، حتى جعل اليهود - وهم أحقر مقاتلين في العالم - يزعمون أنهم لا يقهرون في حرب !!

سريع إلى ابن العم يلطم خده

وليس إلى داعي الندى بسريع !

- ولقد ساند « البعث العربي » الحاقد على الإسلام، ورفض مساندة أي تجمع إسلامي، واخترع حكاية القومية العربية لتكون بديلاً عن العقيدة الإسلامية.. !!

ومن الإنصاف أن نقول إن عدداً من رجال الثورة لم يكونوا راضين عن هذا الاتجاه الخاطئ.»

ولقد بني عبد الناصر مشروعه كله على التهويش وابتزاز أمريكا بالاتحاد السوفيتي والاتحاد السوفيتي بأمريكا. حاول اللعب على الحبال كالبهلوان .. وسقط.. وكانت سقطته مميتة. بل إننا نستطيع أن نقول أن بطشه الجبار بالأمة.. وانتصار المدفع والدبابة على القلم.. وتراجع الصحيفة أمام مدرعة والمفكر أمام الجلاد والأمة أمام الإذاعة الكاذبة.. سهولة النصر في معاركه الوحشية ضد الأمة.. والبساطة التي سحق فيها أعداءه في الداخل بمباركة الشرق والغرب خيلت له أنه هو الذي انتصر .. وليس الشرق

والغرب.. وتخيل أنه يمكن أن يحسم معركته مع إسرائيل بنفس السهولة التي حسم بها معاركه مع الإخوان المسلمين والوفد.. و أنه يمكن أن ينكل بجونسون وجولدا مائير كما نكل بالشهيد سيد قطب والمرحوم أحمد أبو الفتح..

ظن ذلك ..

وسقط في تجربته..

والحبال التي لفها حول أعدائه ارتدت لتلتف حول عنقه..

والأكاذيب التي أطلقها ارتدت إليه..

كان قد صدق نفسه..

وواجه إسرائيل دون استعداد.. وبانت حقيقة قدراته.. كارثة..

وهنا يجب أن ننوه أن قضاءه على الإخوان المسلمين بالذات كان مخططا أمريكيا منذ بدايته حتى نهايته.. و أن هذا التخطيط كان موصولا بطلب سفراء الدول الكبرى حل جماعة الإخوان المسلمين في مصر.. أما السبب فقد كان أداؤهم البطولي ضد اليهود في فلسطين عام ٤٨.

كان تقدير الغرب – وما يزال – أن وجود إسرائيل سيظل مهددا طالما وجدت جماعة الإخوان المسلمين فاعلة.

وصدرت الأوامر للنقراشي.. ونفذه أثناء المعارك في فلسطين.. أثناء وجود المجاهدين في الميدان.

ولم يكن عبد الناصر في حاجة إلى أوامر كالنقراشي..

كان الإخوان هم الكتلة الوحيدة التي تستطيع تهديد حكمه..

الوفد برغم شعبيته كان هشا..

الشيوعيون بسبب كفرهم وخسة طباعهم وصفاتهم الشخصية المنحطة – من انتهازية ولصوصية ودعارة– لم يستطيعوا أبدا أن يكونوا عنصر تهديد.. كانوا عناصر تأييد أو تنديد .. أما غير ذلك فكلا.

واجتمعت الرغبتان وتوافقت الخطتان..

رغبة أمريكا في القضاء على الإخوان من أجل إسرائيل.. ورغبة عبد الناصر في القضاء عليهم من أجل حكمه.

و أطلق عبد الناصر عليهم أجهزة دعايته الجبارة.. وكان كل ما قيل كذبا..

وما يزال..

كان هو السائر في فلك أمريكا وهو يتهم الإخوان المسلمين بذلك..

يقول عبد العظيم رمضان عن تلك الفترة:« كان عبد الناصر يعمل وهو جالس على حجر أمريكا وكانت أمريكا تؤيده» : ملفات ثورة يوليو- طارق حبيب- الأهرام.

و أذكر القارئ بما أقر به مصطفى خليل عن أمرين تابعين لمعركة ٥٦: موافقة مصر على مرور البضائع الإسرائيلية في سفن غير إسرائيلية وكذلك على فتح خليج العقبة أمام إسرائيل.

كما أذكر القارئ باعترافات صلاح دسوقي عما أسر به عبد الناصر له من رغبته في التفاهم مع إسرائيل.وكان هذا قبل تمثيلية المنشية، كما يقول طارق حبيب، وكما يؤكده أحمد حمروش- قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ٤٣٣ مؤكدا أن إسرائيل هي التي رفضت! ! ..

يكشف أحمد حمروش أيضا جزءا من الخدعة التي تعرضنا لها في إخراج وعرض صفقة الأسلحة التشيكية..حيث صور لنا الإعلام الكذوب انهيار الغرب عندما فوجئ بهذه الصفقة، حمروش يكشف لنا أن هذا هو الفيلم المزيف الذي أُخرج للجماهير كي يزداد انبهارها بالقائد الأسطوري.. أما الحقيقة فإن أحمد حمروش يخبرنا بها.. فقد كانت أمريكا على علم بالصفقة قبل إبرامها بزمان طويل، وكان من أبلغهم: جمال عبد الناصر شخصيا! ! ص ٤٣٧..

ويكشف حمروش أيضا في ثنايا كتابه زيف دعاوى الإرهاب التي يتهمون بها الإخوان.. ويكاد – لولا الشيطان – أن يعترف بالحقيقة و أن يقر أنه جهاد لا إرهاب.

ولقد حاول اليسار الاستيلاء على جزء من إعجاب الأمة بجهاد الإخوان – إعجاب

الأمة لا رضا الله – فقاد كمال رفعت وحسن التهامي عملية نسف سفارة البرازيل، كما قادهما جمال عبد الناصر في محاولة اغتيال حسين سري عامر. أما مجدي حسنين فقد قام بالهجوم على حارة اليهود. وحرق مكتبا في شارع الجيش. وفي عام ٥٤ عرض أحد أعضاء مجلس القيادة اغتيال محمد نجيب..

ولاحظوا يا قراء أن أحدا لم يصف كل ذلك بأنه إرهاب.. حتى يكاد وصف الإرهاب يقتصر على الجهاد.

ولاحظوا يا قراء أن اتهامات الإرهاب التي تكال للإخوان المسلمين لا تلحق أعضاء أساسيين في تنظيم الإخوان وبالذات في التنظيم الخاص.. أشخاص كجمال عبد الناصر.. رغم أنه هو الذي كان يحضر لهم السلاح ويدربهم على استعماله.

كل ذلك لم يكن إرهابا.. الإرهاب فقط ما فعله الإخوان!!..

يعترف أحمد حمروش بأن اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار عام ٤٩ كانت مكونة من خمسة أشخاص فقط.. كلهم كانوا أعضاء في الإخوان المسلمين! ! .. وهم: جمال عبد الناصر وحسن إبراهيم وخالد محيي الدين وكمال الدين حسين وعبد المنعم عبد الرؤوف.. وكلهم كانوا أعضاء في التنظيم الخاص الذي عرف بعد ذلك بالسري كما يقول أحمد حمروش (ص ١١٦ و ١٤٥) في كتابه عن ثورة ٢٣ يوليو. وكانوا قد تجاوزوا مرحلة الخضوع المطلق للإخوان المسلمين(نفسه ص ١٥٠) وكان ذلك بعد انتهاء حرب فلسطين بالهزيمة الساحقة وبعد استشهاد حسن البنا. وبعد ذلك بقليل بدأت اتصالات الضباط الأحرار بالمخابرات المركزية الأمريكية التي كان من ضمن من تعتمد عليهم في ذلك الوقت محمد حسنين هيكل وضابط مخابرات مصري (نفسه ص ١٨٢). يتلو ذلك اعتراف شبه صريح من حمروش بالرعاية الأمريكية للثورة في ص ١٨٣ وما بعدها.. وهي بالمناسبة صفحات أرجو من القوميين قراءتها! .. ففي بعضها، وبالتحديد في ص ٢٨٧ يذكر حمروش ما قاله عبد الناصر لآل سراج الدين في أبريل ٥٤ من ضرورة الحكم على فؤاد سراج الدين بالسجن و أنه يستعد للقضاء على الإخوان المسلمين! ! .

لم يكن الأمر أيامها – ولا هو الآن – أمر إرهاب ..

لم يكن كذلك.. فقد كان الذي يمارس الإرهاب أيامها جمال عبد الناصر وليس المسلمين.. كما أن الذي يمارس الإرهاب الآن هم الأمريكيون والصهاينة وحسني مبارك والعادلي وليس المسلمون..

لم يكن الأمر أمر إرهاب كما يدعي القوميون اليوم في كبرياء صليبي وازدراء صهيوني.. وإلا فليفسروا لنا ما ذكره حمروش في ص ٣١٠ من خطبة عبد الناصر أمام ضريح الإمام الشهيد حسن البنا في ١٢ فبراير ١٩٥٤: «أشهد الله أني أعمل وكنت أعمل لتنفيذ هذه المبادئ و أفنى فيها و أجاهد في سبيلها..»

وليفسر لنا أحد ما ذكره حمروش ص ٣٠٣ حين تحدث عن ذهاب عبد الناصر وكمال الدين حسين إلى حسن عشماوي وصالح أبو رقيق عضوي مجلس الإرشاد لإبلاغهما بموعد الحركة ليقوم الإخوان بدورهم في حماية المنشآت وطريق السويس ليلة قيام الثورة..

كانوا أبطالا مجاهدين ولم يكونوا إرهابيين..

وليجبنا أحد:

إذا كانوا إرهابيين من أجل قضية الخازندار فمن الذي أصدر عفوا خاصا عن قتلة الخازندار في ١١ أكتوبر ١٩٥٢؟

لن أدافع..

لن أذكر الملابسات..

لكنني فقط أسأل:

من الذي أصدر عفوا خاصا عن (الإرهابيين) قتلة الخازندار؟

ألم يكن هو جمال عبد الناصر بشحمه وبلحمه؟

فإن كانوا إرهابيين.. و إذا لم يكن للحادث ظروفه ومبرراته وملابساته التي استوجبت العفو فلماذا عفا عنهم عبد الناصر؟..

أما في ص ٣١٠ فيذكر حمروش جملة من خطبة عبد الناصر أمام ضريح الإمام الشهيد

حسن البنا في ١٢ فبراير ١٩٥٤: أشهد الله أني أعمل وكنت أعمل لتنفيذ هذه المبادئ وأفنى فيها و أجاهد في سبيلها..

وفي صفحات متعددة منها ص ٣٠٣ يعترف حروش –بعد طول إنكار- بذهاب عبدالناصر وكمال الدين حسين إلى حسن عشماوي وصالح أبو رقيق عضوي مجلس الإرشاد لإبلاغهما بموعد الحركة لتقوم بدورها في حماية المنشآت وطريق السويس..

ثم يتهمون الإخوان بالإرهاب..

ولو جاز ذلك منذ خمسين عاما وسط غسيل المخ المروع فإنه لا يجوز الآن بعد انكشاف الفضائح والحقائق.. وكل من يتهم الإخوان بالإرهاب الآن إما عميل ينفذ تعاليم سادته من الأمريكان والصهاينة أو غبي ومغفل.. وفي الحالين هو كذاب لأنه يعرف الحقيقة.

إن كانوا إرهابيين فمن الذي حاكم قتلة الإمام الشهيد حسن البنا بعد حفظ القضية ..

ثم من الذي أفرج عن الجناة بعد الصدام مع الإخوان.. وبعد أن تم تحويل القضاء إلى دمية في يد الثوار الأحرار الذين كانوا بدورهم دمى في يد الماسون الأحرار والصليبيين الأحرار.

كانت حرب كذب ضروس وكان وقودها السري يصنع في أوكار مخابرات الغرب لتشويه الإسلام والمسلمين لا الإخوان المسلمين.

وكان المقصود منع الجهاد لا الإرهاب.

وكما اتهموا الإخوان زورا بالإرهاب اتهموهم بالتخلف والرجعية والإيمان بالغيب وتحضير العفاريت.. ولاحظ الخلط الشيطاني بين الصواب والخطأ..

سوف يتهم هيكل بعد ذلك – أيام شهر عسله مع السادات – مراكز القوى وهم ناصريون مثله بتحضير الأرواح والعفاريت..لكنه سيتجاهل تماما ودائما شهادات الضباط الأحرار وعلى رأسهم ثروت عكاشة ۽ أحمد حروش ومجدي حسنين، وكانت كلها شهادات تبرئ الإخوان المسلمين وتكشف التي رمتهم بدائها وانسلت.. كانت الاعترافات كلها تقول أن مجموعة تحضير الأرواح تضم: جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وثروت عكاشة وخالد محيي الدين ومجدي حسنين.

الناصرية بؤرة سرطان في قلب الوطن وتسونامي عصف به فدمره و حقق آمال أمريكا لمدة خمسين عاما بعد عبد الناصر .. لا ينافسه في ذلك إلا مبارك الذي يريد تأمين سيطرة أمريكا وضياع الأمة مائة عام أخرى.. أما والحال ذلك فإن هذا لا يصلح بديلا لذاك..

نعم بؤرة سرطان ما كان علينا أن ننخدع بها.. لأنها مارست نفس ما فعله كرومر من محو ما يتعلق بوجدان الأمة ودينها وهويتها وخلقت تذكرات أخرى لا علاقة لها بالدين ولا بالأمة..

وإذا كان كرومر قد ترك لنا قاسم أمين ولطفي السيد وفتحي زغلول ونازلي فاضل و.. و.. و.. فإن ثورة ٢٣ يوليو خلقت نفس النماذج ومنحتها المجد وما ظنته الخلود..

من نجوم ثورة يوليو على سبيل المثال : عبد الرحمن الأبنودي..

وما يزال نجما ..

و إنني أريد أن أسأل سؤالا واحدا – أعرف للأسف – إجابته:

هل يصلي؟.. هل صلى في حياته ركعة؟.. هل يمثل وجدان الأمة فعلا؟

ثمة أسماء أخرى لا تعد ولا تحصى لكنني أقصد فقط أن أقول أن معظم النجوم على الساحة من صناعة أجهزة أمن الدولة والمخابرات.. إما بتزوير قناع نجم أو باقتناص نجم حقيقي وتوظيفه.

عادل إمام على سبيل المثال..

هل كان يمكن له الحصول على كل هذه الشهرة لولا رعاية الداخلية له كي يطعن الإسلام والأمة.. وكي يخرج وقت الأزمات عميلا يخدع الأمة..

يحيى الفخراني.. ما الذي حدث حتى تزداد الأضواء عليه فجأة لأنه منذ عامين مثل دورا يبرهن به أنه لا يأبه بالإسلام ولا يهتم به عندما مثل في مسلسل يدافع فيه عن القتل المجرم الذي يسمونه زورا الموت الرحيم.. والأمر لا يقصد به الحياة ولا الموت ولا الرحمة.. و إنما الجرأة على حدود الله.. وقد نجح الفخراني في امتحانه أمام الشيطان فاستحق الجائزة.

لقد كان هؤلاء وسواهم الوجه الآخر للفنانات (!!) الذين جعل منهم صفوت الشريف داعرات لصالح المخابرات (و أغلب الظن أن العكس صحيح.. و أنهم جعلوا الداعرات فنانات كي يساعدنهم على غسيل مخ الأمة..)..

هل هي صدفة أن كل سفراء النوايا الحسنة إما دعار و إما داعرات؟!!..

ربما نستطيع أن نقرأ الحاضر في الماضي.. والعكس صحيح.. فلو أننا نظرنا إلى العراق اليوم وكيف يختار اللصوص والسفلة والخونة كي يكونوا حكاما.. وفي نفس الوقت تتم مطاردة الأبطال والشرفاء والعلماء ووصمهم بالخيانة والإجرام والإرهاب. لو أننا قرأنا ذلك جيدا لعرفنا كيف تكونت كل الأسر الحاكمة في العالم العربي خلال قرن أو يزيد..

بالتوازي.. بالتوازي الكامل كان نفس الأمر يتم بالنسبة للفنانين..

إن مجلة النيوزويك الأمريكية – في طبعتها العربية – هي التي تتصدى الآن لصناعة وصياغة النجوم في العالم العربي..

هي التي تحدد المقياس والقالب والمثل الأعلى الذي يجب أن يحتذى..

ولقد اختارت المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ نيسان (أبريل)، وبمناسبة مرور خمس سنوات على صدورها أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم العربي، فكانت القوادة إلى المخرجة إيناس الدغيدي هي شخصية عام ٢٠٠٥!!.. وكان من الشخصيات أيضا نانسي عجرم!! و أسامة أنور عكاشة لسبب محدد هو تطاوله الحقير البذيء السافل على الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه. كذلك كان ضمن المختارين نجيب ساويرس..ويحيى الفخراني.. ومخرجي المسلسل الهزلي الكافر طاش ما طاش والذي حرم العلماء مشاهدته

ولقد رعى الحفل رئيس مجلس الوزراء الكويتي خيب الله سموه!!..

إنني أضرب الأمثلة فقط.. لكنني أقرر أن جل النخبة في جل المجالات صنائع صنعت لا مواهب برزت.. و أن هذه النماذج صنعت لأنه سيتم الاحتياج إليها واستخدامها ذات يوم.. مثل اليوم الأغبر الذي يتحول فيه مهرجون من أمثال عادل إمام ونبيلة عبيد واعتماد خورشد إلى مفكرين يهاجمون الإسلام ويحكمون عليه..

نفس الأمر..

فقط .. ازداد الابتذال وازدادت السفالة..

وهذا الفارق طبيعي..

فهو الفرق بين حكم الطغاة وحكم المهرجين.

***

يجب ألا ننخدع مرة أخري.. مهما كانت أشواقنا الملتاعة إلى خلاص فلا ينبغي أن نخدع أنفسنا بخلاص مزيف..

فهل تمثل حركة « كفاية » خلاصا..؟..

لمصطفى بكري شهادة يقلل من قيمتها انحيازه لمبارك.. إلا أنها جديرة بالذكر.. يقول بكري:

« سورس رجل الاقتصاد اليهودي الهنجاري الأصل الأمريكي الجنسية كان هو المسئول الأساسي الذي أشرف علي تدبير عملية الانقلاب السلمي في ورُيا فأطاح بشيفرنادزه وجاء بساكشفيلي، بعد أن أسس حركة شبابية قدم إليها ملايين الدولارات حملت شعار «يكفي»، أنها شبيهة بحركة «ابتور» الصربية التي أسقطت ميلوسيفتش في بلجراد سنة ٢٠٠٠، وهكذا تمكنت المئات من منظمات المجتمع المدني من إحداث الانقلاب في ورُيا».

إذن..

إن شعار كفاية نفسه شعار مشبوه.. وصناعة أمريكية..

أعتذر لمن سيصيبهم كلامي بالصدمة.. ولكن ذلك لا يعني بالنسبة لهذه الحركة أو سواها أن الحركة كلها أو حتى معظمها مخترق..

لقد كان الضباط الأحرار على سبيل المثال عدة مئات.. كان يكفي اختراق اثنين أو ثلاثة منهم لجرف الثورة كلها عن مسارها من خلف ظهر الباقين الذين لم يتصوروا ولم يتخيلوا ولم يصدقوا حتى وقعت الكارثة.

وربما تحتاج شهادة مصطفى بكري إلى مزيد من التدعيم بما نشرته الوفد تحت عناوين

ضخمة في ٧ أبريل:

«أعرب خبراء الأمن والقانون ورجال السياسة عن دهشتهم البالغة من وجود أوكار للجاسوسية في قلب القاهرة والكائنة في السفارتين الأمريكية والإسرائيلية.وطالبوا بضرورة التخلص من هذه الأوكار فوراً وطرد جميع أجهزة التجسس واصطياد العملاء من مصر.أشار الخبراء في الملف المنشور «بالوفد» علي الصفحتين الثامنة والتاسعة إلى أن السفارة الأمريكية في قلب القاهرة، تحولت إلي أكبر وكر للتجسس علي جميع مؤسسات الدولة في مصر. ويتم ذلك عن طريق عملاء أمريكان، يقومون بالتنصت وتجنيد العملاء ويدفعون ملايين الدولارات (...).. وأعرب لخبراء عن أسفهم الشديد لقيام واشنطن بافتتاح مكتب تابع للمباحث الفيدرالية F.B.I داخل السفارة الأمريكية ليعمل مع جهاز مخابراتها. وأشار الخبراء إلى أن المباحث الفيدرالية جهاز يشبه مباحث أمن الدولة في مصر ولا يمتد نشاطه خارج أمريكا، ورغم ذلك له فرع في القاهرة مما يثير العديد من الشبهات. وأكد خبراء الأمن والقانون ورجال السياسة أن الأمن القومي في خطر..»..

***

كل هذا صحيح..

ولقد قلنا من قبل في السياق أن كل ما يقال عن الآخرين صحيح.. وكل ما يقال عن الذات غير صحيح.. مع استثناء وحيد هو الهيئات والمؤسسات والأحزاب التي تعتمد الإسلام مرجعية لها.. ففي هذه لا يعتبر الصدق والكذب عملية مناورة يحدد موقفنا منها مصالحنا فيها.. لأن الفيصل هنا هو الحلال والحرام .. وغير مسموح بتجاوز الصدق مهما كان ضرره ولا استباحة الكذب مهما كان نفعه. وذلك خلاف في أصل المنهج.

***

إنني لا أتحدث عن الاختراق المكشوف المبشر.. ولا على أحزاب صغيرة – وحقيرة – صنعتها مباحث أمن الدولة، كذلك الحزب الذي اتهم رئيسه فيما مضى بسرقة أموال بعثة الحج لحزبه.. حينما ادعى فقد مئات الألوف من الجنيهات فراح يبكي ويعول حتى سدد له بعض الأمراء السعوديين ما ادعى أنه سرق. هذا الشخص جعلت منه المباحث عضوا

سياسيا يقابله صفوت الشريف الذي لا يقابل إبراهيم شكري ومحفوظ عزام ومجدي حسين.. وعندما منحته المباحث صحيفة قبضت الرقابة الإدارية في الأسبوع الثالث لصدورها على شقيقه في قضية رشوة مسجلة بالصوت وبالصورة في تهمة بالابتزاز باسم الصحيفة التي يرأسها شقيقه والتي يعمل هو فيها في وظيفة رئيسية.

مثل هذه الأحزاب الكاريكاتيرية ليست هي ما أقصده.. وما ذكرتها إلا على سبيل التفكه.. و أيضا على سبيل التدليل على مدى السقوط الذي انحطت إليه السلطة وأجهزتها.

***

عفوا..

لقد نسيت حزب التجمع ..

لكنه – ككل أحزاب اليسار – لا يصلح بديلا لمبارك.. إنه كالصيارفة النصارى أو المرابين اليهود.. وصمة عار على جبين الوطن وبثرة قيح في تاريخه.. ويكفي أن رأسا من رؤوسه كان عميلا للروس بالأمر وهو عميل أمريكا اليوم أما أبوه غير الشرعي فهو هنري كوريل وكل انتمائه صهيوني و أمله الوحيد في الحصول على نصيب من كعكة السلطة لن يتم إلا من خلال إسرائيل.. وبرغم حسن تنظيمه (بالتخطيط اليهودي الشيطاني) وارتفاع صوته إلا أنه لا يمثل أي رصيد في الأمة.

***

ليس ثمة بديل رغم أن النظام يترنح بصورة أجاد حسنين كروم وصفها في تكثيف أقرب للشعر:

«.. لنعد تجميع أجزاء الصورة وشظاياها التي تتناثر، وأستطيع أن أقول، إن النظام بدأ يفقد تدريجياً ثقته بنفسه وفي قدرته، وبدأت تلوح أمامه احتمالات بدائله، تتراقص أمامه وتشكل كابوساً لا يعرف كيف يتخلص منها وأصبح عليه الآن أن يسدد ما عليه من متأخرات ويتلقى الوخزات أو الضربات ويتراجع أمامها، بعد أن يضرب بارتياح في كل

اتجاه متي شاء وبالأسلوب الذي يعجبه، واكتشف الآن أنها ضربات ترتد إليه، جمد حزب العمل، ويرفض تنفيذ أربعة عشر حكماً قضائياً لصالح عودته وعودة جريدته الشعب ، واعتدي في الشارع علي أمينه العام مجدي أحمد حسين، وكانت النتيجة أن الشعب تصدر علي الإنترنت وتهاجم النظام وشخوصه بعنف لم تكن لتستخدمه لو سمح بعودتها، وأصبح مجدي أحمد حسين وصلاح بديوي وآخرون يذهبون لأداء الصلاة في الأزهر كل جمعة ليهتفوا ضد النظام وانتقلوا للمؤتمرات يهتفون بسقوط الرئيس، ثم اتجهوا أول أمس لمجلس الشعب وهتفوا نفس الهتافات، دون أن تجرؤ الشرطة علي التعرض لهم.

فما الذي استفاده النظام من تعنته وعناده معهم وضربهم! ؟

وقضية الدكتور سعد الدين إبراهيم كثيرون نصحوا النظام في بدايتها بسرعة غلقها لأنها لا تستحق، بالإضافة إلي أنها ستؤدي إلي صدام مع أمريكا ولن تتهاون فيه، والآن عاد الدكتور لا لنشاطه في مركز ابن خلدون وإنما إلى تحدي رئيس الجمهورية وشنه الحملات ضده وضد نظامه ويتوعد بمراقبة الانتخابات، دون أن يجرؤ أحد على اعتراضه، فما الذي استفاده النظام من فعلته معه؟

وتم اختطاف عبد الحليم قنديل رئيس التحرير التنفيذي لـ العربي وضربه وتجريده من ملابسه، فماذا كانت النتيجة؟ أصبح المتحدث الرسمي باسم الحركة المصرية للتغيير وعاود الكتابة مهاجماً النظام والرئيس وجمال مبارك بعبارات أعنف وأشد، وبشكل متواصل ونقل معاركه للفضائيات العربية، ولم يعد يتجرأ على المساس به أو الاقتراب منه.

وبعد الاعتداء الإرهابي في طابا تم اعتقال الآلاف من أبناء سيناء ولم يستمع النظام إلى كل الاحتجاجات التي طالبته بالإفراج عنهم، إلي أن بدأت النساء تقوم لأول مرة بالتظاهر في العريش، وجاءت منظمة هيومان رايتس ووتش الأمريكية وعقدت مؤتمراً بالقاهرة وأصدرت بياناً ضد النظام من أيام، دون أن يجرؤ علي منعها فما الذي استفاده بعناده وتعنته؟

ثم جاءت قضية أيمن نور ونحن لا دخل لنا بالجانب القضائي فيها إذا أحالها النظام

للقضاء، إنما يعنينا الجانب السياسي والعملي فقد أفرج عن أيمن قبل انتهاء مدة الخمسة وأربعين يوماً وأقيمت له مهرجانات في باب الشعرية وأعلن نفسه مرشحاً لمنافسة الرئيس مبارك، وصدرت جريدة الحزب، وبدأ يدلي بالأحاديث ويهاجم النظام، ولم يستطع أحد الاقتراب منه الآن.فما الذي استفاده النظام بعناده وتعنته؟ ولماذا أدخل نفسه في معركة كان معروفاً من بدايتها أن نتائجها ستكون ضربة له؟

النظام يسمي إجراءاته ضربات إجهاض، وأنا أسميها الضربات المرتدة ضده، لقد بدأ التحول ولن يستطيع أحد وقفه، ورغم أن الجميع يهاجمون التدخل الأمريكي والأوروبي فإنهم يضحكون بينهم وبين أنفسهم مرحبين به سراً ويلعنونه علناً.فهو الذي اجبر النظام علي أن يتعلم المرض قبل أن يضرب، ويبدأ في التخلي عن عجرفته المعتادة، وهو الذي وضعنا ووضع نفسه في هذا الموقف المهين، أن يمنح الشعب حريته خوفاً من الأمريكيين، فأي نهاية تلك التي انتهينا إليها؟!

***

أجاد حسنين كروم الوصف.. أما محمد عبد الحكيم دياب فهو يجيد التحذير والإنذار . والدكتور دياب كاتب بالغ التميز في القدس العربي.. ومن هذا المكان – صحيفة الشعب المجاهدة – أوجه له التحية والتقدير.. رغم دهشتي أنه برغم ذكائه ما يزال قوميا.. يحذر الدكتور محمد عبد الحكيم دياب الرئيس مبارك.. بل ويهدده..:

« ومن يتابع تسارع الأحداث والتطورات، يوقن بأن حكم الرئيس حسني مبارك قد انتهي، وما ينقصه ليس سوي مشهد الختام(...) ويري بعض الخبراء أن ما جري (...) يعرض مصر لمخاطر جمة، ويعرض عائلة الرئيس مبارك نفسها لمصير عائلة شاوشسكو في رومانيا، (...) ورغم ضعف هذا الاحتمال علينا أخذه علي محمل الجد، خاصة أنه يتداول في أوساط غربية، وهذا يقتضي بذل الجهد لتجنب وقوعه، ويتأتى ذلك بقناعة مشتركة بين عائلة الرئيس وأطراف المعادلة السياسية الداخلية، فعلي العائلة التسليم بانتهاء الدور، وعلي الأطراف الأخرى الإقرار بأن إخراج مشهد النهاية يحتاج حكمة كل العقلاء، (...) وعلي الرئيس مبارك وعائلته أن يعوا أن تأجيل مشهد الختام يفتح الأبواب أمام

سيناريوهات ، قد تضاعف من مأزقهم، ولا تساعد علي حله. (...) والاحتمال الأكبر وراء تشبث عائلة الرئيس بالحكم مصدره الخوف في مواجهة مشهد الختام وتداعياته، خاصة إذا لم تتمكن من استثمار اللحظة المناسبة، وكي يتم تجنب السيناريو الروماني (شاوشيسكو) أو غيره، فعلي القوي الراغبة في التغيير الديمقراطي أن تحول دون وقوع عائلة الرئيس في قبضة جمهور غاضب، تسيطر عليه روح الانتقام، (...) يجب أن ينتهي مشهد الختام بأقل قدر الخسائر. وتتشكل من أجل ذلك هيئة وطنية، تمثل طوائف الشعب، ترتب عمليات التسليم والتسلم، وتحصر ثروة الرئيس وعائلته . تُبْقي علي ما هو مشروع، وتسترد ما هو غير ذلك، وتودعه في خزانة الدولة، هذا مع العلم بأن أحاديث بدأت تتردد في الأوساط الصحافية البريطانية، في الأيام الأخيرة، عن ثروة الرئيس حسني مبارك، وتدعي بأنه مصنف بين العشرة الأكثر ثراء في العالم. القدس العربي ٢١ مايو ٢٠٠٥

***

في خضم هذا الطوفان الذي نواجهه لا توجد جماعة قادرة على تولي الأمر إلا جماعة الإخوان المسلمين.. فهي الأشد إخلاصا والأكثر أتباعا و الأحرص على الأمة..

لكن..

هل أمنّا على الإخوان من الاختراق..

إن الإخوان يؤكدون ذلك..

وليس لدينا دليل على العكس..

لكن الصورة العقلية تسبق حتى الواقع.. ومن المستحيل أن تترك أمريكا الإخوان دون اختراق.. قد يكون قديما قديما..

ورغم أنني واحد ممن يرون تصعيد المواجهة مع السلطة حتى النهاية إلا أنني لا أكف عن التفكير..

هل هي مؤامرة يستدرج إليها الإخوان مرة أخري لتصفيتهم.. ولست أستبعد أبدا أن يكون المستفيدون والمتواطئون هم الحزب الحاكم والتجمع والناصري..

لقد فعلوها من قبل..

وبالرغم من ذلك فإن أنصاف الحلول لم تعد تفيد..

والمواجهة التي نكص الإخوان عنها عام ٥٤ خوفا من نشوب حرب أهلية هي ما تواجهه الآن مرة أخري بعد أن تضاعفت التحديات مئات المرات.

بل يخيل إلىّ أن على الأمة الآن أن تدفع كل الديون التي كان عليها أن تدفعها فلم تدفعها منذ قرنين..

الديون كلها .. بأرباحها – أو على الأحرى خسائرها – وغراماتها واجبة السداد الآن...أضعاف مضاعفة.

وكل المعارك التي لم تخضها الأمة عليها أن تخوضها الآن.. في ظروف أقل ملاءمة..

لم يسقط من الالتزامات التزام.. وكل ما لم يُدفع لابد أن يُدفع.. وكل ما لم يُسدد لابد أن يُسدد.. وكل ما لم يؤد لابد أن يؤدى..

إن المعركة توشك على الوصول إلى منعطف خطير..

مواجهة حياة أو موت للأمة وللطغاة معا..

المواجهة حتمية لأن خسائر التراجع هائلة..و إذا ما كرر الإخوان خطأهم بعدم المواجهة مثلما فعلوا عام ١٩٥٤ فلن يستطيعوا تعويض الخسارة أبدا.. هذا إذا ما بقوا..

أما السلطة فإن ما طرحه محمد عبد الحكيم دياب هو المطروح أمامها..

العنصر الوحيد الفاعل في السلطة الآن هو جهاز الأمن..

والعنصر الوحيد الفاعل في الأمة الآن هم الإخوان المسلمون..

بالنسبة للسلطة ليس هناك سقف للجرائم التي يمكنها ارتكابها.. ولن يكون لديهم مانع أبدا من قتل مائة ألف أو مائتي ألف من الشعب كي يستقر الحكم للطاغوت .. كما فعل المجرمون الذين كانوا يسمون حكاما في الجزائر.

لكن من الناحية الأخرى فإنني أظن الجيش المصري أنظف و أشرف من قرينه في الجزائر.. جيش جنرالات فرنسا.. بل إنني أتصور أنه لو أولغ الأمن الغبي المجرم في دماء

الإخوان كثيرا لتصدى الجيش للأمن و أوقفه عند حده.. لكن لكي يحدث هذا لابد من كثير من الشهداء والنزيف .. و أن يكون كل هذا في صف الإخوان..

العملية بالغة التعقيد.. ولا أملك إلا الدعاء.

إلا أنني في الوقت نفسه أناشد الأمة ألا تتخلى عن طلائعها..

ولقد نزف قلبي دما و أنا أطالع على شاشات الفضائيات وصفحت الصحف ما فعله الأمن الغبي المجرم في طائفة من علماء الأزهر خرجت في صمت لتصطف في صمت مطبق أمام أحد المساجد في مدينة طنطا احتجاجا على تدنيس المصحف في جوانتانامو وتأييدا لمطالب الإصلاح في مصر..

لم يقطعوا شارعا ولم يسدوا حارة.. وقفوا في وقار العلماء أمام المسجد..

كانوا جميعا من علماء الأزهر..

وكان معظمهم من كبار موظفي الدولة..

ولم يراع الأمن الغبي المجرم حرمة الدين ولا العلم ولا السن..

فهل تعرفون ماذا فعل بهم؟

سحلهم..

نعم ..

سحلهم في الشارع ثم ألقى القبض عليهم..

(إن غدا لناظره قريب.. وخلال شهور إن شاء الله سيتم معاقبة المجرمين الذين فعلوا ذلك ابتداء من أصغر خفير إلى رئيسهم الأعلى بوش المجرم)..

كان على رأس العلماء الذين سُحلوا فضيلة الشيخ سيد عسكر الأمين العام المساعد السابق لمجمع البحوث الإسلامية.. وهو واحد – لا أزكيه على الله – من أرق و أعلم من شاهدت من العلماء و أغزرهم علما.

صرخ الإسلام داخل قلبي يستمطر اللعنات على من آذى الشيخ ورفاقه..

صرخ الإسلام في قلبي و أنا أقارن الموقف الخسيس الجبان للأمن تجاه القسس

والصعاليك الذين جمعوهم على باطل فراحوا يرجمون رجال الأمن بالأحجار فلا يجرؤ منهم أحد على الرد بحجر..

صرخ الإسلام ي قلبي: لم يحم البابا شنودة نفسه.. ولا القساوسة حموا أنفسهم .. وإنما حماهم شباب النصارى فأين أنتم يا شباب المسلمين..

أين المؤسسات الإسلامية داخل مصر وخارجها كي تطالب بعزل مبارك ردا على إهانة العلماء والتنكيل بهم..

مبارك..

مبارك الذي أعز الله به اليهود والنصارى.. و أذلنا به..

إنني أناشد الداخل والخارج أن يضغط على نظم مجرمة لم يعد يحركها إلا الخوف للإفراج عن العلماء الدعاة وعزل كل من اشترك في جريمة التنكيل بهم..

لقد تحول اعتقال الدعاة والتنكيل بهم و إهانتهم مقابل تكريم القسس إلى سياسة ثابتة لنظام ملعون.. وما اعتقال الشيخ نشأت والشيخ فوزي عبد المقصود إلا مثلا.. كذلك اعتقال الداعية الكبير الشيخ رفاعي سرور الذي لا يزال ابنه المهندس عمر معتقلاً في سجن أبي زعبل والذي كتب عنه الدكتور هاني السباعي مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية في موقعه المتميز حيث ذكر أن الشيخ رفاعي سرور من الرعيل الأول للحركات السلفية ذات التوجه الجهادي، ويعد من العلماء القلائل الذين صدعوا بالحق في وجه الطغاة. كان الدكتور أيمن الظواهري يبجله ويكن له خالص الاحترام؛ إذ أنه قد تعرف عليه في سنة ١٩٧٥م وكان يقول لقد تعلمت واستفدت منه كثيراً. وقد كان ضمن الإسلاميين المتهمين في القضية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٨١م حصر أمن دولة عليا المعروفة باسم قضية تنظيم الجهاد وكان مثالاً للأسد الهصور والشيخ الصبور وخرج الشيخ نقياً صافياً حيث كان من قبل قد قرر أن يعتزل العمل التنظيمي فعكف على تأليف بعض الكتب النافعة والتحقيقات الجادة ومنها كتاب عندما ترعى الذئاب الغنم: وهو من جزئين وهو في غاية الروعة ومترجم إلى عدة لغات أجنبية ألفه في بداية حقبة السبعينات. كتاب أصحاب الأخدود: رغم صغر حجمه إلا أن الله وضع البركة في هذا الكتاب الذي

طبع في السبعينات وحتى وقتنا الحاضر وترجم إلى عدة لغات. وكتاب قدر الدعوة: من الكتب القيمة التي ينبغي على أي داعية إسلامي أن يقرأه وله كتابان في نفس السياق اسمه (حكمة الدعوة) وكتاب (بيت الدعوة).. وكتاب علامات الساعة: وهو دراسة تحليلية لعلامات الساعة: وهذا الكتاب لا يوجد له نظير في العصور القديمة ولا الحديثة إذ لم يؤلفه على طريقة القدماء، بل غاص في مسائل تحليلية وأجاب ببراعة عن إشكاليات وملابسات في غاية الأهمية. هذا الكتاب منشور من جزأين وترجم إلى اللغة الإنجليزية.

***

وفي النهاية لا أملك إلا أن أضم صوتي لصوت الحق القوي الدكتور هاني السباعي وهو يطالب بمحاكمة ضباط أمن الدولة بصفة خاصة شرعياً وقانونياً وملاحقتهم قضائياً في أي مكان في العالم.

و أضم صوتي إلى صوته فيما بح فيه صوتي منذ أعوام عديدة و أزمان مديدة من المطالبة بإدرار فتوى من الهيئات الشرعية سواء في الأزهر أو في غيره تفتي بفسخ عقود زواج كل من يمارس التعذيب أو يزيف صوت الأمة ومن يشهد الزور ومن على شاكلتهم، وأن تفتي بعدم جواز دفنهم في حالة وفاتهم في مقابر المسلمين ليكونوا عبرة، فكلا للذين ينصرون السلطات الظالمة الوالغة في دماء شعوبها.

اللهم فاشهد

***

حاشية

اللهم اقتل الكافر المجنون السكير المتخلف المتوحش جورج بوش قتلة يتحدث بها العجم والعرب..

اللهم اقتله..

اللهم اقتله..

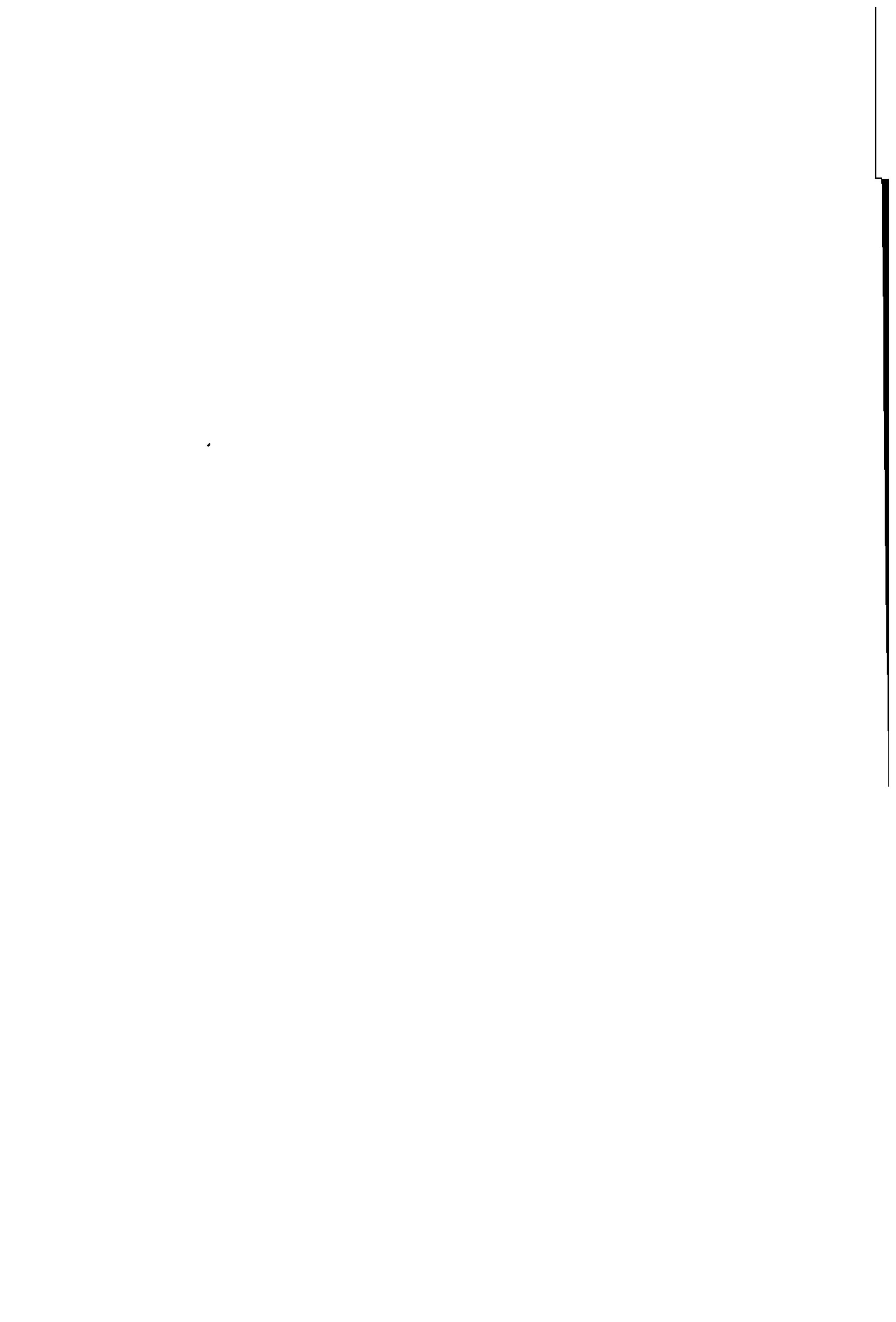
اللهم اقتله..

هلك الفاجر



القراصنة (*)...
هل يفتح باب الحرية
أم لا مناص من أن يكسر؟!

(*) نشر في أغسطس ٢٠٠٥



- أخطاء المعارضة الفادحة وصفاقة الأحزاب الرسمية و أباطيل هيكل!!
- الغيطاني يتهمني بالتحريض على قتله!!..
- ماذا يفعلون بالمجاهد إبراهيم شكري
- عتاب للحبيبين: مجدي حسين وعمرو خالد..

الخطأ القاتل الذي وقعت فيه المعارضة، والذي سيجعل محصلة نضالها هباء منثورا، هو أنها جعلت أهدافها منع التمديد أو التوريث، فقضت على نفسها بالدخول في مناورة مع نظام طاغوت مجرم باطش جبار لا يعرف دينا ولا قانونا ولا عرفا، وهو قادر بأدواته وأجهزته، وبكم الخسة والتدني والوحشية والضراوة التي لا يمكن أن ينافسه فيها منافس، على أن يحقق – بالخداع والغش والتزوير – الفوز في أي مناورة، ذلك أنه ليس مستعدا فقط لاقتراف كل الجرائم والموبقات كي يستقر ويستمر ويمدد ويورث إلى الأبناء والأحفاد، ليس مستعدا لاقتراف ذلك فقط، بل إنه يرتكب تلك الموبقات بالفعل.. يرتكبها منذ أتى.. وسيظل يرتكبها إلى أن يموت بعد أن يورثها لأبنائه و أحفاده.. ذلك أن لديه خبرة في الممارسة المستمرة المتواصلة منذ خمسين عاما.. بل إن خبرة بعض أجهزته يعود إلى ما قبل ذلك بكثير، فمباحث أمن الدولة، ليست إلا الامتداد الطبيعي للبوليس السياسي والقلم المخصوص، الذي أنشأه الإنجليز للقضاء على الحركة الوطنية، ومنع المجاهدين من التشكل لمقاومة الاستعمار، وما زال هذا الهدف، رغم الزمن، هو الهدف الرئيسي لمباحث أمن الدولة، بل إن إجرام الإنجليز، وخسة الاستعمار، الصليبي المجرم اللص الكافر لا تجرمننا من أن نقول أنها كانت أقل خسة وهمجية ووحشية وضراوة من أجهزة أمننا الحالية.. بل و أكاد أقول .. أنها كانت – أيضا – أقل عداء للإسلام..!!.

***

لطالما كتبت، ولطالما كررت أن المنهج الذي يستعمله الصليبيون الصهاينة ضد دولنا هو نفس المنهج الذي تستعمله حكوماتنا ضدنا، فليست حكوماتنا سوى أجهزة حكم محلي تخضع لرئاسة الأعداء، وكل ولائها له، لا لمجتمعها ولا لله، و أن قدر الذين يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا هو أن كتب عليهم القتال وهو كره لهم، و أن يكون جهادهم

مزدوجا، فهو ضد العدو القريب والبعيد، ضد الطاغوت العربي والأعجمي، ضد أجهزة الأمن المحلية والعالمية، ضد صحافتنا وصحافتهم في نفس الوقت، وضد الميديا المحلية التي تحركها الصليبية الصهيونية حيث تحالف الجميع علينا، إلا أن الأخطر من هذا وذاك، أن جبهة هائلة مخيفة قد فغرت أفواهها تحت أقدام الجميع، فلأول مرة في التاريخ توجد هذه الجبهة كدوامة أو كطوفان أو كبحر من الرمال المتحركة، تحاول أن تبتلع الجيش الذي نعتمد عليه، الجيش الذي هو الأمة، التي بدأت تحت معاول الغواية وغسيل المخ والتزوير وخيانة المثقفين تستلب شيئا فشيئا، على أمل من أولياء الشيطان أن تتوه وتضيع وتشرد، أو أن تنضم إلى الأعداء تحت معاول الغزو الفكري وتزييف الوعي وتزييف الذاكرة.

ومن هنا لزم التنبيه..

***

نعم.. كان الخطأ القاتل الذي وقعت فيه المعارضة هي أنها فعلت كمحمد حسنين هيكل فكانت كصاروخ انطلق من المكان الخطأ فكان حتما أن يضل ويضيع منه الهدف. لقد ذابت الاستراتيجية في التكتيك وبهذا خسرنا المعركة قبل أن تبدأ، كما أن التكتيك نفسه كان خطأ. كان أرض قتل، وهو تعبير عسكري يعني استدراج العدو إلى كمين يسهل قتله فيه. وهو – للأسى – ما يحدث الآن للمعارضة المصرية. ومع اختلاف المواقع والرؤى فقد استدرجت ثورة ٢٣ يوليو إلى أرض قتل كتلك ثم قضي عليها فيها بعد أن أدت المطلوب منها. ومن يطالع تصريحات رايس، بأن السياسة الأمريكية في المنطقة خطأ منذ ستين عاما، و أن هذا الخطأ كان في تأييد نظم الحكم الدكتاتورية في المنطقة لصالح الأمن الأمريكي (والإسرائيلي بالطبع).. من يقرأ تلك التصريحات يفهم على الفور إن لم يكن قد فهم بعد أن الأمريكيين كانوا داعمين معضدين لنظام الحكم الدكتاتوري في مصر.. لثورة ٢٣ يوليو.. التي كانت جزءا هاما في المخطط الأمريكي.. بل كانت الجزء الأهم.. كما أنه لابد أن يفهم على الفور إن لم يكن قد فهم أن من وضع الخط الأحمر أمام وجود الإخوان المسلمين في الحكم لم يكن حادث المنشية ولا تهم الإرهاب.. وإنما كان الخط الأحمر – وما يزال أمريكيا (و إسرائيليا بـلطبع)..

إن ندم أمريكا على ستين عاما من الخطأ يجدد هذا الخطأ بجانبين: جانب فعلوه يندمون عليه.. وجانب أمروا بعدم فعله، وهم الآن يتصورون أن عواقبه قد تكون أقل من عواقب ما فعلوه..

كان الذي فعلوه هو تعضيد بل إنشاء النظم القمعية خاصة نظم العسكر.. وعلى رأسها ٢٣ يوليو.. أو ثورة يوليو الأمريكية كما يقول الأستاذ جلال كشك رحمه الله.. وكان ما أمروا بمنعه هو وصول الإخوان المسلمين إلى الحكم.

لست أدري كيف لا يفهم الناصريون وجل قواعدهم طيبة هذا.. لست أدري كيف لا يفهمون إلا إذا كان عدم الفهم قرارا مسبقا.. أو أنهم كاليساريين يفهمون ويقبلون ويفضلون وجود إسرائيل عن وجود نظام حكم إسلامي.

(يا إلهي.. إنني أسأل نفسي فعلا.. حسني مبارك وفتحي سرور وكمال الشاذلي والحزب الوطني جله.. ورفعت السعيد.. والتجمع جله.. وبعض قيادات الناصريين.. وكل رؤساء الصحف القومية.. وجابر عصفور وسمير سرحان وصلاح عيسى وجمال الغيطاني.. و.. و... و... أولئك جميعا.. لو خيروا بين أن تحكم حماس فلسطين أو أن تبقى إسرائيل.. فأيهما يفضلون؟!!.. هل هناك أي شك؟.. هل هناك أي شك؟.. هل هناك أي شك؟...)..

عدم إدراك القوى الفاعلة لهذه الحقائق ولتلك الألغام قد يدفع بالحركة إلى السقوط في حجر عميل سابق للمخابرات السوفيتية، وعميل حالي لأمريكا.. وعميل دائم لإسرائيل والصهيونية العالمية.. منذ هنري كوريل وحتى اليوم.. ذلك أن بقاءه وظهوره وبروزه كلها ضمن المخطط الأمريكي الصليبي الصهيوني فيا لضيعة مع من يتحالف مع مثل هذا أو ذاك

***

لا أريد أن أقع في الخطيئة التي اعتاد محمد حسنين هيكل على ممارستها حين يلوي – ببراعة منقطعة النظير – أعناق الحقائق ليرسم صورة سابقة التجهيز في وجدانه، حيث توجد الصورة أولا ثم يجري البحث والتنقيب عن المبررات والتبريرات والمسوغات

والخلفيات. فيكون بهذه الطريقة كطبيب غير حاذق يبدأ بتشخيص المرض ثم يبحث عما يؤيد تشخيصه فإن لم يجد من الأعراض والعلامات ما يؤيده لجأ إلى تلفيق الأدلة. غير أن ما يغطي على القصور المنهجي لهيكل، وعلى إخفائه ما يشاء من الحقائق و إبراز ما يريد، هو بلاغته و أسلوبه الأدبي الرفيع، حتى أنني سميته ذات يوم نجيب محفوظ السياسة كما سميت نجيب محفوظ هيكل الأدب، بيد أنني أكتشف الآن أن ذلك التشبيه كان رمية من غير رام، لأنني أكتشف فعلا أن هيكل لا يكتب تاريخا ولا سياسة، و إنما يكتب روايات عظيمة فعلا ينطبق عليها ما ينطبق على الشعر الذي أعذبه أكذبه، و أن أكذبه أعلاه في الصدق الفني، لكنني أنبه القارئ هنا أن الكذب هنا لا يتعلق بسرد الوقائع بل في اختيار نقطة البداية والنهاية واختلاف التفسير والتبرير والتقديم والتأجيل والإهمال والاهتمام، وبهذه الآلية ، يمكن لعبقري كمحمد حسنين هيكل أن يصوغ – من نفس الأحداث – ألف رواية عظيمة.

وعلى سبيل المثال، فإن حديثه عن الشأن الراهن على شاشة قناة الجزيرة يوم الخميس ١٦ يونيو ٢٠٠٥، يصلح كنموذج مثالي لكشف عوار منهجه. يصحبنا هيكل – كما تصحبنا كل فصائل المعارضة الرسمية – إلى أرض التيه، فإذا قبلنا الدخول معه منذ البداية فلا مهرب منه حتى النهاية.. لأننا إن قبلت افتراضاته الأولي فليس ثمة مناص أمامنا من أن تسلم بالوسائل والنتائج ، وسبيل النجاة الوحيد أن ندرك منذ البداية أن نقطة البداية خطأ و أن الافتراضات باطلة.

إن هيكل، الذي لم أكف رغم اكتشافي لخطاياه عن الإعجاب به، يشبه المرافق الرسمي الذي يصحب الضيف فيريه ما يريد ويخفي عنه ما يريد، ويصل الأمر أحيانا إلى حد المهزلة، كذلك اللواء الذي اصطحب لجنة تقصى الحقائق في مجلس الشعب إلى السجون، ليثبت لهم أن سجوننا من أفضل سجون العالم. لقد دخلوا مع المرافق من الباب الخطأ، ورأوا المشهد الخطأ، لكن أحكامهم في ضوء ما رأوه -لا ما أخفي عنهم- لابد أن تتسق مع رؤية المرافق. ويكفي تدليلا على تحيزات هيكل أنه تناول باستعراض شامل فصائل وتوجهات المعارضة، لكنه لم يتطرق قط إلى الإخوان المسلمين، فكان أشبه بالمشبوه الذي يتلافى ذكر الجريمة القديمة خوفا من اكتشاف دوره فيها(دعنا الآن من تجنبه ذكر محمد

نجيب وهو يحصر الرؤساء.. جريمة أخرى يتجنب ذكراها).. وكان عوار منطقه في هذا الصدد وذاك فادحا. فالوحيد الذي يتصدى الآن لهيمنة الغرب علينا وسحق هويتنا هو الإسلام وهم المسلمون، لكن هيكل يريد أمرين متناقضين: استرجاع الهوية (أي هوية .. لم يحدد!!) واستبعاد الإسلام والمسلمين. كان العوار فادحا، كان يريد بمنهجه الغربي أن يعالج أمة مسلمة، كان يريد من الإنسان أن يعيش في بيئة غير بيئته، وأن ينمو بعد ذلك ويزدهر، كان يريد من إنسانه أن يعيش تحت الماء، ولم يردعه أنه جرب و أن إنسانه غرق. وكان يريد من إنسانه أن يطير في الهواء، ولم يرتدع حتى بعد أن سقط إنسانه وهلك، ولم يفكر أبدا أن يبحث عن أرض الواقع الصلبة، والمرتكز الوحيد للمقاومة والتقدم. أرض الإسلام.

لقد كنت أتابع طوفان المعلومات الخصب عند هيكل وهو يتحدث عن تاريخ الفلسفة وحكمة التاريخ محوّما حول ثقافات الرومان والإغريق وحول أحدث النظريات في الغرب وحول أشهر الفلاسفة والمؤرخين. وكنت أنتظر اللحظة التي يحط فيها على مرفأ إسلامي يبلور فيه رؤاه و أفكاره كي تتناسب مع مجتمع إسلامي. لكنه لم يفعل. لذلك كانت كل رؤاه هباء ضائعا في التيه. فالطبيب البيطري مهما بلغت مهارته واتساع معارفه وعمق خبراته لا يصلح أبدا لعلاج إنسان. أو قل أن هيكل كالطبيب الشرعي، قد يجيد تشريح الموتى ومعرفة أسباب موتهم – أو التعتيم عليها – لكنه ضعيف جدا عندما يتصدى لعلاج الأحياء، ومن هنا كان ضعفه وهو يتحدث عن أسوأ عهود مصر، عهد مبارك.

نعم.. عند هيكل التاريخ موجود بقوة، كذلك الفن والفلسفة والأدب، وحتى الشيطان أيضا موجود، وفاعل، لكن الغائب دائما عن عالمه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عمن يتجاهلون وجوده عُلُوّاً كَبِيراً. وانظر على سبيل المثال إلى عبارته وهو يتحدث عن قصة صورة دوريان جراي مع رسول الشيطان، ولعل التعبير يتسق مع الفكر الغربي وفكرته المشوهة عن الرسل ، الزناة الخطاة، بل والشواذ، الذين صارع بعضهم الله وانتصر عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً، أما الوجدان المسلم فلا يعرف للشيطان رسلا،

فالرسل يبعثهم الله، لكنها طريقة الحداثيين المستغربين في امتهان المقدس وتلويثه والجرأة عليه (نفس المنهج والغاية من تدنيس المصحف)..

إن الأديب هيكل، نجيب محفوظ السياسة، يملك من الثروة اللغوية ما كان يغنيه عن استعمال عبارة رسول الشيطان، التي لا توجد بكثرة نسبية إلا في الأدبيات التلمودية، وفي هجوم المستشرقين الصليبيين على الإسلام، فبعضهم، لعنهم الله، يقولون أن سيدنا جبريل ليس هو الملاك جبرائيل، و أن الثاني ملاك نزل على أنبياء بني إسرائيل، أما الأول حاشا الله فقد كان رسول الشيطان إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم!!..

كان في وسع هيكل أيضا أن يستعمل مرادفا آخر كترجمة لكلمة : « MESSENGER» « التي ترجمها بكلمة «رسول».. كان يستطيع أن يقول مندوب الشيطان أو وكيل الشيطان أو مبعوث الشيطان أو ساعي بريد الشيطان.. لكنه اختار كلمة رسول.. لأن الإنسان المسلم بالتداعي عندما يسمع كلمة رسول.. يكملها على الفور : رسول الله.. وعندما يكملها فإن من يخطر بذهنه على الفور ليس أي رسول لله بل سيد الخلق أجمعين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. يا هيكل!!..

هل غفل نجيب محفوظ السياسة عن مثل هذا؟!..

أم أن استعمال هذه التعبيرات يقوم بدور الشفرة في ربط علاقات معينة وانحيازات محددة. تماما كما يحدث في بعض التنظيمات السرية، عندما يلبسون رباط عنق به نقش معين لا يلبسها إلا الأعضاء، أو خاتما ذا نقش مميز. فيتعرف الأعضاء على بعضهم البعض، ويبذل كل منهم ما يستطيع من عون لرفيقه.. دون أي تبادل للحوار قد يكشفهما معا.. لكنهما بهذه الإشارات والطقوس .. يستطيعان أن يفعلا ما يشاءان دون أن يكتشف أحد ما وراءهما من أسرار.. و أنا أضرب المثل بالأفراد.. لكنني أقصد الجماعات.. و أقصد أن استعمال مثل هذه العبارات قد يؤدي – على سبيل المثال إلى فتح الأبواب المغلقة بل إلى الفوز بجائزة نوبل!!.

ثمة ملاحظة أخرى، حاولت إغفالها، إكراما لهيكل، لكنني لم أستطع، وكما كشفت في مقالات سابقة أن هيكل غربي المنهج والنزعة والهوى، و أن حديثه عن السودان يتماشى

تماما مع الأهداف الأمريكية (راجع قوله أنه لا يوجد سودان واحد بل أربعة، و أنها لا يمكن أن تستمر، و أن لطفي السيد وافقه على ذلك).. أقول أن هيكل عاد إلى نفس المربع.. ذلك أن اقتراحه بالتمديد لمبارك لمدة عامين - أقولها بأدب - يتماشى مع المخططات الأمريكية.. قلتها بأدب.. لأن الحديث المباشر قد يكون ذابحا.

إن فترة العامين ستكون كافية لابتزاز مبارك حتى آخر قطرة، وللقضاء على زخم ومد الحركة الوطنية.

ولقد تمنيت - بعد اليأس - أن ينطلق هيكل ولو من خلفية ثقافة مسيحية ليسعى إلى خلاص روحه بالاعتراف بدوره في الانهيار العظيم الذي نعيشه، تمنيت أن يقول : لا تصدقوني فقد قدتكم قبل ذلك إلى هاوية ٦٧، ولو أنكم أطعتموني اليوم لقدتكم إلى نفس الهزيمة مرة أخرى.. لأن منهجي هو نفسه لم يتغير. وددت ذلك من هيكل، لكنه كعادته اصطحبنا إلى نقطة الانطلاق الخطأ - تماما كما تفعل المعارضة الرسمية الآن - اصطحبنا إلى لحظة من يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ليؤرخ لبداية الانهيار العظيم. ولو أنك وافقته لكان كل حديثه منطقيا وشديد التماسك بعدها، لكن بناءه كله سوف ينهار إذا ما فاجأته بالسؤال: ولماذا تكون نقطة البداية هي ٧ أكتوبر ١٩٧٣؟! لماذا لا تكون ٥ يونيو ١٩٦٧؟؟!! كما أن بناءه سوف ينهار إذا ما سألته لماذا لم تجعل نقطة البداية عام ٥٣، عندما انقلبت الثورة على مبادئها وبدأت في التهام بنيها، حيث أصبح أهم الدوافع لاستمرار الضباط الأحرار في الحكم بعد ذلك هو خوفهم من أن يستلم الحكم غيرهم فيحاكمهم على الجرائم التي ارتكبوها وعلى الأموال التي اختلسوها. ينهار البناء أيضا إذا ما سألته لماذا لا تكون نقطة البداية ٢٧ فبراير ١٩٥٤ أو ٢٥ مارس من نفس العام ، أو تنفيذ القرار الأمريكي بسحق القوة الوحيدة القادرة على التصدي للغرب، ألا وهم الإخوان المسلمون، وعبر تمثيلية المنشية. ولماذا لا تكون نقطة البداية هو الاعتداء المجرم على السنهوري؟ وقد كان مقررا ليلتها عقد اجتماع لنقابة الصحافيين للمطالبة بالديمقراطية لكنهم بعد أن رأوا كرامة السنهوري تباح وجسده يستباح، لم يذهب إلى الاجتماع منهم واحد، ليبدأ عصر طويل، عصر الموتى وهم أحياء، وهو عصر استمر نصف قرن، بدأ الموتى بعده يتململون، ويعلم

الله إن كانوا يستيقظون أم يعودون إلى موتهم.

بقيت نقطتان حول هيكل:

الأولى حول استشهاده بأوسكار وايلد، الذي و إن أقررنا بقيمته الأدبية الكبرى إلا أننا يجب أن نتذكر أنه شاذ جنسيا بحكم محكمة سجن به لمدة عامين، بل ويقال أن الرواية تمثل قصته هو شخصيا مع نبيل إنجليزي كان عشيقا له.(في لقاء سابق في قناة الجزيرة أبدى هيكل إعجابه الشديد بالشاذ فكريا أحمد لطفي السيد). ومرة أخرى فإن هيكل أكبر و أعمق من أن يختار استشهاداته اعتباطا، و أظن أن الخاتم المميز النقش هنا يخاطب من لا نعرف قائلا:

- أنا لا يهمني الشذوذ، لا يهمني الأخلاق، أنا حداثي، وكل تلك الصفات حريات شخصية لا تمنعني من احترام الشواذ وتبجيلهم..

وبهذا المفهوم يكون الأمر خطيرا جدا، ويكون هيكل آخر من يصلح لوضع علامات على الطريق.

النقطة الثانية - أذكرها لإحساسي أنني تكلمت كثيرا عن عيوبه فأحاول البحث له عن ميزة- هي عبارة قالها في حلقة ٢٣-٦ على قناة الجزيرة - حيث كان في أفضل حالاته المعنوية والفكرية منذ بداية الحلقات بل والصحية أيضا- .. قال هيكل أنه رأي قطيعا من الأغنام يقودها راع، فخطر بباله أن حكامنا - رعاتنا - يحاولون أن يجعلوا من الشعب قطيعا كهذا القطيع، و أن راعي القطيع يريد أن يبيع قطيعه، و أن من سيشتريه يريد أن يذبحه!!..

ألم أقل لكم أنه نجيب محفوظ السياسة!!

ملحوظة: لي انتقاداتي الجوهرية لفكر نجيب محفوظ، لكننا لا يمكننا عدم التسليم بأنه روائي عملاق على مستوى العالم.. لكن ذلك ليس موضوعنا الآن.

***

أقول أن الخطأ القاتل لأحزابنا الرسمية ليس مجرد أنها وقعت في مستنقع التفاصيل، بل إنها منذ البداية خطأ، تحمل بذور الانهيار والفناء، إن الخلل لا يقتصر على الأحزاب

والهيئات والمؤسسات.. ولكنه تجاوز ذلك ليشمل الأفراد أيضا.. لقد أصاب العطب أفراد الأمة.. ولقد تميعت أمامهم – تحت وطأة ضراوة التضليل – قضاياهم وانحيازاتهم.

ورغم أن القيم الخلقية للهيئات ينبغي أن تكون أعلى من القيم الخلقية للأفراد، إلا أن ضراوة الاجتياح أدت لانهيار الجميع أفرادا وجماعات، فلا الفرد مؤهل ولا الهيئات والأحزاب تصلح، أما الأحزاب الرسمية فقد كانت أشد سوءا من ذلك كله، كانت عاجزة، معوقة، مليئة بالعاهات، أسيرة الماضي مشلولة الحاضر عمياء عن المستقبل، ولقد كان مضحكا على سبيل المثال موقفها من الإخوان المسلمين ومن حزب العمل، واعتبارهما غير شرعيين، على أساس أن السلطة الحاكمة شرعية وتمنح الشرعية من تشاء وتمنعها عمن تشاء، وتجاهلت الأحزاب الرسمية التناقض الصارخ الذي تقع فيه، فإن كان نظام الحكم شرعيا فلماذا كل هذه المعارضة الصاخبة إلا إذا كانت هذه المعارضة الصاخبة تعنى الخروج عن الشرعية، وهل يعني إقرار أحزاب المعارضة بشرعية نظام الحكم اعترافها بعدم تزوير الانتخابات على سبيل المثال؟..فإذا كانت الانتخابات والاستفتاءات لا تزور فلماذا إذن دعاوى التغيير ؟ و إن كانت تزور فإن هذه الأحزاب نفسها جزء من الواقع المزور وبهذا يكون الإخوان المسلمين وحزب العمل أكثر شرعية من أي حزب آخر.. لأن منح الشرعية من سلطة تفتقدها هو انتقاص للشرعية.

ولقد نالت الأحزاب الشرعية من الحزب الحاكم ما تستحق من امتهان و تجاهل ومهانة.. لقد هانوا وسهل الهوان عليهم..

والحقيقة أنني ألاحظ أن موقف هذه الأحزاب من جماعة الإخوان المسلمين ومن حزب العمل ومن القضية الوطنية ككل ليس موقفا مبدئيا و إنما هي مناورات لتحصيل بعض المكاسب التافهة الهزيلة، لتسمح لهم الدولة في النهاية بتزوير بعض المقاعد النيابية لأحزابهم. بل ألاحظ تطابق موقف هذه الأحزاب مع موقف الدول العربية تجاه فلسطين والعراق، حيث تسير هذه الدول على المنهج الأمريكي بحذافيره، وتتبنى المواقف الأمريكية كما تملى عليها، وهكذا تم حصار فلسطين والعراق وتجويعهما ومنع المدد عن مجاهديهم، نفس الأمر وبنفس الخسة مارسته أحزاب المعارضة الرسمية تجاه القوى

الحقيقية الفاعلة في الأمة.

إلا أن الخطأ في التقدير لم يقتصر على الأحزاب الرسمية فقط، ربما مع الأحزاب الرسمية كان الخطأ مع سبق الخسة والإصرار والترصد، أما مع باقي القوى الفاعلة في المجتمع فقد كان الخطأ خطأ تقدير.

***

على مستوى الواقع، وعلى أرضية الممارسة العملية كان الخطأ في ظن سقيم أن الطاغوت يمكن أن يفتح أبواب الحرية والصدق بمظاهرة هنا ومناشدة هناك.. كان ذلك خطأ فادحا.. لأن باب الحرية لن يفتح.. بل سيكسر.. ولقد أدى عدم فهم ذلك إلى أساليب خاطئة كجعل التمديد والتوريث هدفا، وكان الأولى أن يكون الهدف هو العزل والمحاكمة على ما اقترف الطاغوت و أعوانه و أجهزته في حق الوطن والأمة من جرائم، لا ينبغي أن تسقط أبدا بالتقادم، إذ كيف يمكن أن تسقط بالتقادم جرائم كجرائم شمس بدران وفؤاد علام ، أو حتى العادلي، أو جرائم الطواغيت التي لا يقترب منها أحد، ومنها على سبيل المثال التقصير الجسيم الذي أدي إلى كشف الجبهة في حرب ٧٣ حيث أصبحت سماواتنا مفتوحة أمام طائرات العدو ابتداء من ١٩ أكتوبر ٧٣ حتى تمكنت من تدمير قواعد الدفاع الجوي مما أدى إلى اكتمال حصار الجيش الثالث، ومرورا بتدمير مقدرات الأمة وسلب روحها وسرقتها وخيانتها وموالاة الأعداء وتفتيت كل إرادة عربية أو إسلامية أو حتى وطنية تحاول أن تلم أشتات الأمة . ولقد كنا في أكتوبر ٧٣ ندا قادرا على مواجهة إسرائيل، بل وقادرا على هزيمتها لولا خيانة السياسة وخيبة الساسة، وكان هذا الجيش العظيم هو الذي بدأ به الرئيس مبارك، والذي لا نستطيع الآن ، بسبب الجرح الذي لا يندمل في القلب، أن نواصل مقارنة القوة بينه وبين الجيش الإسرائيلي، و أنا لا أتهم الطاغوت بأنه أضعف الجيش بسبب سياسات الخاطئة، بل أشك أنه أضعفه عامدا متعمدا، وكان هذا هو سبيله للاستقرار في الحكم ربع قرن أغلب ظني أنها ستزيد. كان سبيلا، لا السبيل الوحيد. نعم . كان يجب أن نحاسب النظام على الجرائم لا تعد ولا تحصى، وبعضها لا يمكن الآن تقدير عواقبه، لكننا فقط نذكر – على سبيل المثال – عمولات السلاح التي أثرت وتؤثر على القوات المسلحة، فضلا عن تدمير معنوياتها،

وليس أدل على ذلك مما نشرته الصحف منذ أعوام من مضابط التحقيق في قضية « منظمة ثورة مصر » في أقوال البطل المتهم: المقدم أحمد على في التحقيقات من أن الولايات المتحدة باعت لمصر أسلحة فاسدة ومستهلكة وأن كافة أجهزة الرادار المشتراة من أمريكا ثبت عدم فاعليتها.. وأن هذه الأسلحة قد تم شراؤها رغم رفض لجنة مشتريات السلاح، وكشف أيضا أن أمريكا ظلت سنوات ترفض إمداد مصر بقطع غيار الطائرات فانتوم ٤أ مما أدى إلى إصابة ٢١ طائرة – هي كل ما لدى مصر من هذا النوع آنذاك – بالشلل التام وتوقفها تماما عن الطيران في مطار بنى سويف الحربي .

هذا بعض ما فعله الطاغوت بالجيش، وما فعله في الشرطة لا يقل خطورة و إثما، لقد دمر مفهوم الأمن كله، و أصبح الأمن جله مجرد خدم لشخص وغواياته و أخطائه وانحرافاته ومصالحه بل وشذوذه، وفي سبيل ذلك فقد قام هذا الأمن الغبي بتحطيم كل من حاول التصدي للطاغوت سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو أحزابا أو هيئات أو صحافة أو أي تجمع بشري يمكن أن يرتفع صوته ليقول للص أنت لص وللطاغوت أنت طاغوت. استطاع الطاغوت أن يدفع جهاز الأمن للقيام بعكس عمله، فبدلا من تأمين المواطنين إذا به يروعهم ويرهبهم، وبدلا من حماية الأعراض إذا به ينتهكها، وبدلا من القبض على اللصوص إذا به يحميهم ويقتل وينكل بمن يحاول التصدي لهم. و إذا به يزور الانتخابات ويلفق الاتهامات ويقتل خارج إطار القانون بل ويسحق القانون بأحذية ثقيلة وهو يختطف الناس كأعتى العصابات إجراما فيقتلهم أو يحبسهم رغم أحكام القضاء.. أقول كأعتى العصابات.. و إن كان هناك فرق.. فأعتى العصابات شذوذ تطارده الدولة.. أما في حالتنا فإن هذه العصابات هي الدولة.

إننا لا نواجه حاكما ظالما كنابليون لكنه يحول بلاده إلى قوة عظمى.. ولا حتى سفاحا كموسيليني أو جبارا كهتلر.. أو خسيسا كشارون أو غبيا معتوها مجرما كبوش، فكل أولئك مهما كان رأينا فيهم كانت لهم سمتان: السمة الأولى أنهم كانوا يقصدون – صوابا أو خطأ – رفعة بلادهم وسيادتها.. والسمة الثانية أن جل بأسهم كان ضد أعداء بلادهم أيضا: صوابا أو خطأ – .. أما سمة طواغيتنا فهو أن كل بأسهم موجه تجاه مواطنيهم،

وأنهم يقصدون مع سبق الإصرار والترصد إذلال مواطنيهم وبيع أوطانهم مقابل استمرارهم واستقرارهم على عروشهم.. مقابل التمديد والتوريث. ولقد بلغت الخسة بأحدهم.. بعد أن حكم ثلاثين عاما أنه يرفض تحديد مدة الرئاسة على أمل أن تصل إلى ابنه، لذلك فقد رفض التحديد بدورتين!!.

نحن إذن لا نواجه حاكما ظالما أمرنا الإسلام -في ظروف خاصة وبشروط محددة- بالصبر عليه.. ولا خلافات سياسية يجب أن نحلها بالحوار.. لكننا نواجه قرصانا استولي على السفينة وهو مستعد لحرقها إن لم يتمكن من التمديد والتوريث!!.. ومثل هذا القرصان لا يفيد معه - بل ولا يجوز - حوار. و إنما ضغط شعبي لا ينتهي حتى يستسلم..

قد يبدو الأمر للوهلة الأولي غريبا، لكن القارئ يستطيع أن يدرك الحقيقة عندما يسأل نفسه : كم من هذه النخبة الفاسدة العفنة يفضل أن يظل اليهود في غزة عن أن تحكمها حماس.. وقس على ذلك في العراق و أفغانستان والشيشان والفلبين وكافة بلاد المسلمين. بل إنني أطرح سؤالا أسهل: كم من النخب في بلادنا تفضل حكم العسكر الباطش الجبار الفاجر عن حكم إسلامي؟!!..

لا أريد أن أوغل في تعداد هذه الجرائم ولا في الحديث عن مدى سفالتها وبشاعتها فهناك عشرات ومئات يقولون الآن ذلك.. أما نحن.. فقد كنا نقولها في «الشعب» و«الأحرار» و « الأسبوع» وبأعلى صوت قبل ْن يجرؤ على البوح بها أحد.. لكنني أتناول هذا الخطأ الجسيم القاتل المدمر الذي وقعت فيه المعارضة، والذي أخشى أن يفيد الطاغوت ويفيد أمريكا ويكون هو السبيل لنكسة جديدة للحركة الوطنية.

ولمزيد من التفصيل فإن الموقف المجرم السافل للسياسة الأمريكية والتي تطلق إشارات متعددة ومتناقضة يمكن لكل طرف أن يفهمها إما كما يشاء و يهوى ، وإما كما يخاف ويخشى.. وفي هذا الجو، فإن الطاغوت المرعوب مما بعد ترك السلطة سيحاول أن يحقق لأمريكا كل ما تريد و أكثر.. سينافس حتى نفسه في التفريط والتسليم والخيانة.. سيفعل حتى ما لا يطلب منه.. بل ما يتخيل أنه إن فعله فإنه سوف يرضي سيده ومولاه ..

والذي بكلمة منه سيجعله إما يستمر حاكما.. أو سجينا يحاسب على جرائمه.

لقد أعدت أمريكا ميدان المعركة الكونية بعبقرية الشيطان.. حتى أننا نرى المتناقضين يلجئون إليها ويعلقون آمالهم عليها.. أعدت ميدان المعركة بحيث تبذل جميع الأطراف جهدها الأقصى لتحقيق غاياتها: نظم الحكم والمعارضة العميلة كهدف.. وبعض المعارضة كمناورة .. متجاهلة حتى المثل الغربي الذي ينصحك بألا تجلد جوادك المجهد وهو يتسلق جبلا لأنه ببساطة سيموت – وهو تكرار فج للمثل العربي الرصين: إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى- .. ولكن أمريكا لا يهمها أن يموت الجواد – كالشاة والسادات – ما دام يغذ السير في طريقها الذي تريده.. لأنه إن مات فثمة ألف حمار يمكنها إكمال المسيرة.

الخطأ القاتل الذي وقعت فيه المعارضة أنها تصرفت كما لو كانت الحكومة حكومة فعلا .. والرئيس رئيس حقيقة.. والمؤسسات مؤسسات..

ولم يكن أي من ذلك صحيحا..

***

تنفك المعضلة وتنحل المشكلة عندما نتوقف عن أوهامنا و خداع أنفسنا بالنظر إلى حكوماتنا كحكومات – مهما كانت باطشة وظالمة- .. لننتقل إلى تشخيص صحيح للواقع بأننا لا نواجه حكومات بل نواجه عصابات .. ولا نواجه حكاما بل نواجه قراصنة..

في هذا التصور يختلف كل شيء..

تختلف أحكام الشرع التي تفرق ما بين حاكم ظالم قد تجوز – أقول قد – طاعته درءا لمفسدة أكبر وما بين لص استولى على الحكم كما يستولي القرصان على سفينة.. فمع القرصان يجب القتال ومن يموت يموت شهيدا.

ويواكب القانون الدولي الشرع ويتفق معه.. فهو يجيز الخروج المسلح على الحاكم الذي يعطل أحكام القضاء.. والقرصان أخطر من ذلك بكثير. إنه لا يعطل أحكام القضاء فقط، بل هو يزورها تزويرا، ويختلقها اختلاقا، ويصطنع حوله فقهاء سوء فلا يتولى

القضاء إلا قضاة النار إلا فيما ندر..

***

نعم قرصان وقراصنة.. أهدروا القانون فليس يجدي مواجهتهم به..

قرصان أفسد كل شيء وخرب كل شيء..

تناول ما شئت أيها القارئ لتكتشف أن التدمير والتخريب في كل مكان.

وسوف نكتفي بتناول نماذج قليلة توضح إلى أي مدى بلغ التخريب والانهيار.. الذي وصلنا إليه، لا بسبب خطأ في الحسابات، بل بتعمد وقصد. و إنني أرجو أن يتنبه القارئ أن هذا الشذوذ والإجرام والقسوة لا تأتي صدفة ولا اعتباطا، و إنما هي منهج وتخطيط، حتى لو غفل المجرمون عن ذلك.

***

منذ فترة كنت أزور صديقا، وهو أستاذ جامعي في كلية الطب، كان نافد الصبر ضيق الصدر متوترا، وكان يرد على الهاتف مهتاجا ويدعو على الظالمين، و لتفت إليّ قائلا:

- يستعجلون نتائج الامتحانات، لقد انتهيت منها منذ أسبوع، لكنها تُراجع في الأمن..!!..

وصكت الكلمة أذني فادحة وغريبة فهتفت به:

- تُراجع في الأمن.. وما علاقة الأمن بذلك؟!..

فأجاب الصديق في دهشة:

- ألا تعلم ما يحدث منذ سنوات..؟.. كل النتائج في كل الكليات لابد أن تراجع قبل إعلانها من قبل الأمن.. إنها إحدى وسائلهم لتجفيف منابع الإسلام.. إذ تعدل النتائج وتغير الدرجات كي لا تكون المراكز الأولى للإسلاميين، كي يتسنى منعهم من الالتحاق بالسلك الجامعي..

وتساءلت في ذهول:

- لكنهم يفعلون ذلك دون الحاجة لتزوير النتائج.. فموافقة الأمن على التعيين أهم

من شهادات الليسانس والبكالريوس والماجستير والدكتوراه!!.. إنهم يفعلون ما يريدون دون معقب.. فلماذا يلجئون إلى هذه الطريقة البشعة في تغطية هم من الأصل غير محتاجين إليها..

وفجأة التمعت الفكرة في رأسي فرحت أتمتم والكرب يجثم على قلبي فيكاد يزهق روحي:

- ليس الهدف مجرد تجفيف المنابع أو منع الإسلاميين من الالتحاق بهيئة التدريس في الجامعة.. الهدف أبعد من ذلك بكثير.. الهدف أن تصل الإهانة والخزي والإحساس بالعار إلى كل أستاذ بالجامعة.. لأن كل أستاذ يرغم على قبول ذلك سوف يفقد كل الجلال والهيبة المقترنة بالقيمة المعنوية لأستاذ الجامعة.. إن إرغام أساتذة الجامعة على القبول بهذا الهوان أشبه باغتصابه.. إنه يدمره تدميرا..

ثم واصلت التساؤل:

- هل سيظل مقياس العدالة سليما عند هذا الأستاذ.. و إذا كان قد طأطأ وانحنى للأمن إذ يفعل فعلته الشنعاء.. إن كان قد طأطأ وانحني تجنبا لشر الأمن فلماذا لا يطأطئ وينحني بالتزوير في النتائج استجلابا لمنفعة خاصة أو وصولا إلى مصلحة؟ لماذا لا يزور مقابل مال أو منصب، أو مقابل أن يورث لابنه منصبه في الجامعة.

لقد بدأ الأمن الدائرة الشيطانية..دائرة الفساد والإفساد الذي لا يكف عن التوالد .. وليس الفساد هدفا في حد ذاته.. ولكن الأستاذ الجامعي الذي يفسد لن يكون قادرا بأي شكل من الأشكال على تربية جيل قد يكون منه من يعارض.. إن الأستاذ الذي يتحطم ، الذي يبيع نفسه لأجهزة الأمن، لن يستنكف من بيع جامعته وتقاليدها ولا من بيع تلامذته، سوف يبيع، ويتدنى، ويتسفل، وسوف يستدرجهم الأمن، سوف يغمض عينه عن كل الفاسدين من أساتذة الجامعة إلا في حالتين: الحالة الأولى أن يظن بعض الأساتذة أنهم بقدرتهم على الغش والتزوير قد ربطوا أنفسهم بأجهزة أقوى من جهاز الأمن، والحالة الثانية لمجرد الترويع للترويض، حين يكشف الأمن أمر أستاذ أو أستاذين فيحولها إلى محكمة الجنايات بتهمة الغش والتزوير، ليكون لهذا وطأته الإضافية، إذ أن كل

أساتذة الجامعة يعلمون أن زميلهم ذلك لم يسجن ويشهر به وينكل لأنه غش أو زور، بل لأن جهاز الأمن تخلى عن حمايته، لينتشر الرعب بين الجميع، وليعرف الجميع أن ثمة طريق واحد إلى الشهرة والثروة والمنصب والحماية، هو طريق الأمن، الذي يزعم أنه يحرس التعليم، بينما هو يدمره تدميرا، والأنكى أنه يدمره وهو يعرف أنه يدمره. وهكذا يواصل الأمن تدمير الأساتذة وطلابهم.. وهو الأمر الذي يؤدي على المدى الطويل إلى تفريغ التعليم الجامعي من كل جوهره، و إلى أن يكون الجهل والخيانة والغش والخسة أصناما معبودة فكلما ازدادت تلك ازدادت رفعة المنصب.

***

لم يكن الأمن وحده هو المجرم، بل كانت أجهزة الدولة كلها تتضافر للأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

نعم .. لم يكن الأمن وحده.. لأن الأمر لم يقتصر على الطلاب بل تعداه إلى كل وظائف الجامعة، و إن كان الأمن هو الذي يرشح رئيس الجامعة ، ليبصم الوزير المختص على هذا الترشيح فإن رئيس الجمهورية هو الذي يصدر قرار التعيين، فإذا علمنا أن مرتبات رئيس الجامعة تتجاوز الأربعة ملايين من الجنيهات سنويا أدركنا أن رئيس الجامعة ليس أستاذا يتقاضى مقابل عمله، بل نخاسا يبيع الطلبة والأساتذة والعملية التعليمية برمتها ، و أن الملايين الأربعة كل عام هي الثمن. نخاس يتعهد أن يخرج عبيدا للنخاس الأكبر الذي تعهد لسادته في البيت الأسود أن يكون شعبه شعبا من العبيد لا يرهب ولا يخيف ولا يتمرد.. ولا حتى يفكر.

ما ينطبق على رئيس الجامعة ينطبق على الوظائف الأقل، بل لقد تدخلت الدولة كي تمنع أي آلية يمكن أن تحد من التدمير المنظم للعملية التعليمية، وعندما أدركت أن انتخاب العمداء تؤدي إلى تسرب ولو بسيط لبقايا ما يزال لديها مبادئ ومثل، فقد أقدمت على إلغاء الانتخابات ليكون الأمر بالتعيين لا بالانتخاب.

قد يندهش بعض القراء لأرقام المرتبات، ولكن القارئ سيقرأ في كتاب مدينة الذئاب عن ضابط شرطة يبلغ مرتبه مائتا ألف جنيه شهريا (طبقا لبعض المصادر.. وطبقا لمصادر

أخري فإن هذا الراتب قد يصل إلى مليون جنيه) .. وهذه المرتبات لم تعد أمرا شاذا و إنما يتقاضاها الكثيرون من نادي الإدارة العليا، وحجم هذه المرتبات لا يترك أي فرجة للدين أو العقل أو الضمير إلا من رحم الله وعصم. وعلى سبيل المثال فإن ممدوح الليثي يحصل بشكل شرعي على راتب يشمل عمولة الإنتاج والإشراف والبدلات إلى نصف مليون جنيه شهريا، بينما يحصل فرج أبو الفرج أيضا بشكل شرعي على مبلغ ٢٩٠ ألف جنيه شهريا، بينما تحصل آمال مراد على مبلغ ١٨٠ ألف جنيه شهريا بالإضافة للمبالغ الطائلة التي كان يحصل عليها مستشارو القطاعات المختلفة فيكفى أن تعرف أن مقابل الجلسة الواحدة لا يقل عن خمسمائة جنيه ويحصل رؤساء القنوات المتخصصة على مبالغ تتراوح ما بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين ألف جنيه.(العربي ٨-٨-٢٠٠٤- العدد ٩٢١)

***

الكارثة هائلة.. والرشاوى الشرعية هائلة.. وحركات المعارضة المصرية تواجهها بعزم واه واهن ضعيف.. إننا كقوم أعدوا عدتهم لمواجهة ذئب غادر.. بينما عليهم في الواقع أن يواجهوا قطيعا من ألف ذئب..

الكارثة هائلة.. والمجتمع غير مؤهل لمواجهتها.. والأحزاب الشرعية تخدع الأمة.. أما الحركات الفاعلة فحساباتها معقدة..

كنت أحاور صديقا ذات مرة فقلت له:

- لو استطاعت المعارضة المصرية تقديم ألف شهيد لسقط النظام وتغير وجه المنطقة..

فإذا به يجيب في اكتئاب:

- في الجزائر سقط مائتا ألف شهيد ولم يسقط العسكر اللصوص سارقي الثروات والبترول وناهبي عمولات السلاح..

ولم يسعني سوي التسليم برجاحة رأيه.

الكارثة هائلة وكل الأحزاب الشرعية وغير الشرعية لا تدرك حجمها الحقيقي.. لذلك كانت المطالب قاصرة والأهداف متواضعة..

ولقد كانت بعض مواقع الإنترنت (رغم أنها في رأيي متهمة حتى تثبت براءتها) أقرب إلى التقدير الكلي – ولا أقول الصحيح – والتصور الشامل للمواجهة(و أنبه القارئ مرة أخرى أن هذه المواقع الإليكترونية هي في الأصل لعبة أمريكية، وقد تكون وسيلة للاختراق أو لسوق الجماهير في اتجاهات معينة، ويستطيع القارئ الفطن أن يدرك ذلك، وعلى سبيل المثال فإن أي موقع يتحدث عن اضطهاد الأقباط في مصر، لا بد أن يكون تابعا للمسيحية الصهيونية، لأن اضطهاد الأقباط فرية نجسة يروجها أنجاس مناكيد، في الوقت الذي لا تبلغ فيه أقصى طموحات المسلمين أن تتم مساواتهم بالأقباط، و أن يعامل الطاغوت المجرم المساجد بنفس الاحترام الذي يعامل به الكنائس)..

أحد هذه المواقع وعنوانه :

http://egypt.shadow.government.^m.net/matloobeen.html

نشر على صفحته الأولى:

بيان من حكومة الظل المصرية:

بيان بالمطلوب الحجز على أموالهم و القبض عليهم

الأشخاص الآتية أسمائهم و أقاربهم و تابعين لهم قاموا بنهب المال العام و أموال البنوك و بإهدارها و سهلوا العدوان عليها كما أن بعض منهم أثرى بطرق غير مشروعة أخرى مثل غسيل الأموال و تهريب السلاح و المخدرات و التلاعب بالبورصة و غيرها. و بعضهم الآخر ارتكب بالإضافة إلى نهب المدل العام الجرائم الآتية أو سهلوا على أو شاركوا في ارتكابها:

١ . جرائم ضد الإنسانية: بناء نظام سياسي فردى يحتكر السلطة بالقمع المسلح وبإرهاب و ترويع المواطنين و تزوير إرادة الأمة. القبض العشوائي على المواطنين واعتقالهم دون اتهام لفترات طويلة. تعذيب المعتقلين و المحتجزين و الاعتداء الجنسي عليهم. احتجاز أقارب المطلوبين كرهائن بأقسام الشرطة و مباحث أمن الدولة وتعذيبهم و الاعتداء الجنسي عليهم. تقديم المتهمين إلى محاكم استثنائية أو عسكرية لا توفر الحد الأدنى من العدالة. خطف و اغتيال أو قتل خصوم النظام السياسيين. و غيرها.

٢. فرض الأحكام العرفية بدون مقتضى صحيح لمدة ٢٣ عام بالمخالفة للدستور والقانون و الإعلان العالمي لحقوق الإنسان و كافة المواثيق و المعاهدات الدولية.

٣. تزوير الانتخابات و الاستفتاءات.

٤. التمييز ضد و اضطهاد الأقباط و الأقليات الأخرى.

٥. العمل على تقويض و عرقلة الجهود الرامية إلى إحلال السلام و تحقيق الاستقرار وترسيخ مبادئ الحرية و الديموقراطية و كل الإصلاحات السياسية و الاقتصادية في مصر والشرق الأوسط بحجج و ذرائع واهية مؤداها أنه لا إصلاح إلا بعد تحرير العراق و فلسطين.

٦. نشر المبادئ الوهابية السعودية الهدامة و غيرها من أفكار و تيارات متطرفة في مصر و دول أخرى.

٧. شن حملات كراهية شعواء في وسائل الإعلام المملوكة للدولة و بالمدارس والجوامع و غيرها ضد الدول و الديانات الأخرى بغرض توجيه انتباه الشعب لعدو خارجي يشغل به النظام الحاكم الشعب و يشتت انتباهه عن التركيز على العدو الحقيقي للشعب و هو النظام الحاكم و ذلك حتى يتمكن النظام من الاستمرار في استعباد الشعب و نهب ثرواته بينما الشعب غافل يناطح و يجاهد ضد عدو وهمي لم يستعبده أو ينهب أمواله مثلما يفعل مبارك و أسرته و نظام حكمة.

و البيان الأول للمتهمين هو كالآتي:

أولا: المسئولين

١. محمد حسني مبارك رئيس مصر الغير شرعي.

٢. جمال مبارك الحاكم الفعلي لمصر و نجل الرئيس الغير شرعي لها.

٣. سوزان ثابت زوجة الرئيس الغير شرعي لمصر و المشاركة مع نجلها المذكور في حكم مصر.

٤. علاء مبارك النجل الآخر للرئيس الغير شرعي لمصر.

٥. أحمد نظيف رئيس الوزراء.

٦. عاطف عبيد رئيس الوزراء السابق.

٧. يوسف والى نائب رئيس الوزراء السابق.

٨. صفوت الشريف وزير الإعلام السابق.

٩. الحبيب العادلي وزير الداخلية.

١٠. فتحي سرور الرئيس الغير شرعي لمجلس الشعب.

١١. زكريا عزمي رئيس ديوان رئاسة الجمهورية.

١٢. أسامة الباز مستشار رئيس الجمهورية.

١٣. محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع.

١٤. إبراهيم سليمان وزير الإسكان.

١٥. كمال الشاذلي وزير شؤون مجلس الشعب.

١٦. عمر سليمان رئيس المخابرات العامة.

١٧. صلاح سلامة مدير مباحث أمن الدولة.

١٨. محمد التهامي المدير السابق للمخابرات الحربية.

١٩. صبري العدوى قائد الحرس الجمهوري.

٢٠. محمد عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع الأسبق.

٢١. النبوي إسماعيل وزير الداخلية الأسبق.

٢٢. حسن أبو باشا وزير الدفاع الأسبق.

٢٣. حسن الألفي وزير الدفاع السابق.

٢٤. ماهر عبد الواحد المدعى العام.

٢٥. جابر ريحان المدعى العام الاشتراكي.

٢٦. طلعت حماد وزير شؤون مجلس الوزراء السابق.

٢٧. عاطف صدقي رئيس الوزراء الأسبق.

٢٨. كمال الجنزورى رئيس الوزراء الأسبق.

٢٩. رجاء العربي المدعى العام السابق.

٣٠. يوسف بطرس غالى وزير المالية.

٣١. سليمان متولي وزير المواصلات الأسبق.

٣٢. محمد عبد الوهاب وزير الصناعة الأسبق.

٣٣. أمين مبارك عضو مجلس شعب.

٣٤. ماهر أباظة وزير الكهرباء الأسبق.

٣٥. إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام.

٣٦. إبراهيم سعدة رئيس تحرير الأخبار.

٣٧. سمير رجب رئيس تحرير الجمهورية.

٣٨. مدحت حسانين وزير المالية السابق.

٣٩. حسن خضر وزير التموين.

٤٠. عبد الرحيم شحاتة وزير الحكم المحلى.

٤١. حسين بهاء الدين وزير التعليم السابق.

٤٢. فاروق سيف النصر وزير العدل السابق.

٤٣. سامح فهمي وزير البترول.

٤٤. مختار خطاب وزير قطاع الأعمال السابق.

٤٥. إسماعيل سلام وزير الصحة السابق.

٤٦. هتلر طنطاوى رئيس الرقابة الإدارية السابق.

٤٧. حمدي وهيبة رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق.

٤٨. فؤاد علام مدير مباحث أمن الدولة الأسبق.

٤٩. جمال عبد العزيز مدير مكتب رئيس الجمهورية.

٥٠. محمود عبد العزيز رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي الأسبق.

٥١. رشيد محمد رشيد وزير الصناعة و التجارة.

٥٢. أحمد المغربي وزير السياحة.

٥٣. محمود محيي الدين وزير الاستثمار.

و غيرهم.

ثانيا: رجال الأعمال

١. أحمد عز عضو مجلس شعب

٢. محمد منصور و إخوته (ياسين و يوسف)

٣. أحمد بهجت.

٤. محمد أبو العنين عضو مجلس شعب.

٥. إبراهيم كامل.

٦. حمزة الحولي.

٧. حسين سالم.

٨. عفت السادات و شقيقيه(أنور و طلعت).

٩. آل غبور (رؤوف و منير و طلعت و باهر).

١٠. منير ثابت وولديه(طارق و خالد).

١١. محمد فريد خميس عضو مجلس شوري.

١٢. أنسي ساويرس و أنجاله (نجيب و سميح و ناصف).

١٣. محمد شتا و نجليه(هشام و خالد).

١٤. محمد نصير و نجله(خالد).

١٥. تيسير الهوارى و نجله(حاتم).

١٦. رامي لكح.

١٧. عبد الوهاب قوطة وولده (محمد).

١٨. يعقوب نصيف و نجليه(هاني و مجدي).

١٩. علية العيوطى.

٢٠. حسام أبو الفتوح.

٢١. محمد جنيدي.

٢٢. مصطفى البليدى.

٢٣. عادل مارك.

٢٤. شفيق جبر.

٢٥. عبد المنعم سعودي.

٢٦. ثروت باسيلي.

٢٧. جلال الزربة.

٢٨. حسام بدراوى.

٢٩. خالد أبو اسماعيل.

٣٠. شفيق بغدادى.

٣١. طاهر حلمي.

٣٢. طلعت مصطفى و ولده(هشام)

٣٣. ياسر الملواني.

٣٤. رشيد محمد رشيد.

٣٥. محمود محيي الدين.

٣٦. شريف الحبالى.

و غيرهم.

ثالثا: أقارب رؤساء سابقين.

الأشخاص

١ . جيهان عبد الرؤوف زوجة رئيس الجمهورية السابق.

٢ . نهى السادات كريمة الرئيس السابق.

٣. لبنى السادات كريمة الرئيس السابق.

٤ . جيهان السادات كريمة الرئيس السابق.

٥ . حسن مرعى صهر الرئيس السابق.

٦ . محمد عبد الغفار صهر الرئيس السابق.

٧. محمود عثمان صهر الرئيس السابق.

٨. خالد عبد الناصر نجل الرئيس الأسبق.

٩ . عبد الحميد عبد الناصر نجل الرئيس الأسبق.

١٠ . عبد الحكيم عبد الناصر نجل الرئيس الأسبق.

١١ . هدى عبد الناصر كريمة الرئيس الأسبق.

١٢ . منى عبد الناصر كريمة الرئيس الأسبق.

١٣ . أشرف مروان صهر الرئيس الأسبق.

١٤ . حاتم صادق صهر الرئيس الأسبق.

و غيرهم.

ملحوظات:

١. المجموع الكلى للمبالغ المودعة بأسماء الأشخاص سالفي الذكر وأقارب و ممثلين لهم في بنوك سويسرا و الاتحاد الأوروبي و الولايات المتحدة و جزر القنال الإنجليزي والباهاما ٢٥٠ مليار دولار بخلاف الممتلكات و الموجودات الأخرى.

٢. هناك قائمة أخرى لفاسدين و مفسدين و مرتكبي جرائم ضد الإنسانية جارى إعدادها.

المطلوب:

١. الحجز على الأموال المذكورة لردها إلى أصحابها الحقيقيين و هم أبناء الشعب وذلك باتباع الطرق المتعارف عليها و المنصوص عليها بالقانون و الأعراف الدولية.

٢. القبض على الأشخاص المذكورين لتقديمهم للمحاكمة لنهبهم المال العام أو لحيازته أو لارتكابهم جرائم ضد الإنسانية.

***

إلا أن ثمة موقع آخر خطير خطير.. و أخطر ما فيه أنني أحس فيه برائحة الخنزير رامسيفيلد.. إنه مخطط لإشعال حرب أهلية.. وهو يحتوي على نفس المبالغات الصهيونية الصليبية التي ووجه بها عراقنا الجريح.. نفس المبالغات ونفس الكذب.. ولقد فكرت في تجاهله لكنني أحسست أنها أمانة فقد يكون فيمن يقرأ عنه في مقالي ذاك من يستطيع كشفه أو فضحه أو إبطال مراميه .. لكنني أؤكد أن طاغوتنا الغبي هو الذي يفتح الباب لمثل هذه الفتن بغبائه وجموده.. وعنوان الموقع هو:

http://butcher.jiffyseek.com/ta3zeeb.htm

يقول أصحاب الموقع:

أرسل لنا بيانات ضابط شرطة عذبك أو عذب قريب أو صديق لك و سنقوم بضمه لقوائم الموت

أخي المواطن:

هل سمعت عن المسطرة؟

إن من جرب أو حتى سمع عن المسطرة لم يكتب له أن يعيش لكي يحكى عنها!

كل من جرب المسطرة و عددهم يناهز العشرين ألف دفنوا جميعا سرا بمقابر جماعية أو تم إحراقهم في أفران خاصة مثل أفران الأوشفينس التي أحرق فيها النازيون ٦ ملايين يهودي أوروبي.

المسطرة هي أكثر طريقة تعذيب و حشية في التاريخ و التي ابتكرها كلاب أمن الدولة لانتزاع معلومات مطلوبة بسرعة بواسطة القيادات من بعض ضحاياهم. المسطرة لم تبتكر لانتزاع اعترافات لأنها تنتهي حتما بموت الضحية. و طبقا للمسطرة يقوم ضباط مباحث أمن الدولة بإطلاق الرصاص من مسدس عيار ٢٢ مم رصاصة رصاصة على كل سنتيمتر من ساق الضحية بدءا من قدمه و حتى أعلى فخذه إذا كان لا يزال على قيد الحياة. و بعد أن تقتل الضحية تحرق أو تدفن بمقابر جماعية سرية.

أخي المواطن:

هل سمعت عن الدخلة؟

للأسف إن من جرب الدخلة كتب له أن يعيش بعذابها. فالأفضل لكل من عذب بالدخلة أن يموت لأن آلامها النفسية و العقلية التي لا تحتمل ستطارده مدى حياته وستؤثر سلبا على علاقته بكل من حوله.

و الدخلة مثل أي دخلة عادية تبدأ عادة بالمداعبة حيث يقوم مجرمون أمن الدولة بنزع ملابس الضحية عنوة و جعله يقف عاريا تماما أمامهم ثم يقومون بتحسس الأجزاء الحساسة بجسمه و بمداعبة أعضائه التناسلية بالأيدي أولا ثم باستخدام أدوات تتراوح من أسلاك و عصى كهربائية و غيرها. و تنتهي المداعبة بكهربة الأعضاء التناسلية وبجذبها بقوة بواسطة السلك الكهربائي. و هنا تبدأ الدخلة بإدخال عصى غليظة في فتحة شرج المتهم إذا كان رجلا و في المهبل إذا كانت المتهمة امرأة. و بعد ذلك يقوم ضابط أو من ينيب باغتصاب المتهم و لا يهم إذا كان رجلا أو امرأة. و إذا انتهت الدخلة دون انتزاع معلومات أو اعترافات ترضى البهوات الضباط يتم استدعاء أو خطف أقارب المتهم مثل

زوجته و شقيقته و أمة و أبوه الذين يتم معهم ممارسة الدخلة بكل مراحلها أمام المتهم بدءا من المداعبة و انتهاء بالاغتصاب.

أخي المواطن:

لقد عممت الدخلة في كافة أقسام الشرطة بعد أن كانت حكرا على مباحث أمن الدولة و أصبحت تمارس جهارا نهارا دون خوف من أي رد فعل أو انتقام شعبي.

لقد أصبح نظام الحكم كالكلب المسعور ليقينه بأن أيامه أصبحت معدودة فراح يمعن في التنكيل بأبناء الشعب عل ذلك يخيفهم و يمنعهم عن النهوض ضده لافتراسه و الفتك به عندما تحين الساعة.

و بالرغم أن الساعة آتية لا ريب و لا تأخير فيها، إلا أننا في هذا الأثناء لن نتفرج على هذه المجازر و نسكت. و لذا، فقد ابتدعنا نظام قوائم الموت لردع ضباط الشرطة الذين أصيبوا بجنون القتل و التعذيب و الاغتصاب. بموجب هذا النظام الجديد سيتم تقديم هؤلاء الضباط غيابيا إلى محاكمة خاصة سريعة و في حالة الحكم بإعدامهم و الذي سيكون تنفيذه سريعا أيضا فإنه سيتم إتاحة الفرصة أولا لضحية التعذيب أو أقاربه تنفيذ حكم الإعدام بأنفسهم في الضابط المدان بالتعذيب. نرجو إرسال بيانات الضابط الذي عذبك إلى العنوان التالي:

Ta3zeeb@mail2egypt.com

و بدءا من أول نوفمبر المقبل ستكون أقسام الشرطة التي يتم فيها ممارسة الدخلة أو أي تعذيب أخر و هي في الواقع جميعها بما فيها أقسام الشرطة بالمناطق الراقية مثل قسم شرطة قصر النيل و مدينة نصر و مصر الجديدة ستكون عرضة لعمليات تأديبية و انتقامية و لذا فإننا ننصح المواطنين بعدم التواجد في أي قسم شرطة في أي مكان بمصر بعد الساعة الثانية عشر ظهرا مهما كانت الأسباب حماية لأرواحهم. كما ننصح الموظفين المدنيين بأقسام الشرطة بعدم التواجد بها بعد هذا الوقت بأي حال.

و من ناحية أخرى سيكون أي ضابط أمن دولة أو أي ضابط أخر يمارس أو مارس التعذيب في أي وقت مضى سواء كان لا يزال بالخدمة أو أحيل للتقاعد عرضة للعمليات

في أي مكان. و على كل ضابط أمن دولة أو أي ضابط آخر لم يمارس التعذيب قط أن يكتب لنا على العنوان التالي لكي نضاهي اسمه مع قوائم الموت:

free@mail2egypt.com

لقد أقر لنا بعض ضباط أمن الدولة أن منظر التعذيب و قتل المتهمين كالذبائح أصاب ضباط و صف ضباط أمن الدولة بلوثة القتلة و التي تجعلهم متعطشين بصفة دائمة للقتل و لسفك الدماء. و قد أفاد هؤلاء الضباط أن القتل يجلب لهم شعورا خاصا بالسعادة والرضاء.

فاتورة التعذيب و القتل و الاغتصاب منذ عام ١٩٨٨

عدد الذين اعتقلوا دون محاكمة: ٥٠٠٠٠٠ – ٨٠٠٠٠٠

العدد الراهن للمعتقلين دون محاكمة: ١٢٠٠٠٠

عدد الذين قتلوا بالمسطرة: ٢٠٠٠٠

عدد الذين قتلوا بوسائل تعذيب أخرى في أمن الدولة و عموم أقسام شرطة مصر: ١٠٠٠٠٠ – ١٥٠٠٠٠

عدد الذين تم اغتيالهم أو تصفيتهم: ١٥٠٠٠ – ٢٠٠٠٠

عدد الذين اختطفوا بلا أثر: ١٠٠٠٠ – ٢٠٠٠٠

عدد الذين ماتوا أثناء الاعتقال: ١٥٠٠٠٠

عدد الذين جربوا الدخلة في أمن الدولة و عموم أقسام شرطة مصر: ١٥٠٠٠٠– ٣٠٠٠٠٠

عدد أقارب المتهمين الذين جربوا الدخلة: ٤٠٠٠٠٠ – ٦٠٠٠٠٠

عدد الذين أعدموا بموجب أحكام صادرة من محاكم خاصة و عسكرية: ١٠٠٠٠– ٢٠٠٠٠

فاتورة قتل أخرى سيدفعها مبارك و زبانيته

أولا: ثورة جنود الأمن المركزي عام ١٩٨٥

بعد إخماد الثورة تم تجميع عدد ١٠٠٠٠ جندي في ثلاثة معسكرات بصعيد مصر و تم قتلهم بالرشاشات و دفنهم كالذبائح في مقابر جماعية سرية. و كانت بعض الجهات الأجنبية في ذلك الوقت قد قدرت عدد القتلى في هذه المجزرة السرية ب ٤٠٠٠ فقط بخلاف المفقودين الذين لا يعرف عددهم حتى الآن.

ثانيا: التلوث

كان مبارك اعتبارا من عام ١٩٨٤ قد أمر بإلغاء تعاقدات لاستيراد محطات عدة لمعالجة المجارى و القمامة في مدن مختلفة بالجمهورية منها الإسكندرية و القاهرة و ذلك بهدف توفير العملة الصعبة لشراء أسلحة يحصل هو منها على أرباح و عمولات كبيرة إذ كان يبيعها للعراق أثناء حربها مع إيران. و عندما استفسر منة المسئولون عما يجب عمله بالمجارى و القمامة، أمرهم حسنى مبارك بأن تلقى المجارى في البحر المتوسط وبالبحيرات المختلفة بالبلاد و بنهر النيل. و عن القمامة أمر مبارك المسئولين بأن يحرقوها بالهواء الطلق. حتى محطات كبس و معالجة قش الأرز فقد أوقف مبارك التعاقد عليها وأمر بأن يحرق قش الأرز في الهواء الطلق. و مبارك الذي ينتقل للإقامة بشرم الشيخ والإسكندرية في فترة حرق الأرز في أكتوبر و نوفمبر خوفا على صحته لا يرى أن الشعب المصري من حقه أن يعيش في بيئة نظيفة. و فيما يلي فاتورة مبارك لتلوث الهواء و البحر ومياه الشرب في الخمسة عشرة عام الماضية و ذلك حسب إحدى الدراسات:

قتلى : ٢٦٠٠٠٠٠ منهم ١٦٠٠٠٠٠ طفل.

مصابون (سرطان و امفيسيما و فشل كلوى و غيرها): ١١٠٠٠٠٠٠ .

ثالثا: طائرة مصر للطيران بلارناكا عام ٨٦ و مديرية الأمن بأسيوط عام ٨١ وغيرهما.

سنعرض تفصيلا لهذه المجازر المسئول عنها مبارك شخصيا في حينه.

***

لقد تعمدت أن أورد البيانات كاملة كي يطلع القارئ على حجم المبالغة وكم

الأكاذيب التي لا يجرؤ عليها إلا خنازير من فصيلة رامسيفيلد وتشيني ومايلز و أبي زيد وشارون..

و أظن الأمر خطير .. و هو أخطر عندما تواجهه أمة مفككة فقدت كل قدرتها على المقاومة بسبب الطاغوت قبل أن يكون بسبب الأعداء.

***

نعود إلى ما كنا فيه..

إلى البوار الذي أصاب أجهزة الأمة وهيئاتها ومؤسساتها جميعا فكأنه السرطان لم يترك عضوا إلا وانتشر فيه.. وكأنه التسمم لم يترك خلية إلا بعد أن تسرب إليها وتخللها وغزاها..

كل الهيئات وكل الأجهزة وكل الخلايا..

لم يسلم منها أحد..

ولقد تناولنا الجامعة في عجالة وظهر لنا الانهيار الكارثي فيها.. فإذا تناولنا الصحافة وجدنا الأمر لا يقل خطورة ولا فداحة عما يحدث في الجامعة..

ولقد نكأ الجرح في قلبي صحافي متميز في إحدى الصحف المستقلة.. كان قد قرأ في صحيفة صوت الأمة في ٢٣ مايو الماضي خبرا يقول:

اتهم الروائي جمال الغيطاني رئيس تحرير أخبار الأدب الدكتور محمد عباس صاحب أزمة وليمة لأعشاب البحر أنه يقف وراء حملة شرسة شنت ضده بسبب مقال له عن النقاب نشرته أخبار الأدب .

المقال «الأزمة تسبب في تشديد الحراسة الأمنية على الغيطاني بعد أن أبلغته جهات أمنية بوجود اسمه ضمن قائمة للاغتيالات تضم ٢٠ اسما تم اكتشافهما خلال التحقيقات مع المتهمين في أحداث الأزهر وعبد المنعم رياض .

الغيطاني لم ينف كلية التهديدات مؤكدا أن لمقال أحدث أزمة بالفعل لكنه رفض بشدة الخوض في تفاصيل وأسباب تشديد الإجراءات الأمنية عليه منذ شهر تقريبا ونفى رئيس

تحرير أخبار الأدب ما تردد عن طلبه الحصول على ترخيص سلاح مؤكدا أنه يملك بطرق رسمية سلاحا منذ أن كان مراسلا حربيا .

وشن الغيطاني هجوما عنيفا على الدكتور محمد عباس واتهمه بالوقوف وراء الحملة الشرسة التي تعرض لها بسبب مقال النقاب ، مؤكدا أنه – أي عباس – من خلال كتاباته في موقع الشعب الإليكتروني يحرض عليه منذ فترة طويلة.

***

لو كان الأمر قضية خاصة لما كتبت فيه حرفا واحدا.. لكنني أذكره و أستفيض فيه كتطبيق عملي بعد الكثير من الكلام النظري. تطبيق عملي سوف يشمل نماذج تطبيقية للأفكار حين تحتك أو تصطدم بالواقع.

لقد طلب الصحافي أن يجري حوارا معي حول هذا الأمر و أمور أخرى، واعتذرت له، قلت له أن الوسط الصحافي لا يشجع على عمل جاد، وأنه رغم احترامي للصحافة الحقيقية وللصحافيين الحقيقيين فإن جل النموذج المطروح الآن خارج نطاق ثقتي، و أن تجربتي أيام قضية الوليمة كشفت لي كما من الكذب لم أكن أتصوره، ورحت أتذكر في خطرات سريعة كيف قلب أسامة سرايا ومحمد عبد العال ومحمد حسن الألفي الوقائع تماما، وغيرهم وغيرهم وغيرهم، لا أذكر أي صحيفة التزمت الحد الأدنى من معايير الصدق والأمانة وميثاق الشرف الصحافي مع استثناء وحيد هو صحيفة الأسبوع، وهو استثناء لم يكن كاملا، لقد التزمت الصحيفة الحياد في أمر لم يكن يصلح فيه حياد، وعلى الرغم من ذلك فقد عانت الكثير بسبب رفضها الاشتراك في الكذب والتشهير، و استقال منها أسامة أنور عكاشة (وهو مستنسخ آخر من على سالم) بسبب حيادها.. كان يريد منها موقفا حاسما ضد الدين!!..

***

لأسباب كثيرة عزفت عن الصحافة منذ ذلك الوقت.. وقلت لنفسي أن الصحافة المسموح بها الآن – فيما عدا استثناءات نادرة – هي صحافة بمنهج عادل إمام ومحمد هنيدي وسمير رجب حيث السطحية والإثارة والتفاهة والكذب، فثمة جهاز ما، أغلب

الظن أنه أمني، حيث يقبع مثقف أمن دولة، وهو أخطر من ضابط أمن دولة، ليطلق كومبارس هؤلاء أو أولئك بتعليمات محددة، وبشير مثقف أمن الدو ة إلى غلمانه ليسلطهم على شخص ما مع أمر يقول: مزقوا ثيابه، أو مزقوا لحمه. لكن الخطأ الذي وقعوا فيه دون أن يدركوا، أنهم كانوا قد فقدوا مصداقيتهم عند الناس فلم يعد لهم مخالب ولا أنياب ولم يعودوا يملكون سوى النباح.

راح الصحافيّ يلح عليّ أن أتحدث، محاولا رشوة الغرور الكامن في النفس البشرية بأن من حق القراء وهم كثيرون جدا أن يسمعوا مني، لكنني كنت عزوفا، حتى تخيلت أنه يأس مني، لكنه بادرني بما أربكني، إذ أنه قال أنه يستسلم لإصراري على الرفض، لكنه يرجوني رجاء خاصا أن أسمح له بزيارتي.

ولم يكن بمقدوري أن أرفض. لكنني قلت له أنني سأستقبله كضيف وليس كصحافي.. و أنني لن أدلي له بأي حديث..

***

عندما جاء راح يلح عليّ مرة أخرى أن يسجل الحديث فرفضت.. وحكيت له عن تجربتي مع عشرات من الصحافيين إبان قضية الكفر والعهر والتطبيع المعروفة خطأ بقضية الوليمة.. حكيت له كيف بدل رؤساء التحرير حديثي كله.. وكيف كان أسامة سرايا بالذات بارعا في الاختلاق.. وكيف أنهم جميعا رفضوا التصويب والتكذيب الذي أرسلته إليهم.. وحكيت لضيفي كيف أنني لا أنسى أربعة نماذج من الصحافيين الذين أجروا معي حوارا أيامها.. أحدهم كانت له علامة صلاة كبيرة.. قلت له أنني أثق فيه بسبب علامة الصلاة تلك.. و لا يخدعنك ضجيج العلمانيين فالأمر ليس حرية فكر و إنما مؤامرة كبرى على العالم الإسلامي لطمس هويته.. إنها قضية دينية نعم.. لكنها قضية أمن قومي أيضا.. و بذل الصحافي من المواثيق المغلظة ما بذل.. لكنه كان أجرأهم في الكذب و أمهرهم في الاختلاق. النموذج الثاني اتصل بي بعد النشر باكيا وهو يقول أنه خجل من نفسه لأن رئيس التحرير غير الحوار كله.. أما النموذج الثالث فكان أكثر انفعالا.. كان يقول لي أنهم بعد أن غيروا كل ما كتبه انهارت أمامه كل الرموز وكل القيم.. و أنه يفكر

في الانتحار بالقفز من مكتبه في الدور السابع.. أما النموذج الرابع فقد واصل الإلحاح عليّ أياما متوالية و أنا أرفض بعدما رأيت من حجم الكذب والاختلاق.. لكنني استقبلته أخيرا.. كان صحافيا في مجلة آخر ساعة.. وقرب نهاية الحديث أذن الظهر فدعوته إلى الصلاة لأفاجأ به يقول لي:

- لكنني مسيحي.. فهل يؤثر هذا على نظرتك لي؟..

وقلت له:

- على الإطلاق .. لكنني فقط أسألك و أحيل الأمر إلى ضميرك المهني والوطني.. قضية هم الذين يقولون أنها تتعلق بالإرهاب والتطرف.. أليس من الكياسة أن يتصدى لها صحفي مسلم كي يستطيع مهاجمتي دون هاجس أنه يهاجمني كمسلم لأنه مسيحي.. أسألك.. لماذا أرسلوك أنت بالذات.. لماذا لم يرسلوا صحافيا مسلما فذلك يخدم أغراضهم أكثر ولا يثير من الحساسيات ما أثاره الهجوم الغبي من مفيد فوزي على الأزهر وعليّ.. لا .. ليس عندي حساسية منك.. بل إن المسيحي المؤمن أقرب إليّ من المسلم المنافق .. فالمنافقون – وليس المسيحيون ولا حتى المشركون – هم الذين في الدرك الأسفل من النار.. وقلت له أنني لا أريد من دينه شيئا.. لكنني أريده فقط أن يحتكم إلى ضميره المهني.. أن يتصرف كصحافي حقيقي.. و أن يمنع تزوير أقوالي وتلفيقها ونسبة ما لم أقل إليّ لتشويه صورتي..

ووعدني الصحافي المسيحي بذلك.. بل ووعدني بأنه سيقاتل من أجل ذلك حتى لو اقتضى الأمر أن يهجر مهنة الصحافة كلها..

بعد أيام وجدته يتصل بي قائلا:

- لقد قاتلت كما وعدتك.. ولقد حدث ما توقعته أنت ..

وصمت قليلا ثم أردف :

- الحوار لن ينشر.. أصروا على تزويره فغافلتهم واستعدته.. ولن أعطيه لهم أبدا..

***

سألني ضيفي الصحافي:

أمن أجل هذا تهاجم الصحافة والصحافيين؟..

وقلت له أنني لم أهاجمهم، بل إنني أدافع عنهم.. لا أهاجمهم إلا إذا اعتبرت تشخيص المرض هجوما على المريض.. لا أهاجمهم .. إلا إذا اعتبرت المجاهدين في العراق وفلسطين هم البغاة.. أما الصليبيون واليهود فحمائم سلام.. ثم أنني لا ألقي الحديث على عواهنه .. إنني أذكر ما يكتبه صحافيون عن الصحافيين. و أنني بموقفي ذلك أدافع عن الصحافيين الحقيقيين وعن الصحافة الحقيقية.

قلت له : أنت صحافي، وتعرف مدي الامتهان والإذلال الذي يتعرض له كل صحافي من شباب الصحافيين، وأن دونه ودون القيد في النقابة خرط القتاد، وأنه بنفس المنهج الذي ذكرته في الجامعة، فإنه لا يسمح للصحافيين الشرفاء بالمرور من عنق الزجاجة دون موافقة الأمن الذي لا يسمح بالمرور إلا للأشرار المستعدون لبيع كل شيء و أي شيء، لا يسمح الأمن للشرفاء والمجاهدين والأبطال بالمرور، ذلك أن الأمر مع الصحافيين أشد خطرا من الجامعة، لأن صحافيا شريفا متميزا يمكن أن يقلب الدنيا على رأس نظام فاسد، كما أن السماح للشرفاء بدخول النقابة سيقلب موازين القوى ضد عملاء السلطة التي انتقت بعضهم من الحضيض، فرئيس تحرير صحيفة كبرى كان ساعي بريد، و آخر كان موظفا صغيرا في قسم السيدة زينب، وثالث كان «عامل فني سجاد» ورابع كان كواء وخامس كان تومرجيا.. و.. و..

قال الصحافي:

- لكن الصحافي لا يقيم بشهاداته..

وقلت له:

- أنا معك تماما في هذا.. ولعلك تعرف مى مقالاتي أنني واحد من أشد الناس إعجابا بالعلامة محمود شاكر.. ولم يكن يحمل شهادة جامعية.. كذلك تعلم عن عميق إجلالي لأديب العربية مصطفى صادق الرافعي.. وقد كان كذلك.. ثم أن أشهر وربما أكفأ صحافي عربي هو محمد حسنين هيكل الذي لا يحمل إلا شهادة متوسطة دون أن يشينه

ذلك.. كذلك لا يمكن أن أغمط قدر العقاد رغم انتقادي له إلا أنه أفضل ألف مرة من عميد الأدب العربي سارق مرجليوت . لقد كان هذا صحيحا في الماضي، وهو الآن أكثر صحة بعد أن أصبحت أجهزة الأمن تمنح درجات البكالريوس والماجستير وحتى الدكتوراه في الداخل والخارج لمن تشاء من عملائها، وقد كنت مستعدا أن أفهم أن ٢٥٪ من القيادات الصحافية على سبيل المثال يحملون شهادات متوسطة أو أقل، لكن أن يكون أكثر من ٨٠٪ من القيادات الصحافية غير مؤهلة، بل ينتقيها أمن الشيطان وحزب الشيطان من الحثالة، الحالة التي ستنفذ للطاغوت كل أهدافه فتجعل الباطل حقا والحق باطلا، وتمارس الكذب بلا حياء، وتنال من الشرفاء وتقدس اللصوص والخونة.

سألت الصحافي:

- أستحلفك بالله أن تحيل سؤالي التالي إلى ضميرك.. أنا و أنت نعرف أن آلاف الصحافيين الشرفاء ينتظرون الانضمام إلى النقابة دون جدوى، و أنهم يخضعون لإذلال وقهر لا يتصور، و إلى اختبارات مروعة على قدرة الصحافي على التدني والتسفل دون حدود ، و أن من يفعل ذلك يسمح له بدخول النقابة، أما من يرفض فإن الأمر بالنسبة له أصعب ما يكون، لا أقول أنه مستحيل لكنه صعب جدا، ومقابل كل شريف يضم إلى النقابة ستجد خمسة على الأقل من الفاسدين.

- عدت إلى مهاجمة الصحافة..

- يا بني.. أنا لا أهاجمها بل أدافع عنها.. لأن المطروحين في الصدارة على الساحة الآن ليسوا صحافيين بل قراصنة استولوا على مقاليد الصحافة التي لن يستقيم أمرها إلا بطردهم..أما الشرفاء فهم مقموعون مطحونون لا يسمح لهم بالكتابة ولا بالظهور.. يا بني لست أنا الذي يقول.. ألم تقرأ فهمي هويدي حين كتب يقول أن هناك صحفيين مصريين يتلقون مرتبات بشكل منتظم من رجال أعمال وجهات حكومية لنشر موضوعات بعينها. وقد أكد هويدي أن الفساد نابع من بعض القيادات الصحفية، كما كشف عن أن هناك «مؤسسة صحفية واحدة تضم ١٢٠ شخصا، تجاوز رصيد كل واحد منهم خمسة ملايين جنيه مصري وحرص هويدي على أن يؤكد أن عبارة «الصحفي

المليونير» لم تكن واردة في مصر على مدار تاريخها، إلا أن هذه العبارة أضيفت للقاموس خلال السنوات الأخيرة، رغم أن انضمام أي صحفي – كما يقول هويدي – إلى نادي المليونيرات في الظروف العادية لا يمكن أن يتحقق له من أي باب من أبواب الحرفة إذا كان شريفًا بطبيعة الحال. وواصل هويدي قوله أن بعض هذه القيادات حولت الصحف لـ«عزب» خاصة بأسرها، وأن بعض القيادات تحصل على إتاوات عن كل شيء يدخل المؤسسة الصحفية من إعلانات إلى صفحات الوفيات. وأضاف هويدي يقول: إن هناك اختراقا من قبل بعض المؤسسات الأجنبية لبعض المؤسسات الصحفية لتمويل أنشطة مهمة فيها. كما أن بعض المجلات الأسبوعية تنشر حملات صحفية عن مسألة معينة مثل مشكلات الدواء أو فساد الصناديق الاجتماعية، ثم تنشر بعدها إعلانات لهذه الجهات الرسمية تدافع عنها، وختم هويدي بالقول: إنه لا يمكن تحميل رجال الأعمال أو الوزارات التي تشتري المحررين كل المسؤولية؛ فهناك محاولة للإفساد، وهناك القابلية للإفساد. وقال من يحاول الإفساد ما كان له أن ينجح في ما يسعى إليه، إلا لأنه وجد أمامه طرفا قابلا للغواية.

سألت الصحافي:

– هل كان فهمي هويدي يدافع عن الصحافة الحقيقية أم يهاجمها؟

ثم واصلت:

– ألم تندهش لاتفاق وزير ثقافة ووزير داخلية في تقييم الصحافيين، فالأول قال أن الصحافيين عنده صنفان: صنف يشتريه بدعوته على العشاء.. وصنف آخر يدفع ثمنه الذي لا يزيد عن عشرة آلاف جنيه.. أما وزير الداخلية الأسبق فقد قال أن ٧٥٪ من الصحافيين يحصلون على مرتبات منه.

– إنك تنتقي ما يدين الصحافيين..

– لكنها بأقلام صحافيين.. هل قرأت الكتاب الدامي للصحافي النابه المتميز أحمد عبد الهادي.. كتاب عنوانه «انقلاب في بلاط صاحبة الجلالة».. ولقد تمزق قلبي و أنا أقرأ إهداء الكتاب فهو إهداء يحرق كالنار.. يهديه إلى: جيل الغضب لعله لا يغفر أبدا أو

يسامح..

وواصلت قائلا بعد أن أمسكت بكتاب«انقلاب في بلاط صاحبة الجلالة».. :

- لست أنسى أبدا نزيف المرارة الذي سفحته و أنا أقرأ هذا الكتاب .. وما زلت أذكر وصف الصحافي القدير طريق البداية:

« حاربنا في سبيل العثور على فرصة في بلاط صاحبة الجلالة..(...) وعندما عثرنا على هذه الفرصة، كانت صدمتنا كبيرة.. التجارة.. والبيزنس.. والجنس.. والابتزاز.. بجوار المقالات التي تذوب عشقا في الوطن.. صحفيين تحولوا إلى تجار عبيد، ورقيق أبيض وآخرين قفزوا على الساحة بالابتزاز والنصب.. اكتشفنا أننا تحولنا إلى سلعة يتاجر فيها البعض.. اكتشفنا عشرات الأبواب الخلفية، التي لابد من المرور بها أولا، في سبيل الاستمرار.. صحفيين صغار تحولوا إلى طعام في سبيل استمرار الكبار.. صحف احترفت تجارة كل شيء، بدءا من التهليل والتطبيل والتصفيق لمن يدفع، وانتهاء بالهجوم المخطط على كل من تسول له نفسه ورفض مطالبها.. وصحف أخرى تفوح منها رائحة البترول، والدولارات، وصحف من عينة مصاصي الدماء..كل شيء أصبح يباع ويشترى.. اختلطت الأقلام الفاسدة بالشريفة، فكان من الطبيعي أن يتوه كل شيء.. ونتوه نحن أيضا وسط مدينة نجح كل سكانها في إخفاء وجوههم الحقيقية، خلف أقنعة مزيفة وملابس أنيقة أخفت كل حقيقتهم.. فكان لابد من هذا الكتاب، الذي يكشف الستار عن بعض أسرار الصحافة المصرية، وما يدور في الكواليس، بعيدا عن أعين القراء، ويكشف بعض من معاناتنا نحن الجيل الجديد في بلاط صاحبة الجلالة..ويكشف أيضا أبعاد الانقلاب الذي قام به البعض للسيطرة على عرش صاحبة الجلالة. والثورة المضادة التي حاول بعض الصحفيين الجدد تزعمها، لتخليص صاحبة الجلالة من بين براثن بعض السماسرة..

قلت للصحافي:

- لست أنا الذي يقول ذلك.. بل يقوله صحافي شريف يدافع عن الصحافة الحقيقية والصحافيين الحقيقيين ويؤكد أن الموجود الآن في الساحة ليست الصحافة بل الانقلاب

على الصحافة..

ثم واصلت القراءة:

« كانت صدمتي بحق قوية.. صحفي شاب في مقتبل العمر لا يـزال في بداية الطريـق، احترف البغاء الصحفي.. احترف النصب وتزيير الحقائق وقلبها رأسا على عقب، من أجل حفنة جنيهات.. لا يمانع في الرقص مع الشيطان طالما أن ذلك سينتهي به إلى ما ينشده.. (...) .. في عش الدبابير، تصطدم بوقائع وحسابات أخرى، تختلف عن كل الحسابات المعتادة.. التجارة السياسية الممنوعة.. تصفية الحسابات بين الأشخاص والدول.. وبين البعض والدولة، من خلال استغلال صغار الصحفيين.. ولا يهم النتيجة أو الثمن، المهم ماذا تحقق وما هي النتيجة؟» ..

ثم وجهت حديثي إلى الصحافي في مرارة:

- أنت انضممت إلى النقابة وحققت جزءا من أمنك الاقتصادي لكن تذكر زملائك الذين لم ينضموا بعد.. زملائك الذين يصفهم زميلك أحمد عبد الهادي في مرارة ذابحة صارخة: وافقنا على الاستمرار في العمل (دون مرتب ..م ع) على مضض، لحين العثور على فرصة أخرى.. وهمس زميل في أذني : «اعمل زيي وأنت لا تحتاج لأي مكافأة» .. «مش فاهم» .. « استغل الجريدة في نشر قضايا الناس بالفلوس» ..« وحياتك برضه مش فاهم» ..« اللي عايز ينشر قضيته أو أي شكوى تخصه يدفع خمسين جنيه.. . فيك من يكتم السر.. أنا أتقاضى من هذه الطريقة، أكثر من ألف جنية شهريا» .. «..لكن ده اسمه استغلال ونصب »..

كان الصحافي قد تخلي عن تحفزه وهجومه.. وبدا أنه يري أبعاد الكارثة.. كان يدركها ولكنه يتجاهلها.. لكنني أضعها الآن أمامه و أواصل القراءة من كتاب الصحافي أحمد عبد الهادي:

عفوا ستبدو صاحبة الجلالة هذه المرة عارية تماما، لا يستر جسدها ثمة ملبس.. إنها قصص ومآس وحكايات شباب الصحفيين، اختلطت بالعرق والدموع والدماء.. اعترفوا بها فوق أوراقهم التي لا يملكون زادا من الحياة سواها.. وبعضهم كشف جزءا

آخر من ملابس صاحبة الجلالة، لتبقى في النهاية مجردة من كل ملابسها.. إنها مواقف عاشها البعض أثناء رحلتهم.. أبطالها أحياء يرزقون.. الشخوص حقيقية.. الأحداث كذلك.. والأسماء واقعية لم أقترب منها بقلمي.. وكل شيء كما هو بلا زيف أو رتوش.. مثلما هو في كل صفحات هذا الكتاب..فقط بعد قراءتها سوف نكتشف جميعنا، أننا أصبحنا في مواجهة أنفسنا.. وأن هناك أيضا سوق جديد للعبيد والنخاسة صنعة البعض، وساهمنا فيه جميعا بقصد أو بدون قصد

نعم لقد رأيت بعيني رأسي صحفيين كل مهمتهم في جرائدهم هو لعق حذاء رئيس التحرير، حتى يتم تعيينهم ودخولهم نقابة الصحفيين، لنفاجأ بهم بعد ذلك رؤساء تحرير علينا في جرائد أخرى، أما من يتعفف ويحفظ كرامته ويقوم بالعمل على خير وجه وبكل ضمير، يتم لفظة خارج (الشلة).. فالجرائد الآن تسير بنظام (الشللية)، كأن يأتي رئيس التحرير (أحيانا) بإخوته ومعارفه وأصدقائه، وهم لا يفقهون ما هو الفرق بين الجريدة وورقة اللحمة.. هكذا سقطت القيم، وأصبح الصحفي الكبير هو من يستطيع أن «يسلك » مصالحه بجميع الطرق الملتوية.

ثم يعرض أحمد عبد الهادي بعض نماذج من صحافيي السلطة والنظام:

« ..أحمد جنيدي بدأ حياته ساعي في صحيفة معارضة.. ونجح في التودد إلى رئيس التحرير، وتملقه ونافقه.. وبدأ الكل يخافه ويخشاه خاصة، عندما أقنع الجميع أن هناك صلة قرابة تربطه برئيس التحرير.. وأخذ يفرض سطوته على الصحفيين، الذين كان يجبرهم على إعداد الموضوعات الصحفية والأخبار الهامة له.. وخلال سنو ت عمله بالجريدة، نجح في الحصول على الشهادة الجامعية، ونجح في الاقتراب أكثر من رئيس التحرير.. وصدر قرار بتعيينه وحصل على عضوية نقابة الصحفيين.. وحصل على إجازة بدون مرتب وبخدعة محبوكة الأطراف، وتوسيط بعض المعارف، تولى رئاسة تحرير صحيفة حزبية لسان حال أحد أحزاب المعارضة.. ولأن رئيس الحزب تجاوز الخطوط الحمراء المقررة، فقد تم دعم جنيدي ومساعدته، حتى أطاح برئيس الحزب وجلس هو مكانه وجنيدي الذي لا يعرف حتى الآن أبجديات العمل الصحفي، وأصول الإملاء،

وألف باء السياسة، يقوم برسم مستقبل مصر السياسي والإعلامي، ويكتب المقالات التي تتصدر صحيفته.. ويشارك في اجتماعات الأحزاب والقوى السياسية.. والاجتماعات التي يعقدها رئيس الجمهورية مع القيادات السياسية..»

ثم يتحدث أحمد عبد الهادي عن مهزلة الانضمام إلى النقابة:

و كان رئيس لجنة القيد بنقابة الصحفيين آنذاك يرفض قبولنا هو والكثير من أعضاء مجلس النقابة كأعضاء في النقابة، رغم استيفائنا كافة الشروط، ورغم وجود أوراق تعييننا في النقابة منذ سنوات طويلة.. فيما كان يتم قبول عضوية المئات من الصحف القومية.. قال البعض، أنها تعليمات عليا حتى لا تتزايد أعداد صحفيي المعارضة بشكل قد يخل بالتوازنات داخل النقابة، وبالتالي لا تستطيع الحكومة التحكم في الأمور داخلها.. واندهشنا فقد كان مبلغ علمنا أن هذه النقابة هي الوحيدة التي لا يمكنها أن تخضع لسلطان أي توجه، حتى لو كان هذا التوجه حكوميا.. ثم مالنا نحن وهذه التوازنات؟.. وزعم أعضاء مجلس النقابة أن لدينا مشاكل مالية وإدارية بالجريدة، ولابد من حلها أولا.. وتم حل كل ما يزعمون من مشاكل.. ورفضوا عضويتنا رغم ذلك، في حين كانوا يقبلون مئات الصحفيات ذوات الوجوه الجديدة اللاتي لا عهد لهن بالصحافة من الأصل، حتى أننا حصلنا على قائمة كاملة بأسماء فتيات يعملن سكرتيرات في مكاتب رؤساء بعض المؤسسات القومية، ورغم ذلك تم قبولهن أعضاء في نقابة الصحفيين فيما تم طردنا شر طردة.. واعتصمنا بالنقابة.. وأضربنا عن الطعام.. ولم يستجب إلينا أحد.. نحن الذين ندافع عن المقهورين فشلنا في الحصول على أبسط حقوقنا..

كان الصحافي – ضيفي – قد استسلم لحالة من الإحباط والصمت، ورحت أواصل الأجزاء التي وضعت تحتها الخطوط أثناء قراءتي للكتاب أول مرة.. رحت أقرأ له تفاصيل عن إغلاق صحيفة الشعب وكيف تم.. كما رحت أقرأ له كيف يمكن إصدار صحيفة لا تصادر:

يقول الصحافي أحمد عبد الهادي:

– تم اختيار حمدي غنام بعناية فائقة، لمتابعة وتغطية أخبار وزارة الكهرباء والمعروف

في الوسط الصحفي كله، ولا يعرفه القراء، أن المهندس ماهر أباظة وزير الكهرباء كان ينفق حوالي ٣٠.٪ من ميزانية وزارته، على الإعلانات التي تستفيد منها كل الصحف القومية والمعارضة والمستقلة، مقابل عدم الكتابة ضده أو ضد وزارته أو أحد من رجاله.. ونجح أباظة في استقطاب كل الصحف والصحفيين من حوله، ولم يكتب ضده صحفي واحد طيلة وجودة في الوزارة..(..)..

وكان الأمر فاتحة خير لحمدي غنام، الذي كان يعود بالإعلانات من وزارته أسبوعيا والتي يحصل على ربع قيمتها عمولة، رغم أن قانون نقابة الصحفيين يحظر تعامل الصحفي في الإعلانات، حتى لا يتم إجبار الصحفيين على جلب الإعلانات.. لكن غنام كان يضرب بالأمر عرض الحائط، فقد كان يقف خلفه رئيس التحرير.. وكان الكل على علم بأن هناك رؤساء مؤسسات قومية، يتقاضون عمولات بالملايين من الإعلانات التي تأتي عن طريقهم.. والتزم الجميع الصمت إزاء ما يحدث لم يكتف حمدي بما يتقاضاه من عمولة، بل راح يقوم بتزوير توقيعات وزير الكهرباء على أوامر نشر الإعلانات لصحف عديدة، طمعا في المزيد من العمولة.. وتم اكتشاف الأمر.. وصدر قرار بطرده من الجريدة.. فسخر من القرار قائلا :

- طظ

- يعنى مش زعلان ؟

- أزعل ليه إذا كنت فهمت أصول اللعبة ؟

ولم أفهم لحظتها ما يرنو إليه بكلماته إلا عندما اشترى حمدي ترخيص جريدة من قبرص بألف جنيه.. وقرر إصدارها في مصر.. وقلت له:

- الأمر ليس بهذه السهولة التي تظنها

- ليه ؟

- يابني.. سيتم التعامل مع جريدتك باعتبارها صحيفة أجنبية..وستظل تحت سيف الرقابة في كل عدد.. ومن السهل مصادرتها في أي لحظة

– هه.. ! مع أمثالك يحصل الكلام ده.. أما واحد فهم اللعبة، مش ممكن..

– يعنى هتعمل إيه ؟

– أبدا.. صورة لوزير الإعلام ووزير الداخلية في الصفحة الأولى، وأسفلها خبرين حلوين عنهما.. وفي أعلى الصفحة الأولى خبر بارز عن الرئيس.. بكده تنتهي الحدوته، وتمر الجريدة من الرقابة في كل عدد . و....جريدة حمدي غنام تصدر منذ عدة سنوات في انتظام ومليئة بالإعلانات.. ولم يتم مصادرة عدد واحد منها حتى الآن (...) وكان يشن الحملات الصحفية الضارية ضد بعض رجال الأعمال، ثم يرسل لهم بعض الصحفيين للتفاوض معهم، ومساومتهم، لوقف حملاته مقابل دفع مبالغ مالية باهظة.. ولا مانع من تسخير الصحفيين لإعداد حملات صحفية تسبح بحمدهم إذا لزم الأمر(...) ونائب رئيس التحرير قام بتحويل مبالغ مالية طائلة، أرسلتها إحدى دول الخليج للصحفيين بجريدته تقديرا منها لدورهم في دعم بعض القضايا العربية، إلى جيبه الخاص (...) وأخيرا أصبح صاحب جريدة مستقلة.. وسيارة فارهة.. وشقة فاخرة.. وموبايل.. و..و.. وكلما بزغ نجم صحفي في الجريدة قصم ظهره.. وكلما جاءت صحفية جديدة إلى الجريدة، يضمها إلى حريمه الخاص، وإلا فالشارع مصيرها.. وفي مكتبه تجد الجنس.. بجوار الحشيش.. بجوار مقالاته التي تذوب عشقا في الوطن (...)

***

قلت لضيفي الصحافي:

هل تريد المزيد.. بل هل تحتمل المزيد.. وهل ما زلت على اتهامك لي بأنني أهاجم الصحافة.. أم أنك أدركت معي أن الصحافة – ككل مؤسسات الدولة – سفن استولى عليها قراصنة علينا أن نطردهم منها.. وبطردهم نحمي الصحافة والصحافيين. نعم.. علينا أن نستعيد سفننا ففيها أبناؤنا و إخوتنا.. ما من تزعم أنت أنهم صحافيين .. وأنني أهاجمهم فليسوا صحافيين و إن حملوا بطاقة النقابة إنما هم قراصنة لو طبق عليهم القانون العادي لحكم عليهم بالسجن.. ليس بسبب قضايا سياسية بل بسبب الرشوة أو التربح أو الاختلاس أو الابتزاز..

هل تريد المزيد.. بل هل تحتمل المزيد .. هل تريد مني أن أحكي لك عن (...).. الذي كان سائقا فعين صحافيا.. أو عن الصول (...) الذي عين أيضا صحافيا..أم رجل الأمن وبطل المصارعة (...) الذي عين صحافيا لأنه كان بلطجيا يهدد أعداء رئيس التحرير.. أم عن (...) الذي عينه رئيس التحرير (بل أقرب رؤساء التحرير إلى قلب الرئيس) عينه صحافيا بعد الحكم النهائي عليه بالسجن ثلاثة أعوام.. أما الاتهام فكان تسهيل دعارة.. وما زال ذلك الصحافي يعيش في كنف الصحافي الكبير لا يجرؤ أحد على المساس به لتنفيذ الحكم.. هل أحدثك عن (...) أقرب رؤساء التحرير إلى رئيس سابق .. وكيف فتح شقته دار بغاء لأصدقائه الإسرائيليين.. هل أحدثك عن خطف الزوجات والاغتصاب والإرغام على التطليق....

وقاطعني الصحافي بعد أن بلغ به الإحباط كل مبلغ:

- كل ما تقوله صحيح.. بل إنك أثرت مواجعي .. ولقد ذكرتني بالصحافي (...) الذي كان مثلي الأعلى فإذا به ينقلب على فكره كله وعلى ماضيه كله مقابل وظيفة مرموقة في الحكومة.. ١٢ ألف جنيه شهريا كافية للقضاء على كل المبادئ والمثل..

وبدت نظرة حائرة بائسة في عيني الصحافي وهو يقول :

- الحقيقة أنني اكتشفت انعدام المثل.. ولكن هذه العيوب عيوب المجتمع كله.. فلماذا تركز على الصحافيين..

- لكنني لم أركز على الصحافيين.. رغم أنهم يستحقون التركيز عليهم لثلاثة أسباب: السبب الأول خطورة تأثيرهم ودورهم في التأثير على الأمة.. ذلك أن خطأ الفرد لا يصيب إلا الفرد أما زلة العالِم فيضل بها عالَم.. والثاني هي قلة عدد الصحافيين.. فلو أن عشرة آلاف انحرفوا في نقابة الأطباء أو المهندسين أو المعلمين أو التجاريين أو المحامين على سبيل المثال لما شكل هذا العدد أكثر من ٢-١٠٪ من تعدادهم.. أما في نقابة الصحافيين فإن انحراف ألفي صحافي يعنى انحراف ٥٠٪ من الصحافيين.. أما السبب الثالث فهو سبب يقتصر على الصحافيين.. ذلك أن كل المهن الأخرى لها جذور عميقة في الواقع والتاريخ.. فلو أن الجيل الحالي من الأطباء فقد أخلاقياته فلدي الأجيال القادمة

أجيال خلف أجيال تستطيع أن تعود إليها لتستعيد أخلاقيات المهنة وتقاليدها.. أما في نقابة الصحافيين فإننا لا نملك إلا عددا محدودا جدا من الأجيال.. ولا تنسي أن بعض الأحياء الآن قد عاشوا تلك الفترة التي لم تكن فيها شهادة الصحافي أو مصاهرته تقبل.. بعد ذلك جاءت أجيال كان فيها من الصحافيين العظماء من كان.. لكن أغلب الموجودين لم يكونوا عظماء.. كانوا عملاء للقصر أو السراي.. ثم جاءت الثورة كتسونامي دمر الأمة.. حيث تم تنحية جيل كامل من الشرفاء كآل أبو الفتح وتم في نفس الوقت تقريب المخبرين والخدم.. وبعض ذوي الموهبة كمحمد حسنين هيكل والأخوين أمين.. كان جمال سالم يطارد الصحافيين ويضربهم بالحذاء.. لكن ذلك لم يكفي فتكفل السجن والتعذيب الحيواني البشع المجنون بعملية الترويض.. استبعد الإسلاميون تماما فقد كان استبعاد الإسلاميين من الساحات جميعا مطلبا أمريكيا مقابل استمرار الثورة.. وتم التركيز على الشيوعيين الذين حلوا حزبهم بعد أن فقدوا الثقة في كل شيء.. كانوا قبل دخولهم السجن قد فقدوا الإيمان بالله.. وبعد دخولهم فقدوا الإيمان بالإنسان أيضا.. أحدهم.. وكان رئيس تحرير كبير كان يسب نفسه سبابا مقذعا أثناء التعذيب مقسما بأغلظ الأيمان أنه مستعد للقيام بدور الخادم بل القواد للسادة الحكام .. وفعلا أفرج عنه مع باقي الشيوعيين وأوكل إليهم أمر الصحافة كلها.. وقام كمعظم زملائه بالدور الذي وعدوا به.. دور القواد والخادم.. وارتفعت أسهمهم كثيرا.. إلا أن ذلك لا يعني أن كل الشيوعيين كانوا كذلك.. هناك القليلون منهم صمدوا واحتفظوا بنقائهم وقيمتهم.. لكن من هذا الصنف الشاذ المروض نبتت أعراف شديدة الشذوذ تنتشر الآن في الوسط الصحافي.. يقاومها بعض الشرفاء .. لكن الدولة تشجع كل شذوذ وانحراف كأب سافل يحرض بناته على البغاء.. إن نموذج الصحافي الذي تشجعه الدولة لا يبحث عن حقيقة أو قيمة أو خبر صادق.. إنه يسعى لإحداث فرقعة أو تدبير فضيحة قد تقربه من ذوي السلطان.. ومن هنا انتشر ما أسميه بصحافة عادل إمام ومحمد هنيدي.. منتهى السطحية والجهل.. الاعتماد على « القفشات والمفارقات» .. تحويل الحوار مع الطرف الآخر إلى استجواب من ضابط جلاد إلى ضحية معتقل.. محاولة تحطيم صورة الرموز.. والنيل من هيبتهم.. والسخرية منهم.. و إهدار قيمة الشرف.. وذلك كله لا يحدث إلا لتحقيق ما

تراه الآن.. ألا تري على القمة إلا الطاغوت.. أما الآخرون جميعا فقد تم النيل منهم إن لم يكن بتحطيمهم فبتلويث سمعتهم..على أن الطريق الأمثل والأقصر والأقرب إلى قلوب الحكام هو الجرأة على الدين..

– الحقيقة أنني لا أستطيع أن أرد عليك.. فكل ما تقوله صحيح .. لكنني ما زلت أسأل: لماذا الصحافيون فقط؟

– لا.. لم يقتصر الأمر على الصحافيين.. لقد كتبت الكثير جدا عن ضباط الشرطة.. عن القضاء وعن النيابة وتواطؤها مع الشرطة حتى أدى الأمر إلى صدام علني عنيف على صفحات الصحف بيني وبين النائب العام الأسبق.. ولقد كتبت عن القضاء كثيرا.. وفي مقالات متعددة أذكر منها صرخاتي مع المستشار الجليل يحيى الرفاعي.. حين نقلت صرخاته في مقال لي كانت عناوينه : « المستشار يحيى الرفاعي شيخ القضاة في مصر والعالم العربي ينعى استقلال القضاء والوطن ويعلن: « نظام الحكم تجرد من مشروعيته في نظر العالم أجمع » ..« المؤسسات القضائية تبدو كمجرد مرافق إدارية تابعة للسلطة التنفيذية»....« التبعية الإدارية التدريجية في النيابة العامة تسحق إرادة المرؤوسين فيها».. «ضاعت سمعة القضاء المصري في نظر العالم أجمع حتى صرنا مضغة في الأفواه» ..«وزير العدل يعبث عبثا ليس له أي أصل من شيم قضاء مصر»..

ولقد كتبت عن قاضي الجنح الذي ينظر أكثر من مائتي قضية في ثلاث ساعات.. أقل من دقيقة لكل قضية.. فإذا احتسبنا وقت النداء على المتهمين والشهود والمحامين لتقلص الوقت لأقل من نصف دقيقة لكل قضية !!.. نصف دقيقة قد تدمر مستقبل الفريسة التي وقعت في البراثن.. وكنت أدرك أن النظام الفاسد يضع القضاء في ظروف مستحيلة كي ينشغل بنفسه من ناحية، ومن ناحية أخري فهم يطعنون جوهر العدالة نفسه بإثبات أن تطبيقها مستحيل. وكتبت أيضا عن النيابة ما جعلني أسترجع ما جاء في حيثيات حكم قضائي أنها أصبحت كالشرطة سواء بسواء.. بل وأزعم أنني فسرت الحديث النبوي الشريف: «**قاض في الجنة وقاضيان في النار**» تفسيرا جديدا حين قلت أن ذلك لا يعني أن ثلث القضاة في الجنة وثلثيهم في النار.. فالتمييز هنا بين القضاة تمييز نوع لا تمييز عدد..

كقولك أن للتفاح في هذه المزرعة ثلاثة ألوان: لون أحمر ولـون أصـفر ولـون أخضر.. فإن ذلك لا يعني أن ثلث التفاح أصفر وثلثه أحمر وثلثه أخضر.. بل قـد يكـون الكـل أحمـر إلا تفاحتين واحدة صـفراء والأخـرى خضراء.. فالحـديث إذن لا ينبغـي أن يطمئننـا أن ثلـث القضاة قضاة عدل.. وقد يكون الرقم أقل بكثير..

قال الصحافي:

- لكنك لم تهاجم الأطباء.. ربما لأنهم زمـلاؤك.. رغـم أنني أعـددت تحقيقـات كثـيرة عن جرائم الأطباء ومنها سرقات الكلى المنتشرة في المستشفيات الخاصة..

- لقـد تابعـت بعـض تلـك التحقيقـات.. ومـن المحـزن أنكـم فضـلتم فيهـا الإثـارة والتسطيح عن البحـث عـن الحقيقـة.. مـرة أخـرى صـحافة عـادل إمـام ومحمـد هنيـدي.. صحافة القفشات والفضائح.. ألم يكن حمدي السـيد ضيفا في أحـد تلـك التحقيقـات.. ألم يدل الرجل برأيه كعالم وخبير وطبيب باستحالة حـدوث ذلـك.. وأن الأمـر لا يخـرج عـن محاولة من باع كليته للحصول على مزيد من المال ممن اشتراها منه.. أما عن دخول المريض إلى المستشفى ليكتشف سرقة كليتـه فهـو افـتراء أسـوأ مـا فيـه الكـذب و إغفـال الكـوارث الحقيقية مقابل كوارث متخيلة..

- ها أنت تدافع عن الأطباء..

- لا .. أصبر قليلا.. إن الكوارث الحقيقية اتـي يشـملها عـالم الصـب في بلادنـا أخطـر ألف مرة مما تقول و إن كان صحيحا.. فما بالك إذا كان ما تقوله عن سرقات الكلى خطأ.. اصبر .. فالكارثة أكبر مما تظن.. قبل عام ٦٥ كانـت شـهادات الطـب المصرية معترفـا بهـا في العالم كله كشهادات انجلترا و أمريكا.. الآن .. حتى الدول العربية لا تعترف بالشـهادات المصرية في الطب.. لقد كانت السياحة الطبية قادرة على جذب استثمارات و أربـاح تفـوق دخل قناة السويس.. لكـن سـيادة الجهـل والسرقـة حولـت الاسـتثمار إلى اسـتحمار..ولقـد عشت ورأيت أصـغر المستشـفيات في مصر لـديها مـن الإمكانيـات أكثـر مـن المستشـفيات الكبرى في السعودية على سبيل المثال.. ثـم عشـت ورأيـت مـدى تخلـف أكـبر مستشـفياتنا أمام المستشفيت السعودية.. ولقد عشـت ورأيـت المـرضى العـرب مـن كـل مكـان يـأتون

للعلاج في مصر ..ثُم عشت ورأيت المرضى المصريين يذهبون إلى جدة وعمان والرياض للعلاج.. إن الوضع الطبي في مصر كارثة لا يمكن أن تتخيلها.. إن الجامعة بما فيها من كوارث معظمها بسبب سيطرة الأمن هي التربة التي تنبت فيها النبتة المشوهة للطبيب، حيث انعدمت تقريبا العملية التعليمية، وتحول أعضاء هيئة التدريس إلى مدرسين يقدمون الملخصات لطلبتهم مقابل آلاف الجنيهات (في الستينات كان منهجنا الدراسي وكتبنا هو نفس المنهج والكتب التي تدرس في كلية طب لندن).. الآن يدرسون من ملخصات ملخصات الملخصات لتكون أرواح الناس أمانة في أيديهم بعد ذلك..وحيث تخضع النتيجة لرأي الأمن، ليس لاستبعاد الإسلاميين فقط، بل لمنح ابن ضابط أو ابنة محافظ الدرجات الأولى.. وبديهي جدا، أن الأستاذ الذي يرضخ لطلبات كهذه لرجال الأمن، الأستاذ الذي يمنح الدرجات العليا لأبناء الضباط والمسئولين، سيجد أنه بصورة أولى أن يمنح هذه الدرجات لأبنائه و أبناء زملائه. كل هذه العيوب تتكرر في شهادات التخصص، ليكون التزوير والغش هو القاعدة وما دونها استثناء، كل هؤلاء سوف يجدون رئيس جامعة لص اختاره وزير لص، و عمداء بلا ضمير و أساتذة بلا علم.. ثم نأتي بعد ذلك للممارسة.. إن آلاف المرضي يموتون سنويا بسبب جهل الأطباء وبسبب عدم توفر فرص التدريب.. وآلاف من المرضى يموتون بسبب عدم وجود العلاج.. وآلاف من المرضى يموتون ليس بسبب عدم التعقيم بل بسبب أن المياه التي يتم التعقيم بها مختلطة بماء المجاري.. كما أن عددا لا يعلمه إلا الله يموتون بسبب استيراد أدوية مغشوشة بعد دفع عمولات هائلة، أو بسبب استعمال المريض المصري كحيوانات تجارب لأدوية لم يصرح باستعمالها في بلادها. ثم يأتي بعد هذا كله دور الفساد المباشر.. دور شراء أجهزة طبية معطلة أو ناقصة.. ولقد كتبت قبل ذلك عن معلومات يقينية من هنا وهناك.. أحدها كان يتعلق بمستشفى اشترى أجهزة تنفس صناعي دون جهاز الإنذار الخاص بها (مقابل عمولة ضخمة للتغاضي عن عدم وجوده).. وفائدة جهاز إنذار أنه يطلق صفيرا عاليا عند توقف الجهاز لأي سبب خاصة أن هذا الجهاز يستعمل للحالات الحرجة عندما يكون المريض مخدرا أو في غيبوبة.. والذي حدث أن مريضين ماتا في ليلتين متتاليتين لأن الجهاز توقف مرة وانفصلت أنابيبه عن المريض مرة أخرى.. وفي الحالتين مات

المريضان.. وقامت المستشفي بتكهين الجهازين.. إنني لا أتحدث عن وقائع منفصلة و إنما عن قواعد عامة ودونها استثناء.. أتكلم عن إهدار ملايين الجنيهات في تزيين المستشفيات للسيد الوزير اللواء المحافظ بينما الأساسيات كمطهر أو ضمادة أو حقنة بنسلين غير موجودة.. ولقد تحدثت في مقالات سابقة كيف أن «التهريج » الصحي بإعطاء حقن الطرطير لعلاج البلهارسيا دون تعقيم قد أدي إلى إصابة ملايين المصريين بالالتهاب الكبدي الوبائي ومن ثمة بسرطان الكبد.. كتبت عن السرقات التي تقوم بها المستشفيات الخاصة للمرضى.. تحدثت عن انهيار القيم بين الأطباء.. فالذي باع ضميره في الجامعة.. ماذا يمنعه من بيعه خارجها.. تحدثت عن العمولات والرشى.. تحدثت عن جهات حكومية كبري ترغم المراكز الطبية على أسعار لا يمكن أن تكون معقولة.. و لأنها غير معقولة فلا بد أن تخفي خلفها سرقات من نوع ما.. وفي مثال لذلك.. فإن حقنة معينة سعرها الرسمي ٢٨٥ جنيها .. لكن الجهة الحكومية الكبرى اشترطت على المراكز الطبية تقديمها بسعر خمسين جنيها..!!.. وكان الأمر فادحا وواضحا وبينا..إما أن الخمسين جنيها تصرف دون إعطاء الحقنة أو أن هناك سرقات تعوضها وتزيد.. سرقات يرغم عليها الضحايا ليهلل لها صحافيو الإثارة الرخيصة.. سرقات يقع فيها الصغار.. أما الكبار فيظلون بمأمن.. هل تتصور كم الرشاوى التي تدفع للتصريح لدواء جديد.. هل تعرف السر الخفي وراء عدم التصريح للفياجرا لمدة أربعة أعوام بعد أن صرح بها العالم كله بحجة الحرص على صحة المصريين- المصريين الذين تشبعت دماؤهم بالكيماويات والمسرطنات- هل تعرف كم كسب المهربون من منعها؟ وهل تعلم من هم هؤلاء المهربون؟. هل تعلم سر التصريح بالحبة الصفراء لعلاج الالتهاب الكبدي الوبائي والتي لم يصرح بها في معظم بلاد العالم ويذهب العديد من خبراء الكبد أنها نصب واحتيال ؟ هل تعرف سر اهتمام صحيفة الأهرام بها؟ وهل تعرف شيئا عن عشرات الملايين التي حصل عليها وكيل استيرادها؟ وهل تعلم من هو هذا الوكيل؟ هل تعلم كم العمولات التي تدفعها شركات الأجهزة الطبية لكي يصدر في مصر قانون فريد في العالم بمنع استيراد الأجهزة الطبية المستعملة حرصا على صحة المصريين !! بينما هذه الأجهزة المستعملة تباع في العالم كله وعلى رأسه أمريكا كلها وكندا و أوروبا كلها واليابان و آسيا..

لا أعلم دولة في العالم منعت استيرادها سوي مصر رغم أن استيرادها كان يوفر مئات الملايين ويرفع من مستوى الخدمة الطبية .. لكنه لم يكن يقدم رشوة إلى مسئول هنا أو موظف هناك.. وعلى الرغم من ذلك .. فإن استيراد هذه الأجهزة لم ينقطع.. لكن بعد دفع الرشاوى الهائلة..

هتف الصحافي الضيف مروعا:

- يا إلهي..

وواصلت:

- يسعد صحفيو عادل إمام ومحمد هنيدي بالتنكيل بطبيب ضبط متلبسا بالرشوة هنا.. أو بالسرقة هناك.. أو بتزوير درجات ابنه..أو بعملية جراحية يخطئ فيها.. يسعدون بالإثارة والفضيحة..يسعدون ببعض الماء الذي أدي إلى انزلاق فرد ويغفلون عن الطوفان.. فتلك كلها جرائم موجودة في أي مكان في الدنيا.. ولكنها استثناء.. في بلادنا تكاد تصبح قاعدة.. الخطر ليس ذلك.. الخطر في عمومية التهريج وانعدام الخبرة وموت المرضى بسبب التصور والجهل والإهمال..

- يا إلهي.. يا إلهي.. ألا يوجد في مصر طب إذن؟!..

- يوجد القابضون على الجمر.. وعددهم – والحمد لله- ليس قليلا لكنهم ليسوا أغلبية بأي حال.. والأسوأ أنك لا تستطيع أن تميزهم من سواهم خاصة أن شبكات الفساد تجعل التلفاز والصحف تروج دائما للطبيب الفاسد الذي يدفع لها.. نعم.. بالرغم من ذلك كله يوجد القابضون على الجمر.. يوجد من أظن أن لهم أجر المجاهدين إذ يقاومون هذا الفساد كله وهذا الدنس كله.. إلا أنني أحذرك من أن صحافة الإثارة تخدم هذا الفساد.. لأنها تركز على جرائم خيالية (كسرقة الكلى) تجذب الانتباه عن الجرائم الحقيقية.. وتقدم الجرائم المتوهمة إلى المحاكم فتحكم بالبراءة فيغرق الناس في الإحباط.. لأن هذه الجرائم المرعبة التي ظلت الصحافة تتحدث فيها شهورا قد انتهت في المحكمة إلى البراءة.. لا جدوى إذن .. والفساد أقوى من أن يقاوم حتى بالمحاكم.. وكل ذلك باطل.. بدأه صحافي لم يتحر الحقيقة لأنه لم يتعلم ذلك ولم يتعود عليه .. صحافي من

صحفيي عادل إمام ومحمد هنيدي..

***

قلت لضيفي:

- هل تريد المزيد؟!!

- نعم.. لكنني أرجوك و ألح في رجائي أن تسمح لي بتسجيل باقي الحديث..

- لا .. و أرجوك لا تقطع حبل أفكاري.. إنني إذ أتحدث عن الفساد لا أقصد جهة معينة أو هيئة محددة.. لا أقصد الجامعة أو الصحافة أو القضاء أو لطب أو الصناعة أو الزراعة أو الأمن أو الجيش أو السياسة أو الاقتصاد.. لا أقصد أيا من ذلك وحده.. بل أقصدها جميعا..في سيمفونية مرعبة للفساد لا يمكن أم تتم اعتباطا.. و أصرخ في الناس أن هذا الفساد الكلي الشامل أمر ضد طبيعة الأشياء وضد طبيعة المجتمعات.. هذا الفساد لا يمكن أن ينتشر بهذه الطريقة إلا بوجود مؤامرة كبري تستفيد منها نخبة خائنة يرأسها طاغوت باع كل شيء.. بل إنني أقول لك أن وجود هيئة واحدة صالحة في المجتمع كفيلة بإصلاح المسار.. لو أن الصحافة سلمت لكشفت كل ذلك.. ولو أن القضاء سلم لعاقب عليه.. ولو أن الشرطة سلمت لتحرت عنه.. ولو أن النيابة سلمت لأحقت الحق وبرأت البريء و أدانت المتهم.. ولو أن الجامعة سلمت لأصلحت كل ذلك.. الأمر أخطر بكثير جدا مما تظن.. وفكرة القرصان الذي استولى على سفينة لا تقتصر على النخبة.. بل كل صحيفة سفينة استولى عليها قرصان.. وكل مستشفي وكل معهد وكل جامعة وكل قسم شرطة..و..و... كل ذلك سفن استولى عليها قراصنة.. نحن لا نواجه النخبة الحاكمة بل نواجه الهكسوس.. نواجه احتلالا أشد قسوة من الاحتلال الإنجليزي والإسرائيلي.. ومثل هذا الاحتلال لم تخرجه المفاوضات ولا المظاهرات المحدودة الحريصة على أمن أعضائها.. ولكن بمن ستخرج مثل هذا الاحتلال؟.. بتلك النماذج لمريضة التي حدثتك عنها.. هل يستطيعون؟.. وهل لدينا الأعداد الكافية من القابضين على الجمر؟!..

وواصلت قولي لضيفي:

- أنت صحافي، لذلك لا داعي أن أقص عليك ما نشرته صحيفة العربي عن كتاب

ضابط الشرطة العميد محمود قطري الذي قضى في الخدمة ٢٤ عاما يجيب ربما للمرة الأولى – كما تقول صحيفة العربي– عن السؤال الذي أظن أنه يحير كل مواطن في هذا البلد، وهو: لماذا يتحول ضابط الشرطة من بنى آدم لحم ودم إلى وحش ينتهك أعراض المصريات في الشوارع وفى أقسام الشرطة وفى سلخانات أمن الدولة والسجون وفى كل شبر يتحكم فيه أباطرة الداخلية .. فما الذي يجعله يمارس التعذيب والقتل لمواطني بلده الذين يدفعون مرتبه من عرقهم وكأنه يشرب قهوة الصباح .. والكتاب بعنوان اعترافات ضابط شرطة في مدينة الذئاب – وطبعا صادرته وزارة الداخلية– لا يقف عند حدود الوقائع التي سردها ولكنه يحاول دائما التركيز على الآليات التي يستخدمها قادة الداخلية ووزيرها لإنتاج وحوش على خلق الله وعبيد تحت أقدامهم .. كتاب يكشف الآليات التي جعلت الضابط مظلوما إلى حد لا يتصوره عقل وظالم إلى حد لا يخطر على بال .. إنه العالم الخفي للداخلية والذي وصفه المؤلف بجملة بليغة: مستنقع للظلم، الكبير فيه يظلم الصغير والقوى يفترس الضعيف وهؤلاء يفترسون المواطنين.

– لقد قرأت ما نشر عن الكتاب..

– لا داعي إذن للخوض في تفاصيله.. لكنني أذكرك بما كتبته أنا من أعوام عن ضابط آخر هو العميد حمدي البطران وكتابه يوميات ضابط في الأرياف والذي كشف فيه كيف يقوم رجال الشرطة بالتزوير والتعذيب والقتل بدم بارد والاستيلاء على ممتلكات ضحاياهم كغنائم.. وتحدثت أيضا عن مطالب بعض لواءات الشرطة بتصفية جهاز مباحث أمن الدولة لأنه يحمل وزر فساد الوزارة كما تحمل الوزارة وزر فساد الدولة.. ولقد صودرت كتب كثيرة مماثلة وهُدد مؤلفوها بقتلهم أو بقتل أبنائهم إذا ما أصروا على نشرها، و إزاء هذه المصادرات لم تهتز شعرة لكائنات التنوير والتحرير والتعهير والشذوذ والكفر.. لقد انتفضوا فقط عندما اعترضنا على كتب تهين الإسلام والمسلمين.. وذلك في عرف أصحاب التنوير حرام.. أما مصادرة الكتب التي تخدش شعور أصغر ضابط أمن فحلال.. ولعله التآلف بين مثقف أمن الدولة وضابط أمن الدولة.

***

عند هذا الحد راح ضيفي يلح عليّ إلحاحا أحرجني بأن أسمح له بتسجيل باقي الحديث .. كان إلحاحه قويا بدرجة لم أستطع رده.. قلت له أنني لا يهمني أن يكذب عليّ فقد فعلها زملاء له من قبل .. لكنني إن فعلها سأشكوه إلى الله وأنعم به من وكيل.. ثم قلت له مداعبا: ما يقلقني فعلا هو رد فعل أصحابي عندما تشوه حديثي.. فقد يشكّون في إيماني.. فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين و أنا لدغت من الصحافيين عشرات المرات.. ثم أردفت جادا: ومع ذلك فإن قبولي بالتسجيل معك الآن دليل حب لا كراهية.. وثقة لا شك.. ودفاع لا اتهام!!..

***

أدار المسجل.. وفاجأني سؤاله الأول:

- ماذا بينك وبين جمال الغيطاني..

كنت خالي الذهن فعلا فأجبته:

- لا شيء.. كشخص.. لكنني على المستوى لعام أعتبره واحدا من أخطر الحداثيين .. وقد قلت قبل ذلك أن الحداثة هي القطيعة المعرفية.. وخطورة جمال الغيطاني أن به بعض موهبة.. وبعض قبول.. فالناس ينظرون إليه دون سبر أغواره، ينظرون إلى ذلك الرجل الضعيف جسما.. الخفيض صوتا والمتلعثم أحيانا .. وقد اختلط عندهم ارتياده للمساجد كآثار معمارية بالموقف من الدين.. كل ذلك يجعله مقبولا عند الناس.. إنه لا يستفزهم ليرفضوه من اللحظة الأولى .. كيوسف القعيد مثلا..

- لكن لماذا لا يكف عن اتهامك بالتحريض على قتله بل وقد نشرت بعض الصحف ذلك..

- فعلا تذكرت.. لقد حدثني أحد الصحافيين في هذا الموضوع.. وقال كلاما غريبا عن أنه كتب مقالا يهاجم فيه النقاب مما دفعني إلى التحريض على قتله.. ومن ناحيتي فقد توقفت عن أخذ الغيطاني على محمل الجد منذ زمان طويل.. لكنني رأيت من واجبي أن أقرأ هذه المقالة التي يزعم أنني حرضت على قتله بسببها.... دخلت على الشبكة العنكبوتية أبحث عن مقاله ذاك .. بحثت بمختلف ماكينات البحث فلم أجد له أثرا..

وهذا يدل على أن المقال لم يكن له أي تأثير في الأوساط الدينية والثقافية والفكرية.. و إلا لحفلت المنتديات والمواقع به.. لم يذكره أي موقع.. على الإطلاق.. لكنني تذكرت أيضا أن الفترة التي يتحدث عنها الغيطاني قد امتلأت فجأة بالحديث والكتابة والندوات التي تهاجم النقاب.. كان منهم وزير الأوقاف و إقبال بركة وعكاشة والرخاوي ومجلات وصحف داخل مصر وخارجها وقنوات فضائية انطلقت فجأة تتحدث عن النقاب.. وفي نفس الوقت... وكنت قد تعلمت بالخبرة أنه في بعض هذه الأحوال يوجد مايسترو خفي يوجه العازفين ويدفع أجرهم .. وقد كشفته الكاتبة البريطانية فرانسيس ستونز في كتابها من يدفع أجر العازف.. وفيه أن المخابرات الأمريكية كانت تنفق كثيرا على كثير من الكتاب لكي يثيروا قضايا معينة في أوقات معينة لتجد طوفانا من المقالات والكتاب يتحدثون عن موضوع واحد و كأنهم كلاب صيد أطلقهم الصياد ..(راجع أيضا ما قاله هويدي عن شيء من ذلك).. وقد حدث ذلك ويحدث وسيحدث.. وما زلت أذكر هياج عش الزنابير على الدكتورة نعمات أحمد فؤاد عندما طالبت بعودة الكتاتيب للمحافظة على القرآن واللغة العربية .

- لكن ذلك لا يكفي لحدة الغيطاني وشراسته في الهجوم عليك..

- إنني أعتقد أن واقعة التحريض كاذبة.. وليس هناك أي تحريض على الغيطاني.. وربما بدأ يحس بانطفاء الأضواء حوله فاخترع هذه الحكاية كي يعيد الأضواء.

قلت لنفسي أن ضيفي الصحافي قد بدأ نوعا من الإثارة .. وأنه بدأ يمارس صحافة عادل إمام ومحمد هنيدي.. لكنني أخذت أستجمع الخيوط في ذاكرتي فقلت باسما:

- نعم تذكرت الآن.. لقد نلت منه نيلا عظيما في مقال أخير لي عندما اكتشفت علاقة يبدو أنها حميمة بين أخبار الأدب وبين مسخ الرئيس العراقي جلال طالباني.. وكيف كتبت أخبار الأدب شعرا فيه.. وكيف أشاد الغيطاني به.. في وقت لم يكن فيه أي واحد يعيره أي اهتمام.. ولا أي واحد كان يتخيل أن يصبح هذا الإمعة رئيسا .. في هذا العدد كانت أخبار الأدب تتحدث عن قوات الاحتلال الأمريكية كقوات تحرير للعراق.. وكل ما فعلته أنني كتبت عن أخبار الأدب ..وكانت الفضيحة توحي بأنهم في أخبار الأدب لم

يفكروا فذهبوا.. بل أُمِروا فذهبوا.. ويبدو أن هذه الضربة جاءت في الصميم.. حتى أن الغيطاني لم يرد عليها.. لم يواجهها ليفندها.. بل واختار أن يهرب منه تماما ليواجه اتهامي باتهام.. المشكلة أنه لا يرد ردا مباشرا أبدا.. رغم أنه حتى الشيطان عدما سأله الله لماذا لم يسجد لآدم فإن الشيطان أجاب عن السؤال إجابة مباشرة: خلقتني من نار وخلقته من طين.. لم يتجاهل الشيطان السؤال ليجيب عن سؤال آخر أو ليوجه اتهاما.. ولقد اختار الغيطاني أن يجيب على واقعة كشفي لعلاقته بطالباني باتهامي بأنني أحرض علي قتله من أجل مقال – لم أقرأه له – عن النقاب.

حسنا.. لنفترض أنني حرضت على قتله.. فما علاقة ذلك بصمته عن واقعة علاقته بطالباني وتأييد الغزو الأمريكي واعتباره تحريرا لا غزوا..

كان الغيطاني يستطيع مواجهتي بطريقة من ثلاثة: إما أن يقول : أنت كذاب وما كتبته لم يحدث، و إما أن يقول أنت صادق و أنا أعتذر عن خطيئتي و أستغفر، و إما أن يقول أنا كتبت فعلا ما ذكرته أنت لكنك فهمته خطأ أما الصواب فكذا وكذا.. لكن الغيطاني ترك كل هذا ليتهمني بالتحريض عليه بسبب موضوع النقاب.. وهي آلية تكررت من الغيطاني في مواقف عديدة.. فعندما يخاف من كشف موضوع ما فإنه يثير موضوعا آخر للتغطية عليه.. وهو نفس ما فعله عندما كشف صديق عمره و أستاذه صلاح عيسى عن قيامه بكتابة «رواية زبيبة والملك» لتنشر بعد ذلك باسم صدام حسين بعد أن حصل على مكافأة كبيرة. المقال الذي اعتمد عليه صلاح عيسى كتبه سليم عبد القادر بعمان (الأردن) تحت عنوان «زبيبة والملك – لصدام الغيطاني»، ساردا فيه مجموعة من المعلومات المثيرة عن تفاصيل كتابة رواية «زبيبة والملك» ، مؤكدا أنه استقاها من رعد بندر شاعر البلاط الملقب بـ «شاعر أم المعارك» وسيصبح هذا المقال – كما يقول محمد سليم: دكتوراه في الاجتماع السياسي .. من أصل سوري ويقيم في مسقط – الذي نعتمد على نصه مدعما بنصوص أخرى في هذه الواقعة – نصا مرجعيا لكل الذين سيكتبون عن المسألة فيما بعد، سواء الذين سيقفون ضد الغيطاني أو معه؛ ولقد أعادت صحيفة القاهرة نشر «زبيبة والملك – لصدام الغيطاني» بتصرفات بسيطة، ومضت صحيفة «صوت الأمة» أبعد، فنشرت الفضيحة تحت عنوان «امسك عميل صدام»... (...) لا يسعنا في الوقت نفسه

إلا الاعتراف بأنه يصعب فهم المقاربة التي تبناها الغيطاني لمعالجة المشكل (...) لقد قام الغيطاني، على التوالي بـ: أ - تكذيب أن يكون هو «كاتب زبيبة والملك»، مرجحا أن يكون كاتبها هو صدام نفسه.. ب - مواجهة الاتهام باتهام مضاد، حيث وصف المعلومات المنشورة بأنها: «افتراءات تمثل مرحلة جديدة في تشويه المثقفين المصريين والعرب».. ج - السعي لتحديد سياق عام، وطني وقومي، تذوب فيه القضية، بحيث يصير المستهدف ليس الغيطاني وإنما فئة كاملة من الأشخاص تتمثل في «المثقفين المصريين والعرب الذين رفضوا الحرب على العراق» و«الذين يدينون الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني.. د - أبلغ الغيطاني أيضا أجهزة الأمن المختصة في مصر للتصدي للافتراءات التي تستهدفه، وأكد أنه سيرفع دعوى قضائية..(لاحظوا أنه لم يرفعها.. وكان قد هدد أيضا برفع قضية ضدي أيام الوليمة لكنه لم يرفعها أيضا.. م ع)..ج - السعي إلى «تدويل» الأزمة - إن جاز التعبير - بإصدار بيان يعبر عن استياء نخبة من المثقفين والكتاب اللبنانيين والسوريين والمصريين (والبقية آتية لا محالة)، نشرته مجلة الآداب اللبنانية(...) يستنكر «حملة التشهير والذم والاتهامات البذيئة» ضد الغيطاني، بل ويذهب إلى حد مماهاة الثقافة العربية معه، بحيث صار «المسُّ» به «مسًّا» بها، و«الإساءة» إليه «إساءة» إليها. والملاحظة البارزة في هذا البيان هي هذا التعارض الوجداني بين وضع القضية في إطار عام واعتبارها مسألة شخصية تهم الغيطاني وحده (...) أمر غريب لا تضاهيه إلا غرابة التفسير المقدم: لقد هوجم الغيطاني لأنه «اختار أن يدافع عن الهوية العربية وأن يلتزم أخلاقية الكتابة»، ولأنه «يرفض التبشير الكاذب وتشويه الحقائق». وهو تفسير لا يمكن أن يجيب عن أسئلة من نوع: إذا كانت الحملة تستهدف الصفتين السابقتين، فهل الغيطاني هو المثقف الوحيد الذي يتحلى بهما في الوطن العربي؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا الغيطاني دون غيره؟ (...)

ثم يختم محمد سليم بقوله:

- مسكين جمال الغيطاني ألقوا القبض عليه يمارس البغاء .. بينما الجميع من حوله وصلوا مراحل القوادة وأدمنوا الفسق والمجون ..

قلت لضيفي الصحافي: إنني أشعر بإشفاق حقيقي تجاه الغيطاني.. إنه ليس جيدا بالدرجة الكافية ليكون من الصالحين.. كما أنه ليس سيئا بالدرجة التي تدخله زمرة الشياطين.. إنه ليس كغالي شكري مثلا أو يوسف القعيد أو محمد البدري أو نوال السعداوي.. إنه هش.. وقد طحنته أنياب التنين بالتعذيب في السجن الحربي في الستينيات ويبدو أن ذلك ولد داخله رعبا لا يوصف.. رعب جعله غير قادر على الدفاع عن نفسه، كالطفل، الذي كلما شعر بالخطر، هرع إلى أمه يطلب منها العون والحماية والانتقام، وفي حالة صاحبنا فإن الأم هي جهاز الدولة بشقيه الثقافي والأمني.

- اسمح لي أنني لم أفهم طرحك!!..

- سأقول لك عن تصوري الآن، واضعا في الاعتبار أنه مجرد تصور، وأنه لا يلغي التصورات الأخرى بل يكملها، وبصورة ما دون تطرق إلى أمور إن تبد لكم تسؤكم، كان على جمال الغيطاني أن يكتب موضوعا عن النقاب (لا تسألني لماذا .. أرجوك!!)، وبعد أن كتبه نهشه الخوف، فالوضع السياسي ملتبس، وتوازنات الحكم اليوم قد لا تستقر حتى الغد، ولقد أغضب المحتمل قدومه، وسينكشف عنه المحتمل ذهابه، وكان عليه أن يختار اختيارا من اثنين.. إما أن يعتذر عما كتب، وهذا ليس في طاقته، و إما أن يتهمني بالتحريض على قتله، فذلك ينقل القضية من إطارها المحلي إلى إطار عالمي قد يحتاج إلى اللجوء إليه بعد ذلك.. كما ينقلها من خانة الدين التي لن يجد من ينصره فيها إلى خانة الإرهاب الذي سيمتد نصره فيها من الرياض إلى القاهرة إلى واشنطن.. إلا أن التوفيق خان الغيطاني.. ربما بسبب عدم إلمامه بالفقه.. فقضية النقاب حتى لو أنكره كلية لا تستوجب التحريض على قتله!! كما أننا – فيما أظن متهمون بالتطرف في تطبيق مفهوم الدين وليس في الخروج عنه.. ونعلم أن الدم أعظم الحرمات و أن القتل – دون حق – من أعظم الكبائر ..فإذا كان ما ارتكبه الغيطاني لا يستحق القتل ولا التحريض ولا الحد ولا حتى التعزير فإن اتهامه كله يسقط.. وتبقى فقط الضوضاء التي أثارها.. وهي مطلوبة على أي حال وله فيها منافع شتى!!..

***

قلت لضيفي:

- أنا واحد من المعجبين بأعمال الغيطاني الأولى، حتى عندما هاجمه الناقد اليساري فاروق عبد القادر[١] و أفرد له صفحات طوال في كتابه:«أوراق من الرماد والجمر» يمسك فيها سرقات الغيطاني الأدبية، لم يؤثر ذلك كثيرا على موقفي منه، لكن صدمتي فيه في قضية الوليمة كانت كبيرة وقد كنت أظنه مشبعا بالثقافة العربية الإسلامية فإذا بي أكتشف شططه وشذوذه.. وتذكرت ما قاله محمود شاكر في حين تصدى لوصف الغزو الفكري وتدميره المفزع لعالمنا الإسلامي .. والذي شارك فيه مثقفونا ومفكرون: .. يقول العلامة: « لم ينتصب أحد لوصف هذا التدمير المفزع الذي يشترك في جريمته مثقفون كثيرون، في الأدب، وفي العلم، وفي التاريخ، وفي الفلسفة، وفي الاجتماع، وفي السياسة، وفي الفن كله من مسرح وسينما وموسيقا وغيرها (...) وقد زاد الأمر فلم يبق مقتصراً على التعليم والكتابة والتأليف والصحافة، بل دخل كل بيت دخولاً مفزعاً عن طريق الإذاعة والتلفزيون،بلا رقيب ولا حسيب »(في الطريق إلى ثقافتنا) ..

قلت لضيفي ضاحكا ومستدركا:

- في أزمة الوليمة هاجمني الغيطاني بضراوة غير متوقعة وغير صادقة فحصلت منه على تعويض مقداره عشرون ألف جنيه أنفقته حيث يكره..

---

(١) اضطررت إلى حذف دراسة نقدية لفاروق عبد القادر بعنوان : رجال ونساء في المؤسسة والخبيئة - في الرواية العربية المعاصرة- في عمل جديد لجمال الغيطاني: - كتاب الهلال-العدد ٦٣٣ لأنه يورد مقاطع عري وشذوذ لا يمكن تصورها لجمال الغيطاني، اضطررت لحذفه لأنه يجرح الشعور والحياء، رغم أن الكثيرين جدا يؤكدون أن الغيطاني لم يكن يكتب رواية بقدر ما كان يكشف فضائح المؤسسة التي يعمل فيها، حيث تنطق الأحداث بأسماء أبطال الواقع وليس الرواية. وينبه الناقد فاروق عبد القادر القارئ أنه يورده هذا الفحش لكي يدرك كم البذاءة التي يتمتع بها هؤلاء الناس دون أي مقتضيات فنية أو أدبية بل وأيضا ركاكة الأسلوب وسقم المعنى. و إنني واثق أن من يعرفون الغيطاني عن طريق التلفاز أو الندوات سيصدمون صدمة عنيفة عندما يطلعون علي كم الفظاظة والبذاءة في أدبه.. خاصة رواياته الأخيرة.. حتى فاروق عبد القادر.. اليساري العتيق دهش.. واشمأز.. واشمأنط .. وتقزز..

ثم واصلت:

- على أنني لا أنكر حتى الآن شعوري بنوع من الشفقة والرثاء له.. لم يكن قويا بالقدر الكافي ليواجه ولا ضعيفا للحد الذي يدفعه للاستسلام فعاش حائرا وقلقا .. لقد انتقل من مجرد حاصل على دبلوم تجارة قسم صناعة السجاد إلى أديب شهير ورئيس تحرير أشهر .. ونقلة مثل هذه تفقد حتى العاقل توازنه. ثم أنه تولى أخبار الأدب .. وهي محدودة التوزيع إلى درجة مخجلة إلا أنه جعل منها قاعدة – حكومية – لإطلاق صواريخه، كان في رعاية الدولة التي تستطيع أن تجعل أقل الصحف أهمية وتوزيعا أعلاها صوتا، ولقد انتقل من اقتناع إلى اقتناع ومن مذهب إلى مذهب وكأنما كان يبدل السطح دون الأعماق بعد أن علمه سوط الجلاد ألا يخرج ما في أعماقه.. وهو وضع يدفعني لأشد درجات التعاطف معه.. بل والعطف عليه .. وهو وضع أيضا يذكرني بوضع الدكتور شوقي في رائعة يوسف إدريس : « العسكري الأسود».. لقد كان الغيطاني على سبيل المثال ناصريا ويعشق إبراهيم سعدة في نفس الوقت.. وكان يستدعي مسخة ناقد (ضابط مفصول من الجيش بتهمة أخلاقية) ليهاجم واحدا من أعمق المثقفين العرب (الأستاذ الدكتور عبد العزيز حمودة) وليتهمه بالسطحية. ولقد كتب كتابه :حراس البوابة الشرقية في صف صدام ثم انقلب عليه حين أُمر أن ينقلب.. ولقد استغل – كما يصفه زملاؤه – صحيفته أخبار الأدب للسباب والمهاترات ضد أعدائه ومن يسلط عليهم و تزلفا ونفاقا لمن له عندهم مأرب. جعل الصحيفة مرتعا للأهواء الذاتية والمهاترات والتحيزات اللاموضوعية النفعية المباشرة لقد مجد إدوارد الخراط ورفعه إلى عنان السماء فلما رفض الخراط أن يبادله التزلف هوى به إلى أسفل سافلين. إنه يتعامل بسيف الدولة وذهبها من أجل مصالحه.. وعند فوز الإسلاميين بمقاعد مجلس نقابة المحامين طلب منه – في إطار عملية تشويههم – أن يعرض كتاب الملحق الإعلامي لسفارة تونس في القاهرة«عبد الله عمامي» وهو كتاب ينظر إلى الإسلام والمسلمين بازدراء واستهانة. يعشق ويمتدح ويمجد في موسى صبري و أنيس منصور وكمال عبد الرؤوف ومفيد فوزي ورشاد كامل وطارق حجي كما يمجد أيضا الشاعر الصنديد العقيد عى النعماني رئيس شرطة مرافق الجيزة !! والعقيد محمد فرج نائب مدير مصلحة السجون!! وعلى الباز ضابط بوليس!!

وعبد الرحيم الماسخ !!.. بل وحتى عبد العظيم رمضان بعد معاركه معه.. لكنه اكتشف أنه يمثل المرحلة فعاد يعبر عن عظيم تقديره لشخصه وسمعته العلمية ولمكانته كمؤرخ محايد موضوعي».. و.. و.. و..

وواصلت القول:

- لقد كانت نهشة التنين الوحشي في السجن الحربي نهشة قاتلة.. ولقد انعكست على علاقاته بالآخرين انعكاسا قويا.. تماما ما حدث مع الدكتور شوقي في العسكري الأسود.. لقد شارك الغيطاني - على سبيل المثال - عام ١٩٨٠ في مؤتمر روما الذي حضره إسرائيليون فلم ينسحب فتعرض لهجوم عنيف فبادر خالد محيي الدين بالدفاع عنه راجيا السهام المصوبة أن لا تذبحه.. لكن الغيطاني سرعان ما رد الجميل لخالد محيي الدين بالانسحاب من مجلة أدب ونقد لأسباب لا تخفى. ولقد شارك في مجلة مأمون حمزة بل كان مستشارا لها رغم علمه بأنها مدعومة أمريكيا.. ولقد روج لها في أخبار الأدب. ولقد انتحل لنفسه آراء نقدية للأستاذ عطية حسن. كما أيد أعمالا أدبية وروايات وقصائد بها إساءات مباشرة للدين.. كان بعثيا حتى النخاع وكانت علاقته وثيقة بطه يسن رمضان. وكانت السفارة العراقية تشتري آلاف النسخ من كتبه. ولقد جعله عمله كمراسل حربي على علاقة بأجهزة الأمن والمخابرات. وهو ما يزيد بالتأكيد من قلقه الدائم.لكن الأخطر من كل هذا أن قلقه ذلك دفعه لالتماس الأمن خارج وطنه وخارج ثقافته. أيام قضية الوليمة صرح أنه و أصدقاءه سيفكرون في الهجرة من مصر إذا انتصرت وجهة نظر المتطرفين أمثالي!!.. لم يبح إلى أي مكان سوف يهاجرون.. لكنهم لم يقصدوا بالتأكيد مكة أو المدينة.. فهل كانوا يقصدون القدس كعلي سالم؟!لن أندهش لذلك إن حدث.. ولعل الطريق إلى نوبل يمر بالقدس.. أو على الأحرى بإسرائيل. إن كثيرين من المستلبين الآن يجاهرون بأنهم يفضلون حكما إسرائيليا لغزة عن أن تحكمها حماس، ولست أدري هل وصل الغيطاني إلى هذه الدرجة أم لا.. لكنني أقول أنه اندفع في طريق وعر لا أظنه يريح ضميره منذ جعل من صحيفته ثغرة لهدم ثوابت الأمة وثقافتها، ومنذ جعل منها منبرا لشواذ الفكر والجسد (وارجع في ذلك إلى بحث الأستاذ فاروق عبد القادر عن الغيطاني

كملحق لهذا المقال.. وتذكر أيضا ما أوردناه حول علاقة أوسكار وايلد ببطل روايته) .. وليس أدل على ذلك من استضافته الدائمة لمسلوبي العقل من دعاة مصر الفرعونية، بل وقيامه هو نفسه بتقديم برامج طويلة في إذاعة لندن لإحياء الحضارة الفرعونية..

وفاجأني ضيفي:

- وماذا في ذلك.. أليست حرية رأي.. هل تصادر عليه فكره؟!..

- لا .. لا أصادر عليه فكره.. لكنني أذكرك بموقف علماني عاقل هو محمد حسنين هيكل في الحضارة الفرعونية.. من أنها وجدت ثم ماتت .. وليس من سبيل لبعثها.. كما أنبهك أن محاولة بعث الحضارة الفرعونية في مصر والبابلية والآشورية في العراق والعربية في الشام والطورانية في تركيا.. كل ذلك كانت خطوات محددة لهدم الدولة الإسلامية.. وأن المخطط ما يزال قائما..

- أنا لا أفهم.. هل الخلاف بينك وبينه خلاف ديني أم خلاف ثقافي..

- من ناحيتي هو خلاف ديني بالكامل.. ومن ناحيته هو خلاف تقافي بالكامل..

- لا أفهم..

- من ناحيتي فإن الإسلام الشامل يتحكم في كل رؤاي.. ومنها موقفي من الجهاد والثقافة والولاء والبراء.. ومن ناحيته فإن الخلاف سياسي.. فأنا لا أعارضه في آرائه في الفقه والشريعة ولا حتى في نظام الحكم.. إنما أعارضه لأنه رأس حربة مستوردة تطعن في قلب الأمة.. أعارضه في موقفه الممالئ للتغريب والصهينة والنيل من الإسلام والمسلمين مقابل الوله والوجد الصوفي بالديانات الأخرى في موقف شديد الغرابة والشذوذ.. أعارضه في ممالأته للطواغيت ضد الأمة – مهما أوحت المظاهر بغير ذلك-. وباختصار شديد فإن موقفي منه هو موقف العلامة محمود شاكر من لويس عوض.. لكنني مندهش من تركيزك على موضوع جمال الغيطاني.. على العموم سأعطيك بحثا للأستاذ فاروق عبدالقادر يكشف لك الكثير عن المشروع الفكري والأخلاقي لجمال الغيطاني.. وضع في الاعتبار أن فاروق عبد القادر ناقد يساري.. ويحمل عداوة للفكر الإسلامي.. لذلك لا يمكن أن يتهم بالتحيز ضد الغيطاني.

ملحوظة: الدراسة النقدية تأتي في آخر المقال، وقد تكون خارج إطار القارئ غير المهتم بأدب الحداثيين، لكنها من وجهة نظري لا تتعلق بأبطال روايات الغيطاني قدر تعلقها بجيل كامل فقد هويته، جيل شاذ بلا عقل ولا قلب ولا أخلاق.

***

قال ضيفي الصحافي:

- لقد تابعت مقالاتك الأخيرة على الشبكة العنكبوتية.. ولقد قلت أنك واثق أن جميع الحركات في مصر مخترقة من الخارج.. فهل تقصد ذلك فعلا؟

- نعم..

- هل تقصد أن جميع الحركات في مصر عميلة؟

- لا .. على الإطلاق..

- أليس هذا تناقضا.. كيف تكون مخترقة وغير عميلة؟..

- إنني أتحدث عن اللون البرتقالي لحزب وعن شموع حركة.. وعن شعار كفاية نفسه فهو مستورد من جمهوريات الاتحاد السوفيتي المنفصلة.. ثم أن مصر أهم بكثير جدا من أن يتركها الصليبيون والصهاينة دون محاولات مستمرة للسيطرة والتوجيه.. لكن ذلك لا يستدعي أن يكون كل فرد في حزب الغد أو حركة كفاية مخترقا.. يكفي فرد أو فردان يغرسان داخل الحركة للتوجيه عند اللزوم أو لقطف الثمار عند الحصاد.. كما أن هذا الاختراق لا يؤثر على وطنية الباقين الذين لا يعلمون.. إنه يؤثر فقط على مشاعر خيبة أملهم حين تنحرف الحركة عما تصوروه لها من أهداف..

- وهل تعني أن حركة الإخوان أيضا مخترقه؟

- حركة الإخوان المسلمين أكبر و أهم وأخطر من أن تترك دون اختراق.. إنها الحركة الوحيدة القادرة على توحيد أمة الإسلام وبالتالي على مواجهة الغزوة الصليبية الصهيونية.. ولو أنك رجعت إلى الإمام الشهيد حسن البنا لوجدت أنه – هو أو مندوبيه– كان يعامل كرئيس دولة في العديد من الدول العربية والإسلامية.. ولولا المؤامرة التي اشترك فيها النظام الملكي ثم عبد الناصر بإيعاز أمريكي لكان للإخوان شأنهم

ولتغير مجرى التاريخ في المنطقة..

- لكنك تقول أنهم مخترقون..

- بالتأكيد.. و أتمنى أن يكون لدي قياداتهم ،لوسائل المطلوبة لعلاج هذا الاختراق..

- لكن الاختراق يعني العمالة..

- ذلك صحيح.. لكن بمفهوم صحافة الإثارة والابتذال الرخيص.. صحافة عادل إمام ومحمد هنيدي وسمير رجب ..

- لا أقصد الإساءة..

- ولا أنا.. لكنني فقط أقول لك أن على عشماوي كان نقطة الاختراق في تنظيم ٦٥ فهل ينال هذا من عظمة البطل الشهيد سيد قطب ورفاقه؟..

- لماذا أسلوبك حاد هكذا..

- عندما أحس أن حرمة الدين أو كرامة الأمة تستباح..

- يقولون أن كتاباتك في الأدب وفي بعض المقالات قلة أدب..

- لم أخسر قضية رفعتها عليهم ولم يكسبوا قضية رفعوها ضدي..

- وقصة المؤتمر؟..

- لقد نشرتها الشعب كاملة أيام الأستاذ عادل حسين رحمه الله.. فهل كنت تظنه ينشرها وفيها أي نوع من أنواع الخروج..

- وقصر العيني..؟

- لقد أكد العديدون – و أظن أن منهم الغيطاني وكذلك فاروق حسني- من أنهم سيتقدمون بطلب إلى الأزهر لإدانتها.. لكنهم لم يجرءوا.. فالرواية انتصار حاسم للإسلام.. ومع ذلك .. إنني أستغفر الله عما أعلم وعما لا أعلم من ذنوبي.. وإن كان في رواية قصر العيني أي مساس أو شبهة مساس بالدين فإنني أبرأ إلى الله منها(لكن أرجوك.. لا تفعل مثل أسامة سرايا.. ولا تجعل المانشيت في هذا التحقيق: محمد عباس يتبرأ من رواياته!!).. ثم أنني منذ أعوام طويلة أعلنت أنني أنتظر رأيا واحدا من عالم دين واحد يعترض على الرواية لكي أعلن ذلك..

- ألم يعترض عليها كثير من الأدباء كجمال الغيطاني وصلاح عيسى وآخرون..

- لكنني طلبت أن يعترض عليها عالم..لا جاهل!!..

- آخر سؤال..

- تفضل..

- كيف طاوعك ضميرك أن تدعوا بالرحمة والمغفرة للمجرم الإرهابي حسن بشندي.. هل تؤيد الإرهاب؟..

- يا رجل..!! أما من حياء!!.. أما من ضمير؟.. أما من دين ؟ لنفترض أن الشهيد حسن بشندي – إن شاء الله- خرج كما يقول إعلام الشيطان لضرب السياحة والسياح في مصر.. ولنفترض أنه اجتهد فأخطأ فهل له ثواب أم ذنب.. هل كان يسعى إلى متعة من متع الدنيا أم قدم روحه فداء لما اعتقده وفي هذا يبعثه الله على نيته و أحسبها الاستشهاد.. لكنني أقول لك واثقا أنه أفضل ملايين المرات من السفهاء الذين يهاجمونه.. إنه – في أسوأ الاحتمالات- رجل طلب الحق فأخطأ.. وهم – في كل الحالات – رجال طلبوا الباطل فأصابوه.. نعم حسن بشندي غفر الله له ورضي الله عنه.. إنه أفضل من المفتي وشيخ الأزهر ومني ومنك.. شاب في مقتبل عمره يضحي بروحه في سبيل الله فأي جلال .. أما من حياء!!.. أما من ضمير؟.. أما من دين..لقد تآمر أهل قريش.. وكانوا مشركين لا مسلمين.. تآمروا على قتل سيد الخلق ﷺ.. تآمروا على قتله فلم يقل اللهم لا تغفر لهم.. بل قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.. فهل تجوز المغفرة على مشرك حاول قتل رسول الله ﷺ ولا تجوز على مسلم حاول خطأ كان أم صوابا أن ينتصر أو ينتقم أو يثأر لدينه.. قاتلهم الله أني يؤفكون..

***

بعد أيام اتصل بي الصحافي مبديا اعتذاره.. فالحوار أكثر جرأة مما يمكن نشره!!

ملحوظة : دواعي الأمانة تقتضيني أنني استعدت الحوار من الذاكرة.. وقد يكون هناك اختلاف في الألفاظ أو الترتيب.. لكن الأفكار واحدة بطبيعة الحال..

***

حاشية
الدكتور مصطفى الفقي.. أنعم وأكرم!!

الدكتور مصطفي الفقي.. البطل القومي اللامع.. ذهب بنفسه ليقدم بلاغا في قسم الشرطة ضد سائقه الخاص.. أما موضوع البلاغ فهو أن السائق – غير الأمين!!– قد سرق الخمور التي أعدها الوجه القومي اللامع لضيوفه!!..

هل تذكرون السكير سامي شرف..

و أيضا علي صبري..

و أيضا عبد الله إمام..

و أولئك هم أبطال القوميين حيث النضال في الحانات .. والبطولة في السكر..

أخزاك الله يا مصطفى الفقي..

وأخزى معك رفيقك وصديقك أسامة الباز الذي يزمع مع شيخ الأزهر قيادة حملة لمبايعة مبارك عبر المساجد..

***

حاشية
ملعون

المجرم .. الجلاد.. رفعت الأسد.. قاتل عشرات الآلاف.. اللص الذي أصر على الاستيلاء على ملايين الدولارات مقابل نزوحه من سوريا.. حتى اضطرت سوريا إلى استدانتها من ليبيا مما أدى إلى انهيار الليرة السورية.. هذا المجرم الجلاد اللص – الذي آوته أوروبا دون قضية واحدة على تشجيع الإرهاب أو تمويله– يزمع العودة إلى سوريا من أجل الإصلاح والديموقراطية..

ولم يقل لنا الجلاد المجرم أي جهاز مخابرات يدربه ويطلقه ككلاب الصيد.

***

حاشية
الـ ANN

قناة الـ ANN الفضائية التي يملكها السفاح رفعت الأسد ابتكرت تعريفا جديدا

للقومية لا تقدر على مثله أشد القنوات كذبا وفجورا..

كان التعريف الجديد للقومية هو: الإيمان بالله!!!!!!!!!!!!!.

***

حاشية
عتاب على فاروق حسني

نعم.. رغم افتقاد أي ود – وهذا شرف – فلابد أن نعاتبه..

إذ كيف – وهو الوزير الفنان الجميل الحساس – يحتفل بغزو نابليون الذي ابتدأ به تنويرنا وتحديثنا وتعليمنا ونشر الشذوذ والحرية الجنسية بيننا .. ثم يمر ٥ يونيو دون أن يحتفل الوزير الفنان بانتصار مماثل – في نفس المخطط الصليبي الصهيوني- حققته إسرائيل على الإرهابيين الظلاميين المتخلفين من عرب ومسلمين...

***

حاشية
الشيخ خالد الجندي

بعد فتواك بحرمة مقاطعة الاستفتاء – دون أي تعليق على التزوير والقتل وانتهاك الأعراض- .. بعد ذلك.. الله بين الأمة وبينك..

لكنك خسرت الكثير جدا..

وثمة سؤال أو اقتراح قد يفيدك..

لماذا لا تلقي دروسك في قناة الحرة.. أو في تلفاز إسرائيل.. فجمهورهما سيوافقك ويعجب بك؟!

***

حاشية
المهندس إبراهيم شكري

ينفطر القلب من الألم إزاء الوضع الذي يحاصر فيه مجاهد كالمهندس إبراهيم شكري، الذي مهما بلغ اختلافنا معه فإن ذلك لا يدفعنا إلى هضم حقه كمجاهد، يجاهد فيصيب ويخطئ.. وليس سرا أن الخلافات تصاعدت بشدة مع الأستاذ إبراهيم شكري وبين

قواعد حزب العمل خاصة بعد اختفاء العملاقين الدكتور حلمي مراد والأستاذ عادل حسين.. ثم انفجار أزمة الوليمة.. حيث أدى تصاعد الأحداث إلى عزل المهندس إبراهيم شكري عن قواعد حزبه – العمل – لينفرد به مجموعة من أعضاء الحزب الذين زرعهم الأمن مسبقا لنقل أخبار الحزب وعرقلة مشروعاته، حاصره أبناء السوء هؤلاء منفذين خططا كانت تحاك لهم في أوكار الأمن.. وورطوا الرجل في أكثر من قرار خاطيء منها المصالحة مع محجوب عبد الدايم – الشهير بحمدي أحمد – وفصل الإسلاميين من الحزب وعلى رأسهم الأستاذ مجدي حسين والأستاذ الدكتور مجدي قرقر والأستاذ عامر عبد المنعم والدكتورة نجلاء القليوبي (لم يفصلني والحمد لله.. لأنني فضلت دائما الاستقلال والاكتفاء بصداقة الحزب عوضا عن عضويته).. لكن الرجل كان يفعل ذلك تحت الضغط.. وكان بعض هذا الضغط يستثمر كبر سنه (٩٠ عاما) بل وعدم تركيزه في بعض الأحيان.. وكان الأستاذ إبراهيم شكري يثوب إلى الحق فور تنبيهه له.. إلا أنه في الفترة الأخيرة.. ومع ازدياد وهن الشيخوخة أصبح محاصرا في بيته – بحجة المرض – فلا يسمح له بمقابلة من كانوا ينبهونه للمعروف والخير.. وبطريقة ما أصبحوا يحصلون على توقيعه لأمور في غاية الخطأ.. فمنذ أسابيع كانت نقابة الصحافيين تعقد اجتماعا احتجاجيا في الذكرى الخامسة لإغلاق صحيفة الشعب.. فإذا بهم يفاجئون بخطاب من المهندس إبراهيم شكري ينفي فيه موافقته على عقد هذا الاجتماع.. وقبلها كان قد قدم طلبا إلى مجلس الشورى بإيقاف صحيفة الشعب الإليكترونية.. كما أن الوسط السياسي فوجي به يوم الاستفتاء الماضي يخرج على إجماع المعارضة فيذهب ليدلي بصوته..

من ناحيتي .. أشك تماما أن هذه التصرفات تصدر من المجاهد – و أعنيها – إبراهيم شكري وهو في تركيز يسمح له بإدراكها..

على أنني لا أريد احتكار الحديث عن هذه النقطة الشائكة – والتي توجع القلب – لذلك أعيد نشر ما نشرته صحيفة « المصريون» الإليكترونية:

منع إبراهيم شكري من الحديث في غير وجود نجله

كتب أسامة الهتيمي : بتاريخ ١٣ – ٦ – ٢٠٠٥

في إطار اللغط الذي أثير مؤخرا حول اعتزام المهندس إبراهيم شكري رئيس حزب

العمل التنازل عن كل القضايا المرفوعة من الحزب ضد الدولة للطعن في عدم قانونية لجنة شئون الأحزاب بتجميد نشاط الحزب مقابل عودته ، حاولت « المصريون » الاتصال بشكري لاستطلاع رأيه حول ما نشرته إحدى الصحف المسائية حول ما تم تسميته بصفقة التخلص من الإسلاميين .

وأجرت « المصريون » اتصالا هاتفيا برئيس حزب العمل في منزله غير أن سكرتيره الخاص أحالنا على سائقه الذي يتردد أنه يمارس لونا من الوصاية على تحركات شكري .

وكررت «المصريون » المحاولة عدة مرات إلى أن تم تحديد موعد لمقابلة مندوب « المصريون » برئيس الحزب صباح اليوم التالي بمكتبه بشارع بورسعيد .

وفي اتصال هاتفي أجرته « المصريون » بمكتب رئيس حزب العمل قبل الموعد المحدد للتأكيد عليه أفاد سكرتير شكري بمكتبه أنه صدرت أوامر لم يحدد مصدرها بعدم السماح لأي صحفي بلقاء شكري في غير حضور نجله المهندس أحمد شكري أحد الرافضين لقيادات الحزب المنتخبة في المؤتمر العام عام ١٩٩٩ وهو ما يعني رفض انعقاد اللقاء .

كما أصبح حامد زيدان رئيس تحرير الشعب الأسبق المتحدث الإعلامي والرسمي باسم شكري على الرغم من أن زيدان ترك الحزب وانضم إلى حزب الجيل الذي احتل به موقع نائب رئيس الحزب .

(!!!)..

وعلامات التعجب من عندي..

ولننتقل إلى خبر آخر:

بديوي: إبراهيم شكري ليس مخولا بفصل قادة الحزب

المصريون : بتاريخ ١٣ - ٦ - ٢٠٠٥

تعقيبا على ما نشرته «المصريون» بعنوان «الحكومة توافق على عودة حزب العمل نظير استبعاد الإسلاميين و ترشيح شكري للرئاسة » تلقت الجريدة من الصحافي صلاح بديوي ، الصحفي بجريدة الشعب ، و عضو اللجنة التنفيذية بحزب العمل ردا ، أشار فيه إلى أن حامد زيدان الذي يقول إنه يتحدث باسم إبراهيم شكري رئيس حزب العمل

هو حاليا نائب لرئيس حزب الجيل الديمقراطي ومن المتحدثين الإعلاميين باسمه والمشرف العام علي تحرير صحيفته المساه بـ الجيل لا يصلح - بحسب بديوي - ولا يجوز له أن يتحدث باسم حزب العمل بعد أن سقطت عضويته في الحزب منذ ٣ أعوام لانضمامه لحزب الجيل.

و اتهم بديوي حامد زيدان بالمشاركة فيها اسماه «مؤامرة» تستهدف مواصلة «العدوان» علي شرعية الحزب ومنحها لغير أصحابها من عناصر موالية لأجهزة الأمن بحسب تعبيره.

و لفت بديوي إلى أنه هو زملاؤه بحزب العمل أحرص الناس على سمعة إبراهيم شكري و تاريخه و لا يرضيهم أن يخوض انتخابات للتغطية فيها على الرئيس مبارك - ٧٨ عام - إلي جانب أن وضعه العام لا يساعده علي الترشيح وأن السلطة حالياً تستغل معاناة تجميد حزب العمل للضغط على شكري و حمله على تقديم تنازلات إليها علي حساب تاريخه وعلي حساب مبادئ الحزب وهو «ما لا يمكن لنا في حزب العمل أن نسمح به حفاظاً علي الأستاذ إبراهيم شكري» على حد قوله.

و ألمح بديوي في رده على «المصريون» إلى أن حزب العمل يوجد فيه تيار واحد فقط وهو التيار الإسلامي بعد أن ذهب ما سماهم « المنشقون» عنه في الماضي إلى حزبي الجيل والحزب الدستوري و قال :« إن الحديث عن وجود تيار اشتراكي بالحزب حاليا هو بمثابة أوهام يختلقها الأمن فقط مستغلاً عنصرين أحدهما يحمل جنسية سودانية وهو أحمد شكري والذي له مصالح بزنس مع النظام ما كان له أن يخلط بينها وبين العمل العام في حزب مجاهد كحزب العمل والآخر يتمتع بصلات أمنية قوية ويقوم بإبلاغ الأمن عن كل عضو يحاول دخول المقر الرئيسي للحزب بالسيدة » بحسب قوله و تابع «إن اللجنة التنفيذية لحزب العمل وهي أعلي سلطاته هي المخول لها فصل أي عضو بالحزب ورئيس الحزب لا يملك تلك الصلاحيات وبالتالي يكون ما أثير علي لسان نائب رئيس حزب الجيل الديمقراطي يعد نوعا من التهريج »

ولننتقل إلى مقال آخر يلم بأطراف الموضوع كله.. والمقال منشور بالعدد الأخير من الشعب.. لكنني أعيد نشره كله لأنه يحيط بالمشكلة من أطرافها..

مؤامرة مفضوحة ضد حزب العمل

حامد زيدان ليس عضوًا بحزب العمل حتى يتحدث باسمه

***

حاشية

مجدي حسين وعمرو خالد

حبيبان ، قريبان إلى قلبي وعقلي، وكلاهما – أحسبه - يجاهد في سبيل الله لا يبغي إلا وجهه الكريم الذي أشرقت لنوره السماوات والأرض.

لكن مقال الأستاذ مجدي حسين الأخير أزعجني..

وليس عيبا أن نختلف.. بل لقد كنت أفخر دائما بأن حزب العمل هو الحزب الوحيد الذي يستطيع أصدقاؤه الاختلاف معه دون انقطاع أواصر الود..

ولطالما حفلت العلاقة بالاختلاف بيني وبين المرحوم الأستاذ الدكتور حلمي مراد (حيث أورد ذلك في تقديمه لكتابي اغتيال أمة منذ ما يقرب منذ عشرين عاما).. وبيني وبين المفكر الفذ العملاق عادل حسين.. ثم بيني وبين أخي وصديقي المناضل الأستاذ مجدي حسين..

كذلك اختلفت مع الأستاذ إبراهيم شكري في منتصف التسعينات، ونشرت ذلك في الشعب وفي كتابي : « إني أرى الملك عاريا»..

ولقد نوهت لبعض هذه الاختلافات في مقالات متعددة..

ولقد أشرت إشارة عابرة إلى اختلاف جذري يختلف عما سبقه بيني وبين الأستاذ مجدي حسين دون أن أذكر الأسماء وذلك في عتابي على ظهوره في قناة الحرة.. وقد كان هو أحد الزعماء الأفذاذ لحركة المقاطعة..

ثم ازداد قلقي بعد مقاله الأخير في صحيفة الشعب.. حيث يدور مفهومه أن أمريكا تحت وطأة فشلها وهزيمتها في العراق بدأت تغير سياستها و أسلوبها..

وكان هذا أكثر من أن أستطيع احتماله أو الموافقة عليه.. أو احتمال مسئولية الصمت عنه أمام القراء أو تحمل وزره أمام الله..

فأمريكا لم تغير سياستها ولن تغيرها أبدا بل لم يغير الغرب سياسته إزاءنا منذ هرقل..

أمريكا تستهدف الإسلام وتهينه وتزدريه وتستهدف محوه.. فإن أمكن الوصول إلى ذلك بالغواية فلا بأس بإيقاف القتل..(وعلى أي حال هي لم توقف القتل.. و إنما زادت من جرعة الخداع)..

و أمريكا لن يردعها إلا أن تدرك قدرتنا على إيذائها بأية طريقة.. (أعترف في رضا بأن الأستاذ مجدي حسين شديد الوعي بهذه النقطة بل إنه يعزي التغيير الذي تصوره في السياسة الأمريكية إلى المقاومة المسلحة العراقية)..

قد أعترف أن أمريكا قد تغير وسائلها لكن تغيير الوسائل لا يعني تغيير الأهداف.

كما أنني أدرك أن أشكال المقاومة لا تنحصر في التشكيلات القتالية، لكنها لو تخلت عنها فقدت كل شيء.

وبرغم أنني واحد من الذين يظنون أن إيران قد بددت في الأعوام الخمسة الأخيرة رصيدها الذي كونته طيلة ربع قرن، إلا أنني أنظر مقدِّرا ممارساتها كدولة، تستطيع أن تناور و أن تفاوض و أن تقبل و أن ترفض، و أن تعوض خسارتها في ميدان بمكسب في ميدان آخر، و مهما قيل عن اتفاقيات سرية وعن عمالة فلن يبلغ هذا ولا ذاك قدره في صفوف حكامنا. أنظر إلى ذلك و أقدره أيا كانت دوافعه لأننا إزاء دولة وحكومة ورئيس وليس مجموعة من العبيد والخصيان والغلمان – يلبسون كالمهرجين ملابس ملوك ورؤساء و أمراء. أقول أنني أقدر – لا أؤيد- نجاحات السياسة الإيرانية إزاء أمريكا رغم أنها لم تطلق طلقة رصاص، لكن اليد على الزناد.

هذه هي الحقيقة .. و أي فهم للأمور غير ذلك مرعب خاصة لمن كان في مكان ومكانة مجدي حسين.. رغم أنني أعترف أن مقاله الأخير يلمح ولا يصرح، ويشير ولا يمسك.. لكنني تعودت في مقالاته النارية وكتاباته الفقهية العميقة أن تكون الكلمة رصاصة لا تلتوي ولا تنحرف فأعرف من أين انطلقت و إلى أين صوبت..

في المقال الأخير تهت..

كان هناك « بما أن » كثيرة جدا .. لكنني لم أجد: «إذن»..

وهذا ما أرعبني..

ولم يخفني ما قيل بقدر ما أخافني ما تصورت أنه لم يقل..

ولكن:

بعض الظن إثم!..

كنت قد تحاورت في الأمر مع الأستاذ مجدي ولم يحل الحوار الاختلاف..

كنت قد كتبت هذا الجزء منذ أسبوعين.. لكنني ترددت في نشره.. فالوقت ليس مناسبا إثارة الخلافات أو الاختلافات ومعاول الشيطان تنهال على الحزب وسكين الجلاد يوشك أن يعمل فيه عمله..

وقلت لنفسي أن الخلاف لا يفسد للود قضية..

لكنني سرعان ما رددت على ذلك بأن هذه الحكمة تنطبق على وجهات نظر تحتمل الصواب والخطأ .. لكنها لا تصلح أبدا فيما هو باطل كله..

فهل يجوز ألا يفسد الخلاف قضية الود مع من يقترف الكبائر – معاذ الله –.. أو يزعم أنها حلال..

كان قلبي ينفطر..

قلت لنفسي أننا طالما أدنا القيادات التي لم تجاهر بمعارضتها في الوقت المناسب.. ولطالما قلنا أنه لو حدث هذا لما حدثت هزيمة ٦٧ ولا مصيبة كامب ديفيد ولا الكوارث التي غطت حكم مبارك جله..

وفكرت في الانقطاع علن الكتابة في « الشعب » احتجاجا لكنني تذكرت عهدا قطعته على نفسي ألا أتوقف عن الكتابة إلا إذا حطموا قلمي أو قطعوا يدي..

لكن أمرا قد حدث حسم ترددي..

فقد ظهر الأستاذ مجدي حسين في قناة الحرة مرة أخرى..

ويا أخي الحبيب مجدي حسين..

هل استبطأت نصر الله..

يا أخي الحبيب مجدي حسين.. نحن لا نجاهد من أجل حزب ولا صحيفة ولا وصول إلى الناس نستنصرهم.. نحن نجاهد في سبيل الله يملؤنا الرعب من أن نكون نجاهد كي يقال أننا نجاهد.. وقد قيل فيذهبون بنا إلى النار..

نحن نجاهد داعين أن يخلص الله نيتنا له و أن يختم لنا على خير..

نحن نجاهد لا نبالي إن لم يسمع بنا الناس.. أو حتى أهل بيتنا.. لأننا نعلم أنه سبحانه وتعالى: يسمع ويرى..

ونحن لا نبالي إذا كان ما بيننا وبينه عامر وكان ما بيننا وبين العالمين خراب..

أيها المجاهد الذي جاهدت أكثر مما جاهدنا.. و أبليت أكثر مما أبلينا.. ودفعت من حريتك وراحتك أضعاف أضعاف ما دفعنا.. أحسبت ألا تُفتن؟!!.. أم ظننت أنك معصوم من وسوسة الشيطان.. وكيف نواجه الناس ونحن نطلب منهم أن يقاطعوا الشبسي و الإيريال والبيبسي كولا ونحن لا نقاطع الحرة؟!.. أو على الأحرى: العاهرة الحرة..

إنني أرجوك أن تقول لنا جميعا وللقراء أمرا من ثلاثة:

إما أن تقول أنك على صواب وحجتك كذا وكذا (والله الذي لا إله إلا هو أنني لو خيرت لاخترت أن تكون أنت المصيب.. لكنني في هذا الأمر لا أجد للصواب لك بابا)..

وإما أن تقول أنك أخطأت و أنك تستغفر وتتوب..

و إما أن تكشف لنا بالدليل الساطع والبرهان الدامغ على أن للأمر وجها آخر تماما لم نحط به خبرا .. وأن تخبرنا به..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

***

مع عمرو خالد الأمر أشد و أقسى و أنكي..

الأمر تصريح لا تلميح.. وتلبس لا إشارة..

لذلك فللكلمات طعم البكاء وملح الدموع..

ولقد عرفت عمرو خالد قبل أن يشيع أمره وينتشر ذكره.. كان يلقي دروسه ومواعظه في بيت صديق لابني في جمع محدود من الأصدقاء.. ولقد لمست بعد ذلك أن تأثيره على أبنائي كان أكثر من تأثيري أنا عليهم.. ولم يكن ذلك عريب على الكثيرين من أصحابي الدين فوجئوا بنفس الأمر..

وقفت دائما منافحا عنه، منوها بأن الرجل داعية فذ أثبت نجاحا منقطع النظير عند فئة لم يكن للدعاة إليها سبيل. وكنت أرد الاتهام عنه.. فإذا اتهموه في علمه الفقهي قلت لهم أن الرجل داعية وليس فقيها.. وإذا عابوا عليه بعض الخلل العقدي اعتذرت لهم بأن الرجل ليس عالما.. وحتى حين لوحظ عليه عدم تحري الدقة في إسناد الحديث قلت لهم أن جهابذة شيوخ الأزهر يقعون فيما هو أشد و أنكى.. ثم أنه لم يتورط فيما يتورط فيه علماء شيطان وسلطان سفلة استبدلوا دنياهم بدينهم فتجد منهم عالما خسيسا يقول أن عدم الذهاب إلى الاستفتاء كتمان للشهادة التي أمر الله بها، ولا يذكر الخسيس أن هذه الشهادة تزور، ولا هو فعل كذلك الخسيس المجرم الآخر الذي يحارب مكبرات الصوت في المساجد ولا يحاربها في الكباريهات، ولا كذلك الزنديق الذي ينفي – بفقه أمريكي – العمليات الاستشهادية فكلها عنده انتحار وكفر – كأنه يخشى الكفر حقا!!– ، ولا هو فعل ككبيرهم عبد الشيطان الذي يفتي في الصباح بأنها استشهادية وفي المساء بأنها انتحارية – وبين الصباح والمساء ستجد زيارة حاخام أو مكالمة سفير.

لم يفعل عمرو خالد ذلك..

لذلك تجنبت ذكر اسمه عندما كتبت في مقالي الماضي عن مسابقة مجلة النيوزويك التي اختارت داعرة كشخصية للعام.. واختارت : أسامة أنور عكاشة منوهة بموقفه من الصحابي الجليل سيدنا عمرو بن العاص (وصفه الحقير بأنه – أستغفر الله العظيم – أحقر شخصية في التاريخ الإسلامي) ويحيى الفخراني.

تجنبت ذكر اسمه رغم أن المجلة ذكرت اسمه فيمن سيكرمون..

قلت لنفسي أن الأمر بذاءة و إسفاف ومحاولة لتلويث اسمه..

ولم يخطر ببالي ولو كهاجس أن يقبل عمرو خالد ترشيح..

لكنه قبل – و إن كان لم يذهب– ..

فواحسرتاه..

واحسرتاه أيها القلب المتصدع الذي لم يعد يدري من أين تأتيه الطعنة القادمة ولا لماذا ولا كيف .. أمن أعدى الأعداء أم من أقرب الأصدقاء.

أم من أب أو أم؟!..

لقد جاءتني ابنتي الصغرى (ليسانس الآداب) مذهولة مصعوقة كما لو كانت أركان الكون قد تصدعت.. وكأنها تخشى أن تنقض عليها السماء.

كانت هي أكثر أبنائي تحمسا لعمرو خالد..

وكانت تقف في صفه دائما عندما يعن لي أن أصوب جزءا أو أصحح فكرة أو أنتقد خطأ..

جاءتني بنظرة لن أنسى ما حييت ما كان فيها من مرارة وانكسار وصدمة وذهول.. و.. و ... و .. وشيء لم أستطع حينها التعبير عنه.. وكعادتي .. فإن عجز الألفاظ عن التعبير عن معنى يضنيني ويشقيني ويزعجني.. كشوكة في الحلق .. لا يخف وجعها إلا بنزعها كما لا يخف وجعي إلا بالعثور على اللفظ الذي يعبر عن المعنى..

سألت نفسي : ماذا تشبه نظرة المرارة والانكسار والصدمة والذهول في عيني ابنتي..

هل تشبه نظرة صديق خانه صديقه؟..

أم حبيب خانه حبيبه..

أم قيمة هانت أم فكرة خانت أم أملا خاب أم هدفا لم يتحقق أو رجاء لم يجب.. أم دعوة لم تستجب..

رحت أمحص الأمر و أقلبه على وجوهه.. لأكتشف أن أيا من ذلك لا يفسر نظرة المرارة والانكسار والصدمة والذهول في عيني ابنتي .. فما أكثر الصديق الذي يخون صديقه والحبيب الذي يخونه حبيبه وما أكثر ما تخون الفكرة وما يخيب الأمل ولا يتحقق الرجاء ولا تستجاب الدعوة..

ما أكثر ما يحدث ذلك.. للدرجة التي لا يصلح معها أي مما ذكرت لتفسير نظرة المرارة والانكسار والصدمة والذهول التي كانت تشي في عذاب لا يوصف أنها قد تعرضت لخيانة لم يسبق أن تعرض لها أحد.. خيانة ضد قوانين المنطق وسنن الكون.. وضد الفطرة التي وضعها الله فينا..

وبينما تضنيني حيرتي قفز إلى وجداني شطر بيت شعر أظنه لأحمد شوقي:

فيا لك هرة أكلت بنيها..

فانتُزعت الشوكة من حلقي!!..

نعم هذا ما يفسر نظرة المرارة والانكسار والصدمة والذهول.. لقد كانت رد فعل لتصرف ناب خارق مروع مذهل، خارج عن المألوف يوازي أنها – ابنتي – قد رأت عمرو خالد يأكل واحدا أو واحدة من جمهوره.. بل ويتلذذ بمضغ لحمه وسحق عظامه..

ومن هنا كانت نظرة المرارة والانكسار والصدمة والذهول.. وربما الاشمئزاز والقرف.

تخيلتها تستعيد دراستها لتصرخ:

- حتى أنت يا عمرو خالد!!..

***

ترى.. هل يشمت بي أصدقائي الذين شاجرتهم من أجلك؟!..

يا عمرو: طريقك إحياء الدين لا علمنة الدين..

يا عمرو: سبيلك ما يقربك من المؤمنين لا من النيوزويك..

قد يعتذر لك البعض بأنك وقد طردت من وطنك..– طردك أولياء الشيطان – لم تجد من سبيل إلى العودة إلا عن طريق تأشيرة دخول من النيوزويك.. لكن أرض الله واسعة .. فهاجر.. تعد و أمعن في البعد تقترب!!..

يا عمرو.. لأن يهدي بك الله واحدا خير لك من الدنيا وما فيها..

يا عمرو.. حتى البغيض أسامة أنور عكاشة الذي أشك إذا ما كان الإسلام يمثل أي مرجعية له.. أسامة أنور عكاشة الذي يدافع دفاعا مستميتا عن الغزو الأمريكي للعراق.. أسامة أنور عكاشة احتج غاضبا على اقتصار أسباب تكريمه على سباب الصحابي الجليل فخشي على سمعته وشرفه ومصداقيته بين جمهوره – وهي صفات أشك في وجودها – فرفض الذهاب للتكريم..

فكيف قبلت أنت يا عمرو خالد.. أيها الأمل الواعد الذي أدعو الله ألا يكون قد خبا.. والجذوة المشتعلة التي تضيء الطريق للمسلمين..

يا عمرو: إن كنت قد كسبت واحدا من العلمانيين فقد خسرت من المسلمين مائة.. وإن كنت قد كسبت ألفا فقد خسرت مليونا.. و إن كنت قد كسبت مجد الدنيا فأخشى أن تكون كسبت خزي الآخرة..

يا عمرو: غفر الله لك..

أخشى ما أخشاه أن يندفع علماؤنا ومفكرونا إلى نوع من التصالح والتطبيع مع الشيطان فإذا الحرة قناة كالقنوات الأخرى لا تثريب على من يتحدث فيها و إذا النيوزويك مجلة كبقية المجلات لا مانع من التعامل معها.

لن أتحدث عن الولاء والبراء ولا « وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» ولا عن ضرورة المقاطعة ولا عن حرمة التعامل مع عدو استباح الدم والأرض والعرض.. ولا أن وسائل الإعلام أصبحت لا تقل خطرا عن كتائب الجيوش.. لن أتحدث عن ذلك.. بل أتحدث عن ماوتسي تونج الذي حرم على الصينيين أثناء الثورة الاستماع إلى سيمفونيات بيتهوفن وموزارت.. وعندما سئل عن السبب قال: لكي لا تحبوا أعداءكم..

كان بيتهوفن وموزارت.. لم يكونا الحرة والنيوزويك.. اللتان لم توجدا أصلا إلا لغسيل المخ والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف مما يجعل التعامل معهما لا يقل عن التعامل مع إسرائيل..

بالمناسبة: أحيي الأستاذ جورج إسحاق الذي اتخذ قرارا بمقاطعة تلك وذلك..

أيها الحبيب عمرو خالد[1]..

لا تظن أبدا أنك بتوددك إليهم يرضون عنك..

لأنهم لن يرضوا عنك إلا إذا اتبعت ملتهم..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

---

(١) يعلم الله أنني أسعى إلى رأب الصدع لا إلى توسيع شقة الخلاف.. ولو أن أي واحد منكم ضمن لي ألا أموت اليوم لأجلت المواجهة إلى الغد.

كتب للمؤلف

اسم الكتاب	السنة	النوع	دار النشر
اغتيال أمة- طبعة أولى	١٩٨٧	سياسي	مكتبة مدبولى
الحاكم لصا	١٩٨٩	رواية	مكتبة مدبولى
مباحث أمن الوطن -- صودرت بعد الطبع.	١٩٩١	قصص قصيرة	مكتبة مدبولى
اغتيال أمة -طبعة ثانية مزيدة	١٩٩١	سياسي	مكتبة مدبولى
قصر العيني	١٩٩٢	رواية	مكتبة مدبولى
من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك	١٩٩٣	سياسي	الشركة العربية للطباعة والنشر
إعلانات مبوبة	١٩٩٤	قصص	دار جهاد للنشر
مباحث أمن الوطن (غير المصادرة)	١٩٩٧	رواية	مدبولى الصغير
إني أرى الملك عاريا	١٩٩٩	سياسي	مكتبة مدبولى
بغداد عروس عروبتكم	٢٠٠٠	سياسي	مدبولى الصغير
الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة	٢٠٠١	سياسي	مكتبة مدبولى
بل هي حرب على الإسلام	٢٠٠٢	سياسي	مكتبة مدبولى
الإخوان المسلمون (جزءان)	٢٠٠٨	سياسي- تاريخي	المختار الإسلامي
غزة .. عروس عروبتكم	٢٠٠٩	سياسي	
تحت الطبع			
هلك الفاجر		سياسة	
بروتوكولات حكماء العرب		رواية	
حفل إفطار رمضاني		قصص	

الفهرس